



رَحْلَةُ التَّجَانِي



أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني

قَدَّمَ لَهَا
العلامة المحرم حسن حسني عبد الوهاب

دار الحرية للكتاب

© جميع الحقوق محفوظة الطبعة الأولى 1981

ليبيا - تونس 1981

رَحْمَةُ الرَّحْمَنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُتَدَمَّة

أصحاب الرحلات من المغاربة - أفارقة وأنديسين - يعدون بالعشرات بين قديمهم والجديد . وما تركوه لنا من أثر تقايدهم فى السفر يتفاوت قينة واهمية بطبيعة الامر ، لا من ناحية الوجهة والغاية فحسب ، بل من ناحية التحقيق والتحرير وشدة الرغبة فى الاطلاع على حقائق الاشياء وأصولها .

وليس من شك أن فريضة الحج فى الاسلام كانت من أعظم البواعث على سفر آلاف من المغاربة فى كل عام الى الحجاز للقيام بهذه الفريضة . وبعد زيارة الحرمين الشريفين كان الكثير منهم يقصدون المقامات المباركة بالمشرق كالمسجد الاقصى بالقدس ، وقبر

ابراهيم الخليل فى حبرون ، ثم يعرجون على دمشق ومدائن أخرى من الشام ، وطالما زاروا بغداد عاصمة العباسيين بالعراق . وفى رجوعهم يقفون برهة بمصر حيث جامع عمرو بالفسطاط ، والجامع الازهر وحلق تعليمه ، والمشهد الحسينى ، ومقام الشافعى . ثم يقطعون مفازة برقة الى طرابلس - ان كان السفر فى البر - ثم الى تونس ومنها ينتهون الى قرارهم الاصلى بالمغرب الاوسط أو الاقصى أو بالاندلس وهى نهاية العالم الاسلامى وقتئذ .

وكان علماء نبهاء من بين هؤلاء الحجاج يدنون مشاهداتهم ، فيصفون تجوالهم فى مختلف تلك الاقطار ، ويسجلون الاحداث التى عرضت لهم مدة ترحالهم تخليدا لذكركم ، وهداية لاخوانهم وبقية مواطنيهم ، وتعريفا بالمسالك التى يجب سلوكها ، أو المهالك التى ينبغى اتقاؤها .

ومن بين هؤلاء الرواد من وصف ما اجتاز به من الافاق من وقت مفارقتة لوطنه الى حين عودته اليه ، وصفا يتشى مع ما تصبو اليه نفسه ، ويرتاح اليه خاطره ، ويتفق مع ميله الفريزى وتكوينه العلمى ، فيقصر تقييده على ما كان يقصد من ترحاله كالترعرف برجال العلم الدينى ولا سيما بأهل الحديث وأئمة الفقه ، فيذكر لنا أسماء من لقي منهم ، وما اخذ عن كل واحد ، وما اتصل به من أسانيدهم ، وطرائق رواياتهم ، ويجهتد فى الحصول على أكثر ما

يمكن من الاجازات ، وينفض الطرف عما سوى ذلك من وصف
البلاد وما امتازت به ، وما احتوت عليه من معالم ورسوم وعادات .
وهذا الصنف من التقاليد قليل الفائدة ، محدود النفع اذ كان
محصورا فى لون خاص من المشاهدة التى لا تهتم الا من يعنى
بعلوم الدين الحنيف . ومنهم من انصرفت عنايته الى الادب ، فحصر
تدوينه فى سرد أسماء الادباء المعاصرين والشعراء الذين اجتمع بهم ،
فيثبت ما روى من نتائج قرائحهم ، ويسوق نماذج مختارة من
قصائدهم ، ولا يلتفت الى التعريف بالبلاد ، وما رأى فيها من
معاهد جليلة ومنشآت بارزة ، كما انه لا يكثر بالبيئة الاجتماعية
التى اقام بين ظهرانيها ، ولا بأنظمتها وأخلاقيها ، ولا يعبأ بأصناف
مصنوعاتها وتجاراتها ، ومحصول فلحها وما الى ذلك من أوضاع
اقتصادها .

وفريق آخر من الرحالين - وهم النادر القليل - وفق الى مراعاة
ذوق جمهور القراء فأتى بمشاهداته عامة متنوعة تشمل كل ما
يمكن أن يقال ويكتب عن البلد المزور من سائر نواحيه - الجغرافية
والتاريخية والعمرانية والاقتصادية ، بحيث يجعل القارىء رفيقا
ملازما له فى سفره وصاحباً فى تنقلاته ، ومنصتا لحديثه ، ومشاركاً
له فى مشاهداته .

وعلى هذا المنوال نسخ أبو بكر بن العربى الانشيلى حافظ

الاندلس المتوفى سنة ٥٤٣ هـ فى تقييد رحلته الذى لم يزل فى
حيز المخطوطات . وكذا فعل ابن جبير الوزير الاندلسى فى
، تذكرة الاخبار ، عن اتفاقات الاسفار ، وهى بلا ريب من غرر
الرحلات المغربية ، وقد طبعت مرات وترجمت الى السنة كثيرة .

ولا ننس ان المقدم فى هذا الميدان ، المتأخر فى الزمان هو الرائد
المغامر ابن بطوطة الطنجى الذى طبق الافاق ، ودون ذلك التقييد
الحلاب الذى وصف فيه آثار المعمورة شرقا وغربا أبدع وصف ،
ونقل عن لقيه من اخوانه السياح نعم ما لم تشاهده عيناه ، ولم
تطأه قدماه ، فأتى بالصحيح الموثوق به ، وكذلك ضمن رحلته
شوارد من الاخبار تثير الاستغراب والاعجاب ، مما هو من نوع
الاساطير المسبوقة التى كان لها رواج فى أفكار أهل ذلك العصر ،
وعلى كل فان هذا الصنف من مؤلفى الرحلات - على ندرته - هو
المرغوب فيه ، والمنظور اليه بعين الاشتياق من المطالعين مع الرغبة
والتقدير من الباحثين .

ومن حسن حظ القطر التونسى أن أنجب من بين أبنائه العلماء ،
وكتابه الادباء ، رحالة من هذا النمط الممتاز ، ونعنى به : عبد الله
التجاني ، ذلك الموظف الحضرى والكاتب الضليع الذى قام برحلة
فى أنحاء القطرين التونسى والطرابلسى فى صحبة أحد ملوك بنى

حفص في اوائل القرن الثامن للهجرة ، وسجل أنباء سفرته في
تقييد زاهر بالفوائد ، مفعم بالاخبار الجغرافية والتاريخية والادبية
والاجتماعية قلما اجتمعت في دفتر مسافر رحال .

وقبل الاقبال على مطالعة أثره ، ومرافقته في سفره ، يجعل بنا أن
نتعرف الى شخصية المؤلف ونشأته العلمية وما كان للجو الذي
نشأ فيه وعاش في كنفه من التأثير في تفكيره .

التعريف بصاحب الرحلة

كل من يبحث عن تراجم رجال الحركة العلمية في عصر الدولة
الحفصية يعجب كيف أغفل أصحاب الطبقات ذكر فحول من الادباء
ومشاهير من الكتاب البلقاء أهلتهم صفاتهم وميزتهم نحائزهم بأن
يكونوا في صف من يجب الاعتناء بأخبارهم وتعريفهم بما
يستحقون . واذا ما أجهد الباحث نفسه في التنقيب عنهم لم يجد
من أنبأهم سوى تنف مبشرة هنا وهناك في غضون المخطوطات
لا تستقيم الا بلم الشتات .

ومن بين هؤلاء المهملين المجهولين «بنو التجاني، التونسيون، وقد
نجم منهم غير واحد من الفحول ممن أكسبوا القطر الافريقي

- مدر طويلة - صوتا بعيدا وسمعة شريفة فى العلوم والاداب .

ينتسب أفراد هذه الاسرة الماجدة الى قبيلة « تجان » - بكسر التاء - من قبائل المغرب الاقصى ، ويظهر أن أول من قدم منهم تونس هو « أبو القاسم التجانى » ، وكأنه جاء مع جيش الموحدين الفاتح لافريقية بقيادة رجل المغرب ومنقذه : الخليفة عبد المؤمن بن علي ، ذلك البطل الذى قضى على أمراء الطوائف المستقلين فى أنحاء البلاد كما قهر نصارى « النرمند » المتغلين وقشذ على الساحل التونسى وقاعدته المهدية . وبفضل هذا الانتصار تمكن عبد المؤمن من انشاء وحدة المغرب الكبير سنة ٥٥٥ هـ - ١١٦٠ م

وبعد الظفر وأمد الاستقرار وقع اختياره على مدينة تونس فاتخذها مركزا لجيشه ، ومقرا لولاته ونوابه فى تسيير شؤون البلاد ، ونصب بها هيئة عليا تشرف على الادارة وهم (مشائخ الموحدين) اصطفاهم من خيرة دعاة ، كما رتب بها مصالح الحكومة الفتية ، فكان « أبو القاسم التجانى » من جملة من استوطن حينئذ تونس ، ويظهر أنه كان فى ديوان الكتبة - وقد تزوج فيها واشترى دارا لسكناء مع جملة رباع أخرى - لا ندرى فى أية ناحية من المدينة - وبعد حين كان لابی القاسم ولد وهو « محمد » اقتفى أثر أبيه فى الخدمات المخزنية .

ويستفاد من خبر أورده حفيده الاصغر عبد الله الرجال الاتى (١)

أن في مدة حياة محمد هذا كانت ثورة « بنى غانية الميورقين » ،
وهم من بقايا المرابطين الذين شاغبوا الحلفاء الموحدين بالميث في
بلاد افريقية ، فقد خربوا عمرانها وأرهبوا سكانها بالظلم والعسف
بما لا يطقون كما هو مبسوط في التاريخ .

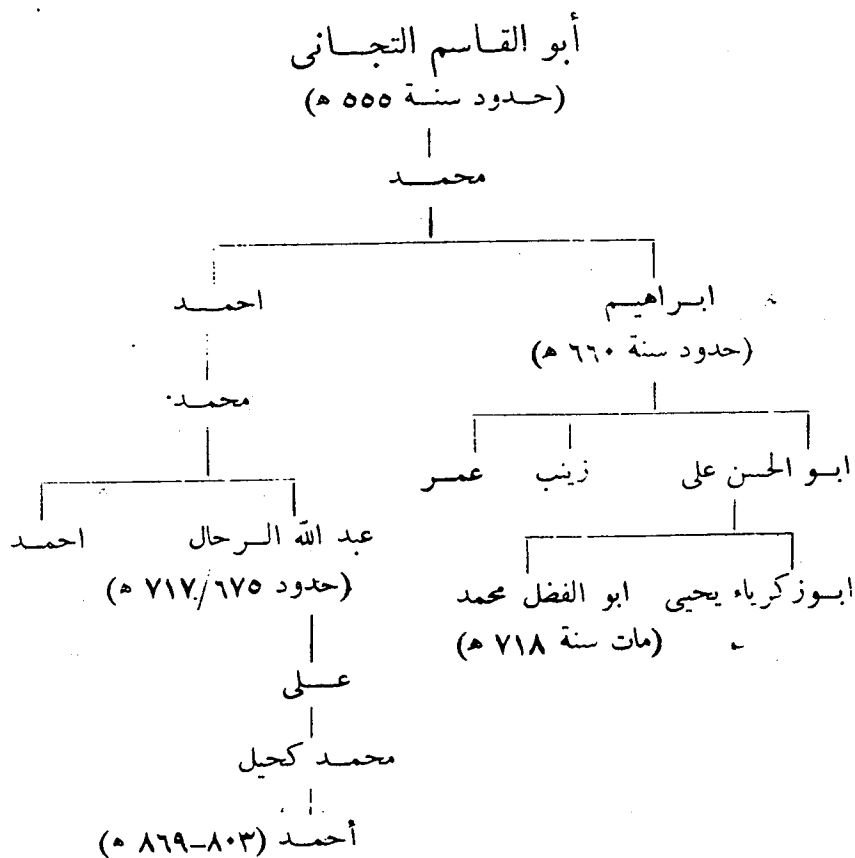
وقد تمكن أحد النافرين الميورقين وهو « يحيى بن اسحاق » من
اغتصاب مدينة تونس من يد المشائخ الموحدين ، فألحق بأهلها من
القساوة والتنكيل بالغرم المالى ما باعوا فيه أملاكهم . ومن جملة
من نالته عقوبة التفريم الفادح « محمد التجانى » المتقدم . قال
حفيد^(١) : « ووقف له - يعنى الناصر المورقى - على ظهير بصرف
بعض أملاك بنى التجانى عليهم ، مما تطرق اليه النزول - أى
المغرم - حين دخوله وقبل ذلك وتاريخ الظهير الثامن لذى
القعدة من سنة ستمائة » .

ثم تدارك الموحدون حال افريقية فحاربوا الناصر وشرذوة شر
مشرذ . وعاد بنو التجانى الى مناصبهم المخزنية .
ابراهيم وأحمد التجانيان :

حتى اذا ما استقل (بنو حفص الهنتاتيون) بملكة افريقية - سنة
٦٢٥ هـ - رأينا أفراد آل التجانى فى زمرة رجال دولتهم وكتاب
دواوينهم . منهم الاخوان : « ابراهيم » و « أحمد » ابنا محمد بن

(١) راجع ازهار الرياض للمقرى مخطوط بمكتبتى - و ك - نفع الطيبر للمؤلف

أبى القاسم المتقدم ، فانهما كانا من كبار الموظفين المنظور اليهم
بعين التجارة والاعتبار فى بلاط أبى زكرياء الاول مؤسس الاسرة
الحفصية ، وقد ذكر رواة الاخبار أن « ابراهيم التجانى » كان ممن
انتصر للحافظ الكبير محمد بن الابار القضاعى لما وفد سفيراً من
قبل أهل الاندلس مستصرخاً بالملك الجفصى لنجدة بلده بطنسية
وقد تقدم الى أبى زكرياء بتلك القصيدة العصماء التى مطلعها :
أدرك بخيلك خيل الله أندلساً ان السبيل الى منجاتها درساً
فانتقدها جماعة من أدباء العصر المفرضين ممن يحسد قائلها ،
فانتصر له ابراهيم التجانى فى تأليف مستقل أسماه (مؤازرة الوافد
ومبارزة الناقد ، فى الانتصار لابن الابار) . وقد نال هذا التأليف
اعجاب المعاصرين لما احتوى من تحقيق علمى وبلاغة تحرير .
وهكذا تهيأ للاخوين « ابراهيم ، و « أحمد ، الظهور فى المحافل
الادبية والاشتهار بالعلم الواسع والادب الغض ، ومن الاخوين
المتقدمين تفرع نسل التجانيين حسبما هو مبين فى الشجرة التى
رسمناها بقدر ما علمنا من الانباء عن أفراد الاسرة .



ونحن موردون هنا بعض أخبار من أمكننا الوقوف على ذكره
من أعيان هذه الاسرة التي رفعت راية العلم والادب في البلاد
لتونسية مدة لا تقل عن الثلاثمائة سنة ، ولنبتدى بنسل ابراهيم
ابن محمد بن أبي القاسم الذي ترك ابنين وبنتا وهم : علي
وعمر وزينب .

(١) أما أبو الحسن علي بن ابراهيم ، فهو من أخذ عن علماء أعلام مثل ابن البار ، وحازم القرطاجنى ، وعلى بن عصفور ، والكلاعى وغيرهم من جهابذة الاندلس المهاجرين الى تونس فى منتصف القرن السابع للهجرة ، لكن يظهر أن أبرز أستاذ تخرج عليه هو أحمد بن محمد المعروف بابن الفماز قاضى الجماعة بتونس ومحدثها الكبير ، وقد انتفع على بالقراءة عليه والاسناد اليه ، فلما توفى شيخه هذا - سنة ٦٩٣ - جمع تلميذه أخباره وآثاره وما قيل فيه من النثر والشعر فى سفر خاص (١) .

والتقى بعلى الرحال المغربى محمد البدرى الذى زار تونس مرتين فى طريق ذهابه الى الحج - سنة ٦٨٨ هـ وعند رجوعه - سنة ٦٩١ هـ - قال البدرى (٢) : « ولقيت بتونس الشيخ ، الاديب الحسيب الكاتب البليغ ، ذا الفضائل المذكورة ، والمثائر الماثورة ، شيخ الادباء ، وواحد البلغاء ، وزين الناظرين والشعراء ، (أبا الحسن علي بن ابراهيم التجانى التونسى) له بيت عريق فى العلم والادب ، قال لى بمسجد اقراه : أنا الثانى عشر مدرسا من آبائى على نسق كلهم قد قعدوا هنا للاقراء - ويبتهم بالعلم

(١) ك الديباج المذهب لابن فرحون ص ٧٩

(٢) رحلة البدرى - خط بمكتبتى

شريف شهير وقل من لم يقل الشعر ، وأما أبو الحسن فهو فيه آية
الزمان اجادة معنى ، وتنقيح لفظ ، وسرعة بديهة ، وكثيرا ما يلمه
ارتجالا فيجود ويتقن وهو بالجملة من خواص أهل العلم
وآحادهم ، جالسته كثيرا وسمعت كلامه فى الادب وغيره وقرأت
عليه مقامات الحريرى وكان يرد فيها وينتقدها نقدا محققا
وقرأت عليه قصيدة الشيخ الحافظ أبى عبد الله ، ابن البار ، التى
مدح بها الامير أبا زكرياء بن عبد الواحد أبى حفص وهى
مشهورة ، واولها :

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا ان السيل الى منجاتها درسا
وحدثنى بها عن مؤلفها سمعا منه وقرأت عليه قصيدة
الشيخ الاديب الفاضل أبى الحسن حازم بن محمد بن حازم
القرطاجنى الاندلسى وهى المقلوبة من قصيدة امرئ القيس فى
مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد حدثنى بها عن منشئها
المذكور وهى :

لعينك قل ان زرت أفضل مرسل
قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل
وفى طيبة فانزل ولا تنفس منزلا
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فيا حادى الامال سر بى ولا تقل
عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل ...

وقد ساق العبدري أخبارا وأشعارا كثيرة مما روى عن أبى
الحسن على التجانى ، ومن جهة أخرى نعلم أن عليا هذا كان
مستوطن طرابلس برهة من الزمن ، ومنها توجه الى الحج - سنة
٦٨٤ - ثم عاد الى وطنه واجتمع بالعبدري كما مر وتوفى على بعد
سنة ٧٠٨ هـ يعنى بعد عودة ابن عمه عبد الله الرحال كما سيأتى ،
ونسب السيوطى - نقلا عن غيره - المقطوع الاتى الى أبى الحسن
على (١) .

ان الذى يروى ولكنه يجهل ما يروى وما يكتب
كصخرة تنبع أمواهها تسقى الاراضى وهى لا تشرب

(٢) زينب بنت ابراهيم التجانى :

وهى من شهيرات هذا البيت ، بل من شهيرات الادبيات
التونسيات فى العصر الحفصى ، ذكرها العبدري أيضا فى رحلته
عرضا ولم يسمها ، وكنت عثرت اتفاقا على اسمها فى بعض
المخطوطات وخصصتها بترجمة فى غير هذا (١) وأورد لها العبدري
مقطوعين من شعرها أشدهما له أخوها على . فمن ذلك قولها

(١) بغية الوعاة للسيوطى ط مصر ص ٣٢٦

ملنزة فيمن اسمه تميم :

يقولون لي هذا حييك ما اسمه ؟

فما اسطعت اثناء وما اسطعت اكنتم

فقلت اسمه ميم وحرف مقدم

فهذا اسم من أهوى فديتكم افهموا

ومن قطعة لها في وصف شعر إحدى صويجاتها :

إذا انسدت منه عليها ذؤابة كغنص أراك غانقته أراقم

أثيث طويل فهو يستر جسمها إذا نزعته عنه الملابس اسحم

كأن الصباح ارتاع من خوف طالب

بشار فبالوى بالدجى يتكتم

أقول : وكأن مقطوعها الاخير ينظر الى قول زميلتها الشاعرة

الاندلسية حمدة بنت زياد الوادى آثية من أبياتها المشهورة ،

وعلى كل فإن الواقف على هذا النزر القليل من نظم الادبية التجانية

يحكم بانه كلام عارفة بقوانين الصنعة، متمكنة من الادب وأوضاعه

تمكنا صحيحا وهى مع ذلك ذات خيال واسع مما لا يقع مثله الا

لحذاق الشعراء ، ولم نقف على طريقة تعلمها ولا على تاريخ وفاتها

(٣) عمر بن ابراهيم التجاني :

هو أخو كل من على وزينب المتقدمين ، وكان أيضا من العلماء.
الكتاب اجتمع به الرجال العبدري في تونس وأورد له مقطوعا من
شعره :

سرك ان أعلمته ثانيا فاعلم بأن قد آن أن تفشييه
لان ما أضمرت في حالة الافراد ستخرجه الشيه

وعلق العبدري على البيتين بقوله : . وهذا الاستدلال بالتمثيل
النخوى مليح مناسب جدا ، ولا نعلم من أنباء هذا التجاني الا ما
تقدم .

(٤) - و من ولد أبي الحسن على السابق الذكر . أبو الفضل محمد ،
أحد أعلام البيت التجاني ، كان في جملة كتاب ديوان الانشا،
واشتهر بالادب وتميز في فن الرسائل ، خدم الدولة الحفصية بثارائه
وقلمه في أيام السلطان أبي عصيدة ثم السلطان أبي يحيى زكرياء،
الليحاني ثم ابنه السلطان محمد الملقب بأبي ضربة المتبد بأمر
افريقية بعد أبيه ، فكان أبو الفضل كاتب سره ومدبر أمره ، وقد
صحب مخدومه هذا لما زحف السلطان أبو بكر الحفصي صاحب
المملكة الغريبة على تونس فأوقع بأبي ضربة وجموعه في فحوص
مصوج - من تراب أولاد عون الان - وقتل جماعة من أنصاره

ومن بينهم أبو الفضل - سنة ٧١٨ هـ (١) - والحق أن هذا التجاني كان من نوابغ أهل بيته ومن مشاهير شعراء عصره ، وقد أوردنا له شيئاً من نظمه في غير هذا (٢) ، وكان ابن عمه وتربيه عبد الله يحبه كثيراً ويعجب ببلاغته وطالما يروى له في تقييد رحلته نص رسائله وقصائده ، فمن ذلك قوله يصف إحدى عشائاه بقابس في بعض حدائقها المعروفة « بساحة عنبر » :

اذكر عشتينا بساحة عنبر	والجو يتحفنا بنكهة عنبر
حيث النخيل عرائس بسط الحيا	بسطا لها من أخضر أو أصفر
والشمس تستحي فتستر وجهها	عنا بستر للعروس مجبر
والنور بين مفضض ومذهب	والنور بين مدرهم ومدنر
والنهر والغدر ادرعن تحصنا	اذ صفت الغابات صف معسكر
والبحر يرمقنا بمقلة أزرق	والبر يرمقنا بمقلة أعفر

وهذا القول - على تدلى الشعر في ذلك العصر - من أروع النظم

في وصف ناحية ما زالت معروفة في واحة قابس

ولا يفوتنا أن نذكر أن أبا الفضل هذا له مصنفات حسان في التاريخ والادب منها كتاب « الناسم » جمع فيه تراجم ومختارات

(١) ك - تاريخ ابن خلدون ج ١ من طبع الجزائر ١٨٥٠ وجاءت هناك نسبه معرفة الى
البياني بدلاً من التجاني - ونفع الطيب ٢ - ٤٠٥ طبع مصر
(٢) ك - المنتخب التونسي - ط مصر سنة ١٩٤٤

لشعراء عصره وله « الحلى التيجانية والحلل التجانية » أثبت فيه
اخبار النابنين من أفراد بيتهم وما لهم من الاثار العلمية والادبية .
ومن المؤسف أنه لم يبلغنا من ذلك كثير ولا قليل .

أما أعيان الاسرة الثانية المتفرعة من نسل أحمد بن محمد أخى
إبراهيم المتقدم فقد اشتهر من بينهم :

(٥) محمد بن أحمد التجانى :

نعلم أنه قرأ بتونس على من كان بها من وجوه العلماء وكبار الادباء
من جمعتهم البيئة الحفصية فى أول نشأتها فامتزج بحلق تدريسهم
العالى ، وكانت حضرة تونس أو - الحضرة كما كانوا يسمونها -
حافلة بأعلام الوافدين عليها من الاندلس والمغرب مثل الحافظ
الجليل محمد بن الابار المتوفى سنة ٦٥٨ - وأبى محمد بن برطلة
وأحمد النماز البلسى قاضى الجماعة بتونس المتوفى سنة ٦٩٣ هـ
والحسن بن عمر الهوارى الطرابلسى وسواهم كثير ، وانخرط
محمد بعد تعليمه فى سلك ديوان الانشاء وظهرت عليه البراعة فى
الترسل ، ونجده بعد سنين قليلة يتحول الى مدينة بجاية بطلب من
أميرها ، فيتولى كتابة العلامة السلطانية للوائق بالله أبى زكرياء
يحيى بن أبى اسحاق - سنة ٦٨٤ هـ ١٢٨٥ م - صاحب المملكة
الحفصية الغربية ، ويعرف هناك محمد بصدق اللهجة وصفاء الطوية
والمقدرة على التحرير الراقى ، وبقي بين بجاية وقسنطينة الى أن تولى

الامير أبو يحيى زكرياء بن أحمد المشهور بالحياني مشيخة
الموحدين في تونس فاجتهد في إعادة محمد الى مستط رأسه وأسند
اليه خطة عالية في ديوان الرسائل وكان يرأسه وقتئذ العلامة أحمد
ابن الحجاز المهدوي، فاستعان به في مهمات مكاتباته، وأقام محمد على
هذا الوظيف مخمود السيرة الى أن عزم الامير زكرياء هذا على
السفر الى المشرق مظهرا الرغبة في الحج وهو غير ما كان يضر في
باطنه ، فترك على ديوانه لمباشرة شؤونه الكاتب الامين محمد
التجاني - سنة ٧٠٦ هـ - حسبما تراء مفصلا بعد . وتوفي محمد في
حدود سنة ٧١٠ هـ - بعد عودة ابنه الرحالة بستين او أقل من
ذلك ، وكان شيخا وقورا حنكته التجارب محبوبا عند الخاصة
والعامة لطهارة سيرته ، وسلامة سريرته .

عرف به أحد أمراء الاندلس في كتابه (١) فقال :

« ومنهم - اي كتاب العلامة - الكاتب الاديب صاحب القلم
الاعلى محمد بن أحمد التجاني التونسي ، صاحب الشعر النفيس ،
المجرب واديه كنيس ، المتطى صهوة الثار ، والحائض في نقه
المثار ، ورب الاحاجي المرموزة ، ومعدن سر الاداب التي ليست
بمغموزة ، ومثبت حروفها الساكنة والمهموزة »

(١) « ك - مستودع العلامة » تصنيف الامير اسماعيل ابن السلطان يوسف النصري القرناطي
- مخطوط في بعض المكتبات التونسية - ص ٢٢

وفيه من كلامه هذا أنه يشير الى تأليف - أو مقامات أدبية -
من وضع محمد التجاني ، ولم نتوصل الى معرفته ، ولا الوقوف على
حقيقته .

وعلى كل فانه كان أدبيا ضليعا يقرض الشعر الطيب بالمناسبات ،
كقوله يشوق الى ابنه عبد الله حينما كان فى رحلته وكتب بها اليه
حملتم القلب اذ جد الرحيل بكم

من الصبابة ما لا تحمل الابل
فلو سلكتم سبل الحزم ما عجزت

اذ ذاك منى عن دفع النوى الحيل
لكن عراني زهول يوم بينكم

كما يكابد من أجابه رحلوا
فالله يجمع منا الشمل عن عجل

فالحير أجمل ما فى نيله العجل

وترك محمد بن الابناء - فينا علمنا - ولدين هما : أبو محمد عبد
الله صاحب الرحلة الاتى ، وأبو العباس أحمد وهو أصغرهما .

(٦) صاحب الرحلة :

فى تلك البيئة المخزنية الراقية ، وفى تلك الاسرة العلمية الماجدة
نشأ ، عبد الله ، أبو محمد ، نشأة جد وعمل ومحافظة على تقاليد
موروثة من لدن جده الاعلى ، ولد عبد الله بحضرة تونس - ما بين

٦٧٠ ٦٧٥ هـ (١٢٧٢ - ١٢٧٦ م) وتربى فى حجر أبيه العالم الاديب المتقدم الذكر وهو أول من لقنه القراءة والكتابة كما صرح به الابن غير مرة . فيقول مثلاً : « وقد أخبرنى بهذا الحديث الوالد قراءة عليه ، قال أخبرنا الشيخ الحافظ محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى (أى ابن الابار) ، وأقبل من صفره على حضور دروس الشيوخ فى التفسير والحديث وأنواع العلوم ما بين دينية ولسانية وأدبية حتى ترعرع وحصل ملكة التمييز ، ويناسب أن نشير هنا الى المشاهير من الشيوخ الذين أخذ عنهم الحديث والفقه والتاريخ ، والادب ، غير والده محمد .

شيوخه :

وفى مقدمتهم أبوبكر بن عبد الكريم العوفى العلامة المغربى الوافد على تونس والمتوفى بها سنة ٦٩٨ هـ قال صاحبنا التجانى وقد ذكره فى أحد تصانيفه (١) :

« أخبرنى الشيخ الفقيه العدل الصالح أبو يحيى أبو بكر بن أبى محمد عبد الكريم العوفى فيما أجازنيه وقرأته بلفظى عليه سنة ثلاث أو أربع وتسعين وستمائة ، وهو أول من استفدت منه بالقراءة عليه ومثلت بالتعليم بين يديه . وكان - رحمه الله - قد نال من المعارف ما اشتهى ، وحاز فيما حاز من الاحاطة بأقوال الفقهاء

(١) ك - « الوفاء ببيان فوائد الشفا » من تأليف عبد الله التجانى مخطوط ، وسيأتى ذكره

غاية المنتهى

رسمهم الشيخ أبو القاسم بن أبي محمد عبد الوهاب بن قائد بن
على الكلاعى قريب صاحب السيرة النبوية المشهورة بالسيرة الكلاعية،
أحد علماء الاندلس اللاجئين الى تونس ، روى عنه التيجانى كثيرا
ويقول فى اسناده : « أخبرنى الشيخ الاكرم أبو القاسم بقراءتى
عليه . . »

ويظهر ان دراسته المتينة فى الحديث والادب انما تلقاها عن
الاخوين التيجانيين على وعمر وقد تقدم التعريف بهما ، فيقول
عن الاول :

« وهذا الحديث حدثنا به الشيخ اللغوى الاكثب أبو الحسن على
ابن الشيخ ابراهيم التيجانى ابن عم الوالد بقراءتى عليه عام سبعة
وتسعين وستمائة ، قال حدثنا . . . الخ . . »
ويقول فى مكان آخر عن الثانى :

« أنشدنى الشيخ الجامع المتفنن أبو على عمر بن الشيخ المرحوم
أبى اسحاق ابراهيم التيجانى وهو ابن عم والدى »
ومن شيوخه : أبو على عمر بن محمد بن علوان التونسى . وكان
أخذ التيجانى عليه فى خلال سنة ٧٠٢ وتوفى بتونس عام ٧١٠ هـ
حسما نص عليه صاحبنا (١) .

فهذه نخبة من الشيوخ الذين لقن عنهم . أما لو أردنا استقصاء
من عرفهم من رجال العلم المبرزين ومن الادباء المجيدين للزمننا قطر
ضخم لحصر مكاتباتهم له ، ومساجلاته لهم ، لكن سيري القاري
جانبا مهما منها في غصون الرحلة ، ومن فحواها يتها لنا تقدير
علاقات التجاني وصلاته الوثيقة بالعلماء وأهل الأدب المعاصرين
له داخل القطر وخارجه ، وذلك أظهر دليل على اجتهاده - طول
حياته - في ميدان العرفان وعنايته الكاملة بالعلم والادب ، وسعيه
المتواصل في التعرف بأهله والمتسعين اليه .

مكتبته :

وتعجبني من صاحبنا ظاهرة أخرى يتضح منها شغفه القوي
بالتقافة ووسائلها ، وهو اهتمامه الزائد بالكتب في كل صنف وفي
كل فن ، يتبين ذلك جليا من مطاعة ما وصل اليها من تراثه ، فانظر
مثلا الى وصفه المخطوطات النادرة التي يلاقيها في سبيل رحلته في
طرابلس وغيرها .

وليس من شك أنه كان يملك مكتبة ضخمة من مختار المصنفات
كما هو الشأن غالبا في ذلك العصر لكبار الكتاب ، ومن يتبع
مؤلفاته يعجب من كثرة ما يذكر منها وينقل عنها ، وها هو ذا
يخبرنا أنه كان لديه نسخة كاملة من « سيرة الرسول » لابن اسحاق
فينقل عنها مباشرة ، ولا يخفى ان هذه السيرة مفقودة الان ولا

نعرف منها الا ما نقل ابن هشام ، كما كان لديه نسخة من « تفسير يحيى بن سلام » الذى حرره بالقيروان حوالى سنة ١٧٥ هـ .
ومن ناحية أخرى نعلم انه كان تحت تصرفه مصنفات وتقاييد بخطوط أصحابها منها كتاب (العمدة) فى صناعة الشعر ، قال التجانى : « ونقلت من خط أبى على الحسن بن رشيق حكاية عن الفصل فى هذا البيت (١) » ، ومنها بعض تاليف على بن سعيد الغرناطى الاديب الطائر الصيت ، قال : « ونقلت من خط أبى الحسن على بن موسى بن سعيد فى بعض تقاييده (٢) »

وفيدنا أيضا عن تصانيف اللغوى الكبير « ابراهيم بن اسماعيل الاجدابى » صاحب ك « كفاية المتحفظ » فى فقه اللغة وغيره ، أنها كانت فى خزائنه ، قال التجانى (٣) : « وأكثر هذه التاليف ملكتها بخطه وكان - رحمه الله - من أحسن الناس خطا » . عدد منها نحو الاثنى عشر كتابا .

ولا ننس أنه كان فى متناول صاحبنا مجموعة بديعة متنوعة من الكتب المتقاة ، وهذه المجموعة هى مكتبة السلاطين الحفصيين بقبة تونس . ونعلم انها اشتملت على عشرات الالاف من المخطوطات

(١) ك - « الوفاء » للتجاني مخطوط

(٢) المرحلة ١٨١

(٣) الكتاب المذكور ١٨٩

الخزائنية النادرة الوجود ، وقد بذل السلاطين السالفون جهدا كبيرا
ومالا كثيرا لجمعها وتكوينها فى مائة سنة أو أكثر . ويمكن الحكم
الآن على نفاسة ما احتوت عليه من خلال الكتابين أو الثلاثة الواصلة
إلينا مما سلم منها ، وهذه المكتبة هى التى لجأ إليها عبد الرحمان بن
خلدون لما أراد مراجعة الاصول التاريخية والتوسع فى كتابه « ديوان
العبر » ، وكان ذلك بعد وفاة التجانى بنحو نصف قرن .

وفى اعتقادنا أن صاحبنا كان يستعين بالمكتبة الحفصية التى
بالقصة استعانة مستمرة ويثابر على مواصلة المطالعة والمراجعة بها
علاوة على ما كان يملكه شخصا من الكتب الثمينة كما هو الشأن
فى كل بيت من بيوت العلماء والكتاب والادباء . ناهيك ما كان
عند التجانيين من المخطوطات على مختلف ميولهم وأذواقهم ، ومن
يظالع مصنفات واحدا مما وضع التجانى ويحصى ما يذكر من أسماء
الكتب التى ينقل عنها أو يحيل عليها يجد المئات من المؤلفات ذات
القيمة الثمينة ، وكثير منها لم يصل إلينا .

ولا يخالجننا شك أن كثيرا مما كان فى خزائن القيروان قبل
خرابها بسبب الزحفة الهلالية - سنة ٤٤٩ - انتقل الى حضرة تونس
ثم تسرب الى مشارق الارض ومغاربها .
حياته الادارية والادبية :

ولما تهيأت الاسباب للتجانى الشاب ، وقد امتلا وطابه علما وأدبا ،

انخرط في سلك الكتاب في ديوان الانشاء حيث كان يياشر أبوه
وآخرون من أقاربه ، متهجا صراط الالباء والاجداد منذ أجيال ، وقد
امتزع في ذلك الوسط الادبي بثلة من أصحاب الاقلام المعروفين
مثل أبي ابراهيم بن حسينة ، وأبي زيد عبد الرحمان بن نزار ، وأبي
عبد الله محمد الهوارى ، ومحمد بن أبي زالى البلوى ، ومحمد بن
يعيش ، وأحمد الرصافى وغيرهم كثير ، وما منهم الا من ينتهج
الترسل البديع ، ويقول الشعر ، وفي غضون تقييد الرحلة يرى
القارى اتصالهم الوثيق بصاحبنا وما جرى بينه وبينهم مدة انتقاله
من المراسلات الادبية المناسبة لذوق العصر .

كان انخراط التجانى في زمريهم في مدة السلطان محمد المعروف
بأبى عصيد فى بداية القرن الثامن ، ولم يكد يستقر فى الديوان
حتى ظهرت عليه مخايل النجابة وعلامات النبوغ فاستصفاه لنفسه
كبير الدولة وشيخ الموحدين الامير أبو يحيى زكرياء بن اللحيانى
وقرب منزله منه ورسمه فى خواص كتابه ، فلما عزم هذا الامير على
تفقد شؤون المملكة وأذاع نيته على محاربة الاسبان المفتصين لجزيرة
جربة وحدد موعده سفره الى تلك الوجهة ، عينه أباه محمد عبد الله
التجاني ، لمصاحبه وفوض اليه الاشراف على رسائله ، وذلك فى
منتصف سنة ٧٠٦ هـ (ديسانبر ١٣٠٦ م) فكانت تلك الانتقالات
والجولات التى يراها المطالع مبسوطة فى تقييد الرحلة التجانية
وتنتهى بعودة صاحبنا الى حضرة تونس فى شهر صفر من سنة

٧٠٨ هـ (١٣٠٨ م) وقد فارق مؤلفنا مخدومه من تراب طرابلس لاسباب
صحية وسياسية معا : « فكان أمد الغيبة عامين وثمانية أشهر وأياما ،
وهي بحساب كمال الاشهر وتقصها تسعمائة يوم وخمسة وسبعون
يوما ، كما نبه عليه التجاني .

ويهمنا من هذا أن عبد الله كان فى كامل تلك المدة محل الثقة
والعناية الفائقة من مخدومه شيخ الموحدين ، أنظر الكتاب الذى
ارسله الامير حين مقامه بطرابلس الى والد التجاني فى تونس ، نقل
الينا رحالنا فحواد قال : « وكان الامير - أعزه الله - وجه لوالدى كتابا
بخطه يعرفه فيه بحالتى معه ويصفنى فيه بما يليق بذاته الشريفة
ومرتبته الرفيعة المنيفة ... »

الاضطراب الداخلى :

ويعود التجاني بعد رجوعه الى تونس الى ديوان الرسائل ويقيم
على خطته السابقة الى ان يرجع مخدومه من تجوله فى المشرق وحجه
الى البيت الحرام ، وفى أثناء مغيب الامير طرقت البلاد أحداث جسام
غيرت وضعية الحكم من جراء ثورات المتوثبين على الملك بمجرد وفاة
السلطان الواصل بالله الملقب بابى عصيد فى خلال سنة ٧٠٩ هـ
(١٣٠٩ م) وقد أشرنا آنفا ان هذا السلطان كان اتخذ ابن عمه الامير
زكرياء بن اللحياني وزيرا مفوضا لمباشرة سياسته وذلك من حين
توليه الملك سنة ٦٩٤ هـ (١٢٩٥ م) - اعنى مدة خمسة عشر عاما ،

وبوفاته انفتح باب الثورات والتنازع بين المتزعمين من الاسرة الحفصية وهم كل واحد منهم باغتصاب العرش ومحاولة اعتلائه ، ودامت الحرب على قدم وساق مدة عامين بين الامراء : ابي بكر ابن ابي زيد المسمى بالشهيد ثم ابي البقاء خالد وغيرهما ولم يستقر لهم الملك الا قليلا .

وفي اثناء هذه الاضطرابات المتوالية كان شيخ الموحدين ابو يحيى زكرياء بن اللحياني قد عاد من الحج كما اسلفنا واستقر بمدينة طرابلس يراقب الامور من بعيد ويتربص الفرص لما عسى ان يحدث في تونس ، فلما ايقن ان الظروف قد سنحت برفع القناع عن مرغوبه هجم من مكمنه على البلاد التونسية في جموع عظيمة من اعراب وحضر وقصد العاصمة وتمت له البيعة العامة في (المحمدية) من احواز تونس - ٢ رجب ٧١١ هـ (١٤ نوفمبر ١٣١١ م) - ودخل القصبنة وتلقب بالقائم بامر الله وتسلم زمام الامر ، ومن اول اعماله ان عهد لكتاب سره القديم صاحبنا عبد الله التجاني برئاسة دواوين رسائله - وهي خطة العلامة الكبرى - ووزع بقية المناصب على من يثق به ، ومن باكورة اعماله ايضا ان اسقط من الخطبة اسم المهدي الموحدي التي جرت بها عادة الحفصيين واستبدلها باسم محمد بن قلاوون صاحب مصر والشام لما كان بينه وبين هذا السلطان المملوكي من

• الولاء والمجاملة (١) •

ولامراء ان عبد الله التجاني باشر ما القى على عاتقه من المهمات احسن مباشرة طيلة اقامة هذا السلطان فى الملك ويظهر ان والده قد مات قبل ذلك بقليل ، ولم يزل صاحبنا يخدم بعمله وعلمه وقلبه البلاد، ويؤلف بين الفينة والفينة التنايف المفيدة، الى ان عقد مخدومه العزم على مفادرة تونس لما كان يتوقع من سوء عاقبة الاحداث وكأنه أحس بعدم اقتداره على مقاومة قريبه وقريعه الامير ابى يحيى ابى بكر صاحب المملكة الحفصية النربية ، فتهاى ابن اللحيانى لمبارحة البلاد وباع كل ما لديه من غال ونفيس واخرج حتى المجموعة النادرة للمخطوطات التى كانت بقصورهم فى القصة واشهرها للبيع بالمزايدة فى الاسواق ففرقت ايدى سبا ، ولم يسمع لها بعد نبأ .

تخلى اللحيانى :

وخرج السلطان ابن اللحيانى من الحضرة بدعوى تفقد الاوطان

(١) ولد السلطان ابو يحيى زكرياء بن احمد اللحيانى فى تونس سنة ٦٥١ (١٢٥٣ م) واما مسيحية تسمى « محرم » وكان عالما معدنا كاتبنا شاعرا أخذ فى صغره بالمشرق عن علماء مشهورين منهم شيخ الاسلام ابن تيمية وقد استقر آخرها بعد تخليه عن الملك الحفصى بالاسكندرية حيث وافاه اجله المحتوم فى الحرم ٧٢٧ هـ (ديسمبر ١٣٢٦ م) وقد جمع ديوان شعره مدة اقامته بمصر وألف خطبا جمعية اسمها « روضات الجنات » طبعت على الحجر فى الهند .

وترك مكانه ابنه وولى عهده محمد المعروف بابى ضربة فى زمن
الربيع سنة ٧١٧ (١٣١٧ م) ولم يمض غير قليل حتى فاجأ الامير ابو
يحيى ابو بكر تونس فى جنود جرارة واسطول عتيد ، وحاول
أبو ضربة مدافعتة بصبر وشجاعة نادرة فلم يقدر وتحول ميدان الحرب
الى اوساط المملكة فانهزم آخر جيش الامير ابى ضربة فى فحص
مصوج قرب سليانة فى خلال ٧١٨ هـ (١٣١٨ م) ولاقى حتفه هناك
الكاتب ابو الفضل محمد التجانى المتقدم ذكره ، وخلا الجو للسلطان
ابى بكر الذى تمكن من توحيد المملكة الحفصية وارجاع شىء من
نضارتها المفقودة وفاز بالعرش الافريقى بعد ذلك دهرا طويلا .
مصير التجانى :

وهنا تقف بنا احداث الاضطرابات السياسية والخطوب الدموية
التي عباش فى غمارها رحالنا عبد الله التجانى ، وهنا ايضا يحل
بخاطرنا مشكل من اعصى المشاكل على الحل اذ لم نهتد لكشف القناع
عن غامض سره وهو ما ذا كان مصير صاحبنا اثر تلك الانقلابات ؟
فانا لم نعد نسمع له بخبر بعد سنة ٧١٧ ، ويختفى عنا نبؤه - وأنباء
آل التجانى جميعا - سواء فى ذلك الكبير منهم والصغير . ولم نغثر
على ذكر لواحد منهم ، فماذا دهاهم يا ترى من وقت تسيطر
السلطان أبى بكر على تونس ؟ فهل قتلوا عن آخرهم كما استشهد
أبو الفضل محمد فى المعركة ؟ أم فروا بحشاشات أنفسهم فى أثناء

تلك المحنة الى بعض الاماكن القاصية البعيدة لسبب انتسابهم لمن
سلف من الملوك واخلاصهم فى خدمتهم ، فاختفوا هنالك ؟ هذا ما
لم ندرك حقيقته (١)

ومبلغ الظن أن الذوات البارزة من أفراد الاسرة ممن شارك
مشاركة فعلية فى مقاومة المتوئين قد أيدوا بالقتل فى تلك
المشادات الدموية وفى مقدمتهم عبد الله صاحب الرحلة ، وشرذ من
بقى منهم ممن لم يقاوم شر مشرد، فاختفوا وأصبحوا كأمس الدابر.
وكلنا يعلم ان قتل نفس - وإن كانت بريئة - فى تلك الظروف كان
شيئا تافها لا يعاب به ولا يعد جريمة تنكر ، وهذه حال الافذاذ من
الرجال فى دول ملك الاطلاق ، والله الامر من قبل ومن بعد .

أعقاب التجانى :

فيمر قرن كامل من الدهر ، ويطوى الزمان - على عادته -
الصخيفة المشوهة لتلك المحن ، فيظهر تحت سماء تونس الصافية
آخر عقب للتجانى ...

(١) لا عبرة لمن ادعى ان وفاة عبد الله التجانى كانت فى خلال سنة ٧٢١ هـ فليس هناك مبرر
تاريخى لهذا الزعم الذى لم تقم عليه أدنى حجة .

أورد السخاوى فى كتابه الكبير للتعريف بأهل عصره (١) ترجمة عالم تونسى كان يعيش فى القرن التاسع للهجرة ويمت نسبه الى بيت التجانى وهو آخر من وقفنا عليه من رجال هذه الاسرة ونحن نختصر هنا ما جلب السخاوى : « أحمد بن محمد بن على بن عبد الله التجانى التونسى المالكى ويعرف بأبى العباس ابن كحيل - ولد فى ربيع الاول سنة ٨٠٢ - (١٣٩٩ م) - بتونس ونشأ بها وقرأ على محمد الصنهاجى صاحب الاجرومية وأخذ عن محمد بن خلفه الابى ، وعن البسيلى والشماع وابى القاسم البرزلى والزعبى وابن مرزوق . . . وعبد الواحد الفريانى وأبى مهدى الفبرينى . . . وشيوخه كثيرة ولقى (بمصر) شيخنا - ابن حجر العسقلانى - فى سنة ٨٤٦ هـ . . . ولقيته بالقاهرة فى الجامع الازهر فكتبت عنه ما تقدم وصنف متنا فى الفقه سماه « المقدمات » فى مجلد لطيف ، وكتابا فى الوثائق سماه « الوثائق العصرية » وكتابا فى التصوف سماه « عون السائرين الى الحق » - وكان فاضلا، مفوها، طلق العبارة، حسن المحاضرة، بهى المنظر، حسن الحبر والمخبر ، والغالب عليه التصوف والصلاح وقد الزمه صاحب تونس (السلطان أبو عمرو عثمان الحفصى المتولى من سنة ٨٣٩ الى

(١) « الضوء اللامع » لأهل القرن التاسع ، ط مصر ١٣٥٤ ج ٢ - ١٢٦ ، وقد حصل تقديم وتأخير فى نسب المترجم له وهذا كثيرا ما يحصل فى فصول الضوء اللامع وغيره فلينبه له - وعن السخاوى نقل هذه الترجمة أحمد بابا التنبكى فى ك - « نيل الابتهاج بتطريز الديباج » ط مصر ١٣٢٩ ص ٨١ - وكذا - « درة المجال - لابن القاضى ط فاس ١ - ٤١

سنة ١٨٩٣) فى السنة المشار اليها أن يكون قاضى الركب - أى ركب الحجاج - وبلغنا أنه مات قريبا من سنة ١٢٦٩ - ١٤٦٤ م - وله اقارب علماء مصنفون رحمه الله وايانا .

والظن الغالب أن أحمد التجانى هذا هو حفيد عبد الله رحالنا ، وأنه - فيما علمنا - آخر من تيسر الوقوف على ذكره من تلك الاسرة ، وأما أبوه محمد الملقب بكحيل وكذا جده على بن عبد الله صاحب الرحلة فلم نعثر لهما على خبر فيما راجعنا من المصادر العديدة التى لدينا .

واذا قدرنا أن الحفيد الاصغر كان من العلماء المؤلفين وأنه توفى سنة ١٢٦٩ هـ أو قريبا منها وأن « أقاربه كانوا علماء مصنفين ، كما يذكر السخاوى فيكون السند العلمى وأسبابه قد أقامت فى البيت التجانى ولم تفارقه أكثر من ثلاثمائة عام ، وهو مقدار نادر فى حياة الاسرات العلمية ، وربما يتاح لنا بعد حين أن نعثر على ما يوضح النواحي الغامضة المجهولة من أخبار البيت التجانى الذى نعدّه مفخرة جليلة من مفاخر القطر حسبما يشيد به بعض الشعراء المعاصرين له فيصدق قائلهم :

لا غرو ان حاز الكمال فانما وقف الكمال على «بنى تيجان»

مؤلفاته :

واذا ما أردنا أن نحصى ما صنف التجانى من المؤلفات ترائنا فى عجز عن معرفة اسمائها كلها اذ أن كثيرا منها لم ينص عليه أصحاب الاخبار ، وها نحن نحاول هنا ذكر ما توصلنا الى الوقوف على تسميته بعد جهد جهيد نبذله من عهد بعيد ، واليك ما عرفناه مشيرين الى الموجود منها والمفقود ...

(١) « أداء اللزيم ، فى شرح مقصورة حازم ، وهى الفية - ذات الف بيت - وضعها أبو الحسن حازم القرطاجنى من قرطاجنة الاندلس - المهاجر الى تونس والمتوفى بها فى رمضان ٦٨٤ هـ (١٢٨٥ م) وقد مدح بها الخليفة محمد المستنصر بالله بن أبى زكرياء الاول الحفصى وذكر فيها مفاخره وصنائه وهى من البلاغة والثانة بمكان ، وكان وضع التجانى لهذا الشرح فى المحرم من عام ٦٩٩ هـ (١) فهو من اقدم مؤلفاته ، والظاهر انه صنفه وله من العمر عشرون سنة أو نحوها ، وهذا الشرح مفقود الان بكل أسف ولا نعلم بوجود نسخة منه .

(٢) « الوفا ، ببيان فوائد الشفاء ، قال التجانى فى مقدمته : « الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ... هذا كتاب مبارك اعتمدت وضعه على كتاب « الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، من تأليف

(١) كما شرح هذه المقصورة - بعد ذلك - قاضى غرناطة أبو القاسم محمد بن احمد الغرناطى المتوفى ٧٦٠ (١٣٥٩ م) وطبع هذا الشرح فى جزئين بالقاهرة سنة ١٣٤٤ هـ

القاضى ابى الفضل عياض بن موسى اليحصبى وسميته بكتاب
الوفاء ببيان فوائد الشفاء (١) ، ولا ريب أنه من أمتع شروح الشفاء
تحرى فيه صحة النقل ودقة النقد للاخبار المروية ونبه على الاحاديث
الضعيفة والمرسل منها وبسط القول فى كثير مما أورد من الاخبار
والقصص والتراجم ، وهذا الشرح يخرج فى نحو اربعة اجزاء أو
اكثر ، والموجود منه فى مكتبة جامع الزيتونة قطعة صالحة لجزئين
وهى بخط تونسى قريب العهد مرسومة تحت رقم ١٣٢١ - وقد
استفدت كثيرا من مراجعتها فيما يتعلق بحياة التجانى ودراسته
وتلقيه للعلوم وبالجمله فهو كتاب ممتع بالافادات العلمية الدالة على
سعة معلومات المؤلف وسلامة ذوقه ومعرفته القوية باللغة والاخبار
الاسلامية الماضية .

ونسوق اليك على سبيل التمثيل اعتراضه على استعمال كبار الكتاب
بعض الكلمات فى غير معناها الاصلى ، كقوله بمناسبة كلمة
« سائر » :

« ووجدت أنا فى شعر أبى العلاء المعرى بيتا استعمل فيه
لفظ « سائر » بمعنى الجميع ، وذلك قوله فى الشريف ابى ابراهيم
العلوى . . »

الزم العالمون حبك طرا فهو فرض فى سائر الاديان

(١) الوفاء للتجاني ، خط

وهذا البيت غريب وانما الاكثر فى كلام العرب استعمال سائر
بمعنى الباقي لا غير ، وهو الذى يدل عليه حديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم المتقدم واختلف القائلون بأنه انما يستعمل بمعنى
الباقي الاقل دون الاكثر ، وذهب بعضهم الى الباقي مطلقا ، قليلا
كان او كثيرا وهذا هو الصحيح .

أقول : ويا حبذا لو وفق بعض شبابنا الناشط للعناية ببحث
هذا الشرح العلمى المفيد .

(٣) . الدر النظيم ، فى الادب والتراجم ، والظاهر انه مصنف
كبير جمع فيه التجانى أخبار أدباء الدولة الحفصية من تقدم عصره ،
وكان وضعه له قبل ابتداء الرحلة اذ يقول فيها : « وقد ذكرناه
(أى فلان) وأخاه فى كتاب « الدر النظيم » ، بأنهم من هذا (١) ومن
دواعى الاسف أن يضع مثل هذا الكتاب الذى كان يفيدنا كثيرا
عن الحركة الفكرية فى بداية العصر الحفصى ، ولم نقف له على أثر
ولولا ذكر المؤلف له فى رحلته لما كنا نهتدى لوجوده .

(٤) « تقييد على صحيح مسلم ، بن الحجاج القشيري ، حرره مدة
إقامته بطرابلس - سنة ٧٠٧ هـ حين قراءته بها على الشيخ عبد
العزيز بن عبيد السبائي من علمائها . قال التجانى : « وقد كنت

ابتدأت تقييد ما أنتجته فيه بيننا المناظرة ، وأفادته المحاضرة ، مما جاء كالاكمال لكتاب الاكمال ، ويعنى كتاب « اكمال المعلم على صحيح مسلم ، وهو زيادة شرح للقاضى عياض السبتي على شرح « المعلم بفوائد مسلم ، للامام محمد المازرى دفين المستير .

(٥) « تقييد على المسند الصحيح للبخارى ، وضعه أيضا بطرابلس فى التاريخ المتقدم بعد أن انتهى من قراءة صحيح مسلم قال التجانى : « ثم بعد ذلك فى الشهر نفسه ابتدأت قراءة دولة أخرى من كتاب المسند الصحيح للامام الحافظ أبى عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفى البخارى »

وكل من التقيدين السالفين مفقود ولا نعلم عنهما شيئا :
(٦) « نفحات النسرين ، فى مخاطبة ابن شبرين ، مجموع أدبى فى سفر ضخيم جمع فيه التجانى المخاطبات والمجاوبات الدائرة بينه وبين الاديب الاندلسى محمد بن أحمد بن شبرين الجذامى السبتي الاصل والمتنقل الى غرناطة ، وقد تولى قضاءها ، قال التجانى :

« وهذا الرجل من أعظم من رأيت تحقيقا ، وأحسنه فى النظم والنثر طريقا ، وقد كنت اجتمعت به فى تونس ووصل اليها فى عام ٧٠٣ هـ وكانت نيته التوجه الى الحج فلم يقض له ذلك (١)

وقد اعتنى التجاني بجمع الرسائل الدائرة بينهما « مما تلا سفرا
جميعته وسميته ، نفحات السرين ، وهذا السفر مفقود أيضا .
ومن المناسب أن نعرض هنا لونا مما كانت تحويه تلك المكاتبات ،
فمن قصيدة لابن شبرين يتشوق فيها الى الاجتماع بأحبابه
التجانيين فى تونس يقول :

يا نسمة سحبت فضول ذيولها

ما بين ورد بالعذيب ونرجس

حتى رحال تحيتى فى معهد

بين الجوانح منه عهد ما نسى

والحى من « تيجان ، فاشرح عندهم

فرط اشتياقى نحو ذاك المجلس

(٧) « علامة الكرامة فى كرامة العلامة ، ولا نعرف من هذا
التأليف سوى اسمه ، والظاهر انه نوه بذكر وظيفة « العلامة
الكبرى ، و « الصغرى ، وهو ما كان يوضع من الكتابة بالقلم
الغليظ فى أعلى الظهائر السلطانية والاوامر الرسمية للملوك بنى
حفص ولغيرهم من ملوك المغرب ، وفى الحقيقة أن « صاحب
العلامة ، كان يشغل منصب الرئاسة العليا لدواوين الانشاء ،
فالعهادات والمراسيم والرسائل التى تصدر عن السلطان للملوك
العالم كانت تحلى بالعلامة الكبرى ، كما أن المكاتب العادية
والاذون للعمال والنخاسة وسائر نواب الحكومة فى داخل القطر

وكذا تسمية الموظفين يوضع عليها العلامة الصغرى من تحرير غيره
من كتاب الديوان ، والعلامة نفسها هى عبارة عن جملة مختارة فى
معنى حمد الله تعالى وشكره وتمجيده ، ويختلف رسمها وعبارتها
عند استيلاء كل ملك من ملوكهم (١) .

أما تأليف العلامة ، هذا فالغالب على الظن أن التجانى ترجم فيه
للكتاب الذين تداولوا هذه الوظيفة - مثل ابن الابار ، وابن أبى
الحسين ، وابن الحجاز ، وقد تقدم ذكر البعض منهم ، ولو قدر لهذا
السفر أن يصل إلينا لكنا نستفيد منه كثيرا عن نظام ديوان الرسائل
فى الدولة الحفصية ، وعن تولائها من أعيان الادباء .

(٨) « تحفة العروس ، ونزهة النفوس ، هذا التصنيف
مفاير فى موضوعه لما مر بك من كتب التجانى ، اذ انه
مجموع أدبى رائق رتبته على خمسة وعشرين بابا فى
معاشره النساء ، وأخلاقهن وخصالهن ، وصفة أعضائهن
من حسن وقبح ، وفى العفاف والصون وفى الزينة
والتطيب ، وفى حقوق المرأة على الرجل وفى الغيرة وبيان ما يحمد
منها وما يذم ، وختمه بباب متسع فى الملح والمفاكهات من هذا
النوع ، وأورد فيه من الايات القرآنية والاحاديث النبوية مع
تفسيرها وشرحها ، ومن الحكايات الطريفة ما يناسب كل مقال .

(١) راجع ما قال ابن خلدون عن العلامة فى مقدمة تاريخه .

وقد وهم بعض مستشرقى الافرنج - مثل بروكلمان وغيره - اذ
ظن انه من نوع كتاب « رجوع الشيخ الى صباه » ، والحقيقة انه
ليس هو من النمط المشار اليه ولم يوضع لهذا الغرض ، بل يلوح
من خلاله أن المؤلف أراد أن يثبت - على عادته - سعة احاطته
بالادب العربى القديم ، ورسوخه فى فهم نصوصه مع شرحها
وتفسير الغامض منها ، ثم انه أبان فى مقدمة كتابه الغرض الذى
رمى اليه من وضعه ، خشية منه أن يظن به النزول الى صف الكتب
المصنفة فى المجون والفحش المستهجن على ما كان جائزا فى عصر
تقهقر الاداب العربية ، فيقول فى خطبة « تحفة العروس » : « وليس
كتابنا هذا فى الحقيقة كتاب سمر وانما هو كتاب علم ونظر ، .
والواقع يؤيد ذلك تأييدا كاملا .

وعلى كل فان عبارة « تحفة العروس » عبارة سهلة التناول ، ذات
طلاوة واضحة وطريقة ظريفة فى عرض الحكايات والاشعار ، مع
الحرص منه على نقدها وتمحيصها كما هو شأنه فى جميع تحريراته -
ومن المحقق أنه ألفها بعد رجوعه من الرحلة بسنوات .

ويوجد منها نسخ مخطوطة فى غالب مكاتب الشرق والغرب ،
منها نسخة صحيحة بمكتبى الحاصة تاريخ نسخها سنة ١٠٦ هـ أى
اقل من مائة سنة بعد المؤلف ، وطبعت « التحفة » فى القاهرة عام
١٣٠١ وترجمها الى اللغة الفرنسية باختصار وبأغلاط كثيرة روسو

Rousseu. ونشرت في الجزائر وباريس سنة ١٨٤٨ تحت عنوان :

« Touhfat El Arous, ou Cadeaux des Epoux ».

تحقيق اسم المؤلف :

والجدير بالملاحظة أن اسم المؤلف التجاني وقع فيه اضطراب كبير ، فقال بعضهم انه : « محمد بن أحمد بن ابراهيم » ، وجعله آخر : « محمد بن عبد الله بن ابراهيم » ، وسماه ناشر : « تحفة العروس » ، بمصر ... أبو عبد الله محمد بن أحمد التجاني ، وكأنه توهم انه (احمد التجاني) صاحب الطريقة الصوفية المغربية المروقة أو انه ابنه على الأقل ، فوصفه بقوله : « صاحب السر الرباني » ،

والذى يخطر ببالنا أن هذا التشويش ناشىء عن أمرين : الاول - عدم وجود تعريف لحياة مؤلفنا فى الكتب المتداولة للتراجع ، والثانى - اللبس الذى يحصل من ابدال اسماء الرجال بالكنى وكانت طريقة مستعملة كثيرا فى أثناء القرون الوسطى الاسلامية فى المغرب ، مثال ذلك : من اسمه محمد لا يقال فيه إلا أبو عبد الله ، وعبد الله لا يعرف إلا بأبى محمد ، وزكرياء بأبى يحيى ويحيى بأبى زكرياء ، واسحاق بأبى ابراهيم ، وابراهيم بأبى اسحاق ، وهلم جرا مما يؤدى بطبيعة الحال الى الالتباس والتشويش فى تعيين الاشخاص عند ما تذكر كنانهم دون أسمائهم .

وهذه الكنى هى فى الحقيقة اصطلاحية ومصطنعة ولا تتفق مع الواقع، لا كما كان الشأن عند العرب وجرت به عادتهم فى القرون الاولى من استعمال الكنية من باب التبجيل والترحيب وفى دائرة خاصة ، فينسب الرجل الى اسم البكر من أولاده ، ويتعاقب الزمان صار الامر على خلاف ذلك من لدن الدولتين : الموحدية والحفصية بالمغرب ، واستمر كذلك الى عهد غير بعيد .

وربما كانت البلية عامة فى جميع البلاد الاسلامية فى الوقت نفسه اذ أنه أضيف الى الاسماء فى المشرق خاصة القاب كأنما يقصد بها المباهاة وزخرف القول بقليل : فخر الدين الرازى ، وعز الدين بن عبد السلام ، وسعد الدين التفتازانى وما لا يعد كثرة من النعوت التى لا تمت الى الحقيقة بشىء ولا ييسر التوصل منها الى الاسم الاصلى الذى النى تماما ، فاذا قيل مثلاً « ولى الدين بن خلدون » ، لا يهتدى الى معرفة أنه عبد الرحمن ، فيشتبه حينئذ الامر مع أسماء بقية أفراد أسرته الكثيرين .

وقد رأينا من الحتم التنبيه على هذه الاوضاع المتفشية فى العصر الحفصى حتى لا يستغرب من استعمال الكنى بدل الاسماء .

أما تحقيق اسم صاحبنا التجانى فهو ما رسمنا فى طالعة الكلام عليه وعلى المشهورين من آل بيته ، ولنعد الى ذكر مؤلفاته ، فمنها : (٩) « تقييد الرحلة » ، أخرنا ذكر هذا التصنيف لسبب واضح اذ أنه الغرض الاصلى من هذه المقدمة .

وماذا عسى أن نقول عنها وسيطالعها القارىء، ويتبع خطاها
مرحلة مرحلة ، لكن سبق أن عرفنا بما وصل لعلنا من مؤلفات
التجاني ، فلا بأس بأن نبدي رأينا فى قيمتها .

الحق ان « الرحلة » من غرر المصنفات التونسية ، وكأنها الوحيدة
من نوعها فى وصف البلاد الافريقية والتعريف بعمرائها أوائل
القرن الثامن للهجرة ، أحد العصور الغامضة الانباء فى تاريخ تونس
الاجتماعى والسياسى لندرة النصوص الواصلة الينا عنه .

فمن أهم خصائصها أنها تبسط لمطالعها أخبار المدائن والقرى
التي يمر بها الرحال كل واحدة بانفرادها ، وتجعله يحيط علما بما
مضى من أحداثها ، مع التعريف بالتأبين من أبنائها ما بين فقهاء ،
وقواد ، وأدباء ، وصلحاء قدامى ومعاصرين ، ثم انها لا تقتصر على
وصف المدائن التي يجتازها بما فيها من معاهد ومعالم ذات شهرة
وقيمة بل تبين - نقلا ومشاهدة - أسماء الاوطان والنواحي ، ومن
يسكنها من القبائل ، وما يتفرع عن كل قبيلة من بطون وأفخاذ
من البدو الرحل ، فيميز بين أصولها وفروعها ، وينسب كلا منها
الى أن ينتهى الى مشهور الاصل الجامع .

وهكذا يزور التجاني الساحل التونسى الزاخر بال عمران قديما
وحديثا ويمر بصفاقس ، ثم ينزل الى الجنوب ناحية قابس وجزيرة
جربة فيعرفها أحسن تعريف ، متعرضا للعقائد والعادات المحلية

الشاذة مثل وصفه لطريقة دفن الاموات بقرية « المقدمين » بجبال
مطماطة ، وهى من تقاليد قدماء البربر ، وقد انقطع استعمالها اليوم ،
ثم يدخل الواحات الجنوبية بقسميها الشرقى (مطماطة ونفزاوة)
والغربى (بلاد الجريد) ويقطع سبخة تاكمرت ، ثم يعود فى ركاب
مخدومه فيجوز الى التراب الطرابلسى ويزور منازل الساحلية
ومداشره كزواة وزواغة وزنزور وينعتها بما تستحق ، وقيم
بمدينة طرابلس مدة يتصل فيها بمن هو متصف بالعلم ، ويحضر
مجالس بعض محدثيها ، وبعد برهة من الزمن يسافر مخدومه الى
المشرق فيفارقه التجانى ويلوى عنان جواده عائدا الى وطنه على
طريق الجادة الازلية التى تربط افريقية بالمشرق ، ويعود الى وصف
ما يمر به على غير الطريق الاولى الى أن يبلغ فى آخر ترحاله الى
خضرة تونس عاصمة البلاد وقصبتها الشامخة من حيث ابتداء الرحلة
ومن طريف أوضاع المؤلف فى تقييده أن يعرض على قارئه
تفصيل ما يرد عليه من المكاتبات العائلية والاخوانية ، وينشر بين
يديه ما تشمله الرسائل من شعر ونثر ، وكلها محررة على ذلك
النمط المسجع الذى ولع به أهل القرون الوسطى الاسلامية ، وهى
- على سذاجتها - تعرفنا بشال بيت رحالنا وبأجابه ومعارفه فى
داخل القطر وخارجه .

ومما يلفت النظر فى الرحلة أن صاحبها أورد فى غرضونها وثائق
تاريخية بنصها الاصلى ، وقلما رأينا رحالا يأتى بمثل هذه النصوص

المهمة ، ومن أخطرها ذلك السجل الصادر عن الحسن بن علي آخر
الامراء الصنهاجيين المعلن بانتصاره على جيش (الترماندين) في
وقعة الديباس بالساحل التونسي ، أضف الى ذلك جملة أحداث
معاصرة لم نكن نعرفها لولا ما أثبت من أنبائها وتفصيلها .

وجملة القول أن رحلة التجاني مرآة صقيلة صافية تتمثل فيها
صورة البلاد التونسية من حيث عناصر السكان وهيئتهم الاجتماعية
والاقتصادية علاوة على تفصيل جغرافية القطر وتاريخه وتراجم
مشاهير أبنائه مع التعرض للنباتات الخاصة بكل جهة من جهاته ،
وهو مقدار من الافادات قلما اجتمع في رحلة واحدة ، وفي ذلك
بلاغ .

تحقيق أصل الرحلة :

في خلال ١٩٢٣ خطر لادارة المعارف السابقة أن تعهد الى لجنة
تتألف من سبعة أشخاص لتحقيق مخطوطات عربية مختارة من بين
المصنفات التونسية في الادب والتاريخ والجغرافية بقصد نشرها
وترجمتها الى اللغة الفرنسية ان اقتضى الحال .

ووقع اختيار اللجنة على نحو عشرين مخطوطا منها ، وقع توزيع
الاشتغال بها على الاعضاء فتكفل الاستاذ المرحوم د وليم مرسى ،
رئيس اللجنة بالاشراف على تحقيق د رحلة التجاني ، وكان من
نصيب كاتب هذه الاسطر تجهيز كتاب د آداب المعلمين ، لمحمد

ان سحنون ، وكلف بقية الاعضاء بمخطوطات اخرى ، وأقبل
الجميع على العمل مع مراجعة بعضهم لبعض عند الحاجة .

وأول ما صدر من المجموعة المتفق على نشرها « آداب المعلمين ،
فطبع على نفقة ادارة المعارف ، وتأخر ظهور « الرحلة التجانية » الى
ما بعد ذلك ، لما لزم من المراجعات والمقابلات والتحقيقات وكانت
الاصول التي اعتمد عليها من الرحلة ست نسخ خطية استعيرت من
عدة مكتبات ، فمن الزيتونة ، ومن المكتبة الشعبية بالجزائر ، ومن
تلمسان ومن خزائني الخاصة ، وقد بذل الاستاذ « مرسى » جهده
وكامل عنايته وخبرته العلمية في العمل .

وفي الواقع أن جميع هذه النسخ المجلوبة كانت على جانب
عظيم جدا من التحريف والتصحيف والسهو والاغلاط الفادحة ،
ولم يكن من بينها واحدة قديمة ثابتة يرجع اليها ويعتمد عليها ،
فكلها متأخرة النسخ ، وكأنما نقل بعضها من بعض حتى في
أغلاطها وأوهامها التي لا تحصى عددا ، لا سيما في القصائد
الشعرية الواردة في الاصل ، ومن المراجع التي عدنا اليها
كـ « الحلل السندسية في الاخبار التونسية » تأليف محمد الوزير
السراج الذي أتى على غالب الرحلة فأدمجها في كتابه ، ويظهر أنه
كلما عرض له تحريف أو تصحيف في النسخة - أو النسخ - التي
بين يديه كان يعوضه بلفظ من عنده بدلا عن الحلل أو النقص
الموجود في الاصول المنسوخ منها خصوصا في القصائد الشعرية .

ولما انتهى من اثبات النص الكامل بعد ضبطه وتصحيحه حرص
الاستاذ « وليم مرسى » ، على نشره وتم ذلك فى « المطبعة الرسمية
التونسية » ، القديمة ووقف بنفسه على مراجعة التجارب بقدر
الاستطاعة فبرزت الرحلة فى خلال سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٧ م)
من غير أن تصدر بتوطئة مناسبة ولا فهارس ، وحال دون ذلك
من بعد نشوب الحرب الكبرى الثانية ، وتسلمت ادارة المعارف
يومئذ ما طبع من النسخ واختزنه فى دواوينها ، وبقيت هنالك
هى وصاحبها كتاب « آداب المعلمين » عرضة للرطوبة والاهمال ،
منوعة عن أنظار المشوقين الى مطالعتها ، ولم يفلت منها سوى
نسخ قليلة تهافت عليها من كان من القراء فى حاجة اليها .

فلما ظفرت البلاد التونسية باستقلالها وفازت بحريتها المنشودة
وتهيأت لها وسائل النهوض ودعائم الوعى القومى ، انبعثت
(وزارة التربية القومية) بنشاط حيث لتدارك ما فات ، وارجاع ما
كاد يضل أو يموت ، وما فتئت دائبة على جد العمل لتأييد
حركتنا العلمية المباركة ، باذلة السعى المتواصل لاجلاء تراثنا
القومى الزاخر ، وبعث ماثرننا الزاهرة من مرقدها وتشخيص
مزايها الفاخرة .

ويحق لنا أن نشيد هنا بتوجيهات فخامة رئيس جمهوريتنا ،
الساعى لاعلاء كلمتنا ، وتحقيق نهضتنا ، المجاهد الاكبر السيد
* (الحبيب بورقيبة) * اذ اليه يرجع الفضل فى الاشارة باعادة طبع

• رحلة التجاني ، وغيرها من الذخائر التونسية ، وقد أذن كاتب دولته للتربية القومية بالمبادرة لاعادة طبعها ، وبعثها من مرقدھا وازالة غبار النسيان عن سفرھا ، ليتنفع بها أهل الابحاث ، وهواة الرحلات ، فلفخامته المحبوبة الشكر الاوفر من تونس الناهضة على عنايته بكل ما من شأنه أن يزيد في معرفة البلاد ويرفع بين الاقوام من قدرھا ، ويدل على مجدها وفخرھا .

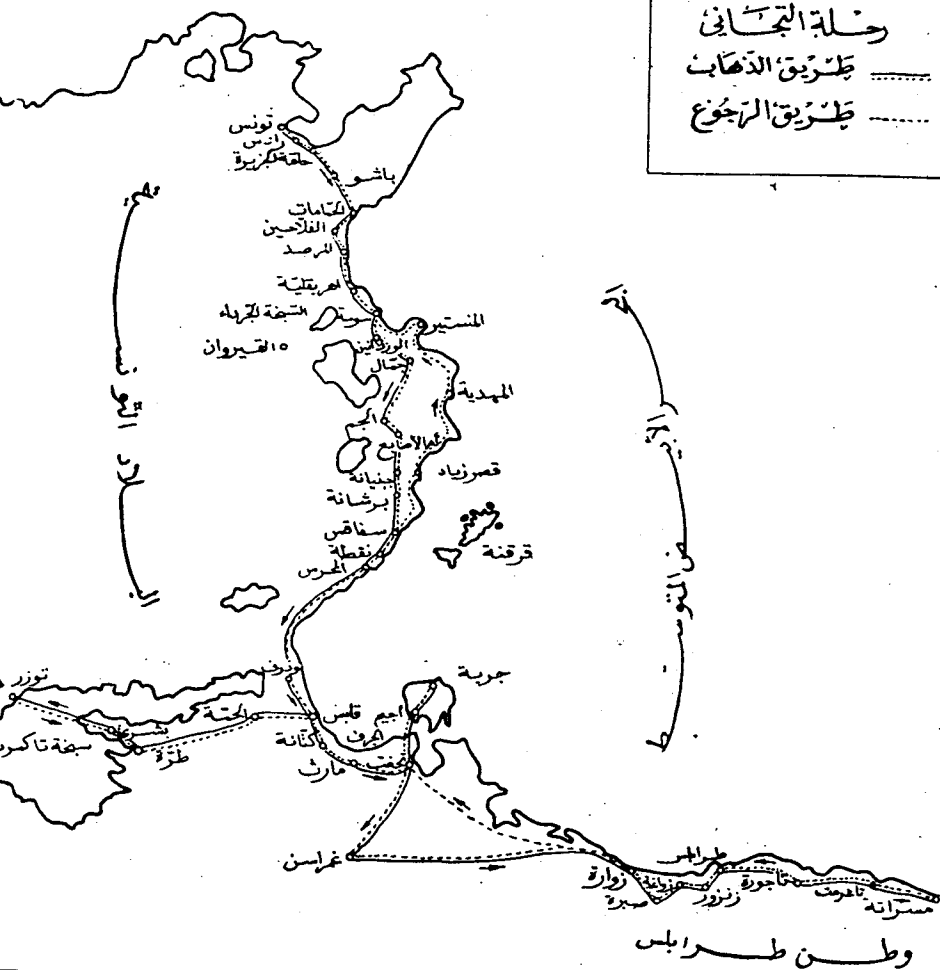
وأبناء القطر التونسي العزيز في حاجة ملحة اليوم الى معرفة ماضي بلادهم والاحاطة بما كانت عليه من العزة والعظمة في غابر الزمان حتى يضطلعوا بالزيادة من محبتها ، والتضافر لرفع منزلتها ، والظروف تفرض عليهم هذا الواجب الاقدس في عصر تستشرف فيه تونس لمستقبل مجيد ، وها هي تناشد أبناءها الابرار التفاني في الاجتهاد ، وتدعوهم لاقتفاء أثر الاجداد الامجاد .

واذا عظم البلاد بنوها أنزلتهم منازل الاجلال !

عن ميني عبد الوكاتب

عن سلام بو - مستهل ربيع الأول ١٣٧٧

طَرِيقُ الرَّاجِعِ



رَحْلَةُ الْحِجَابِ

تونس - طرابلس

٧٠٦ / ٧٠٨ هـ

ملك المشرق وجه الى المرينى هدية صعبة بعض أمرائه اجتازت على تونس متوجهة اليه (١) فى أوائل شهر ربيع الثانى من عام التاريخ فكان يظن أن هؤلاء المشاركة يسرع اياهم ، ولا يبطؤ انقلابهم .

هذا بيان ما بطن من هذه القضية وما ظهر ، وشرح ما استتير منها وما اشتهر ، ولم يعلم بأمر الحج فيها الا ناس قليلون غير أن العامة ربما كان حصل لهم به شعور فكانوا يشيعونه ولا يتحققونه وتعينت للتوجه الى جربة حصتان برية وبحرية وتقدم اقلاع البحرية عن ارتحالنا نحن بناء على أن يكون اجتماعنا بجزيرة جربة فكان اقلاعها فى أوائل جمادى الاولى وتأخر ارتحالنا نحن الى أواسطه فكان خروجنا من تونس يوم الثلاثاء الرابع عشر منه فنزلنا يومنا ذلك برادس على ستة اميال من تونس وأقمنا بها ثلاثة عشر يوما الى أن استوفى الاجناد من الحضرة مرادهم ، وأكملوا لما يستقبلون من السفر استعدادهم .

ورادس هى المنزلة الاولى للمحال والعساكر دائما اذا خرجوا من تونس لا يتجاوزونها الى غيرها وهى قرية قديمة الرسم ، شهيرة الاسم ، وبها كروم كثيرة ومزارع متسعة وجامع للخطبة عتيق وابتنى بها فى وقتنا هذا جامع أضخم منه الا أن الخطبة لم تنقل اليه (٢)

(١) انظر كتاب العيز لابن خلدون (ط الجزائر) ج - ٢ - ص - ٢٢١ - ٢٢٢
(٢) الخطبة الان فى الجامع الجديد

ولم تزل رادس في القديم رباطا مشهورا بالفضل ، وقد روى ابو عبيد في المسالك عن زيد بن ثابت وانس بن مالك موقوفا عليهما انهما قالوا : من رباط برادس يوما واحدا فله الجنة (١) وذكر ابو اسحاق ابراهيم بن القاسم الرقيق (٢) في تاريخه : ان علماء المشرق وفقهاءه كتبوا الى اهل افريقية : من رباط عنا برادس يوما واحدا حججنا عنه حجة . وكان الروم اغاروا عليها في ولاية عبد الملك بن مروان في مراكب لهم فقتلوا من بها وسبوا وغنموا ولم يكن للناس اذ ذاك شيء يحصنهم فبلغ أمرها من المسلمين كل مبلغ فانتقل اليها أمير افريقية حسان بن النعمان الغساني فاقام مرابطا بها وكتب بذلك الى عبد الملك وارسل مع كتابه اربعين رجلا من اشراف العرب يخبرونه بما نال المسلمين من الجهد فعظم ذلك عليه ، وكان التابعون اذ ذاك موفورين وفيهم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت وانس بن مالك فقال (٣) لعبد الملك : أمد (٤) هذه البلاد وانصر اهلها ليامنوا من العدو فانها من البلاد المقدسة المرحوم اهلها . فبعث عبد الملك الى اخيه عبد العزيز وهو أميره على مصر يأمره ان يوجه الى حسان الف قبطة والف قبطة يستعين بهم فحملهم عبد العزيز في البر فلما وصلوا الى حسان اثبت كثيرا منهم في رادس وفرق باقيهم في مراسي افريقية . وأمر عبد الملك حسانا ان يخرق البحر الى

(١) انظر كتاب المسالك للبكري (ط الجزائر) من ٣٧ - ٣٨

(٢) انظر المنتخبات التونسية لحسن حسني عبد الوهاب من ٧١ - ٧٣ .

(٣) في بعض النسخ - فقالا

(٤) في بعض النسخ - امدد

تونس من جهة رادس وكان موضع البحيرة اليوم على ما ورد فى التاريخ مزارع وبساتين فحفره حفرا وخرقه الى ان وصل الى دار صناعتها وانشا فيها مراكب كان يغير فيها الى ساحل الروم فشغلهم بانفسهم عن الاغارة على افريقية . هكذا ذكر المؤرخون هذا الخبر وفيه بينهم اختلاف

ففى كتاب أبى عبيد ما تقدم (١) من ان ذلك كان فى ولاية عبد الملك بن مروان وفى كتاب أبى اسحاق الرقيق ان ذلك كان فى ولاية الوليد بن عبد الملك وان الوليد كتب بذلك لعنه عبد العزيز والصحيح فى ذلك ما ذكره ابو عبيد فان وفاة عبد العزيز ابن مروان متقدمة على ولاية الوليد بن عبد الملك واثما مات عبد العزيز فى حياة اخيه عبد الملك . وقول الراوى فى هذا الخبر : وكان التابعون اذ ذاك موفورين وفيهم رجالان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنس بن مالك وزيد بن ثابت ، هذا مما زاده أبو عبيد ولم يذكره الرقيق وهو كلام غير صحيح فان زيد بن ثابت توفى فى ايام مروان بن الحكم وهو الذى صلى عليه لا خلاف فى ذلك بين المؤرخين على الجملة وان اختلفوا فى تعيين السنة ولم يكن الوليد اذ ذاك خليفة على قول الرقيق ولا عبد الملك على قول أبى عبيد بل لعل الوليد اذ ذاك لم يكن وليدا فانما تصح الرواية بذلك ان صحت عن انس فقط ،

فان وفاته تأخرت الى آخر ولاية الوليد. وانا اعجب من ابي عبيد على اتساع باعه وقوة حفظه للتاريخ والوفيات كيف يتعرض لمثل هذا الخبر مع ظهور وهنه ووهيه

وقد روى ان السفينة التي هي مذكورة في القرآن انما خرقتها الحضر ببحر رادس هذا وان الملك الذي كان ياخذ كل سفينة غصبا هو الجلندي ملك قرطاجنة وان الجدار اقيم بطنبذة القرية المعروفة بالمحمدية على أميال من تونس (١) وهنالك فارق الحضر موسى عليهما السلام والله اعلم ، وكان هذا مخالفا لما ذكره المؤرخون من ان الانبياء عليهم السلام لم يدخل منهم أحد شيئا من ارض المغرب ، ولكن خرج الحافظ أبو أحمد ابن عدى (٢) من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما بلغا مجمع بينهما ، قال افريقية قال عبد الحق (٣) في الاحكام بعد ذكره لهذا الحديث يرويه محمد ابن أبان بن صالح وكان من رؤوس المرجئة يتكلم فيه من أجل ذلك ومع ذلك يكتب حديثه قال الامام أبو الحسن بن القطان (٤) وفي سند هذا الحديث أيضا ممن لم ينبه عليه عبد الحق يحيى بن عبد الحميد الجمانى وهو راويه عن محمد بن أبان فان أكثرهم يضعفه ،

(١) اعتنى بمعارفها احمد باشا باي ١٢٥٣ - ١٢٧١ ومضى الان على حالة خراب

(٢) هو ابو احمد عبد الله بن محمد الجرجاني المعروف بابن عدى صاحب كتاب الكامل في معرفة الضملاء والمتروكين من الرواة

(٣) هو ابو محمد عبد الحق بن عبد الرحمان الازدي الاشعبي المتوفى سنة ٥٨١ صاحب كتاب الاحكام الكبرى في الحديث

(٤) هو ابو الحسن علي بن القطان الفاسي المتوفى سنة ٦٢٨ صاحب كتاب الوهم والايهام الواقعي في كتاب الاحكام تتبع فيه زلال عبد الحق الاشعبي في تاليفه المذكور اعلاه وبهرج له زائفة

وكان أحمد بن حنبل يرميه بالكذب ولم يوثقه إلا ابن معين . قال
ابن القطان وخرج عبد الحق هذا الحديث موقوفا على ابن عباس
وهو في كتاب أبي أحمد بن عدى الذى نقله عبد الحق منه ، مرفوع
الى النبى صلى الله عليه وسلم . انتهى كلام ابن القطان

ونحن انما وجدنا هذا الحديث فيما وقفنا عليه من نسخ الاحكام
مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم لا موقوفا عن ابن عباس ،
فنقد ابن القطان هذا ساقط عنه ، وقول من قال ان السفينة خرقت
بحر رادس وان الجدار أقيم بالمحمدية هو قول يخالفه اكثر المفسرين
فعن بعضهم ان القرية التى استطعم اهلها برقة ، وعن بعضهم أنها
الجزيرة الخضراء بالاندلس ، وقال بعضهم هى انطاكية وعن بعضهم
الايلة واهل الايلة معروفون بالبخل ، ويروى أنهم أتوا الى عمر بن
الخطاب رضى الله عنه فرغبوا اليه ان يثبت فى المصحف قوله سبحانه
فأبوا أن يضيفوهما بالتاء المثناة

وأمام رادس على قرب منها الوادى المعروف بوادى ميلان وعليه
القنطرة الشهيرة ضخامة وارتفاعا ، والتونسيون يذكرون انها
ابتئت بمال رجل من الغرباء كان يتكفف الناس فيتصدقون عليه
ولا يعلمون بحاله وسعة ماله الى ان توفي فوجد له مال ممدود فأمر
الأمير زكرياء ان يصرف فى بنائها

ثم انتقلنا عن رادس يوم الاثنين فاجتازنا فى اول المرحلة بالحامة المروفة بحامة الجزيرة وماؤها مفرط السخانة وهى موصوفة بآبراء ذوى العاهات يطلبون الجلوس على مائها لدوائهم ، قال البكرى فى المسالك : وهذه الحامة جليلة مجربة النفع انتهى كلامه (١) وكانت قبل هذا محجورة عن الناس ببناء محقق بها ثم ابيحت بعد للناس والبناء المحقق بها باق الى الان (٢)

وهذه الحامة هى منتهى الارض المروفة بمرناق سميت باسم بعض من ملكها من النصارى بعد افتتاح المسلمين لارض افريقية وكان ملكه لها بخديعة تمت على حسان بن النعمان، وذلك أن مرناق هذا كان صاحب قرطاجنة فلما دخل المسلمون الى أرض افريقية وافتتح حسان مدينة تونس نهض لقتال مرناق فكان يغدو كل يوم اليه ثم يروح الى تونس وكانوا اذا غدوا للقتال قابلتهم الشمس فثأذتهم فى أعينهم فكتبوا بذلك الى عثمان رضى الله عنه فأمرهم بقتالهم بعد الزوال فضاقت الروم بها وكهانت لهم سفن بيباب النساء فحملوا فيها نساءهم وأولادهم ليلا وأسلموا المدينة ولم يبق فيها الا الملك المسمى بمرناق وأهله وولده فكتب الى حسان : هل لك أن تعاهدنى فى أهلى وولدى وأشترط لنفسى ما شئت من المنازل وأسلم لك المدينة ؟ ولا علم عند المسلمين بفزار من فر منها فاجابه

(١) انظر مسالك ابى عبيد البكرى - ص ٤٥

(٢) تعرف الآن بحمام الانب قرية عامرة بهاقصر تلوك العائلة الحسينية كانوا يشتون به وبها عينان حارتان تقصدان للاستشفاء

حسان الى ذلك فاشتراط هذه الارض المسماة به الان وهى اذ ذاك
قرى كثيرة (١) ثم أمكنهم من المدينة فلم يجدوا فيها غيره وغير ولده
واهله فوفى له حسان بما أعطاه من العهد واقام مرناق مالكا لهذه
الارض

ودخلنا بعد الخروج من أرض مرناق فى أول ارض الجزيرة
المعروفة فى القديم بجزيرة شريك تنسب الى شريك العبسى أحد
العاملين عليها فى قديم الزمان وهو والد قرّة بن شريك والى مصر
من قبل الوليد بن عبد الملك (٢) الذى يقول فيه الشاعر (٣) (خفيف)
عجبا ما عجبت ممن أتانا حين أمرت قرّة بن شريك

وهذه الجزيرة لم تزل معروفة بالحصب والبركة وهى كما قال
الشريف حيث وصفها فى كتابه المؤلف للبحار : طيبة مباركة ذات
دارات متصلات ، وبركات وخيرات ، ومياذ وغلات ، وبالجمله
ففيها خصب زائد على غيرها من الارضين (٤) قال أبو اسحاق
ابراهيم بن القاسم الرقيق فى كتابه : ولم تخل هذه الجزيرة قط
من عابد مذكور (٥) وذكر أن عبد الله بن الاغلب أراد أن يحدث على
الناس مظالم من جملتها أن يرفع عنهم طلب العشر ويضع على كل

(١) هى الان مشهورة بجودة الزيتون وطيب الهواء
(٢) هو قرّة بن شريك بن مرثد بن حازم العبسى اتقى مات سنة ٩٥ وقيل ٩٦ انظر الكامل
فى التاريخ لابن الاثير ج ٥ - ص ١٣ والنجوم الزاهرة لابن حجرى بردى ج
١ - ص ٢٤١
(٣) يوجد البيت فى كتاب فتوح مصر لابن عبد الملك ص ١٢١ وفى حسن المجاورة للسيوطى
ج ١ - ص ٦ بروايات اخرى
(٤) انظر نزهة المشتاق لفتشريف الادريسي ص ١١٨ ولفظ الادريسي « ذات عمارات متصلات »
(٥) والان بها زوايا كثيرة واحباس وافرة على قراء القرآن وتقصّد لذلك من جميع جهات تونس

زوج ثمانية دنانير أصابوا أو لم يصيبوا فاشتد ذلك على الناس وقدم حفص بن حميد الجزري ومعه قوم صالحون من أهل الجزيرة وغيرها فاستأذنوا عليه وكان من أجمل الناس فكلمه حفص بن حميد وقال له : اتق الله أيها الأمير وارحم جمالك وشبابك فإن النار أمامك ، فلم يجبه الى شيء مما أراد وأظهر الاستخفاف به وبمن معه فخرج حفص بن حميد (١) وأصحابه فلما صاروا ببعض الطريق قال لهم حفص : انا قد يسئنا من المخلوق ولن نياس من الخالق فلم يفتح باب الدعاء حتى فتح باب الاجابة ، فنزلوا واسبغوا الوضوء فصلى بهم حفص ركعتين ودعوا على ابن الاغلب ان يمنعه الله مما أراد من اذاية (٢) المسلمين ويكف عنهم جوره قال : فبعد خمسة ايام خرجت له قرحة تحت أذنه فقتلته في اليوم السابع من دعائهم ، قال : فحكى المتولي لنفسه قال كشفت عنه الثوب فوجدته قد عاد أسود ، كانه زنجي بعد ذلك الجمال العظيم

وذكر (٣) أيضا عن فضل بن أبي العنبر وكان واليا على الجزيرة قال : تقدم غلمانى مرة فنزلوا ببعض قصور الجزيرة التى على ساحل البحر فادخلوا الى مسجد من مساجد القصر أسبابا وادخلوا طيورا كانت معهم وكلابا فوصل الى اسماعيل بن رباح من أهل الجزيرة

(١) فى بعض النسخ « عمير » وفى بعضها « حمير » واخذنا تحرير الاسم من البيان المغرب لابن عذارى ج - ١ - ص ٨٧

(٢) كذا فى جميع النسخ والمعروف فى اللغة اذية او اذاة

(٣) أنظر طبقات علماء افريقية لابى العرب - ص ٧٠ - والترجمة الفرنسائية - ص ١٣٥ - (ترجمة اسماعيل بن رباح الجزري)

وقال : ألا ترى ما فعل غلمانك فى بيت من بيوت الله تعالى ؟ قال
فزجرتهم وأخرجتهم وأمرت بأدبهم ، فنظر الى اسماعيل وقال لى
حقن الله دمك ، قال فشهد فضل بعد ذلك حروبا كثيرة وكان يقول :
والله لو شعبت على الاسنة ما خرجت منى محجة دم لان دعوة
الرجل الصالح قد سبقت الى ومات فضل بعد ذلك على فراشه .
وبجزيرة شريك هذه اجتمع الروم عند دخول عبد الله بن سعد بن
ابى سرح المغرب ثم ارتحلوا منها الى مدينة اقلبية وركبوا منها الى
جزيرة قوسرة ، فيقال انهم أقاموا بها الى خلافة عبد الملك بن مروان
فأغزى عبد الملك بن قطن فى البحر فافتتح جزائر افريقية كلها (١)
وكانت جزيرة شريك هذه محتوية على أقاليم كثيرة أعظمها
المنزل الكبير المعروف بمنزل باشو - بالباء المفردة والشين المعجمة
المشددة - وكان بلدا كبيرا أهلا به . جامع وحمامات وأسواق عامرة
وبه كان قصر عيسى بن احمد القائم على بنى الاغلب ، وهذا المنزل
الان خراب لم يبق منه الا مكانه ، ويقال ان عمدة الجامع الذى كان
به وشى (٢) من الرخام المنجور المحكم الصنعة نقلت فى هذا الزمان
القريب الى تونس فاقيم عليها (٣) جامع قصبتها ، ينسب الى مدينة
باشو هذه هملحاء وفضلاء منهم أبو عبد السلام مفرج بن بياضة
يأتى بعض اخباره فى موضع آخر من هذا التقييد

(١) اخذه التجانى من كتاب المسالك للبكرى - ص ٤٥

(٢) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « وهى »

(٣) فى بعض النسخ « إليها »

وفى تاريخ ابن شداد (١) وذكر شدة ما انتهى اليه حال افريقية
ايام استيلاء على بن اسحاق الميورقي عليها فقال : أخبرني أبو عبد الله
محمد بن البراء المهدوي وقد وصل الى دمشق فى هذه السنة يعنى
سنة اثنين وثمانين (٢) وخمسمائة قال فسألت عن احوال افريقية
فقال : هلك العباد وخرب البلاد ثم قال : وسأخبرك ببعض ما تستدل
به على الحال : لما نزل على بن اسحاق على منزل باشو من الجزيرة وهو
على بعض يوم من تونس سأله أهله الامان فامتهم ودخل عسكره
الى انزل المذكور فانتهبوا جميع ما فيه وسلبوا أهله حتى ثيابهم
التى تواريهم وامتدت أيدي العبيد وجفاة الاعراب الى البنات (٣)
فاضطر أهله الى الفرار ففروا بأجمعهم الى تونس ونزلوا بين سوريها
فدخل عليهم فصل الشتاء هنالك فأهلكهم البرد والماء ، واحصى من
مات منهم بتونس فكانوا اثني عشر الفا ، انتهى كلام ابن شداد

وفى مياومة الفاضل ابن اليساني (٤) أن الحبر وصلهم فى جمادى
الاخري من سنة خمس وثمانين ان يحيى بن اسحاق الميورقي وأبا

(١) مر ابو محمد عبد العزيز بن شداد من ذرية المعز بن باديس الصنهاجى ملك افريقية مؤلف
كتب (الجميع والبيان فى اخبار المغرب والقيروان) من رجال آخر القرن السادس للهجرة
وفى هاجر الى الشام ومات به وكان من امراء العساكر فى دولة صلاح الدين الايوبى

(٢) سقط لفظ 'ثمانين' فى بعض النسخ

(٣) فى بعض النسخ « البناء » وفى بعضها « النساء » انظر الكامل فى التاريخ لابن الاثير - ج
١ - ص ٣٤٣

(٤) مر القاضى الفاضل ابو على عبد الرحيم بن محمد اللخمي الفسنى المعروف بابن اليساني
حرف اسمه فى اكثر النسخ التى بايدينا

زياد المغربي (١) دخلا الى جزيرة باشو بقرب من تونس واستأصلا
أهلها فانتقلوا الى تونس ودخلوا حفاة عراة فمات منهم بالجوع
والبرد والانقطاع نحو اثني عشر الفا ، هكذا ذكر الفاضل ان ذلك
من فعل يحيى بن اسحاق وفي الحديث المتقدم ان ذلك من فعل علي
بن اسحاق اخيه فيمكن أن تكون قضية واحدة وقع الفلظ في نسبتها
ويمكن أن تكونا قضيتين وهذا هو الظاهر فان سنة اثنين وثمانين
على ما ذكر ابن شداد انما كان الامر فيها لعلي بن اسحاق وبعده ولي
اخوه يحيى والله اعلم . وفي موضع آخر من تاريخ الفاضل أن الاجناد
وصلت من الاسكندرية في سنة ثمان وثمانين وان قراقوش الارمني
عاث في جزيرة باشو وافسد نضرتها ونضرة صفاقس والمهدية ،
انتهى ما نقلناه من كلام الفاضل

ومن اول الجزيرة هذه ابتدأنا بالسلوك في منازل العرب المتولين
لارض افريقية ، وهذه الارض الان من منازل بنى دلاج وهم فرقة
من بنى عوف بن سليم وكانت قبل هذا من منازل الرياحيين فلم
تزل وفود الاعراب عند وصولها من المشرق تززع (٢) من بين يديها
من العربان الذين كانوا وصلوا قبلهم الى أن حصلت هذه الارض
في وقتنا هذا لمن ذكرنا

(١) اختلفت النسخ اختلافا لا يمكن معه ضبط هذا اتعلم نعتها ما اتى به على صورة « ابا زيد
المغربي » ومنها ما اورده على صورة « ابا زياد المغربي » او « القرى » الى غير ذلك ولا
يبعد ان تكون تلك الروايات كلها محرقة من اسم « يوزيا » او « بوزيا » او « بوزابة »
الغزى الذى ذكره ابو شامة في كتاب الروضتين ج ٢ - ص ١٧١ - س ١١ - وص ١٧٧ -
س ١٨ وكذلك ابن الاثير في كامل التاريخ ج ١١ - ص ٣٤٢
(٢) في بعض النسخ « تفزع » ولعل الصواب هو « تدع »

وجور هذه الطائفة المروفة بدلاج في فعلها وعيشها في البلاد وأهلها أشهر من أن نشير إليه ، أوندل بعبارة مختصرة عليه ، وأنصف الله من الجرجرائي الاقطع فهو الذي أمكن العرب من الدخول الى هذه البلاد ، وعن فكره السيئ نشأ بأرض افريقية ما نشأ من الفساد ، فانهم كانوا قبل ذلك نازلين بصعيد من ارض مصر لا يحدثون أنفسهم بالجواز الى هذه البلاد الى أن ندبهم الجرجرائي الى ذلك وأفرج لهم عن طريقهم ، فأغص منهم أهل هذه البلاد بريقتهم ، لحاجة كانت في نفسه من افساد هذه البلاد تعجل قضاءها ، ووجد عند الله بما لقيه جزاءها ،

وقد رأينا أن نلمع هاهنا بطرف من الخبر عن ذلك فهو من تمام فوائد هذا التقيد ، ونعتمد فيما ننقله على فصل من كلام ابن بسام رحمه الله تعالى في « الذخيرة » ثم نضيف بعد تمامه اليه ، ما نستدركه بعد ذلك عليه .

قال ابن بسام : « لما تغلب بنو عبيد الناجمون بافريقية على مصر فخلص لهم صميمها ، وتم لهم ملكها ونعيمها ، وأراد معد بن اسماعيل بن محمد بن عبيد الله الملقب بالمعز لدين الله اقتعاد صهوتها ، واثبات قدمه على ذروتها ، دعا زيرى بن مناد وهو يومئذ من صنهاجة بمكان السنام من الغارب ، وبمنزلة الوجدان من نفس الطالب ، وكان له عشر من الولد آساد شري وأقمار سري ، فقال ادع لي بنيك ، فقد علمت رأيي فيهم وفيك ، وكان اصغرهم سنا ،

واهوئهم عليه شأننا ، يوسف بن زيرى فدعا ولده ما عداه ، والمعز ما
يريد سواد ، وكانت عند المعز - زعموا - أثارة من الحدثان قد علم
بها مصائر احواله ، وأهل الغناء من أعيان رجاله ، وكانت عنده
لخليفة على افريقية اذا صار اليه ملك مصر علامة يأنس بها أنس
الكبير بذكر شبابه ، ويعرفها عرفان العاشق بديار أحبابه ، فنظر فى
وجود بنى زيرى فأنكرها ، حين تفقد تلك العلامة فلم يرها ، فقال
لزييرى هل غادرت من بنيك أحدا ، فلست أرى لمن هاهنا منهم
أيذا ولا يدا ، فقال له الا غلاما وطفق يصغر شأنه ، والمقدار قد عناه
وأعانه ، ويطوى اخباره ، والاختيار يدير عليه مداره ، فقال له المعز
لا أراك حتى أراد ، فلست أريد سواد ، فلما رآه عرفه ، وفورض اليه
من حينه واستخلفه ، فاستولى من وقته على الامور ، وزاحت مهابته
الاهواء فى الصدور ، وبعدت أسفاره ، واشتهرت أخباره ، واشتمل
على طرف الايام والليالى ايراده واصداره ، بلغ بغزواته سبته فى
خبر طويل ليس من جنس ما ألقت ، ولا فى معنى ما صنفت ، ثم
اجاب صوت مناديه ، وخلع الامارة على أعطاف بنيه ، حتى انتهت
منهم الى المعز بن باديس شرف العشيرة ، وآخر ملوكه المشهورة ،
فأول ما افتتح به شأنه ، وثبت به فيما زعم سلطانه ، قتل الرافضة
ومراسلة أمير المؤمنين ببغداد فكتب اليه بعهدده ، وجاءته الخلة
واللقب من عنده ، واتصل ذلك بالجرجرائى وهو المتحكم فى دولة
العبيدى فاضطفنها عليه ، وفوق سهام مكروهه اليه ، وكان بطون

من بنى عامر بن صعصعة: زغبة، وعدى، والاثبج، ورياح وغيرهم تنزل
بالصعيد لا يبيح لها بالرحيل ، ولا يخلى بينها وبين اجازة النيل ،
فأفرج لهم الجرجرائى عن السبيل ، وأذن لهم فى المزامنة طالما
سرت اليها أطماعهم ، وعكفت عليها أبصارهم واسماعهم ، فغشيه
منهم سيل العرم ، ورماء منهم بدؤلول وابنة الرقم ، وتهاون المغز
بهم أولا فشغلهم بخدمته ، وأثقلهم بأعباء نعمته ، وهم فى خلال
ذلك يتمرسون بجهاته ، ويدبون الى انصاره وحماته ، ويطلعون على
مقاتله وعوراته ، حتى بان لهم شانه ، وهان عليهم سلطانه ،
فجأهروه بالعداوة ، وأرادوه على الاتاوة ، وجرت بينهم أثناء ذلك
حروب كان من افراها لاديمه ، وألصقها بصميمه ، وقعة « حيدران »
فى سنة أربع واربعين فانها اوهنت بطشه ، وثلت عرشه ، وأحاط
الاعراب بالقيروان وانسطوا فى البلاد يخطون حريمها ،
ويتعرضون راحلها ومقيمها ، الى أن أعطاهم الدنية وناشدهم التقية ،
واشترط المهدية ، وقد كان نظر فى ماله ، وفكر فىمن بازائه من
أقاياله ، فزف الى زعمائهم بنات كن نجوم الليالى ، وأمانى المغالى
فأصبحوا له أصهارا ، وقاموا دونه أنصارا ، ثم استجاش من قبله ،
واحتل حرمه وثقله ، وترك الملك لمن حماء وحمله ، وجاء أنصاره
فكانوا بحيث يسمعون نثيمه ، وينعمون من عساه أن يكيدوه او يضيئه ،
حتى بلغ المهدية أسقط من الشمس فى الميزان ، وأهون من الفقير
على القيان ،

قوله فى هذا الفصل فأول ما افتتح به شأنه، وثبت به فيما زعم (١) سلطانته، قتل الرافضة، كان المعز لا يزال يتحامل على بنى عبيد الله ويلعنهم خفية ويؤذى أشياعهم ثم آل الامر به الى التصريح فلعنهم على المنابر وقتل أشياعهم المرة بعد المرة وتبعهم فى الاقطار بالقتل وكان قبل ذلك يكتب الوزير الجرجاني مستيلا ومعرضا بالتحزب معه على بنى عبيد الله وانما يفعل ذلك رمزا وتعريضا له لعله يرى منه قبولاً له فيجد فى السعى معه على القوم، وكتب الى الجرجاني مرة بخطه قطعة تمثل بها منها (بسيط)

وَفِيكَ صَاحِبْتُ قَوْمًا لَا خَلَقَ لَهُمْ

لَوْلَاكَ مَا كُنْتُ أَدْرِي أَنَّهُمْ خَلِقُوا

يشير الى بنى عبيد الله ويزعم أنه انما ابقى عليهم بعض الابقاء من اجل حبه فيه فلما وقف الجرجاني عليها قال : الا تعجبون من هذا الامير، صبى مغربى بربرى يريد ان يخدع شيخا بغداديا عربيا . وانما اتهمه بانه فعل ذلك ليوقع بين القوم ووزيرهم ان عثروا على هذه الرموز، ثم قال الجرجاني : والله لا جيشت له جيشا ولا تحملت فيه نصبا وكاف العرب العبور بمجاز النيل ولم يأمرهم بشئ لعلمه انهم لا يحتاجون الى وصاية (٢) وكتب اليه معهم : أما بعد فقد ارسلت اليك خيلا فحولاً، وحملنا عليها رجالا كهولا، ليقضى الله امرا كان مفعولا، وقد كان كتب اليه قبل ذلك كتاب وعيد

(١) فى بعض النسخ « به رغم سلطانه » وفى بعضها « به فيما دعم سلطانه » وكلاما تحريف واضعوب ما اعتمدناه هنا طبقا لما هو مثبت اعلاه - ص ١٧ س ١٧

(٢) فى بعض النسخ « وصية »

وتهديد ، قال فيه : وان لم ترجع عن رأيك أتتِكَ الجيوش موصلة
سنانك خيلها ، ناسخة بنقعها ووميضها حكم نهارها وليلها

وقوله : فأفرج لهم على السبيل أمنية طالما سرت (١) اليها أطماعهم ،
ليس كذلك فالمنقول أنه لما كلفهم العبور امتنعوا فجعل لكل عابر
فروا ودينارا فحينئذ جازوا ، ثم انهم لما وصلوا الى بلاد افريقية
واستطابوها كتبوا الى اخوانهم فى اللحاق بهم فلم يتركهم
الجرجرائى أو يؤدى كل عابر فروا ودينارا فأخذ بذلك اكثر مما
أعطى ، وقوله (٢) وكان من افراها لاديمه وقعة حيدران ، « حيدران »
اسم جبل معروف بمقربة من القيروان كانت الواقعة به وكان
جيش المعز فيها ثلاثين الفا ومبلغ جيش الاعراب ثلاثة آلاف فهزم
جيش المعز ومن سبهم منهم من القتل لم يسلم من النهب ، وفى ذلك
يقول على بن رزق الرياحى أحد أولئك الاعراب من قصيدة
اشتهرت فى زماننا أولها (٣) (طويل) :

لَقَدْ زَارَ وَهْنًا مِنْ أُمَيْمٍ خَيْالٌ وَأَيَّدِي الْمَطَايَا بِالذَّمِيلِ عِجَالٌ
ويقول فيها عند ذكر الواقعة :

(١) فى بعض النسخ « شبرت » انظر ما ثبت قبله - ص ١٨ - س ٤

(٢) انظر ما قبله - ص ١٨ - س ١٠

(٣) انظر كتاب العبر لابن خلدون (طبع الجزائر) ج ١ - ص ٢٠ والنسخة البرلاقية - ج ٦ - ص ١٥ - برواية اخرى

وان ابن باديس لافضل مالك
لعمري ولكن ما لديه رجاء
تلائمون الفا منهم هزمتهم
ثلاثة آلاف وذلك ضلال

وَإِنَّ ابْنَ بَادِيسَ لَأَخْزَمَ مُمَالِكٍ وَلَكِنْ لَعَمْرِي مَا لَدَيْهِ رَجَالٌ
ثَلَاثَةُ آلَافٍ لَنَا غَلَبَتْ لَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفًا إِنْ ذَا لِكَالِ

وكان الوزير الجرجرائي مجيز هذه الاعراب واسمه احمد بن
على ويكنى بأبى القاسم ، أحد رجال الدنيا سياسة ودهاء وبعد غور
ونفوذ فكرة ووزر الظاهر العبيدى بمصر ثم لابنه المستنصر وعتب
عليه الظاهر فى أمر ، فأمر بقطع يديه فقطعتا معا فخرج من فوره
وجلس بدسته لحدمته على عادته وقال ان الخليفة انما قطع يدي عقوبة
لى ولم يعزلى فاستعظم له الظاهر ذلك وشرف لديه وكان ذلك
سبب ارتقائه الى الوزارة وانما كان قبل ذلك فى أحد الدواوين (١)
وكان كثير المصادرة للعمال وربما صرح لهم بقوله : أبيتُم الا اخيانة
فقال فيه أبو طالب محمد بن عبد الله الانصارى (مجزوء الكمل)

إِغْمِدْ لِسَانَكَ وَالتَّزِمْ طُرُقَ السَّلَامَةِ وَالصِّيَانَةِ
كَمْ ذَاتُ قَوْلٍ أُبَيِّتُمْ إِلَّا الْجَنَائِيَّةَ وَالْحِيَانَةَ
أَتَرَاهُمْ قَطَعُوا يَدَيْ لَكَ عَلَى النَّزَاهَةِ وَالْأَمَانَةِ

وتوفى سنة ست وثلاثين واربعمائة .

ومن الناس من نسب اجازة العرب لتغير الجرجرائي واستدل على
ذلك بما قدمنا من تاريخ موت الجرجرائي وانما كان جواز العرب

(١) وفى بعض النسخ « الزاويتين » وفى بعضها « الراويتين »

بعد ذلك بأعوام ، وذكر ان المميز لهم انما هو اليازورى واسمه الحسن بن علي ويكنى بأبى احمد وقد كانت وزارته بعد موت الجرجاني وله اخبار مدونة لشهرته وغلبته على الدولة العبيدية ولا يبعد ان يكون هذا هو الصحيح والله اعلم ، فيكون هذا من جملة ما يستدرك على ابن بسام .

وقد أرخينا للقلم فى هذا الفصل فضل عنانه ، وفسحنا له فى ميدانه ، وفاء بما عينا ببيانه ، فلنعمد (١) الى ما بينى عليه هذا التقيد من ذكر المراحل والمنازل مستعينين بالله تعالى ، فكان نزولنا من المرحلة المتقدمة بصلتان وسميت بذلك لان اقواما من البربر يعرفون بنى صلتان نزلوا بها فى اول الزمان ، وكذلك تعرف فى القديم قرية بنى صلتان وبها كانت الواقعة بين عمار بن علي بن الحسين وبين مستوية النكارى سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة ، وذلك ان ابا يزيد لما ملك القيروان وجه مستوية هذا الى تونس لما بلغه من مخالفتهم عليه - وقد كانوا دخلوا فى طاعته قبل هذا - وعلم بذلك القائم فوجه عمارا ليسبقه اليها فلما قرب عمار منها وجد مستوية قد دخلها وأخذ كثيرا من اهلها وأخرب كثيرا من مساجدها فعزم على الرجوع ، فخرج اليه مستوية فيمن معه من النكاراة فالتقوا بصلتان هذه فانهزم عمار بن علي والكتاميون هزيمة شنيعة ، وقتل من الناس جماعة وحال الليل بينهم فلجأ عمار الى الرحيل فسرب الى جبل

(١) فى بعض النسخ « فليعمد » ويمكن ان يكون « فلنعمد »

الرياض فامتنع به ليلته وأصبح مرتحلاً فأتبعه مستوية بجنوده
فالتقوا ثانية فانهزم النكارة وقتل بشر كثير منهم وجرح مستوية
وبلغ ذلك اهل تونس فأخرجوا من كان عندهم من النكارة وقتلوا
كثيراً منهم .

وأقمنا بصلتان بقية يومنا ثم ارتحلنا عنها صباح الغد فزلنا
بالفلاحين . والفلاحين هي آخر أرض الجزيرة المعروفة بجزيرة شريك
كما تقدم وأول الارض المعروفة بوادي الرمل وتنتهي أرض وادي
الرمل الى حيث انتهت بنا مرحلتنا من الفلاحين وذلك المبنى المعروف
بالمنارة وهو بناء مستدير الشكل مفرط الارتفاع قد انتظم من
فصوص الحجارة المربعة الضخمة ينسب بناؤه لابن الاغلب باني
هذه القصور والمحارس الافريقية كلها ، وهي متصلة فيما بين
الاسكندرية وبحر الزقاق الذي بسبته واليه تنسب المنارة الاخرى
المشهورة بقرطاجنة تونس ، وتراءت لنا في هذه المرحلة على بعد منا
منازل البلدة المعروفة بالحمامات وهي على شاطئ البحر ، ثم ارتحلنا
من هناك صباح الغد وهو يوم الخميس غرة جمادى الاخرة فقررنا
في اول المرحلة بالقرية المعروفة بالمرصد وسيأتي لها ذكر بعد هذا
وقطعنا الرمل المتصل بها .

ثم قطعنا بعده السبخة المعروفة بالجرءاء وأخذنا ذات اليمين سالكين
وسط الشعراء متجنبين لطريق الشاطئ مؤثرين لتقرب الطريق ،

وهناك قام بين أيدينا القصر المعروف بالمدفون وضخامته تشعير
بضخامة بانيه وهو منسوب لابن الاغلب المتقدم الذكر وهو فى
زماننا هذا خال خرب ، وتسميته بالمدفون تسمية مفهومة فان
الشعراء قد حفت به من جميع جهاته فكأنه مدفون هناك .

وانتهى السير بنا فى هذه المرحلة الى القرية المعروفة باهرقلية
وهى قرية كبيرة على سفح جبل (١) مشرف على البحر وأهلها
يزعمون انهم من العرب ، وبهذا الموضع الذى نزلنا به كانت الواقعة
بين أيوب بن خيران الزويلي النكارى أحد قواد أبى يزيد وبين
بشرى الصقلبي (٢) خادم أبى القاسم القائم ، وكان القائم لما سمع
باطلال أبى يزيد عليه ووصله الى باجة وذلك فى أول اقباله الى
البلاد وجه خادمه بشرى المذكور ليأدر أبا يزيد بدخول باجة
فيضبطها ويعسكر بها فتوجه بشرى اليها وعسكر بها ووصل أبو
يزيد الى باجة فوجد بشرى قد سبقه اليها فوقع القتال بينهما فانهمزم
اصحاب أبى يزيد هزيمة فاحشة فلما رأى أبو يزيد ذلك نزل عن
فرسه واستدعى بحماره الاشهب فركبه وقال لمن معه : ليست هذه
حال من يريد الهرب بل حال من يطلب الموت ، ثم خالف بشرى الى
أخيه فجازها (٣) فعلم بشرى بذلك (٤) فأدر كه رعب وانهمزم موليا

(١) فى بعض النسخ زيادة « عال »

(٢) كذا فى كتاب العبر (طبع الجزائر) ج ٢ - ص ١٨ - وفى كامل التاريخ لابن الانبير

« بشرى » غير منسوب وفى جل النسخ التى بأيدينا « بشر الصقل »

(٣) وفى بعض النسخ « فجازها »

(٤) وفى بعض النسخ « ذلك »

وتبعه أصحاب أبي يزيد يأسرون ويقتلون ووصل بشرى منهزما الى تونس ودخل أبو يزيد باجّة بالسيف ثم خرج بشرى عن تونس متوجّها الى سوسة فكتب أهل تونس الى أبي يزيد فأمّنهم وولى عليهم واليا من قبله ، ولما اتصل بالقائم خبر انهزام بشرى ووصوله الى سوسة أمدّه بالجيش والاموال وأمره ان يستعد (١) للقاء أبي يزيد ثانية ، فخرج بشرى من سوسة متوجّها الى أبي يزيد ثانية فوصل الى المرصد وهى القرية الكبيرة المذكورة قبل فلما علم أبو يزيد بخروجه وجه للقاءه أيوب بن خيران المذكور قبل فوصل الى بشرى وهو بالمرصد فتقهقر بشرى راجعا الى اهريقلية هذه وتحيز الى سور القلعة وأقبل اليه أيوب فالتقيا بهذا الموضع ، فانهزم أيوب وقتل من أصحابه آلاف وأسر منهم مئون فوجههم بشرى الى المدينة فقتلهم العامة بالعصى (٢) والحجارة ، وانقلب أيوب الى أبي يزيد فاخبره بالوقعة فساء ذلك ورحل بنفسه قاصدا بشرى فوجده قد انصرف الى المهدية فوقف على المعترك وترحم على قتلاهم وأمر بمواراتهم .

ثم ارتحلنا عن اهريقلية يوم الجمعة ثانى جمادى الاخرى فنزلنا بسوسة وهى مرحلة قريبة ، وسوسة مدينة كبيرة على سفح جبل عال وعليها سور منيع من الصخر ينتهى البحر اليه ويضرب فيه

(١) وفى بعض النسخ « يعتد »

(٢) وفى بعض النسخ « بالعصا »

وبها آثار الاول واليها تنسب الثياب الرفيعة السوسية ، والمسافرون
يقصدونها من الافاق وبها جامع للخطبة حسن كان بناؤه فى ولاية
أبى العباس محمد بن الاغلب بن ابراهيم بن الاغلب سنة ست
وثلاثين ومائتين على يد خادمه مدام ، وكانت سوسة اذ ذاك قرية
وأتى بعده ابن أخيه أبو ابراهيم أحمد بن الاغلب فجدد سورها
وأحلقها بالمدن وكان تجديده لسورها سنة تسع وأربعين ومائتين .
وبصحن جامعها المذكور بيت قد كتب فيه بخط قديم نقشا فى
الحجر « القرآن كلام الله ليس بمخلوق » وكتب مثل ذلك ايضا فى عمد
الجامع وذلك كله تنبيه على مذهب أهل السنة وتثبيت له بسبب
كثرة ما كان بها وبجميع بلاد افريقية فى القديم من مذاهب
المنحرفة عن المذهب السنى ثم ما كان بها منها فى زمن ملك
الروافض لها ثم فى زمن تغلب الخوارج عليها .

ومن سوسة هذه ركب أسد بن الفرات البحر غازيا الى صقلية
سنة اثنتى عشرة ومائتين فافتتح كثيرا من معاقلها وتغلب على كثير
من مدنها ومات فى العام الذى يليه وهو محاصر لها ، قالوا ونزل
الروم على سوسة فى الزمن القديم فى ثلاثين الف مقاتل فبلغ ذلك
معاوية بن حديج السكونى وقيل التحيبى وقيل الكندى قال أبو عمر
ابن عبد البر والصواب ان شاء الله السكونى وخطأه الرشاطى (١)
وقال اذا كان سكونيا فهو تحيبى وكندى ، وكان معاوية هذا واليا

(١) فى بعض النسخ « الرصاصى »

على فريقية من قبل عمرو بن العاص فبعث عبد الله بن الزبير الى
سوسة فى جمع كثير ليحيطها فتوجه عبد الله ونزل بجمعه على
شرف عال بينه وبينها اثنا عشر ميلا أو نحوها فلما علم الروم بوصوله
رفؤوا (١). جميع سفنهم الى شاطئ البحر وازمعو (٢) الارتجال
فوصل عبد الله بجمعه من الغد حتى انتهى الى سور المدينة ، ثم نزل
عن فرسه وقام يصلى بالناس بعض الصلوات الحاضرة فجعل الروم
يتعجبون من اقدمه وقلة اكترائه بهم فاخرجوا له جمعا من حماتهم
فرحفوا (٣) اليه وهو مقبل على صلاته لا يهوله ذلك حتى اذا قضى
صلاته ركب فرسه وحمل عليهم فانكشفوا عنه وولوا ادبارهم
فصعدوا الى مراكبهم واقلعوا الى بلادهم

ولم تزل سوسة معروفة بالامتناع على من رامها واهلها يوصفون
بالباس والنجدة، وحسبك من امتناعها ونجدتهم ان أبا يزيد لما تملكها
وفعل فيهم الافاعيل (٤) الشنيعة من قتل الرجال وسبى النساء وقطع
الاعضاء وبقر البطون خالفوا عليه وبايعوا ابا القاسم القائم الشيعى
ووجهوا عامل ابى زيد اليه وذلك كله عام اثنين وثلاثين وثلاثمائة ،
فوصل اليها ابو يزيد بنفسه فى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة
وحاصرها حصارا شديدا وكان ما اخذه التحصيل من جند ابى يزيد

(١) رفؤوا - قربوا

(٢) فى بعض النسخ « عزموا »

(٣) فى بعض النسخ « رجما » وفى بعضها « خرجوا »

(٤) فى بعض النسخ « الافعال »

مائة الف خص يسكن فى الحص الواحد الثلاثة والاربعة فصاعدا ،
فكان يقاتل سوسة كل يوم فمرة له ومرة عليه ولم يزل محاصرا لها
الى ان توفى القائم فى ذلك العام وولى بعده ابنه اسماعيل الملقب
بالمصور فوجه الى ابى يزيد جيشا كان سبب ارتحاله عنها ، وفى
ذلك يقول بعض شعرائها : (١) (كامل)

إِنَّ الْحَوَارِجَ صَدَّهَا عَنْ سَوْسَةَ مِنَّا طِمَآنُ السُّفْرِ وَالْإِقْدَامُ
وَجِلَادُ أَسْيَافٍ تَطَايَرُ بَيْنَهَا فِي النَّقْعِ دُونَ الْمُخَصِّنَاتِ الْهَامِ
وقال أحمد بن أفلح من قديم شعرائها : (٢) (كامل)

مَدِينَةُ سَوْسَةَ بِالْفَرْبِ ثَغْرُ تَدِينُ لَهُ الْمَدَائِنُ وَالْثَغُورُ
لَقَدْ أَعْنَى الَّذِينَ بَنَوْا عَلَيْهَا كَمَا لُعِنَتْ قُرَيْظَةُ وَالنَّضِيرُ
أَتَاهَا الْحَارِجُونَ لِيَمْلِكُوهَا فَكَانَ مِنَ الْإِلَهِ لَهَا نَصِيرُ
وَلَوْلَا نَضْرُهُ لَدَهَتْ دَوَاهُ يَشِبُّ لَهْوُلِهَا الطِّفْلُ الصَّغِيرُ
سَيَبْلُغُ ذِكْرُ سَوْسَةَ كُلِّ أَرْضٍ وَيَغْشَى أَزْضَهَا الْجُثْمُ الْغَفِيرُ

وقد خالف اهل سوسة ايضا على المعز بن باديس صاحب افريقية
سنة خمس واربعين واربعماية ومنعوه ما كانوا يحملون اليه من المال
وقالوا نحن اولى به لنذب به عن بلدنا ، وتوفيت اخت المعز عندهم

(١) هو سهل بن ابراهيم الوراق كما ورد فى كتاب المسالك للبكرى - ص ٣٥
(٢) فى بعض النسخ : احمد بن فليح ، وفى كتاب المسالك للبكرى : احمد بن بلح ، وللايات
زيادة مع اختلاف ما فى الروايات فى البيان المغرب لابن عذارى ج ١ - ص ٢٢٧ - وفى
كتاب المسالك - ص ٣٥

فضموا اموالها وابوا من توجيهها اليه فبعث المعز اليهم في ذلك فقالوا لرسله : كيف ندفع له اموالا نتقوى بها نحن على مدافقته وحربه ، فبعث المعز اليهم من المهدية اسطولا ضخما فصبح (١) مرسى سوسة فاحرق ما فيه من المراكب وكانت نيفا وستين مركبا اكثرها لاهل سوسة ، فعمد اهل سوسة الى من كان عندهم من اهل القيروان فاخذوا اموالهم واهانوهم اشد الاهانة فوجه المعز اليهم جيشا فيه مائة فارس وامرهم ان يتظاهروا (٢) مع الاسطول على حصار سوسة لياخذوا بمخنتها برا وبحرا ، فكان من قدر الله الغريب الاتفاق ان اجتاز على سوسة يوم خروج هذا الجيش اسطول من قبل صاحب صقلية فتميه اسطول المعز فانصرف راجعا الى المهدية ولا علم عند المعز بذلك ، ووصل جيش المعز الى سوسة فسالوا عن الاسطول فاخبروا باقلاعه ، فسقط في ايديهم فخرج اهل سوسة ومن حفر بها من الاعراب اليهم فادخلوهم الى المدينة واجالوا السيف على جميعهم ونصبوا رؤوسهم على السور ، قال ابن شرف : اخبرني من شاهدها ان عدتها نيف وخمسون راسا قال وانما سلم من سلم من الجيش لضعف في دوابهم منعهم من اللحاق باخوانهم فلما تحققوا الخبر ولوا راجعين فسلموا بذلك ومات المعز بعد ذلك سنة اربع وخمسين وسوسة مخالفة عليه فلما ولي ابنه تميم اتابوا له فعنا عنهم وتعند ذنوبهم وذلك سنة ست وخمسين .

(١) في بعض النسخ « اصبح بمرسى سوسة »

(٢) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « يتظاهروا »

وتوالت على سوسة بعد ذلك أمراء من العرب ملكوها حين
استولوا على البلاد وانتزعوها من أيدي صنهاجة واستقرت آخرًا
تحت ملك جبارة بن كامل بن سرحان بن أبي العنين (١) الفادعي
البعيد الصيت المشتهر بالجود ، ومن يده أخذها النصارى حين أخذوا
المهدية من يد الحسن واستولوا على سائر بلاد السواحل ، ولما وصل
عبد المؤمن إلى إفريقية واستنقذ المهدية من يد النصارى وقام أهل
كل بلد على من عندهم منهم امثل أهل سوسة ذلك ورحل أشياخهم
إلى عبد المؤمن ورحل (٢) إليه أيضًا جبارة بن كامل المذكور فقدم
على أهل سوسة حافظًا من الموحدين يعرف بعبد الحق بن علس
الكوئمي فطرقهم اسطول النصارى ثانية وهم على غرة فاستولى على
البلد وقتل من أهله من قتل وسبى من سبى وخرب البلد تخريبًا عظيمًا
لأنه لم يبق على الإقامة فيه وأسر الحافظ المذكور وأهله وولده وتوجه
بهم إلى صقلية فاقاموا بها مدة ثم اقتدوا (٣) بعد ذلك وخرجوا (٤) ومن
حينئذ استولى الخراب على مدينة سوسة وهلم جرا

وكفى فخرا لسوسة أن المنستير الذي وردت الأحاديث في فضله
محرس من محارستها ومنسوب إليها ، روى أبو العرب محمد بن
أحمد بن تميم في كتاب الطبقات من تأليفه بسنده إلى سفيان بن

(١) في بعض النسخ « أبي العنين »

(٢) في بعض النسخ « وصل »

(٣) في بعض النسخ « اقتدوا »

(٤) كذا في جميع النسخ ولعل « خرجوا » ورجعوا »

عينة عن عبد الله بن دينار (١) عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رابط بالمنستير ثلاثة ايام وجبت له الجنة ، وبسنده الى خالد بن معدان (٢) عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بمدينة قمونية باب من ابواب الجنة يقال له المنستير ينقطع الجهاد في آخر الزمان من كل موضع فكأنى اسمع صرير المحامل من مشارق الارض ومغاربها الى ساحل قمونية

وبسنده عن عباد بن كثير عن ليث بن ابي سليم عن مجاهد عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بساحل قمونية باب من ابواب الجنة يقال له المنستير من دخله فبرحه الله ومن خرج منه فبعفو الله ، وعباد بن كثير الواقع في هذا السند متروك الحديث عندهم ، وليث بن ابي سليم لا يحتج به من كتاب ابي العرب (٣)

وبسنده ابي العرب الى عبد الرحمان بن زياد بن أنعم عن مطرف ابن عبد الله قال : المنستير باب من ابواب الجنة فينماهم في الصلاة اذ سمعوا هدة (٤) فبعثوا رسولهم لياتيهم بالخبر فما لبثوا ان انصرف فقالوا له ما صرفك؟ فقال لهم : سirt الجبال فيخرون سجدا لله فيقول الله تعالى يا اهل المنستير لولا ان كتبت الموت على خلقى لادخلتكم

(١) في بعض النسخ « ابي يسار » انظر طبقات ابي العرب - ص ٣ - ونزعة الانظار لقديش

ج ١ - ص ١٩٧

(٢) كذا ورد في جميع النسخ ولا ذكر لخالد بن معدان في ميزان الاعتدال

(٣) انظر طبقات ابي العرب - ص ٢

(٤) في بعض الروايات متقا بدل هدة

الجنة يعنى قبل الموت فتخرج عليهم ريح صفراء ما بين القبلة
والمشرق فتخرج ازواجهم من الحور العين وخدمهم (١) . وعبد
الرحمان بن زياد ايضا متروك الحديث ضعفه ابن معين والبهلول بن
راشد ، سمعت سفيان بن عيينة يقول : جاءنا عبد الرحمان بن زياد
الافريقى بستة احاديث رفعها الى النبی صلى الله عليه وسلم لم
اسمع احدا من العلماء رفعها وذكرها

وبسند ابي العرب الى سفيان بن عيينة موقوفا عليه قال : الفضل
فى ثلاثة مواضع : المصيصة باب من ابواب الجنة ليحشرن منها يوم
القيامة سبعون الف شهيد ، وعسقلان باب من ابواب الجنة ، وموضع
هنالك بالمغرب يقال له الياقوتة بالمنستير داخل فى البحر الى جانبه
سبخة على تلك السبخة قنطرة من قناطر الاولين يحشر منها يوم
القيامة سبعون الف شهيد (٢) وفى كتاب الرقيق قال : يقال ان
بافريقية ساحلا يقال له المنستير هو باب من ابواب الجنة وبها جبل
يقال له مطور هو باب من ابواب جهنم انتهى كلام الرقيق . وهذا
الجبل هو المعروف فى وقتنا هذا بجبل وسلات يسكنه اخلاط من
البربر

قال الرقيق وسبب تسميته مطور ان معاوية بن حديج لما وصل
الى افريقية نزل على هذا الجبل فاصابه فيه مطر شديد فقال : ان هذا

(١) انظر طبقات ابي العرب - ص - ٥ - ٦

(٢) لم نعتز على هذا الحديث فى نسخة الطبقات مطبوعة بالجزائر

الجل منطور اذهبوا بنا الى ذلك القرن فسمى ذلك الجبل منطورا
وسمى ذلك الموضع القرن ، واما ما ادعاه ابن شرف فى تاريخه
من ان اهل سوسة فى الاصل عبيد لاهل القيروان قال: وذلك انه لما
افتتحت افريقية اشتدت اغارة الروم على مدن البحر فابتنيت القصور
على السواحل كقصور سوسة وغيرها وجعل بها من عبيد اهل
القيروان ومن انتدب معهم قوم للرباط فكثروا هنالك واستقلوا
بمدينتهم فمجرد دعوى حملت عليها العداوة والعدوى ، والواجب
ان لا يقبل كلام قروى على سوسى وبالعكس لما صح بينهم من
العداوة المتوارثة (١)

ومن شعراء سوسة المتقدمين بالزمان ، المشهورين باصابة غرض
الاحسان ، محمد بن الحسين بن ابي الفتح بن ميخائيل القرشى
قال ابن رشيق فى الاندوذج (٢) : هو من اهل سوسة وسكن
القيروان قال : وكان يسلك مسلك قدامة فى انتقاد الشعر ومطالبة
الحقائق وربما سهل الفاظه وعبث بملح (٣) كقوله (سريع) :

صُورَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ مِسْكَةٍ وَصُورَ الْإِنْسَانُ مِنْ طِينٍ
أَبْدَعَهُ الْخَالِقُ بُحَانَهُ كَبَّلَ حُورِ الْجَنَّةِ الْعَيْنِ

(١) فى بعض النسخ « المتواترة »

(٢) هو « النموذج الزمان فى شعراء القيروان » ذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون - ص ٥٥٠
(طبع ليبزيك)

(٣) فى بعض النسخ « نملح »

..... (١) سَيْفٌ عَلَيَّ يَوْمَ صِفِّينَ

في مثله يُوصَلُ حَبْلُ الصِّفَا (٢) وَتَوَثَّرَ الدِّينَا عَلَى الدِّينِ

قال ابن رشيق : لم اتصفح هذه الايات الا مرة واحدة فوجدتها قد علقت بنفسى وخفت على لسانى حتى كدت اتهمه فيها لولا علمى به ، قال وكثيرا ما يجرى ذلك فى الشعر المطبوع حتى ان قائل الايات ربما استراب بها لسهولتها عليه فاسقطها ، وشعر ابن ميخائيل هذا فى الانموذج وغيره كثير مشهور .

ومنهم على بن احمد بن الصفار السوسى قال ابن رشيق : وهو شاعر متسع القافية عالم باللغة فمن قصائده (طويل) :

أَنَسْتُ بِالْعَلْيَاءِ نَارًا لَهَا سَنَى لِلَّيْلِ بَلِيلٌ قَدْ دَجَا وَتَغَضَّنَا
وَمَا أَوْقِدَتْ إِلَّا لِخَابِطٍ ظُلْمَةً مُضِلٌّ وَضَيْفٌ جَاءَ بِمَتَادٍ ضَيْفَنَا
فَمَا بَلَفْنَا حَتَّى أَكَلَا وَالصَّقَا (٣)

قَلُوصِيهِمَا بِالْأَرْضِ مِنْ شِدَّةِ الْوَنَى
قال : وهذا كلام عربى صريح قلما يأتى مثله للمتقدمين المحسنين فضلا عن المتأخرين لا سيما فى مثل هذه القافية ، قال : وانت ترى حال ابى نواس فيها على جلالته وجرأته (٤) . ولا بن الصفار المذكور

(١) بياض فى جميع النسخ

(٢) فى بعض النسخ : الصفا .

(٣) وفى بعض النسخ : والنبا .

(٤) اشار ابن رشيق الى قصيدة ابى نواس التى يبدح بها الفضل بن يحيى بن خالد ومطلعها (طويل)

طرحتم من الترحال ذكرا ففمنا فلو قد شخصتم صبح الموت بعضنا
انظر ديوان ابى نواس (طبع اسكندر اصفه) ص ٧٥

قصيدة اخرى فى ذكر الشباب والشيب قال ابن رشيق : وهو مليح .
جدا (طويل)

أَرَى الْبَيْضَ لَا يَمُتُّجَنَ ذَا الْبَيْضِ مَنَحَةً

سِوَى مَنَحَةٍ تُهْدِي الْكَآبَةَ وَالْكَفْلَا

كَأَنَّ لَيَّامَ الشَّبَابِ بَسَّالَةً

طَلَبْنَ لِأَيَّامِ الْمَشِيبِ بِهَذَا ذَخْلَا

وَلَمْ تَرَ عَيْنِي كَالشَّبَابِ وَحُسْنِهِ (١)

أَقْبَرُ لِأَخْفَانِ الْقِيَانِ وَلَا أُخْلَى

وَلَا كَبَيَاضِ الشَّيْبِ فِي أَغْنِ الدُّمَى

قَدْ بَسَّمَا (٢) يَغْشَى الْقَذَى الْاَغْيَنَ الْجَلَا

فَلَا غَزَوْا أَنْ أَرْعَى الشَّبَابَ وَعَصْرَهُ

وَلَا لَنُومَ أَنْ أَنْعَى الْمَشِيبَ وَلَا عَذْلَا

قال ابن رشيق : ما رأيت اعجب من البيت الثانى من هذه
الايات اما ينظر الناس الى هذا المعنى الغريب ، والتخلص العجيب ،
فى اللفظ الرائع المتككن ، والنظم الرائق المستحسن

ومنهم أبو الفتوح بن محمد قال ابن رشيق : نشأ بسوسة وهو

(١) فى بعض النسخ « واهله »

(٢) فى بعض النسخ « مسرلسا »

من اهلها وشعره سهل وطى ، لا يتكلف فاذا تكلف ظهر عليه اثر
ذلك ، وانشد له يمدح حسن ابن البلبل متولى سوسة ، وقد رفع
عليه مال ، وقيلت فيه اقوال ، فلم يضره ذلك (بسيط).

دُمْ هَكَذَا دُمْ عَلَى رَغَمِ الْعِدَى أَبَدًا

عَلَاكَ فِي الْيَوْمِ تَعْنَلَاهَا عَلَاكَ غَدًا

قَدْ قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ تَعْطَى مِنْكَ وَمَا

أَغْطَى حَسُودَكَ إِلَّا الْبَثَ (١) وَالْكَمَدَا

ومنهم أبو موسى عيسى بن ابراهيم البوسى المعروف بالقطان
قال ابن رشيق : كان شاعرا مشهورا بالشعر مليح المقطعات كنت
اسمع بذكره وهو بسوسة الى ان اجتمعت به فأنشدنى بعض شعره
ثم قال كيف رضاك عما سمعت فقلت أحسن رضا واتمه فتكلم
بكلام جميل ولم أره بعد ذلك الاجتماع وأنشد له فى الانموذج
(كامل) :

أَهْدَى إِلَى الْغُضَنِ الرُّطِيبَ قَبَوَامَا

وَإِلَى فُؤَادِي لَسُوعَةَ وَغَرَامَا

ظَبْيِي أَغَارَ الظَّبْيِي مِنْهُ مَجَاجِرَا

وَأَغَارَنِي مِنْ سَقْمِيهِنَّ سَقَامَا

ما ضَرَّه لَوْ كَانَ مَعَكَ كَلْفِي بِهِ
يُهْدِي إِلَيَّ مَعَ الرِّيحِ سَلَامًا

قال وهذه الفاظ طيبة ومعان رائعة

ومنهم عبد الوهاب بن خلف بن القاسم السوسي ويعرف بابن
النفطاس قال ابن رشيق : هو من أبناء سوسة ومستوطنها وهو
شاعر متدرب قد جمع الى رقة المعنى متانة اللفظ وقرب المقصد
وأشده له (طويل)

كَمْ لَيْلَةٍ جَاذَبْتُ مِنْ رَاحَتِي بِهَا
نُحُودَ الْعَذَارَى فِي قَنَيصِ الدَّجَى الْوُخْفِ
وَبِتُّ يُمَاطِينِي الْعُقَارَ مُهْفَهْفُ

هَضِيمُ الْحَشَا مَخْطُوفُهُ وَأَفِرُّ الرِّدْفِ
وَأُظْمَأُ فَأَسْتَسْقِي ثَنَائَهُ ظَامِئًا

فَتَغْنِي (١) ثَنَائَهُ عَنِ الْقَهْوَةِ الصِّرْفِ
وَأَجْفَانُ دَهْرِي مُغْضِيَاتٌ عَلَى الْقَدَى

وَأَيَّامُهُ يُقْطَعْنَ بِاللَّهْوِ وَالْقَصْفِ

وأشده له أيضا يصف خيارا (مخلم البسيط)

جِسْمٌ لَجِينٌ يَكَادُ يَنْجُرِي لَوْلَا تَرَدُّدُ بِهِ ثَنُوبِ سَامِ
مَا اغْتَرَضَتْهُ الْعُيُونُ إِلَّا رَأَتْ بِهِ مَقْبِضَ الْحُسَامِ

ومنهم محمد بن عبدون السوسي قال ابن رشيق : أصله من
الفيروان ، وهو من أكابرها ، وابوه هو المنتقل الى سوسة ، قال : وهو
شاعر وطى ، الكلام كلف بعذوبة اللفظ والتوصل الى المعنى البعيد
بلطافة وسكون جاش لا يكاد يلغى بالشعر الا قال ، وكانت له
رحلة الى ثثة الدولة يوسف (١) بن عبد الله يعنى الى صقلية فامتدحه
وأضافه الى ولده جعفر فأدناه وقربه وكان من أكرم الناس عنده
وسأله الرجوع الى وطنه ورفع اليه قصيدة يتشوق فيها معاهده منها
(سريع)

بالله يا جيل المعسكر دُع	ريخ الجنوب لعلها (٢) تسري
كيا أسائلها فتخبرني	ما يفعل الجيران بالقصر
يا قصر طارق الذي طرقت	أحشاي فيه بلايل الصدر
والله ما قصرت عن قلق	لكنني قصرت بالقصر
فسقائك مهل الحيا وسقى	عصراً تقضى فيك من عصر

(١) هو ابو اختوخ يوسف بن عبد الله بن محمد بن حسن الكلبي التولى امر صقلية للعزيز بالله سنة ٣٧٧ انظر كتاب اعمال الاعلام للسان الدين الخطيب ص ٤٧٩ من طبعة بالرمو سنة ١٩١٠

(٢) فى بعض النسخ « تم أو »

يَنَارُ بَعِ كَمْ لِي فِيكَ مِنْ غُصْنٍ يَهْفُو صَبَاهُ بِهِ وَكَمْ بَدْرٍ
وَمُنَاسِبِ الْأَوْصَافِ أَثْقَلَهُ حَقِيفٌ يَسْكَادُ يَنْوُءُ بِالْخَضِرِ
قَدْ طَالَمَا عُقِدَتْ قَلَائِدُهُ مَنِّي مَكَانَ قَلَائِدِ النَّخْرِ
وَلَثِمْتُ صَدْرًا فَاخَ غَبْرَهُ مِنْ غَيْرِ مَا طِيبٍ وَلَا عَطْرِ
وَضُمْتُ أَنْفَاسِي عَلَيْهِ وَقَدْ أَشْفَقْتُ مِنْ نَفْسِي الَّذِي يَسْرِي
وَكَأَنَّ صَدْرِي لَا ضُلُوعَ لَهُ وَكَأَنَّ قَلْبِي بَانَ عَنْ صَدْرِي
أَعْطَى عَهْدَ اللَّهِ عَفْوَكَ مَنْ أَعْطَى الْعَهْدَ بِجَانِبِ الْحَجَرِ
لَوْ أَسْتَطِيعُ سَبَحْتُ مِنْ طَرَبٍ شَوْقًا إِلَيْكَ سَوَادَ ذَا الْبَحْرِ
حَتَّى أَقْبِلَ جَانِبَكَ كَمَا قَبَّلْتُ فِيكَ مَرَاشِفَ الْبَدْرِ
وَأُفِضُ أَجْفَانِي لِيَدِكَ كَمَا فَاضَتْ عَلَيْكَ وَمَا بِهَا تَنْدَرِي

قال ابن رشيق : رقة الشوق ظاهرة على هذا الشعر ولطف
الحضارة مع مياه تكاد تنبع من جانبه فهو أندى من الزهر غب القطر ،
وأحلى من الوصل بيد الهجر ، قال ولما سمعها جعفر ازداد به إعجابا
وفيه رغبة فمنعه من السفر فكتب الى ثقة الدولة يسأله فيما سأل فيه
ولده ويشكر ما ناله من الجود ويذكر وطنه أيضا (بسيط)

يَا قِصَرَ طَارِقِ هَمِّي (١) فِيكَ مَقْصُورٌ
شَوْقِي طَلِيقٌ وَخَطْبُوِي عَنْكَ مَأْسُورٌ

إِن نَامَ جَارُكَ إِنِّي سَاهِرٌ أَبَدًا

أَبْكِي عَلَيْكَ وَبَاكِي الْبَيْتَيْنِ مَعْدُورٌ

عَدِي مِنَ الْوَجْدِ مَا لَوْ فَاضَ مِنْ كَبْدِي

إِلَيْكَ لَأَحْتَرَقْتَ مِنْ حَوْلِكَ الدُّورُ

ومدح فيها ثقة الدولة فلم يجد عندهما ما يشتهي فخرج عنهما
مسارقة قال ابن رشيقي : ومن ملح ما رأيت له قوله لجعفر حين
استأذنه في الرجوع الى وطنه فعتب عليه وحجبه (طويل)

ولما رايت البدرَ قمتُ مسلماً عليه وأظهرتُ الخضوعَ لديه
وقلتُ له إِنَّ الأميرَ ابنَ يوسفَ شيهنك قد عَزَّ الوصولَ اليه
فكن لي شفيعا عنده ومُذَكِّراً اذا جئته تبغى السلامَ عليه
قال فكتب هذه الايات ولقيه بها في منزله له فطرب وأعجب
بها اعجابا شديدا وأمر له بمال كثير ، قال والايات مأخوذة من قول
ابن الرومي (كامل)

بِاللهِ يَا قَمَرُ السَّمَاءِ كُنْ لِي لِمَنْ أَهْوَى شَفِيعَا

قال ومن عجيب كلامه قوله (متقارب)

أَتَبْصُرُ أَمْ أَنْتَ لَا تَبْصُرُ هُوَ الْحُبُّ يَجْرِي بِمَا يُقَدَّرُ

تَذَلُّ وَكُنْ خَاضِعَا خَاشِعَا فَذُلُّ الْهَوَى عِزُّكَ الْإِكْبَرُ

ولا تُنكرَنَّ احتكام الهوى فأحكامه فوق ما يُنكرُ
 إذا عَزَّ دمعُ فأغرَّ الهوى به وائبك إن البكا أعذرُ
 أيا واحد الحسن أوجدتني لما بي وإن كان لي مفسرُ
 يحامون دوني ولكن حمى فؤادي أبيع ولم يشعروا
 غزمت (١) بهجري وغرقتني بدمع يفيض ولا يقطرُ
 وعانيتني (٢) كيف أشكو الهوى كما يشتكي فقره الميسرُ

قال ابن رشيقي : لله خفة أنفاس البغداديين النفيسة لم يخنها طبع
 ولا أعجزتها صنعة ، ولو مزج هذا الكلام بكلام العباس بن الاحنف
 ظريف الشعراء لامتزج به امتزاج الحر بالماء ، والنور بالهواء ،
 ولا بن عبدون في ملعب سوسة وهو مما أنشد ابن رشيقي (خفيف)
 أين من شاد ذا ومن رفع السمك لك وأعلاه فوق ما يحتاج
 أين ذاك الملك الشديد الذي كان وذاك الرواح والإدلاج (٤)
 أين تلك الحدور أين بدور حيثها الجوش والأغلاج
 أين اربابهم ومن رفع التاج على رأسه وأين التاج
 ضمت الارض والبلاد عليهم فطوتهم وطىها إدماج

(١) في بعض النسخ « عذبت »

(٢) في بعض النسخ « علمتني »

(٣) ورد الشعر في الحلل السندية (ص ١٢٢) بزيادة بيت بين هذا البيت والذي يليه

والمزيد هو :

أين ذاك الدمع الذي يرجف الابد في جيوش يضيق عنها الفجاء

طاحتهم طحن الرجا فاذا الان ساف والدهر صخرة وزجاج
ومنهم عبد الحليم بن عبد الواحد بن عبد الحميد السوسي الكاتب
لم يذكره ابن رشيقي ، وذكره ابو الصلت (١) في الحديقة وانشد له
(طويل)

هممت بأن تخفي بقايا شية كفرّة ليل أو حشاشة مهزوم
تري الشمرات السود والبيض حولها

كمثل أسارى الزنج في عنكر الروم

وأنشد له في عود نشابة اتخذ نصابا لمذبة (٢) (خفيف)

للآلي في نقض حالي عطات حار في وصفها ذرو الألباب

صرت في الخوص بعد لبر الحوافي واعتمادى بأزرق كالشهاب

بعد ذب الكمأة في جومة (٣) اله (٤) تنقت بي لذب الذباب

وله ما لم ينشده ابو الصلت (سريع)

نذرت لله إذا ما النقت شفاهنا بعد السوى للقبّل

سومي على الراح سوى ما حوى مبسمها المذب وراح المقل

(١) وفي النسخ التي بأيدينا : ابن الصلت . هو ابو الصلت امية بن عبد العزيز صاحب الحديقة في شعراء الاندلس المتوفى بالمهدية سنة ٥٢٩ هـ نسج في تاليفه على منوال النعماني في بيتة الدهر

(٢) سقط في بعض النسخ

(٣) وفي بعض النسخ : حرم

(٤) وفي بعض النسخ : الفز

وله (بسيط) :

عيني دَهْنَنِي (١) والعين الكَحِيلَة مع

عين الرقيب واخذ الناس بالعين

هَبْنِي اتَّقَيْتُ عَدَوًا مَن لَّا زُبْمَة

ما أَجْلَبَ العين مذكَانتُ إِلَى عَيْنِي (٢)

ومنهم التراب السوسى ذكره عماد الدين الاصبهاني فى
« الحريدة » وأنشد له من قصيدة يمدح بها جبارة بن كامل التولى
على سوسة وقد قدمنا الخبر عن تملكه لها (رمل)

بات بالابرق بَرَق يَتَسَامَى فجفا الجفنُ لرؤياه (٣) الأناما

طلعت راياته خافقه خفقان القاب أمسى مستهاما

بندمام الحب يا بَرَقُ عسى لك عِلْمٌ حُبهم أَغيا الأناما (٤)

أنسوا عاما فلما ملكوا رَقَّ قلبي أوحشوا عاما فعاما

واستمالوني بوصل خادع فكما ملتُ راوا وضلي حراما

ومنها فى مدح جبارة :

وَإِذَا ابْصَرْتَهُ أَكْبَرْتَهُ وَإِذَا خَاطَبْتَ خَاطَبْتَ هُمَامَا

(١) وفى بعض النسخ « مدتنى »

(٢) وفى بعض النسخ « ال الجفن »

(٣) فى بعض النسخ « وانصرام »

(٤) فى بعض النسخ « حرم عين اقسام »

وإذا استصرخت في حادثة فعلى الحادث جردت حساما
وله فيه هذه القصيدة التي اولع أعراب زماننا بانشادها ، وكثرة
تردادها ، ولاجل ذلك ذكرناها بكمالها وان كان فيها بعض طول
فان الحسن غير مملول : (مجزوء الرجز)

سَلِمَ عَلَى ذِي سَلَمٍ	مَفَنَى الْهَوَى الْمُسْتَغْنَمِ (١)
وَقِفْ بِهَا مُسَائِلًا	عَنْ سَاكِنِ الْحَيْمِ
وَاسْمُطِرِ الْعَيْنَ بِهَا	صُوبَ دُمُوعِ وَدَمٍ
فَهَذِهِ أَطْلَالُهُمْ	مُنْدَرِسَاتُ الْأَرْسَمِ
وَهَذِهِ عِرَاصُهُمْ	مُسْتَوْحِشَاتُ الْمَعْلَمِ
كَأَنَّهُنَّ أَسْطَرٌ	فِي كُتُبٍ لَمْ تَفْهَمْ
لَمْ تَبْقَ مِنْهُنَّ الصَّبَا	وَوَاكِفَاتُ الْيَدِيمِ
سِوَى ثَلَاثَةِ صَائِمَا	تِ قَائِمَاتِ جِشَمِ
وَاشْعَثَ مَطَرٌ ح	بِرَبْعِهَا الْمَهْدَمِ
اضْحَتِ خِلَاءُ بَلَقَعَا	بِوَالِيَا كَالرِّمَمِ
لَا تَسْمَعِ الْأَذْنَ بِهَا	إِلَّا نَعِيبَ الْأَسْحَمِ
إِلَى صَرِيرِ جُنْدُبٍ	إِلَى عَوَاءِ دَيْسَمِ

إلى ضيـح ثعلب	إلى زئير ضيفم
ولا ترى العين سوى	حدّرتك مخيم
وشوّدق ونقنق	ولقلق وشيهم
بعد السرور والمنى	والأمل المتمم
والغانيات كالدمى	يسجن كلّ معام
من ابيض مجبر	واخضر مننم
واحمر معسّق	واصفّر مهّم
من كلّ خنود كحلت	مقلّتها بالسقم
جينيها من قمر	وفرعها من ظلم
وقدّها من غصن	وخدّها من عندم
يلوح في بنائها	وكفّها والمعصم
رقم من الوشمي في	سلخ اديم الارقم
تفتر عن مفلج	عذب الثايبا شيم
مفضّض مذهب	مدبّج مرسم (١)
حلّو اللّتى وإنما	لحظي جناه لافمي

من كل رثم مائس	كالقطن المنعم
وصالته من سكر	وصده من عقم
مبتسم عن جوهر	في عسجد منظم
إن ضاء في بزرقه	كالشرفي المخدم
قامت له مداممي	مقام مهراق الدم
سقى للذاتي بها	وعيشي المنصرم
أيام كانت لعتي	مسودة كالحلم
وقامتي قويمه	شبابها لم يهرم
والدهر لم يخط إلى	مسائي بقدم
فلا نهاني عذلي	ولا لحاني لومي
ثم انقضت سرعه	أيام ذلك الموسم
كانني كنت أرى	عيشي به كالحلم
ياربوع أحباب نأوا	عن مدنف متيم
إنعم صباحا واسليم	سقيت نوء المرزم
إن لم أمت من أسف	وحسرة عليهم
كذبت في دعوى الهوى	لست بهم بهتهم

كانني بالوصل من اجبتي لم أنعم
 ولم ابت ريان من رشف عقار الميسم
 في ليلتين ليلتي وليل شعر اسحم
 ما بين تفاح الخدو د العاطر الموشم
 وبين زمان النهو د الارج المكرم
 في فرش وثيرة لم تفتش للحرم
 حتى تولى الليل في حميه المنهزم
 وأقبل الصباح في جحقله القرمزم
 كأنه لما بدا يشرق تحت الظلم
 وجه الامير ابن الامير رالا كرم ابن الاكرم
 جارة بن كامل سيف الندى والكرم (١)
 الفارس الذي اذا أسرج كل شينظم
 وسل كل مزهف وطرر كل لهزم
 وأضرمت نار الوغى وفر حامي الحرم
 واشفق الابطال من وقع القنا المقوم

وحشرت نفس الجبا ن من كريبه المقدم
 وافى على ظامي الحشا عبل الشواء مقرم (١)
 من الهلال مسرج من الثريا مذجم
 من الضحى مجل من الصبا مجسم
 مقلدا بصارم عذب المضاء مخدم (٢)
 ثم انشى يسبح في بحر الردى المتطم
 فأخفلوا أمامه بعضا على بعضهم
 كانه ضياغم سبط سرب القتم
 حتى إذا الليل دجا وانهل صوب الديم
 وغوع السرحان من طول الطوى المخيم
 وجئت معترا الى منزله في العتم
 ألقينه خير فتى طرقتة في الظلم
 يلقاك من قبل الندى باليشر والتبسم
 إلى (٣) كريم خيه سمح وفني الذمم

(١) في بعض النسخ « مقدم »

(٢) في بعض النسخ « المهز » وفي بعضها « انما » عوض « المضا »

(٣) في بعض النسخ « السوى »

آرأَوْهُ فِي الْحَادِثَا	تُفَقِّدُ كَالْأَسْهَمِ
وَحِلْمُهُ (١) أَمْنَعُ مِنْ	رَضَوَى لِكُلِّ مُجْرِمٍ
وَخُلُقُهُ أَحْسَنُ مِنْ	بُرءٍ بِأَثَرِ السَّقَمِ
نَمَا بِهِ (٢) إِلَى الْقَمَا	لِ وَالْمَقَامِ الْأَعْظَمِ
صِيدَ مِنَ الْعَرَبِ الْأُلَى	كَانُوا مَلُوكَ الْأُمَمِ
وَكَانَتِ الْأَرْضُ ارْتَوَتْ	مِنْهُمْ بِجُودٍ وَدَمٍ
مِنْ دِيرِ سَنْعَانَ (٣) إِلَى	نَجْدِ بَوَادِي إِضْمٍ
بِجَانِبِي وَادِي الْقُرَى	فَالْدُّوحِ مِنْ ذِي سَلَمٍ
ثُمَّ انْقَضَوْا وَذَكَرُهُمْ	كَالشَّهْدِ فِي كُلِّ فَمٍ
مِنْ بَعْدِ مَا أَوصَوْا بِنِي	هِمْ مُكْرَمًا عَنْ مُكْرَمٍ
بِالصَّبْرِ فِي وَقْتِ الْوَعَى	وَالْكَفِّ عَنِ الْمَغْنَمِ
فَجَاءَ يَقْقُو مَجْدَهُمْ	وَحُسْنُ تِلْكَ الشِّيمِ
يَا حَاسِدِيهِ اتَّبِعْهُوا	مِنْ رَقْدَةِ التَّوْهِمِ
أَتَطْمَعُونَ فِي عِلَا	قَدْ حَازَهَا أَوْ هَمِيمِ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ « حِلْمُهُ »

(٢) فِي بَعْضِ النُّسخِ « نَهَى »

(٣) انْظُرْ مِجْمَعَ الْبُلْدَانِ لِیَاقُوتَ ج ٣ - ١٣٩

كَلَّا وَلَوْ رَقَيْتُمْ إِلَى السَّمَاءِ بِسَلَامٍ
 أَبَا عَنَانَ زِدْ عَلَا عَلَى مَحَلِّ الْأَنْجَمِ
 أَقْسَمْتُ بِأَلِيَّتِ الْحَرَامِ م وَالصَّفَا وَزَمَرَمِ
 لَأَنْتَ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ ه الْمُصْطَفَى الْمَكْرَمِ
 وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَهْلُ الْوَفَا وَالذِّمَمِ
 أَجَلٌ مَن تَحْتَ السَّمَاءِ ه مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ
 لَوْ كُنْتُ يَا ابْنَ الْإِكْرَمِ ن فِي الزَّمَانِ الْأَقْدَمِ
 لَا نُزِلْتُ فِي فَضْلِكَ إِلَّا ن كَمُلَ الْمُتَمِّمِ
 مَفْصَلَاتِ سَوَارِ م الْكِتَابِ الْمُخْتَمِ
 أَنْتَ الَّذِي لَوْ لَمْ أَكُنْ م مِنْ عَزِّهِ فِي حَرَمِ
 مَا قُلْتُ (١) لِلدَّهْرِ الظُّلُو م الْجَائِرِ الْمُحْتَكِمِ
 يَا دَهْرَ أَنْ شَتَّ فَصَلْ حَبْلِي أَوْ شَتَّتْ أَصْرَمِ (٢)
 وَأَنْ تَشَأْ لِي وَاسْتَقِمْ وَأَنْ تَشَأْ جَزْ وَأَظْلَمِ
 فَمَا أَبَالِيكَ وَلَا أَلْقَاكَ كَالْمُسْلِمِ
 أَنِّي مِنْ ابْنِ كَامِلٍ ذِي الْبَأْسِ وَالتَّكْرَمِ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ « لَقُلْتُ »

(٢) فِي بَعْضِ النُّسخِ « حَبْلِي أَوْ أَصْرَمِ »

في ظِلِّ سَيْفٍ مُرْهَفٍ	وَنَائِلٍ مُنْجِمٍ
وَعِزَّةٍ قَدْ خِيَّمَتْ	بَيْنَ السُّهَى وَالْمِرْزَمِ
قَدْ رُفِعَتْ مِنَ الثَّرَى	إِلَى الثَّرِيَّا قَدَمِي
فَالنَّجْمُ لِي مُجَالِسٍ	كَأَنَّهُ مِنْ حَرَمِي
وَالسَّعْدُ لِي مُسَاعِدٍ	كَأَنَّهُ مِنْ خَدَمِي
هُوَ الَّذِي لَوْ أَمَّهُ	كُلُّ الْوَرَى لَمْ يَسَامِ
وَلَوْ سَخَّابٌ بِنَفْسِهِ	لِسَائِلٍ لَمْ يَنْدَمِ
عَلَّمَنِي الْجُودَ بِمَا	قَلَّدَنِي مِنْ أَنْعَمِ
فَرُحْتُ وَالْدِينَارُ فِي	يَدَيَّ مِثْلَ الدَّرْهَمِ
فَإِنْ غَدَوْتُ مَادِحًا	لَغَيْرِهِ مِنْ عَـدَمِ
فَجَائِزٌ ضَرُورَةٌ	عَلَى حُدُودِ الْحَرَمِ
كَالْمَاءِ إِنْ عِدْمَتُهُ	صَلَّتْ بِالْتِيَمِ
لَا جَعْلَنْ مَا حَيَّ	تُذَكِّرُهُ شُغْلَ فَمِي
وَأَنْ أَمْتُ فَشُكْرُهُ	فِي الْقَبْرِ شُغْلُ أَعْظَمِي
لَا زَالَ طُولُ عَمْرِهِ	مُؤَيَّدًا بِالْعِصَمِ (١)

مستسكاً من سعده بعُروة لم تُفصم
ربوعه مأهولة بسابغات النعم
وسُئره مُخمرّة من العُداة بالدم
ما اومضت بوارق في جنح ليل مظلم
وما شدّت حمائم على فروع السّلم

ومن ينسب الى سوسة هذه شيخ شيوخنا أبو عبد الله محمد بن عبد الجبار الرعيني السوسي قديم المولد كان يسمى ملحق الاباء بالابناء لطول أمدّه وقدم مولده توفي بتونس في الثاني والعشرين لذي القعدة سنة اثنتين وستين وستمائة وأنشد له ابن سعيد في خزانة الادب (مقارب)

عكفنا على الكاس في جنة نحا كي بها ميل أغصانها
ورسل النسيم بها سُخرة تحرّش ما بين زئحانها
أظنُّ تغاريّد الحانها زهتها فاضفت بأذانها

ولابی عبد الله شعر حسن والموجود منه قليل ، ومنه قوله من بداية قصيده يمدح بها الشيخ أبا محمد عبد الله ابن الشيخ المقدس أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص (كامل)

جردت عزمك صارماً مسلولا ماء ولكن ما يبيل غليلا

وقوله يخاطب بعض الرؤساء وقد قدم له فرس أشهب حديدي
لركوبه (١) (كامل)

إزكَبَ بِإِقْبَالِ السَّعَادَةِ أَشْهَبًا مِثْلَ الصُّبْحِ إِذَا يَشُوبُ النَّيْهَبَا
مَا شَابَ مِنْ مَرِّ السِّنِينَ وَإِنَّمَا لَأَقَى سَنَّاكَ فَلَاحَ (٢) يَحْكِي الْأَشْيَبَا
قَدْ أَجْمَوْهُ بِالْثُرَيَّا فَانْهَوَى (٣) يَنْقُضُ فِي لَيْلِ الْمَجَاجَةِ كَوَكْبَا
وَكَانَ يَدَاعِبُ طَلَبْتَهُ مِنْ أَهْلِ تُونِسَ بِسُؤَالِهِمْ عَنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ
(خفيف)

لَا تَلْمَنِي عَلَى الْ—دَنَاءَةِ إِنِّي تُونِسِي وَجُرْتُ يَوْمًا بِسُوسَةِ (٤)
أَيُّ الْبَلَدَيْنِ يَقْتَضِي الشَّعْرَ أَنْ يَكُونَ اعْظَمُ دَنَاءَةً؟ فَيَقُولُونَ لَهُ سُوسَةُ،
وَهَذَا الْبَيْتُ ذَكَرَهُ جَعْفَرُ بْنُ شَرْفٍ فِي تَارِيخِهِ كَمَا انْشَدْتَهُ، وَسَمِعْتُ
كَثِيرًا مِنْ أَشْيَاخِنَا يَقُولُونَ أَنَّهُ مُغِيرٌ وَأَنَّ الْبَيْتَ الْمَشْهُورَ إِنَّمَا هُوَ غَيْرُ
ذَلِكَ مِمَّا اضْرَبْنَا عَنْ ذِكْرِهِ

ونختم هذا الفصل من ذكر سُوسَةِ وشعرائها بحكاية ذكرها
الحَمِيدِيُّ فِي تَارِيخِهِ (٥) قَالَ: أَخْبَرْنَا بَعْضُ أَصْحَابِنَا بِالْأَنْدَلُسِ عَنْ
سُلَيْمَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَهْرِيِّ (٦) الصَّقَلِيِّ قَالَ كَانَ بِسُوسَةِ أَفْرِيقِيَّةِ رَجُلٌ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ «يُرِيدُ رُكُوبَهُ»

(٢) فِي بَعْضِ النُّسخِ «مَرَّاحٌ»

(٣) فِي بَعْضِ النُّسخِ «اعْتَدَى»

(٤) فِي بَعْضِ النُّسخِ «وَقَدْ مَرَّتْ بِسُوسَةِ»

(٥) هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَمِيدِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ جَدُّهُ الْمُقْتَبَسُ فِي تَارِيخِ
الْأَنْدَلُسِ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٨٨ هـ

(٦) فِي بَعْضِ النُّسخِ الْمَهْدِيُّ

اديب شاعر وكان يهوى غلاما جميلا من غلمانها وكان الغلام يتجنى عليه ويعرض عنه ، قال فيينا هو ذات ليلة يشرب وحده على ما اخبر عن نفسه وقد غلب عليه غالب من السكر اذ خطر بباله ان ياخذ قيس نار ويحرق عليه داره لتجنيه عليه فقام من حينه وفعل ذلك واتفق ان رآه بعض الجيران فبادروا النار بالاطفاء ولما اصبحوا نهضوا الى القاضي فاعلموه فاحضره القاضي وساله عما فعل فانشا يقول (مخلع البسيط)

لَمَّا تَمَادَى عَلَى بَعَادِي وَأَضْرَمَ النَّارَ فِي فُؤَادِي

وَلَمْ أَجِدْ مِنْ هَوَاهُ بُدًّا وَلَا مَعِينًا عَلَى السُّهَادِ

حَمَلْتُ نَفْسِي عَلَى وَقُوفِي بِبَابِهِ حَمْلَةَ الْجَوَادِ

فَطَارَ مِنْ بَعْضِ نَارِ قَلْبِي أَقْلٌ فِي الْوَصْفِ مِنْ زِنَادِ

فَأَخْرَقَ الْبَابَ دُونَ عِلْمِي وَلَمْ يَكُنْ ذَاكَ عَنْ مَرَادِي

قال فانتظرفه القاضي وتحمل عنه ما افسده واخذ عليه ان لا يعود

وخلى سبيله

قال الحميدى : كنت اظن ان هذا المعنى مما تفرد به هذا الشاعر حتى حدثني ابو اسحاق ابراهيم بن سعيد بالفسطاط قال : قال لنا القاضي ابو الحسن ابن صخر اخبرني بعض شيوخ البصريين ان ابا القاسم نصر بن احمد الحزازري الشاعر (١) دخل على ابي الحسن

(١) هو نصر بن احمد الحزازري شاعر من البصرة فلقب بالحزازري ترجم له الثعالبي في الجزء الثاني من اليتيمة ص ١٣٢

ابن المثنى فى اثر حريق المريد فقال له هل قلت فى هذا شيئا فقال
ما قلت شيئا فقال او يحسن بك وانت شاغر البصرة والمريد اجل
شوارعها واعظم اسواقها ولا تقول فيه شيئا فقال ما قلت شيئا
ولكنى اقول الان وانشا مرتجلا (١) (مقارب)

أنتكم شهود الهوى تشهد فما تستطيعون أن تجحدوا
فيا مريدون ناشدتكم على أنني منكم مكمّد
جرى نفسي صعدا نحوكم فمن اجل ذا احترق المريد
ولولا دموع جرت لم يكن حريقكم أبداً يخمد
وهاجت رياح حنيني لكم فظلت بها ناركم توقد

قال الحميدى : فاتى بالمعنى وزيادة وذكر هذه الحكاية ابن
بشكوال فى الصلة ناقلها عن الحميدى (٢)

فاقمنا بظاهر سوسة يوم الجمعة كما تقدم ويوم السبت والاحد
بعدد بسبب بعض من تاخر عن صحبتنا من الاجناد وانتقلنا عن
سوسة صباح يوم الاثنين ففارقنا بمفارقتها ارض دلاج وابتدانا
بالسلوك فى ارض حكيم وطرود وكان نزولنا فى هذا اليوم بمنزلة
بين زرمدين وجمال وزرمدين مفتوحة الزاي ساكنة الراء مكسورة

(١) اورد ياقوت الحموى الحكاية والابيات (مع اختلاف ما فى الرواية) فى معجم البلدان ج ٤
ص ٤٨٣ وكذلك النزول فى مطالع البدور

(٢) انظر كتاب الصلة لابن بشكوال ص ٢٠٤٠

البدال المهمة وجمال مفتوحة الجيم مشددة الميم ، وبزمردين حصن حصين اسفله حجارة واعلاه طين ياوى اليه اهله وبخارجها مقبرة الشيخ ابي محمد عبد السيد الزمردينى من اهلها يذكر عنه صلاح وفضل زرنا قبره ودعونا عنده واكتفنا فى اثناء هذه المرحلة من اليمين والشمال قصور متفرقة وقرى كثيرة قد أخلتها العرب واجلت ناسها .

وهناك قصور الوردانيين وهى القرية التى ازمع اهلها على قتل الشيخ الصالح ابي يوسف الدهمانى (١) رحمه الله ايام سكنا بـمسجد غانم على قرب منهم واتفقوا مع بعض العرب فظهرت له معهم الكرامة المشهورة ولقيه العربى فخر عن فرسه لاثما قدمى الشيخ طالبا منه الدعاء وعرفه القضية وسال منه ان يركب فرسه فاسعفه بذلك وقال له : يا بشى علم الله ضعفى وقلة قدرتى على المشى فاتاننى بك وتاب العربى وحسنت حاله ، ينسب الى الوردانيين هذه ابو محمد يونس بن محمد الوردانى كان صالحا جليل القدر ثبتا فى روايته اخذ العلم عن سحنون بن سعيد وصحح عليه جميع كتبه ودعا الله تعالى ان يخلل ذكره فكان لا يولد له

ولما دخل عبد الله الشيعى افريقية وغلب الشيع على اهلها جمع ابو محمد هذا اهله وقال لهم ان امر هؤلاء القوم قد اشتهر فاما ان

(١) ترجم له الدباغ فى كتاب معالم الايمان ج ٣ - ص ٢٦٣ - ٢٨٩ وافرد له الدباغ كتابا على حدة توجد منه نسخة خطية فى خزانة المزاير عدد ١٧١٨ ونسخة بمكتبة ح - ح - عبد الوهاب بتونس

تتركونى أفر بدينى الى بلاد لا حكم لهم عليه واما ان أحمل نفسى على (١) الاشتغال برعى البقر لعلى أسلم من فقتهم فعظم ذلك عليهم ثم راوا ان رعى البقر خير لهم من مفارقتة فاجابوه الى ذلك فكان يحمل مصحفه معه ويبعد عن العمران ويقبل على القراءة فاذا جن الليل اقبل بالبقر الى منزله وربما اراد بعض الناس زيارته فاذا رآهم من بعد صاح وهرول يريهم أن فى عقله اختلالا توفى سنة تسع وتسعين ومائتين

ثم انتقلنا من مناخنا ذلك يوم الثلاثاء فنزلنا بالحصن المعروف بالجم (٢) وهو اعظم حصون افريقية واشهرها على القدم وليس بافريقية بعد الحنايا التى بقرطاجنة بناء اضخم منه ولا اعجب ، وشكله مستدير وارتفاعه فى الهواء مائة ذراع - وذكر البكرى ان تكسير دائرته فى الارض ميل (٣) ويقال ان الكاهنة المعروفة بكاهنة لواتة حصرها عدوها بهذا الحصن فحفرت منه سربا فى الحجر الصلد نفذت به الى مدينة سلقطة وكانت اختها هنالك فكان الطعام يجاء به اليها فى ذلك السرب على ظهور الدواب

ولما قتل بافريقية زهير بن قيس البلوى وبلغ ذلك عبد الملك بن مروان عظم عليه فاستشار المسلمين فيمن يوجه لافريقية عوضا عنه فاشاروا عليه بحسان بن النعمان فتوجه حسان لافريقية بجيش

(١) فى بعض النسخ « ان أحمل نفسى بالاشتغال »

(٢) فى بعض النسخ « بالاجم »

(٣) انظر البكرى ص ٣١

يقال انه لم يدخلها جيش للمسلمين اضخم منه فحاصر قرطاجنة وافتتحها وخربها وتوجه الى هذه الكاهنة فهزمته واسرت كثيرا من فرسانه واتبعته حتى اخرجته من قابس ، فكتب بالهزيمة الى عبد الملك وسار الى دمشق مشيا رويدا طمعا ان يلحق به من افلت من المسلمين فعاد اليه جواب عبد الملك يأمره أن يقيم حيث وافاد كتابه ولا يرح منه فوصل اليه الكتاب وهو بركة فأقام هناك وابتنى بها القصور المعروفة به الان الى ان وصل الجيش اليه من قبل عبد الملك فعاد الى افريقية واخذت الكاهنة في قطع الشجر وتغوير الماء لترهد المسلمين في افريقية ، وقد علمت بكهانتها انها ستقتل فامرت ولديها بالتوجه لحسان ففعلوا ووقع اللقاء حتى ظن الفريقان انه الفناء وانهزمت وتبعها حسان حتى قتلها عند البئر المنسوبة اليها ، وعقد حسان لابنيها (١) على البربر فاتخذهم اجنادا مع العرب فلم ينازعه احد طول حياته

ويروى ايضا عن عبد الله بن سعد بن أبي سرح لما بعثه عثمان رضى الله عنه الى افريقية فلقى جرجير وكان من قتل عبد الله بن الزبير له ما كان اصاب الروم رعب شديد فلجؤوا الى الحصون والقلاع فاجتمع اكثرهم بهذا الحصن فطلبوا من عبد الله بن ابي سرح أن يأخذ منهم ثلاثمائة قنطار ذهباً على ان يكف عنهم ويخرج من بلادهم فقبل ذلك منهم وقبض المال ، وكان من

شرطه ان ما اصاب المسلمون قبل الصلح فهو لهم وما اصابوه بعد الصلح ردوه يريد والله اعلم بعد الصلح وقبل علمهم به .

وقد قاتل اهل هذا الحصن يحيى بن اسحاق الميورقي فاعياه وارتحل عنه خائبا ويذكر انهم رموه منه بعد الحصر الطويل بالسك حيا وانهم جلبوه من ذلك الثقب النافذ الى سلقطة فحينئذ أيس منهم وارتحل عنهم ، والى جانب هذا الحصن قرية عامرة بها جنات ومزارعات متسعة ومسجد جامع واسواق نافقة يسكنها قوم من البربر كانوا قبل هذا ساكنين بقصر مليئة من ارض زوارة وقد رأته وسيأتى ذكره بعد هذا فأخلته العرب واجلتهم منه فسكنوا بهذه الارض ، وماء هذا الحصن فيما ذكر فى بشر شروب وانما كان وردنا فيه من غدر غادرها(١) المطر هنالك

ومن هذا الموضع ظهر لنا الكوكب المعروف بسهيل وليس يظهر بتونس ولا ما قاربها وانما مبدأ ظهوره فيما يظهر فيه من ارض افريقية لمن وصل من المغرب مشرقا بهذا الموضع فما سامتة من ناحيتى الجنوب والشمال ، ويقال انه لا يظهر فى شىء من جزيرة العرب كلها ولا فى شىء من بلاد الاندلس الا فى جبل سهيل من اعمال مالقة وبه سى الجبل واليه ينسب أبو القاسم السهيلي العالم الفاضل (٢)

(١) فى بعض النسخ « غادرها »
(٢) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد السهيلي صاحب كتاب الروض الانف فى تفسير السيرة النبوية لابن هشام

وجزم عاصم فى كتاب الانواء بأنه لا يظهر فى شىء من بلاد
الاندلس البتة ، وهو كوكب منفرد من الكواكب لا يقطع الى
الغرب كسائرهما ولكنه يطلع من افق القبلة شيئا يسيرا ثم يغيب فى
ذلك الافق ولذلك قال جران العود (طويل)

أَرَأَيْتَ لُوحًا مِنْ سُهَيْلٍ كَأَنَّهُ إِذَا مَا بَدَأَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ يَطْرِفُ
يُعَارِضُ عَنْ مَجْرَى النُّجُومِ وَيَتَمَيَّ كَمَا عَارِضُ الشَّوْلِ الْبَعِيرُ الْمُؤَلَّفُ

يشبهه لاعتزاله النجوم وميله عنها ببعير ضم الى ابل وليس منها
فهو يتف منفردا عنها ، وقال ابو العلاء المعرى يصف متغربا فى
البلاد ماثلا الى الانفراد (وافر)

كَأَنَّكَ مِنْ كَوَاكِبِهِ سُهَيْلٍ إِذَا طَلَعَ اعْتَزَالًا وَانْفِرَادًا (١)

ومبدأ ظهوره فيما يظهر فيه من بلاد افريقية عند الفجر فى السابع
من شهر شتنبر ، وعلى قريب اذا كانت الجوزاء سحرا فى وسط
السماء رثى سهيل فى المواضع التى يظهر منها واذا كانت غائبة او
هابطة فى أقصى المشرق لم ير وهو من الكواكب اليمانية ولذلك
قال عمر بن ابي ربيعة فى الثريا بنت عبد الله بن الحارث بن أمية
الاصغر بن عبد شمس لما تزوجها سهيل بن عبد العزيز بن مروان
(خفيف) (٢) :

(١) انظر التنوير ج ١ - ص ١٦٩

(٢) انظر كتاب الاغانى ج ١ - ص ٩٤

أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيًّا سُهَيْلًا عَمْرُكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ
هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَ بِمِائِنِي
وَفِيهِ فِيمَا يَظْهَرُ لِنَاضِرِهِ احْمَرَارٌ وَاضْطِرَابٌ شَدِيدٌ وَذَلِكَ لِقُرْبِهِ مِنْ
الْأَفَقِ فَإِنَّ الْكَوَاكِبَ تَكْثُرُ حَرَكَاتُهَا هُنَاكَ وَكَلَّمَا ارْتَفَعْتَ قَلْتَ
حَرَكَاتُهَا وَقَدْ تَعَرَّضَ لَهَا حَرَكَةٌ أَيْضًا وَهِيَ مَرْتَفَعَةٌ إِذَا كَانَ فِي
الْهَوَاءِ تَمَوْجٌ وَقَدْ قَالَ أَبُو الْعَلَا الْمَعْرِيُّ (خَفِيفٌ) (١) :

وَسُهَيْلٌ كَوَجْنَةِ الْحَبِّ فِي اللَّوْنِ وَقَلْبُ الْحَبِّ فِي الْخَفَقَانِ
يُسْرِعُ اللَّمَحُ فِي احْمَرَارِ كَمَا تُسْرِعُ فِي اللَّمَحِ مُقْلَةُ الْغَضْبَانِ
قَدَمَاهُ وَرَاءَهُ وَهُوَ فِي الْعَجْزِ كَسَاعٍ لَيْسَتْ لَهُ قَدَمَانِ
قَدَمَاهُ كَوَكْبَانِ تَحْتَهُ يَعْرِفَانِ بِقَدَمِي سُهَيْلٍ يَقُولُ : قَدْ ثَبَتَ أَنْ لَهُ
قَدَمَيْنِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَرِحْ فَكَأَنَّهُ لَا قَدَمَيْنِ لَهُ يَشِيرُ إِلَى طَوْلِ اللَّيْلِ ،
وَأَشَدُّ أَبُو عَلِيٍّ فِي الْإِمَالَى لِأَعْرَابِيٍّ يَصِفُ نَارًا (٢) (وَافِرٌ)

رَأَيْتُ بِحُزْنٍ عِزَّةً ضَوْءَ نَارٍ تَلَالُأً وَهِيَ وَاضِحَةُ الْمَكَانِ
فَشَبَّهَ صَاحِبَايَ بِهَا سُهَيْلًا فَقَلْتُ تَثَبَّتَا مَا تُبْصِرَانِ
أَنْوَارُ أَوْقَدَتْ لِنُورَاهُمَا بَدَتْ لِكَمَامِ الْبَرْقِ الْيَمَانِي
كَأَنَّ النَّارَ يَقْطَعُ مِنْ سَنَاهَا بِزَائِقِ جُبَّةٍ مِنْ أَرْجُوفِ

(١) انظر التنوير ج ١ - ص ٩٢

(٢) انظر أمالي القائل ج ٢ - ص ٢٠٨

كل ذلك اشارة الى احمراره واضطرابه

وتتقدم قبل سهيل خمسة كواكب تسمى العذارى ، وهى فى
المجرة اسفل من الشعري العبور ، وكوكب آخر يسمى حضار على
وزن حذام ويقال له ايضا المبحث ، وذلك لانه شبيه بسهيل فيظن من
رآه انه هو ويحلف على ذلك فاذا طلع سهيل تبين له انه غيره
فيبحث ، وكانت العرب تزعم ان سهيلا كان رجلا يعشر الناس
بضم الشين اى يأخذ عشر اموالهم ، وكذلك الضب وأنها كانا
مكاسين على تجار البر والبحر اتاوة فمسخهما الله عقوبة لهما وجعل
أحدهما نجما فى السماء والاخر حيوانا فى الارض ، والى هذا اشار
الحكيم بن عمر البهراني الاعمى بقوله وكان أتى ابن العنبر (١)
بالبادية وأقام معهم فكان يتفقه بفقههم ويفتى بفتياهم (خفيف) :

إِنَّ رَبِّي لِمَا يَشَاءُ قَدِيرٌ مَا لِمَا إِنْ أَرَادَهُ مِنْ مَفَرٍّ

ماسخ الماكسين نجما وضبا حين جاء بكل مكسر وعشر

وذلك من خرافات الاعراب وباطلهم وانما الغريب من أمر
سهيل وهو صحيح مشاهد ان الابل ساعة طلوعه تستدبره فلا
تزال مولية بوجوهها عنه ما دام طالعا وان كانت حين طلوعه مستقبله
لجهته استدار فى الحين فولته اذبارها ، وهذا امر شائع مستفيض
لم أر من اهل الابل الا مقرا به مصدقا له ، وكانوا يزعمون ان

(١) كذا فى جميع النسخ والمعروف « بلعنبر »

طلوعه سبب موت الابل ووقوع الوباء فيها فلاجل ذلك تكرهه
وتستدبره وقد أشار الساجع الى ذلك بقوله طلوع سهيل ، طلوع
ضر للابل وويل ، وقال الشاعر (وافر) :

وكان أضرّ فيهم من سيل إذا وافى وأشأم من قُزاح

وعليه بنى أبو العلاء قوله (١) (كامل)

لا تحسبي إيلي سهيلا طالما بالشام فالمرثي شلة قايِس

يريد ان ابله رات قبسا بالشام حسبته سهيلا فخشيت الموت فقال
لها ليس سهيل من الكواكب الطالعة بالشام فتخافيه وانما رأيت
قبسا فلا تراعى ، وكذلك ايضا قول ابى الطيب (٢) (وافر)

وتُنكر موتهم وأنا سهيل طلعت بموت أولاد الزَّناء

وذلك انه جعل حساده وأضداده بهائم لجهلهم فسهيل يميتهم
بطلوعه وجعلهم اولاد زنا لانتسابهم للفضل وليسوا منه كما ينسب
أولاد الزنا لآباء ليسوا منهم ، وسألت أعراب زماننا عن هذا الذى
يذكر من تأثيره فى الابل فقالوا لا نعلم له تأثيرا فيها الا أن طلوعه
عندنا أمان للابل المنشوشة من الموت ، والغش داء معروف عندهم
قالوا فما لم يمت بالغش قبل طلوعه لا يموت بعده ، وكانت العرب
عند طلوعه تفصل الجوران (٣) من أمهاتها يقال ان ذلك هو سبب

(١) انظر التنوير ج ١ - ص ٨٧

(٢) انظر شرح المكبرى على المتنبي ج ١ - ص ١١

(٣) فى بعض النسخ « الحيران » وفى بعضها « الحيوان »

كراهة الابل لسهيل ولهذا قال ساجعهم اذا طلع سهيل ، برد الليل وخيف السيل ، وامتنع القيل ، وكان لام الحوار الويل ، فانما كان هذا الويل لفراقها له ، ويروى كان للحوار الويل لفصله ومنعه من الرضاعة ، وقد تكون الرواية الاولى موافقة لهذه فيكون معنى قوله وكان لام الحوار الويل اى للحوار نفسه، والقيل فى هذا السجع اما من القائلة وهى نومة الظهيرة أو من الشرب فى ذلك الوقت فانه يسمى القيل ، وقالوا ايضا فى سجع آخر اذا طلعت الجبهة ، تحانت الولهة ، وتنازعت السفهة ، وقلت فى الارض الرفهة فالولهة بتحريك اللام النوق تحن الى اولادها وتوله عليها لاجل ما ذكرناه فان طلوع الجبهة مقارن لطلوع سهيل ، وقوله وتنازعت السفهة بفتح السين والفاء يعنى أن السفهاء توابتوا بطرا فأكثرُوا الفارة والفساد ، وانما بطروا لانهم فى خصب من اللبن لما فصلت الاولاد عن أمهاتها والرفهة بضم الراء وفتح الفاء قصب الزرع بعد اخراج الحب منه يعنى أنه لم يبق من الجيوب اذ ذاك الا الرفهة (١) لاحتياجهم الى حفظ نعمهم لما تنازع السفهاء خوف الفارة، أعرف (٢) ان ابن السيرافى لما تعرض لشرح قول الشاعر (وافر)

ألم ألك جار كم فتر كتموني لكذب في ديار كم عؤاء
وأخترتُ العشاء إل سهيل أو الشغرى فطال بي الاناء

(١) فى بعض النسخ « فيطلبه اهل الرقامة لاحتياجهم الى علف انعامهم »

(٢) فى بعض النسخ « اعلم »

قال : انما قال الشاعر هذا لان سهيلا انما يطلع سحرا وكذلك الشعرى فاراد انى انتظرت معروفكم حتى أيست منكم كما يش صاحب العشاء اذا طلع سهيل لانه لو أتى اذ ذاك بما يأكله لم يسم عشاء نفوات اسم العشاء بدخول السحر ، ورد (١) الذى قال ابن السيرافى بأن (٢) سهيلا يختلف باختلاف الازمان واختلاف البلدان فرب بلد يطلع فيه سحرا وقد طلع فى غيره عشاء وكذلك انفصول ربما طلع فى فصل عشاء وربما طلع فى ذلك الموضع بعينه فى فصل آخر سحرا وهو فى هذا كسائر الكواكب الا ان يعنى أنه فى ذلك الزمن الذى قيل فيه الشعر كان يطلع فى ذلك البلد سحرا فحينئذ يصح قوله على بعد هذا التأويل من كلامه .

وارتحلنا عن الجم يوم الاربعاء ففارقنا بمفارقتة أرض حكيم وطرود ودخلنا فى أرض اخوتهم حصن وكان مسيرنا منذ فارقنا الجم فى الزيتون القديم المتصل المعروف بزيتون الساحل وقد أذهب افساد الغرب أكثره ، وغير بعد الاستواء أسطره ، فكأنه كان مغروسا على حالة مغلومه ، وأسطر متناسبة منظومه ، فأبطل الافساد أكثر ذلك ، وعلى هذا الزيتون كان مدار غلات افريقية فى القديم ، وقد روى ان ابن أبى سرح لما افتتح افريقية وقتل ملكها ومجد أكثر أموالهم الذهب والفضة فغنم منها مل . (٣) أيدى جنده وسألهم أنى

(١) فى بعض النسخ « وهذا »

(٢) فى بعض النسخ « ان »

(٣) فى بعض النسخ « ماملا »

لكم هذا فجعل أحدهم يلتبس شيئا فى الارض حتى أتاه بنواة زيتون فقال له من هذا أصبنا هذه الاموال (١)

قال الرشاطى فى كتابه المسمى « باقتباس الانوار » وانما سمي هذا الموضع الساحل وليس بساحل بحر لكثرة ما فيه من سواد الزيتون والشجر والكرم ، قال وهو كله قرى متصلة البعض ببعض ، وذكر من المنسوبين اليه من العلماء اسرائيل بن روح الساحلى وأخبر أنه لقي مالك بن أنس وحدث عنه قال : أبوبكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب أخبرنا أبو الفرج أحمد بن على قال حدثنا أحمد الواعظ قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن زياد قال حدثنا اسماعيل بن حصن قال حدثنا اسرائيل بن روح الساحلى قال : سألت مالك بن أنس فقلت يا أبا عبد الله ما تقول فى اتيان النساء فى أدبارهن فقال أما أنتم قوم عرب ؟ هل يكون الحرث الا فى موضع الزرع ؟ أما تسمعون الله يقول نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم قائمة وقاعدة وعلى جنبها ولا تعدوا الفرج ، فقلت يا أبا عبد الله انهم يقولون انك تخبر بذلك (٢) فقال يكذبون على وكررها ثلاثا

وانتهى السير بنا فى غابته المتصلة الى منزلة تعرف بأم الاصابع (٣) لدى قصر قد شيد فى سالف الزمن بنيانه ، وأحكم

(١) انظر الى كتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم ص ١٨٥

(٢) فى بعض النسخ « نجيز ذلك »

(٣) المكان المعروف قديما بأم الاصابع هو المسمى اليوم بالرقعة وبه آثار رومانية عظيمة منها قوس نصر قائم الذات ومواجه للمياه ومسرح وغير ذلك

تأسيسه واتقانه ، وجعلت أبراجا مستديرة اركانها ، الا أن طول الزمن المتباعد ، قوض أحد تلك الاركان من القواعد فتداركه أربابه الان ، ببناء لا مناسبة بينه وبين ما كان ، وبذلك الابراج المستديرة فيه سمي ام الاصابع لانها بقيت لارتفاعها عما اتصل بها من البنيان كأنها اصابع قائمة ، واحتطب الناس من هذه الشجر ما استصحبوا لمرحلة الغد لان الحطب بها معدوم ، ثم سرينا منها آخر ليلتنا فاجتزنا صباحا على قرية صغيرة ذات قصور مفترقة تعرف بيرشانة ، وحاذانا على بعد ساحل البحر القصر المعروف بقصر زياد وهو قصر حصين وفي أهله نجدة موصوفة ، وشجاعة معروفة ، قال الليدي في أخبار الشيخ أبي اسحاق الجبنياني نفع الله به : وكان قصر زياد يسمى دار مالك لكثرة من به من أهل العلم في ذلك الزمان

وبعد مجاوزتنا له ساءتنا من البحر جزيرة قرقنة على مسافة بعيدة لا يمكن ظهورها منها وموضعها بين هذا القصر وصفافس وسطا ، وهي جزيرة قوية العمارة شهيرة الذكر على القدم والنصارى في وقتنا هذا متغلبون عليها متحكمون في أهلها ، وليس لها سور ولا دور وانما سكنى أهلها في أخصاص يجعل كل واحد منهم في أرضه ما أحب منها وفي الجهة الغربية منها كهوف يتحصنون بها ، وطول هذه الجزيرة ستة عشر ميلا في البحر وعرضها ثلث ذلك

ووصلنا الى صفاقس ظهرا فرأيت مدينة حاضرة ذات سورين
يشي الراكب بينهما ويضرب البحر في الخارج منهما ، وكانت بها
قبل غابة زيتون ملاصقة لسورها فأفسدتها العرب فليس بخارجها
الان شجرة قائمة وفواكهها مجلوبة اليها من قابس ، وماؤها شراب
لا يساغ وانما يعتمدون في شربهم على ما يدخرونه من مياه الامطار ،
ويصطاد بها من السمك أنواع تفوت الاحصاء وبيحرها يوجد
صوف البحر الذي يعمل منه الثياب الرفيعة الملوكية وربما وجد في
بحرها صدف يشتمل على لؤلؤ صغير الحب ، ومرساها مرسى حسن
ميت الماء والماء يمد به ويجزر عنه كل يوم فاذا جزر استوت السفن
على الحماة واذا مد عامت ، وفي هذا المد والجزر يقول بعض المجيدين
من شعرائها وهو علي بن حبيب التنوخي وسياتي ذكره بعد هذا
(مجزوء الكامل) :

سَقِيًّا لَأَرْضِ صَفَاقْسَ ذَاتِ الْمَصَانِعِ وَالْمُصَلَّى
فَحَمَى الْقَصِيرَ إِلَى الْخَلِيْجِ فَقَصَّرَهَا السَّامِيُّ الْمُعَلَّى (١)
بَلَدٌ يَكَادُ يَقُولُ حِينَ تَزُورُهُ أَهْلًا وَسَهْلًا
وَكَأَنَّهُ وَالْبَحْرَ يَحْسُرُ تَارَةً عَنْهُ وَيَنْلَأُ
صَبٌّ يَرِيدُ زِيَارَةَ فَإِذَا رَأَى الرُّقَبَاءَ وَلَى

وأين هذا من قول أبي عبد الله محمد ابن الشيخ الصالح أبي
تسيم المعز بن سليمان يذمها ويخيل أن هذا الجزر هروب من البحر
عنها لقبها وقد كان ولي اشرافها سنة خمس وستين وستمائة
فقال فيها (بسيط)

صفاقس لا صفاء عيش لساكنها ولا سقى أرضها غيث إذا انسكبا
ناهيك من بلدة من حل ساحتها عانى بها العادين الروم والعربا
كم ظل في البر مسلوبا بضاعته وبات في البحر يشكو الاسر والعطبا
وليتها فتولتني الهموم وقد لقيت من سفري في أرضها نصبا
قد عاين البحر قبحا في جوانبها فكلما هم أن يدنو لها هربا

وبها جامع حسن ، ذكر الليدي في أخبار الشيخ أبي اسحاق
الجبنياني أن علي بن سالم جد الشيخ أبي اسحاق هو الذي بناه
وكان سخنون ولاد قضاء صفاقس وهو ولده من الرضاة أرضعته
زوجه أم محمد بن سخنون مع محمد قال : وهو الذي بنى أيضا سور
صفاقس بالطوب وبالطين ، وبني المحرس المعروف في القديم
بمحرس على وعرف بعد بالمحرس الجديد ، وقد شاع في الناس
تسمية صفاقس بلعنة الله وبلغ الامر في ذلك أن بعض الملوك قال
لمن راجعه الكلام اذهب الى لعنة الله ، فأخذ في الارتحال الى صفاقس
وكانت ولايتها في القديم تتردد عليها من قبل صنهاجة الى أن

ولى المعز بن باديس عليها منصور البرغواطى وكان من الفرسان المعروفين بالاقدام فأراد أن يشور بها وأخذ فى مخالفة العرب فعاجله ابن عمه حمو بن مليل وقتله غدرا فى الحمام وذلك سنة احدى وخمسين وأربعمائة ، ولما قتله وصل حلفاء منصور من العرب فحاصروا حمو بصفاقس فبعث اليهم يسألهم هل قصدهم الاخذ بثار ابن عمه منه أو المال فقالوا نحن لا ندخل بينكم فى الدماء وانما غرضنا الاموال ، فالتزم لهم من المال ما رضوا به وعجل لهم ما تيسر وانفصلوا ، وثار حمو بصفاقس وأظهر العناد على بنى مناد ومات المعز بن باديس سنة أربع وخمسين وولى تميم ولده قطع حمو فى تمام الاستبداد والتغلب على غير صفاقس من البلاد فحالف جماعة من العرب عديا والاثبج ومن ضامهم وزحف بهم وبين معه من رجاله الى بعض القرى فملكها واستحوذ عليها ثم نهض الى المهديّة يريد حصرها فنهض تميم للقائه فولت فئة حمو أدبارها ، واسرعت فرارها ، ورجعوا الى صفاقس

ودام أمر حمو فى صفاقس زمانا ثم وجه تميم ابنه يحيى لمحاصرته فحاصره أياما ثم رجع عنها ، ويقال ان يحيى أحب الابقاء على حمو فلم يبالغ فى حصاره وكان حمو يقول ان هذا لعجب بالامس أخلص يحيى من القتل الى حكاية ذكرها أبو الصلت وغيره من المؤرخين ، قال كان فلان التركى هاجر من المشرق الى تميم فى جماعة من أصحابه فأكرمه تميم ورتب له جراية فلم ترضه وبلغه

عن تميم ما أوحشه ، وكان داهية ذا مكر وخبت فخرج يوما في جماعة مع يحيى بن تميم يتصيد فأبعدوا عن المدينة فقبض التركي على يحيى وعلى جماعته وتوجه بهم (١) هاربا وأفلت رجل من حضر فوصل يركض الى تميم فأعلمه وأنفذ الحيل في طلبه ففات ولجأ الى صفاقس فأكرمهم حمو بن مليل وبالغ في التحفى بيحيى وحبسه عنده ثم خاف أن يوليه أهل صفاقس عليهم فأحب اخراجه من البلد فكتب الى أبيه يعرفه أنه ان بعث أموال الترك الهاربين وأهلهم وجه اليه ابنه يحيى ففعل تميم ذلك ووجه اليه حمو ابنه يحيى فلما وصل يحيى الى تميم رده لحصار (٢) صفاقس كما ذكرنا فرجع عنها ولم يفتحها

فلما كان سنة ثلاث وتسعين توجه اليها تميم بنفسه فافتتحها وفر حمو منها فاستجار بمكى بن كامل الرياحى بقابس ، وكان لحمو ابن مليل أيام ملكه لصفاقس كاتب يعرف بمظفر بن علي مشهور بالبلاغة وحسن الكتابة ، وكان يكتب عن حمو الى تميم ما يفيظه ويبلغ منه كل مبلغ ، فلما فر حمو الى قابس لم يشعر تميم الا بمظفر قائم بين يديه يطلب العفو فعفا تميم عنه مع شدة حقه عليه ، قال أبو الصلت : ومثل هذا الذنب لا تغتفره الملوك بل يجاوز الشريب ، فيه الى التعذيب ، ويتعدى العقاب ، الى ضرب الرقاب ، وذكر أبو

(١) في بعض النسخ « بها »
(٢) في بعض النسخ « الى حصار »

الصلت جملة مما تمثل به مظفر في الكتب عن مخدومه الى تميم
قال : أمكنت حمو فرصة في طائفة من جند تميم فقتلهم بصفاقس
وكتب مظفر في ذلك الى تميم متمثلا بقول أبي الطيب (١) (متقارب)

إذا كان أعجبكم عامكم فمودوا إلى حمص في القابل

فإن الحسام المصيب الذي قتلتم به في يد القاتل

قال وتحدث مرة بالمهدية بموت حمو وبلغه ذلك فأمر مظفر أن
يكتب الى تميم في هذا المعنى فكتب اليه متمثلا بقول أبي الطيب
أيضا (٢) (بسيط) :

كم قد دُفنت وكم أقبرت عندكم ثم انتفضت فزال القبر والكفن
ما كل ما يتنسى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وكتب اليه تميم يوعده ويهدده ويتمثل فيه بقول الشاعر (طويل)
ستعلم ليلى أي دين تدأينت وأي غريم للتقاضي غريمها

فراجعته عنه مظفر متمثلا بقول قيس بن ذريح (طويل)

ستعلم إن شطت به غربة التوى وزالوا بليلى أن عقلت زائل

وفي رواية ان مظفرا تمثل له في مراجعته عن هذا الكتب بقول

جريس (٣) (كامل) :

(١) انظر شرح العكبري على المتنبي ج ٢ - ص ٣٧ (برواية اخرى)
وان كان اعجبكم عامكم فمودوا الى حمص من قابل

(٢) انظر العكبري على المتنبي ج ٢ - ص ٤٧٨

(٣) انظر تقاضى جريس والفرزدق ص ٩٧٣

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً أبشُر بطول سلامة يا مربعُ
وكتب اليه في اثر وقية كانت له عليه كتاب ايناس والطاق
فراجعه متمثلاً بقول عبد الله بن محمد العطار (رمل) :

لا تظنَّ امرأً أغضبه سب ثم اتقضى ذاك السبَّ
سالم الصدر من الحقد ولو أظهر الود ولم يبد الغضب
كرماد النار يبقَى حرّها كامناً فيه وإن زال اللهب

ولما افتتح تميم صفاقس كانت ولايتها تتردد من قبله الى ان
توفى سنة احدى وخسمائة ، وولى ابنه يحيى فولى عليها ابنه
ابا الفتوح فقام عليه اهلها ونهبوا قصره وارادوا قتله ، فغضب يحيى
لذلك واخذ فى تفريق كلمة اهل صفاقس وتشتيت شملهم ولم يزل
يوالى عليهم البؤس ، ويلا منهم الجوس ، الى ان شفى نفسه منهم
ثم عفا عنهم بعد ذلك ، وفى الوقعة يقول ابو الصلت يذكرها ويشكر
ليحيى عفوه عنهم من قصيدة طويلة (طويل) :

وربّ أناس أججوا نار فتنة يُجنّبها الاتقى ويضلّ بها الاشقي
وجرّ عليهم جهلهم حلم مالك يرقّ ويخنو كلما ملك الرقا
ولو شاء روى السيف منهم فطالبا نضاه فسةً به من الدم ما استسقى
ولكن دعاه الحلم والفضل والحجى إلى أن يكون الاحلم الاكرم الاتقى

سجّة مجبول السجايا على الهدى إذا غضب استأنى وإن ملك استبقى
وأول هذه القصيدة :

قضى الله أن يفنى عدك وأن تبقى وتخلد حتى تملك الغرب والشرق
قال أبو الصلت : أنشدت يحيى هذه القصيدة وخاصة بين يديه
وعبد العزيز بن عمار فى الجملة وكان فى هذه الصناعة أبصر الجماعة
فقال له يحيى : كيف ترى ما تسمع فقال حسن الحوك محكم السرد
فقال : أنعرف قائله قال لا ، قال : هو ذاك الجالس يشير الى فعلاه فتور
ونفور عن الاستماع ، بحسب ما يعرض من العوام الرعاع ، عند
ما ينشدون أن جمعهم وإياه مكان وزمان ، وإن كان فى أول جريدة
ذوى الاحسان ، وإنما عنوا بامتداح القديم ، وتعظيم العظم الرميم ،
وسبب ذلك الحسد فكثيرا ما يعيد الصواب محالا ، والعادة آلا ،
والقوام اعوجاجا ، والعذب ملحا اجاجا ،

ثم ولى يحيى على صفاقس ابنه عليا وهو ولى عهده فلما كانت
سنة تسع وخسمائة توفى يحيى وعلى بصفاقس فوصل واستبد بالملك
وكان يبعث أكلولة الى صفاقس الى أن توفى ، وولى ابنه الحسن فوقعت
الوحشة بينه وبين « لجار » ، فوجه لجار أساطيله لحصار المهديّة وكان من
تغلبه عليها وخروج الحسن منها ما يأتى ذكره مستوفى بعد هذا أن
شاء الله تعالى ، فلما تملك المهديّة واستقر عامله بها وذلك فى سنة
ثلاث وأربعين أنفذ منها أسطولا الى مدينة صفاقس فملكها وأمن

اهلها وقد أسكن بها جملة من النصارى الذين افتتحها بهم وحصل
منها رهائن منها شيخ البلد وصاحبه ابو الحسن الفريانى ، وبقي ولده
عمر بن ابي الحسن متصرفا فى اعمال البلد ، وكان ذا اقدام وشهامة ،
ولما ودعه ابوه قال له : يا بنى انى قد كبرت واشرفت على الموت وقد
مهدت نفسى على المسلمين فان امكتك الفرصة فى هؤلاء النصارى
فانتهازها ودعنى اقتل ! ،

فلما كانت سنة احدى وخمسين امثل أبو على وصية ابيه وثار على
من بصفاقس من النصارى فقتلوا قتلا ذريعا فبلغ ذلك طاغية صقلية
«غليام بن لجار» فقيده الشيخ ابا الحسن وسجنه وارسل الى ابنه عمر يوعده
بقتل ابيه ان لم يرجع الى الطاعة ، قال الرسول : فوصلت الى صفاقس
فلم امكن من النزول الى البر ولما كان من الغد سمعت فى البلد ضجة
ثم فتح باب البحر وخرج الناس يكبرون ويهللون ومعهم نعش قد
رفعوه على رؤوسهم فخطوه ثم تقدم عمر فصلى عليه ودفنه وعزاه
الناس وانفصلوا ، قال : فاستدعيت الجواب فقيل لى : ان الشيخ مشغول
بالعزاء فى والده الذى بصقلية والنعش الذى قد رأيت نعشه وقد
عزم على موته والسلو عنه وليس لك جواب الا ما رايت . فلما بلغ
ذلك طاغية صقلية امر بالشيخ ابي الحسن فسحب الى المشنقة بوادى
عباس فشنق وهو يتلو كتاب الله تعالى الى ان فاضت نفسه رحمه الله
وكان انتقاض صفاقس على النصارى سببا فى انتقاض سائر بلاد
السواحل وزوالها من ايديهم ، واقام عمر يدبر امر البلد الى ان نزل

الخليفة عبد المؤمن الى افريقية بحصار المهديّة فوصل اليها عمر المذكور مع جماعة من اشيّخ صفاقس فاذعنوا له بالطاعة وعين لهم عبد المؤمن حافظا من الموحدين وامر عمر بالرجوع الى بلده وان تكون الاشغال المخزنية تتصرف على يده ، فأقام على ذلك الى ان توفي ، وخلفه في ذلك ولده عبد الرحمن بن عمر وقام مقامه فوصل الميورقي الى صفاقس واستولى عليها فرغب اليه عبد الرحمن ان يسرحه الى الحج فارتحل بأهله ولم يعد ، وبقي بعض ولده بصفاقس وذريتهم بها الى الان ومنهم من له شعر وسياتي الذكر على ما أمكن منهم في هذا التقييد ان شاء الله تعالى .

ومن ذكر ابن رشيق في الانموذج من شعراء صفاقس : علي بن حبيب التنوخي قال : موطنه صفاقس وبها نشأ وهو شاعر عذب اللفظ، لطيف المعنى، سهل الطريقة، قليل التكلف، رحل الى المشرق ولقى جماعة من رؤساء العرب فحظى عندهم وأقام بمدينة « لك » الى ان تشاجرت القبائل على يديه ونجا بشعره من شر عظيم قال : وانشدني لنفسه في غلام جاء في طلبه الى الحضرة بعد أن امتحن عليه (كامل)

يا معطشي من عذب مورده بَرِّ ذ غليل جوانحي العطشي
أترى الذي أرجو أفوز به منكم فقد كان الذي أخشى
ولقد شخت إليك من بلد قد أظلمت أرجاؤه وخشا

وتنكرت للعين بهجته منذ ارتحلت كأنني أغشى
والله ما من ساعة عبرت إلا عليّ لذكركم يفتنى
قال ومن جيد كلامه قوله من قصيدة (خفيف)

يا ليلى في ذرى ابن حسين هل معاد قبل المات إيها
قد نشرنا صحائف الحزن نشرأ وطوينا العزاء بمدك طيا
واطلنا البكا عليك وآسي لعليم ان ليس يرجع شيأ
فإلى الله من فراق رماني (١) عنك (٢) بعد الدنو مرمى قصيا
ولكم قد حذرت منه ولكن كان أمراً مقدراً مقضيا

قال وفوق النهاية من شعره قوله في الوعظ والزهد (سريع) :

للمرء في أيامه واعظ لو فكر المغرور في أميه
كم من قرير العين في غبطة أعراه صرف الدهر عن لبه
ففارق الاحباب عن كرهه واستبدل الوحشة من أنسه
يارب غفرانك يرجو الذي اسرف في الدنيا على تقه

ومنه : مضر بن تميم الفزاري قال ابن رشيق : موطنه صفاقس
وهو شاعر حسن الطريقة في الشعر وأنشد له (بسيط) :

(١) في بعض النسخ « رمتني »
(٢) في بعض النسخ « منك » وفي بعضها « عند »

يَا مَنْ عَذِيرِي مِنْ شَوْقِي وَتَسْهِدِي

وَمِنْ مُعْنِي عَلَى نَوْحِي وَتَعْدِيدِي (١)

تَطَاوَلَ اللَّيْلُ وَامْتَدَّتْ غَوَارِبُهُ فَالْصَبْحُ وَرَدَ لَيْسِي غَيْرَ مُورُودٍ
لَا أُطْعِمُ الْغَنُضَ إِلَّا أَنْ يُطِيفَ بِهِ طَيْفٌ وَيَذْهَبُ مَفْقُودٌ بِمَفْقُودٍ
قَالَ هَذَا مِنْ حَرِّ الْكَلَامِ وَنَفْسِهِ وَفِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ (بَسِيطُ) :

وَمَا اسْتَقَرَّتْ عَلَى بَحْرِ الْهَوَى سُنُنُ (٢)

شَطَّتْ بِهِمْ عَنْ كَيْبِ الْقَلْبِ مَمْسُودٍ
أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ مَنْ وَلَّى وَأَوْدَعْنِي شَوْقًا إِلَيْهِ جَدِيدًا غَيْرَ مَجْدُودٍ
قَالَ قَوْلُهُ جَدِيدًا غَيْرَ مَجْدُودٍ مِنْ عَجِيبِ الشَّعْرِ وَالْمَجْدُودِ هُنَا
الْمَحْظُوظُ وَلَوْ جَعَلْتَهُ مِنَ الْجَدِّ الَّذِي هُوَ الْقَطْعُ كَأَنَّهُ قَالَ غَيْرَ مَقْطُوعٍ
لَكَانَ جَدًّا وَالْأَوَّلُ أَشْهَرُ

وَمِنْ عُلَمَاءِ صَفَاقِيسَ وَشُعْرَائِهَا وَلَمْ يَذْكُرْهُ ابْنُ رَشِيقٍ فِي الْإِنْمُودَجِ
وَهُوَ مِنَ الْمَعَاصِرِينَ لَهُ أَبُو عَمْرٍو عَثْمَانُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ حَمُودِ الصَّدْفِيِّ
الْإِمَامُ الْمُحَدِّثُ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الضَّابِطِ لَهُ رَحْلَةٌ إِلَى الْمَشْرِقِ وَأَخَذَ
فِيهَا عَنْ جَمَاعَةٍ يَطُولُ تَعْدَادُهُمْ ، مِنْهُمْ الْحَافِظُ أَبُو نَعِيمٍ صَحْبُهُ بِاصْبَهَانَ
وَكُتِبَ عَنْهُ كَثِيرًا ذَكَرَ أَنَّهُ كَتَبَ عَنْهُ بِخَطِّهِ مِائَةُ أَلْفِ حَدِيثٍ وَكَانَ

(١) فِي بَعْضِ النُّسَخِ « تَفْرِيدِي »
(٢) أَخَذْنَا هَذَا الْمَصْرَاعَ مِنَ الْحُلَلِ السَّنْدِيَّةِ ص ١٤١ وَفِي مَوْضِعِهِ بَيَاضٌ فِي جَمِيعِ النُّسَخِ
الَّتِي بَايَدِينَا

يقول لم ألق مثل أبي نعيم علما وعملا ، ثم توجه الى الاندلس سنة
ست وثلاثين وأربعمائة فأقرأ بها وأخذ عنه علماءؤها وأثنوا عليه وعاد
منها الى القيروان فوجه صاحبها الصنهاجي رسولا الى القسطنطينية
فمات في طريقه أما واردا وأما صادرا وذلك بعد سنة أربع وأربعين ،
ذكره أبو عمر بن الحذاء (١) في تسمية رجاله الذين التقى بهم فقال :
قدم علينا طليطلة وسنه نحو الخمسين وكانت له رواية واسعة ومعه
كتب كثيرة قد رواها بالعراق والشام والحجاز ومصر ونجول عندنا
بالاندلس نحو غامين ثم انصرف الى القيروان ، وكان لي صديقا
وتكرر كتبه الى من القيروان الى ان أرسله الصنهاجي الى القسطنطينية
فبلغتنا وفاته ، وذكره الحميدى ايضا فقال كان حافظا عاقلا قرأت
عليه كثيرا وكتبت عنه وأنشدنى (مقارب) :

إذا ما عدوك يوما ساءا إلى حالة (٢) لم تطق نقضها

فقبل ولا تأمن كفه إذا أنت لم تستطع عضها

وذكره أبو القاسم بن بشكوال في الصلة (٣) وأثنى عليه وأخبر
عنه انه قال : بعث الى شعراء القيروان حين مقامى بها منهم ابن رشيق
وابن شرف وابن حجاج والمطار يسألوننى ان أرسل اليهم بشعرى ،
فقلت للرسول انه فى مسردياته فقال أحمله كما هو فأخذته وكتبت
عليه ارتجالا ثم بعث به (مقارب)

(١) انظر الصلة لابن بشكوال عدد ٨٧٦

(٢) فى بعض النسخ « الى رتبة »

(٣) انظر الصلة عدد ١٣١

خطبتَ بناتي فأرسلتهنَّ إليك عواطلَ من كل زينة
لتعلم أني ممن يجود بمحض الوداد وليس ضنيته

قال فأجابوني عن بطاء بهذه الايات :

أتنا بناتك يرفلن في ثياب من الوشي يفتن زينة
فلما سفرن فضحن الشمس وسرب الظباء وأنجلن عينه
ولما نطقن سحرن العقول وظلّ القرين ينادي قرينه
أفي بابل نحن أم في العراق وفوق البسيطة أم في سفينة
فدعني اراقب ضوء الجميع لنسمع من كل مدح عيونه

وأبو عمرو هذا هو أول من أدخل الى الاندلس كتاب « غريب
الحديث » للخطابي وله جزء تضمن عوالى كتبها لابي محمد عبد
الرحمان بن عتاب (١) تعرف بعوالى الصفاقسى

ومن منازل صفاقس الراجعة الى عملها المحتوية على من يذكر من
الفضلاء جنيانة التى منها الشيخ الصالح العالم أبو اسحاق بن أحمد
ابن على بن سالم، وقد قدمنا ان جده على بن سالم كان قاضيا بصفاقس
فلما مات ولى ابن الاغلب ابنه أحمد خراج افريقية فتورط معهم ،
وكان من أهل الادب والفهم ثم أرقت حاله معهم الى ان صار

(١) هو أبو محمد عبد الرحمان بن عتاب المتوفى سنة ٥٢٠ بقرطبة

مشاورا ووزيرا وكان اذا مشى ، مشى فى عسكره وبين يديه وخلفه الجنائب كما كان الوزراء يشون اذ ذاك ، وكانت له بصفاقس ما ينيف على الاربعين دارا ، وربى الشيخ أبو اسحاق رحمه الله فى مثل هذا الحال أخبر من رآه وهو صبي وقد وكل بحفظه خمسة عشر صقليا (١) يحفون به اذا مشى ، ثم ترك ذلك كله لما ناهز الحلم ولبس عباءة وفر عن والده ووالدته على تلك الحال التى ذكرنا مع بنى الاغلب

وكان أبو اسحاق يتطوف على من بالسواحل من العلماء والصالحين فاذا علم ان أباه طلبه أخفى نفسه الى ان اختلفت (٢) الدولة وطلب أبود فيمن طلب وأخذت أملاكه ومنازله ورباعه وأمن نفسه (٣) فلزم الخير وقراءة القرآن ، ثم توجه الى الحج فحج ومات رحمه الله تعالى ، واشتهر أبو اسحاق بالعلم والعبادة ولزم سكنى جبنيانة الى ان توفي فيها رحمه الله تعالى وكانت وفاته فى التاسع عشر من محرم مفتتح تسعة وستين وثلاثمائة ودفن فى شرقى جبنيانة ، زرت قبره ودعوت عنده ، وأخبره رحمه الله مؤلفة مشهورة ، وولده أبو الطاهر كان صالحا فاضلا وكان لابی الطاهر ولد يسمى عبد الله أديب شاعر ظريف ذكره ابن رشيق فى الانموذج وأخبر ان صفاقس موطنه وان بها منشأه ، وقال : وكانت له نياهة وظرافة فى

(١) كذا فى النسخ التى بأيدينا والظاهر ان يكون الصواب « صقليا »

(٢) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « اختلفت » أى استؤصلت

(٣) فى بعض النسخ « أمن فى نفسه »

جميع أحواله مع نزاهة نفس وبعد همة قال : واجتمعت به في صفاقس فكنيت اقطع القرية بقربه ، ثم انفصلت الى الحضرة فلم يكن الا قليل حتى اجتاز علينا متوجها الى الاندلس فسألته عن سبب ذلك فأخبرني ان عليه ديناً ثقيلاً قد استغرق ذمته وأنشدني لنفسه وهو يتمايل وكان متعلق النفس بجارية له أم ولد تركها بموضعه (وافر) :

سأضربُ في بلادِ الناسِ برّاً	وبحراً بالسفائن والركابِ
الى أن تُنكِرَ الاحبابُ مِنِّي	ثوائي بالمغاربِ واغترابي
لِأُكسِبَ ثروةً وافيدَ مالا	وأبلى عُذرَ نفسي في الطلابِ
فإن نِلْتُ المرادُ فذاك حسي	وإن أُخِرَ ثم فإنِّي ذو احتسابِ
وما فارقتُ اخواني وأهلي	ومن أُحِبَّبتُ إلاَّ عن غلابِ

قال وارتحل فاتصل بالحاجب الموفق مجاهد بن عبد الله فآكرمه وعظمه وادناؤه وقربه وكشف عنه فوجد فضلاً وجلالة فاستمسك به وحسد على مكانه منه فوجد في منزله مذبحاً وسكين الاقلام بين يديه مغالطة كانه فعل ذلك بنفسه وبقية الروح فيه فسأله من به فاشار الى فقيه الموضع ، وكان الفقيه المذكور كثير الملازمة له وهلك من ساعته فقال الفقيه انما اشار الى بالوصية فقيده وسجن الى ان جاء ولى الدم فطلبه فلم يتوجه عليه حق فاطلقه وكانت وفاة عبد الله المذكور سنة خمس عشر واربعمائة

ومن منازل صفاقس ايضا قرية ليدى كذا تحققتها وسماها
الرشاطى لبيدة ، ينسب اليها الفقيه الصالح ابو القاسم عبد الرحمن بن
محمد الحضرمى الليدى ، قال ابن شرف فى صلته لتاريخ الرقيق : كان
بقية اهل العلم وله تصانيف فى الفقه وبر (١) فى الفتوى وذكر
الرشاطى ان كتابه المسمى « بالشرح والتفصيل لمسائل المدونة » كتاب
كبير . قال : وتوفى قريبا من سنة ثلاثين واربعمائة ، وابن شرف قد نص
فى تاريخه على ان وفاته كانت سنة اربعين ، وهو المؤلف لخبار الشيخ
ابى اسحاق الجبلى التى نقلنا منها ما تقدم ، وانشد لنفسه فى كتابه
المذكور شعرا ضعيفا وولده ابو بكر بن عبد الرحمان كانت له رئاسة
وسعة حال ، وكان من اهل الادب والفهم وله شعر حسن أخبر عنه
ابن شرف فى تاريخه .

ومن شعراء صفاقس ايضا ثم من الفريانيين ورؤسائها عبد الله بن
عبد الرحمان بن على الفريانى ممن تقدم عصرنا قليلا مولده بمالقة
من بلاد الاندلس وابوه هو المتتقل اليها من صفاقس ، له رحلة ابعد
النجعة فيها شرقا وغربا اخبرنا عنه صاحبنا ابو العباس احمد بن
عبد السلام الاموى التاجورى وقد رآه وجالسه بطرابلس وسمع منه
بعض شعره وكان هجاء مقذعا (٢) ومن شعره حين ولى السعيد
مراكش وكان السعيد أسود اللون (كامل) :

(١) كذا فى النسخ التى بايدينا ولعل الصواب هو « برز فى الفتوى »

(٢) فى بعض النسخ « مقزعا »

كان الحلائف قبل في مراکش صُوراً من الكافور يعجب خالصه
فأتى علي بعدهم ختماً لهم كالمسك لونا ليس فيه خصائصه
وله في مثل ذلك (كامل) :

أسفاً على مرّا كش وولاتها لم يبق للآيام فيها رونق
كانوا حماً فالليلي لم تدع في دارهم الأ غرابا ينمق

والم ابن الابار في التحفة (١) بذكر جماعة من هجاء الشعراء
فذكر اولهم ابا محمد عبد الله بن عبد الرحمن الفرياني ، وكان
باشيلية ناظراً في المواريث لابي سليمان داود بن ابي داود وأشد له
بيتين في هجاء ابن زهر وهو غير الذي ذكرنا وان توافقا في الاسم
والاب والنسب والصفة لبعدهما بين زمانيهما فان مولد الفرياني الذي
ذكرناه سنة تسع وستمئة ولعلها سنة وفاته .

فاقمنا بصفاقس يوم وصولنا اليها وهو يوم الخميس كما تقدم ،
واصبحنا يوم الجمعة مرتحلين عنها فاجتزنا على طينة - بكسر الطاء
وفتح النون - ثم على نقطة - بفتح النون وتشديد القاف - وهما
قصران عامران ويقال ان جماعة من اصحاب معروف الكرخي (٢)
رحمهم الله رابطوا بقصر نقطة هذا وماتوا به فقبورهم هنالك

(١) هي تحفة القادم لابن الابار المتوفى سنة ٦٥٨

(٢) هو معروف بن فيروز الصوفي المتوفى ببغداد سنة ٢٠٠

وانتهى السير بنا الى المحرس وهو قصر قديم البناء سام للسماء
ينسب بناؤه الى ابن الاغلب ، والى هذا الحصن يلجأ جملة (١) أهل
تلك القصور اذا وصل اليهم عدو واضطروا الى قتال ، ويقال
ان الميورقي اجتاز عليه واراد محاصرته ففتح اهله باب
الحصن ووقفوا دونه يقاتلون فعلم انه لا مطمع له فيه فتجاوزوه
الى غيره ولم يتعرض له ، وأهله قوم من هواردة كانوا
ساكنين قبل هذا بالقصور المعروفة بقصور بنى خيار فاجلبتهم العرب
منها فانتقلوا الى هذا الحصن ، وكان مسجدا خاليا للعبادة والرباط
فابتنوا ديارا الى جانبه وجعلوا على الجميع سدا ، وقد اجتزت على
القصور المذكورة المعروفة بنى خيار فرأيتها خالية خربة وهى فى
جبال مسلانة من شرقى طرابلس

وارتحلنا عن المحرس يوم السبت فاجتازنا فى اول المرحلة على المورد
المسمى بصعيب وهم يتكرهون هذا الاسم فيكونونه بابى سهيل ،
ووصلنا بعد جهد جهيد ومشقة الى قصور المباركة وهى كلها عامرة
واهلها موصوفون بالبخل وقد شاهدت من منعهم للماء ما يصدق
ما اشتهروا به من ذلك

ومن هذا الموضع فارقنا أرض بنى عوف - ودخلنا فى ارض
اخوتهم بنى دباب بن ربيعة بن زغب بن جرو بن مالك بن خفاف بن

امرى القيس بن بهثة بن سليم بن منصور، كذا تلقينا هذا النسب من علماء الاعراب المعلومين بحفظ الانساب و كذا ذكره الرشاطى فى كتابه ، وهذه الارض لطائفة من الدبابيين يعرفون بالنوائل يسبون الى نائل بن عامر بن جابر بن فائد بالفاء بن رافع بن دباب وهم أخوة لبنى وشاح بن عامر وبنى سنان بن عامر وسياتى بعد مزيد بيان وارتحلنا يوم الاحد فنزلنا بمنزل فيه نخيلات قليلة وعيون ماء جارية وقصر متسع يعرف بوذرف وفى هذا الموضع يقول ابو عبد الله محمد بن محمد المزدورى الهنتاتى ايام اضطرتة الحال الى الخروج من تونس والسكنى بتلك الجهات اشدنيه (رجز) :

هذي عيون وذرف دع الميوت تذرف
بدلت من ارضي بهم — وأسفي وأأسفي

فتنا بوذرف تلك الليلة واصبحنا يوم الاثنين مرتحلين، فاشرفنا على غابة قابس ، ووصلنا اليها ضحى فراينا بلدا قد استوفى المحاسن واستفرقها ، واذكر بمنظره الانضر ، وورقها الاخضر ، جنة الخلد واستبرقها ، وقد أهدقت غابته من جميع جهاته ، وبهذه الغابة من الجواسق ، والنخل المتناسق ، ما يستوقف الطرف ، ويستوفى الحسن والطرف ، ويحقق ما قيل ان قابس جنة الدنيا ، وانها دمشق الصغرى،

وهي مدينة بحرية صحراوية فان الصحراء متصلة بها ، والبحر على
ثلاثة ايامال منها ، فهي احق بقول ابن عيينة : (١) (بسيط)

زُر وادي القصر نعم القصر والوادي

وجبذا أهله من حاضر بـادي

ترسي قراقيره والعيس واقفة والضب والنون والملاح والحادي

ويقول الخليل بن احمد : (٢)

ياجنة فاسقت الجناز فما لعلقها قيمة ولا ثمن

صاهر حيتانها الضباب بها فهذه كنة وذا ختن

من سفن كالنعام مقبلة ومن نعام كأنها سفن

ويقال انه لا يجتمع في مائدة صيد البر وصيد البحر واصناف

التمر الا في مائدة من يسكن قابس

وعلى قابس سور صخر (٣) جليل من بناء الاول ولها ارباض واسعة

وجل اسواقها في ارباضها ، وقد دار بسورها خندق متسع يجرون

الماء اليه اذا خافوا من نزول عدو عليهم فيكون أمتع شيء لها ، ولها

واد يسقى بساتينها ومزارعها ، ويخترق في كثير من مواضع الغابة

(١) هو ابن عيينة عبد الله بن محمد المهلبى والنصر الذى قال فيه بيتيه المشهورين هو قصر

عيسى بن جعفر بالحربية انظر الى الاغانى ج ١٨ - ص ١٥ والى معجم ياقوت ج ٤ - ص ١١٨

(٢) هذه الابيات لابن عيينة ايضا قالها فى مدح البصرة كما ورد فى الاغانى ج ١٨ - ص ٢١

وفى معجم ياقوت ج ١ - ص ٦٤٩ وفى كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٥٦

(بزيادة ثلاثة ابيات وبروايات اخرى)

(٣) وفى بعض النسخ « ضخم »

دورها وشوارعها ، واصل هذا الوادي من عين خراطة في جيل
بين القبة والمغرب منها ، واكثر جناتها فيما بين المدينة والبحر ، وبذلك
الجهة الساحة المعروفة بساحة عنبر

وانشدني الفقيه الكاتب البليغ ابو الفضل محمد بن علي
التجاني نفسه يصف احدى عشاياه بتلك الجهة في تلك الساحة
وما اقتضيه (١) بها من الانس والراحة : (كامل) :

اذ كُز عَشِيَّتَنَا بِسَاحَةِ عَنْبَرٍ وَالْجَوُّ يُتَحَفُّنَا بِنَكْهَةِ عَنْبَرٍ
حَيْثُ النَّخِيلُ عَرَائِشٌ بِسَطِّ الْحَيَا بُسْطًا لَهَا مِنْ اخْضَرٍ أَوْ اصْفَرٍ
وَالشَّمْسُ تَسْتَحْيِي فَتَسْرِ وَجْهَهَا عَنَّا بَسْتَرٌ لِلْعُرُوسِ مَجْبَرٍ
وَالنُّورُ بَيْنَ مَفْضُضٍ وَمَذْهَبٍ وَالنُّورُ يَنْ مَدْرَهَمٍ وَمُدْنَرٍ
وَالنَّهْرُ وَالْقُدْرُ أَدْرَعَنَ تَحْصَنًا اِذْ صُفَّتِ الْغَابَاتُ صَفًّا مَعْسَكِرٍ
وَالْبَحْرُ يَرْمَقُنَا بِمَقْلَةٍ اَزْرَقٍ وَالْبَرُّ يَرْمَقُنَا بِمَقْلَةٍ اَغْفَرٍ
فِي جَنَّةٍ لَوْ نَلْتُ مِنْ خُلْدٍ بِهَا قَصْدِي بَلَقْتُ اِلَى النَّعِيمِ اِلَّا كَبْرٍ
وَعَمَلٌ اُنْسٍ قَلْتُ بَيْنَ رِيَاضِهِ رِيَاضَةٌ قَادَتْ لَأَبْهَى مَنْظَرٍ
مِلْنَا بِمَنْعَرَجٍ نَصَلَّى نَحْوَهُ حَذَرَ الرَّقِيبِ وَلَيْتَهُ لَمْ يَحْضُرِ
وَجَرَى لَنَا فِيهِ حَدِيثُ كُلِّهِ لَطْفٌ حَضَرْنَا مِنْهُ أَطْيَبُ مُحَضَرٍ

تَجْرِي احاديث الصباة والصبا بأرق من منرى الصبا المتعطر
ونُدير كاسات المحبة بيننا فتميل منها بالحلال المُسكر
حتى اذا ولى العشي وآان ان نناز عن نظر المراد الانضر
قبنا نجر من العفاف سوانا لما نغيرها بصنعة منكر
يوم بقباس جنة الدنيا وفي قلبي لوشك (١) الين حرقه مسعر

ومن المكاره التي حفت بها جنة قابس ، ما يعاهدها من النوباء ،
ويتتاب ساكنها (٢) من الامراض ، وسبب ذلك فيما يذكر أهلها
كثرة شجرة الدفلى بها ، فيكتسب الماء منها لدى جريه سمية ومرارة
تضر بأبدان ساكنيها (٢) كثيرا ، ولذلك لا تجد وجود كثير من
أهلها الا مصفرة ، وفي هذا البلد ايضا فساد وتغير سببه كثرة عفوناتها ،
وليس في جميع مياهها ما يسلم من ذلك الا انعين المعروفة بعين
الامير ، والعين الاخرى المعروفة بعين سلام ، فان ماء هاتين يسلم من
الفساد لعدم مروره على الدفلى ، والاولى منهما منسوبة للامير الازدى
المعروف بابن الصغير ، واما الثانية فالمشهور في اسمها عين سلام باللام
مخففة ، وهى انما توجد في عقودهم القديمة عين سنام بالنون ، ومما
يذكره أهل قابس وهو من جنس الحرافات ما حكاه البكرى (٣) عنهم :

(١) وفي بعض النسخ « لسوق »

(٢) وفي بعض النسخ « سكانها »

(٣) ص ٤٦

ان مدينتهم كانت سالمة من الوباء الى ان احتفروا فيها موضعا
توهموا ان فيه مالا ، فاستخرجوا منه تربة غرباء فحدث الوباء عندهم
بسببها من ذلك الزمان الى هلم جرا .

وقد اشتهر عن أهل قابس ما اشتهر من بيع فضلاتهم ، وهم يقرون
بذلك ويدعون شدة احتياجهم اليها وأن النخل في بلادهم لا يثمر
الا به ، ومن رسالة لابي مطرف ابن عميرة (١) في وصف قابس ،
وكان ولي قضاءها في مدة الخليفة المستنصر رحمه الله : « بلد غوطي
البساتين ، طورى الزيتون والتين ، فاما النخل فجميع عظيم ، وطلع
هضيم ، وسكك مأبورة ، ونواعم في الحدور مقصورة ، وان بقعته
لوارفة الظل ، آمنة الحرم والحل ، جنة لو نزع ما في صدور اهلها
من الفل ، وبالجملة فهو تام الغرابة ، مدهام (٢) الغابة ، مستأثر
بسيد من سادات الصحابة ، ولا عيب بترتبه الا وخامة مائها ،
وحيات قلما يعرى من عدوائها . »

وفي فصل من رسالة اخرى له يصف شدة الوباء بها ، وما يذكر
من كثرة عقاربها : « وهذه البلدة الان في ضلال من شرخ الشباب ،
وظلال من ثمرات النخل والاعناب ، فهي بحال يقر بجمالها
الاندلسي ، ويجارى بين خلالها الدبسي ، ولا عيب فيها الا هواء
وخامته تخاف ، وماء غير من خالصه الماء المضاف ، وليبوت المدينة

(١) هو ابو المطرف احمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي الذي ترجم له المقرئ في نفع الطيب
ج ١ - ص ٢٠٠ - ٢٠٣
(٢) في بعض النسخ « مدلهم »

دواجن سيئة الجوار ، سريعة الى القطان والزوار ، كراها تنفيه ،
وسرها تخفيه ، وصلحها لا يطعم أحد فيه ، فقبحت شائلة الاذنان ،
شاملة بالعذاب ، كامنة بارزة ، هامة لامزة ، تطرق بالبلية ، وتقسم
شرها بين البر والفاجر بالسوية ، دبت عندنا لينة الى من كان يرمق
ديبها ، ويحاول قبل ان تصيبه ان يصيبها ، فأوقعت به لدغا في
القدم ، ولقى أشد الالم ، وبات وبتنا معه في ليلة أخى ذيان ، (١)
وتعالى الله ما اطول ما كانت واهول ما كان .

أشار أبو المطرف بقوله في الرسالة السبابة مستأثر بسيد من
سادات الصحابة الى ما يذكره اهل قابس : ان أبا لبابة الانصارى
مدفون ببلدهم وقبره عندهم مزار مشهور ، وبقابس ايضا مسجد
ينسبونه اليه ولم أر احدا من المؤرخين عد أبا لبابة ممن دخل افريقية
من الصحابة فلعله ان ثبت ان قبره هناك ممن اغفل المؤرخون ذكره
منهم ، واسم ابى لبابة بشر بن عبد المنذر ويقال رفاعه بن عبد المنذر ،
وهو ممن شهد العقبة وبدرا ، ويقال بل أمره رسول الله صلى الله
عليه وسلم على المدينة فى غزوة بدر ولم يشهدا ، غير ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم امره ايضا على المدينة فى غزوة السويق ، ومات
فى خلافة على رضى الله تعالى عنهما ، ولعل قدومه الى افريقية كان
هجرانا لدار قومه بسبب ذنبه الذى اذنبه ، فتاب الله عليه فقال :
يا رسول الله ان من توبتى ان اهجر دار قومى ، وان انخلع من مالى ،

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يجزيك من ذلك الثلث .
واختلف في ذنب ابي لبابة ف قيل هو تخلفه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم في غزوة تبوك ، فلما غزا النبي صلى الله عليه وسلم ورجع
ندم ابو لبابة فربط نفسه بسارية ، وقال والله لا احل نفسى منها ولا
اذوق طعاما ولا شرابا حتى يتوب الله على او اموت ، فبعث اليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعرفه بتوبة الله عليه ، فقال والله لا احل نفسى
حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلنى ، فجاء النبي
صلى الله عليه وسلم فحله بيده ، فقال : يا رسول الله ان من توبتى
ان اهجّر دار قومي الحديث . وقيل بل ذنبه اشارته الى حلقه لبنى
قريظة حلفائه اى انه الذبح ان نزلتم على حكم سعد بن معاذ ، فنزلت
فيه : يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم ،
ثم تاب الله عليه . والله اعلم (١)

وانشد ابو الحكم الحسن بن عبد الرحمن بن عذرة فى كتابه
الكبير الذى سماه « منتهى السؤل » ، فى امتداح الرسول ، صلى الله
عليه وسلم لابي المطرف ابن عميرة وقد انصرف من قبر ابي لبابة
(كامل)

خَبِرُ الاجَّة ما الذُّمَّاسِقَه وَجَنَى القَطِيعَة ما أُمِّرَ مذاقَه
وَهَوَى القلوب لها عليه شواهد سبقت بَنَاطِقَ حالها استطاقَه

(١) الاظهر ان يكون التجننى اخذ ترجمة ابي لبابة الانصارى رضى الله تعالى عنه من اسد
الغابة لابن الاثير انظر ج ٥ - ص ٢٨٤ - ٢٨٥

وأيُّ المنازلِ إذْ ذكرتْ عهودها فتهيج من كَلِفِ بها أشواقه
يعتاده منها جوى بين الحشا والصدر رقرق دُمُعه وأراقه
وييت منها كالسليم وماله أرق إذا مدَّ الظلامُ رواقه
حمل الغرام وما استقل لحمله قبل النوى فالآن كيف أطاقه
ورمت به الاقدار كل تنوفة لم تأله لجمالها إغراقه
قبرُ تشا كينا الفراق لدينه وال أشهى لنا أن لا نسام فراقه
وموارد حملت أجنة آجن يلقي بها طعم النوى من ذاقه
خفق الجوانح دونه ويرد من أفضى إليه مع الصدى اخفاه
مازلت أقطعها مهامه لم تزل بالصبر حتى مرّقت أخلاقه
حتى وقفت وما أفقت بمنزل

كالظلم في صدري أرى آفاقه (١)

وقبست من شوقي لقياس جذوة

شبّت على قلب سواها (٢) شاقه

من بلدة في العين اظلم جوها مع أنها ما أنكرت اشراقه
قد كان منظرها يروق بعين من يشكو النوى لو أن شيئاً راقه

(١) في بعض النسخ « احداقه »

(٢) في بعض النسخ « سواما »

لكن قبر أبي لبابة لي هوى مامن هوى في النفس (١) الأفاقه
أمل بنفسي لو ظفرت بتربه فجعلت ائمد ناظري دُقاقه
وتمثل القبر الكريم بمُقتلي فدنوتُ منه والتزمت غناقه
قوثاقُ ذنبي أرتجي لعمكاكه من فكَّ خيرُ العالمين وثاقه
صلّى الإلاه على النبي محمّد واناله بجواره استحقاقه
وعلى صحابته وعترته التي لزمتم (٢) رضاه واقتفت أخلاقه
وقضى لنا من بطئنا في سيرنا يوم الجزاء على الصراط لحاقه
وبشرقي قابس موضع يعرف بالمنارة (٣) كان به منار مرتفع
يظهر للاتى من جهة المشرق قبل وصوله الى البلد بمسافة بعيدة ، وقد
سقط الان فلم يبق له اثر ، وذكر البكرى ان الحدادة يحدون عند
قدومهم من مصر الى افريقية فيقولون : (٤) (رجز)

لا نومَ لا نومَ ولا قرارا حتى ادى قابسَ والمنارا

وبداخل المدينة مسجدها الجامع وهو مسجد متسع ، له منار مرتفع ،
قد مال وخرج عن الوزن ، الا انه لصحة موضعه لا يخشى من وقوعه ،
وبقربة من هذا الجامع قصبة قابس وبها المبنى المشتهر المعروف

(١) في بعض النسخ « للنفس »

(٢) وفي بعض النسخ « امت »

(٣) وفي بعض النسخ « المنار »

(٤) ص ١٧

بالعروسين ، الذى لا يرى مثله ظرفا وحسنا قد استولى الحراب فى وقتنا هذا على القصة وعليه ، والعروسان من بناء بنى جامع الهلاليين الذين كان لهم أمر قابس فطوت ايدى التوحيد (١) آثارهم ، ومحت أخبارهم ، واهل قابس ينسبون بناءه لرشيد بن مدافع بن جامع أحد من تملكها منهم وممدوح أبى محمد عبد الجبار بن حمديس الصقلى بقصيدته التى يقول فيها (٢) (كامل)

أفلا يحالفني الرشادُ وهمتي قصدت بعزم للامير رشيد

وهو مضموم الراء الا انه وقع فى هذا البيت بالفتح ضرورة وقد وقفت فى بعض أبواب القصر على اسطر كتبت نقشا فى الحجر نصها : « أمر بعمل هذا الباب الامير الشهم رافع ابن امير الامراء مكى بن كامل بن جامع فى رجب سنة خمسمائة ، فان كان ما يذكره اهل قابس من ان رشيدا هو الذى ابتناه صحيحا فيكون هذا الباب خاصة هو الذى امر ببنائه رافع بن مكى واخبرني بعض الطلبة من اهلها انه وقف لبعض المؤرخين على ان صنهاجة هم الذين ابتدوا بنيانه وانتهوا به الى قدر ثلثيه فاتمه بنو جامع الهلاليون . ونحن نذكر هاهنا أصل تملك بنى جامع هؤلاء لقابس فهو من شروط هذا الموضع :

(١) وفى بعض النسخ « الموحدين »

(٢) لا يوجد البيت فى ديوان ابن حمديس المطبوع

كانت ولاية قابس في ايام الشيعة مترددة في بنى لقمان الكتامين،
وفي بعض امرائهم يقول الشاعر (١) (سريع) :

لولا ابن لقمان حليف الندى سُلَّ على قابس سيف الردى

فلما ملكت الشيعة مصر وانتقلت الدولة الكتامية بافريقية
صنهاجية ، ترددت ولاية قابس في صنهاجة وعبيدهم ، فوليها في اول
الامر بنو عامر ، ثم وليها ابراهيم بن يوسف بن زيرى وهو اخو
باديس ، ثم منصور بن ماواس ، ثم توالى بعد في اقوام من برغواطة
ولاهم المعز بن باديس .

فلما اجتازت العرب الى افريقية بتدبير الوزير اليازورى حسبما
شرحناه قبل هذا فتغلبوا على اكثر البلاد والجاؤا المعز الى المهديّة ،
كان والى قابس اذ ذاك المعز بن محمد الصنهاجى وكان اخواه
ابراهيم وقاضى قائدى الاعنة بحضرة المعز بن باديس فعزلهما المعز
ابن باديس عن ذلك لغرض عن له ، ففرا عنه مغاضيين ولحقا بمؤنس
ابن يحيى الهلالى احد العرب القادمين من مصر ، فاكرمها وكساهما
ثيابا وصلت اليه من مصر وسر بقدمهما ، وانصرفا الى قابس فاجتمعا
باخيها فاتفقوا على قطع اسم المعز بن باديس من الخطبة وصرف
الطاعة الى مؤنس بن يحيى فكان ذلك اول تملك العرب لها ، ولحق
المعز بن محمد بمؤنس فكان فى صحبته ، واقام ابراهيم واليا على

قابس وهو فى طاعة مؤنس الى أن توفى المعز بن باديس وولى بعده ابنه تميم ، ثم مات ابراهيم بقابس فولى بعده أخوه قاضى فقتله أهل قابس غدرا وبعثوا الى عمر بن المعز بن باديس أخى تميم ، وكان مخالفا على أخيه ، فأمره على أنفسهم وذلك فى سنة تسع وثمانين وأربعمائة ، فلما علم تميم بولاية أخيه تحرك الى قابس وجد فى حصارها الى أن افتتحها ، وكان قبل ذلك متراخيا عنها فقيل له فى ذلك ، فقال : . لما كان فيها قاضى اخو ابراهيم كان بمنزلة عبد من عبيدى فكان زواله سهلا على متى أردت ولما صار ابن المعز بالمهدية وابن المعز بقابس صار الملك مقسوما وعاد شريكا لى فهذا لا يكون أبدا ما دمت حيا ، وفى فتحها يقول الشاعر : (كامل)

ضحك الزمان وكان قدما عابسا لما فتحت بحد سيفك قابسا

أضدقت عذرتنا كحاجائنا سمر القنا وبواترا وفوارسا

من كان بالبيض القواضب خاطبا حلت له يرض البلاد عراشا

ثم خالفت قابس بعد ذلك على تميم ورجعت الى طاعة العرب ، واختلف عليها أمراؤهم فوليها منهم مكى بن كامل بن جامع وهو الذى أجار حمو بن مليل البرغواطى الثائر بصفاقس لما أخرجه منها تميم بن المعز ، وقد ذكرنا ذلك قبل هذا ، ثم وليها بعده ابنه رافع بن مكى وهو الذى كتب اسمه فى عروسيها كما تقدم وتوفى تميم ورافع هذا متولى قابس ، ثم ولى يحيى بن تميم فصالحه وداراه

طول حياته ثم توفي يحيى وولى بعده ابنه على ، فانف من مصلحة رافع .

وكان يحيى يحتل لرافع أمورا منها : أن رافعا أنشأ بساحل قابس سفينة أعدها لما يعرض له فى البحر من الامر فلم يد يحيى انكارا لذلك بل أعانه عليها وامده بما احتاجه اليه فيها، فلما ولى على أنف عن ذلك وكره أن يقاومه أحد من أهل افريقية فى اجراء السفن فى البحر ، فأنفذ أسطولا الى ساحل قابس لمنع هذه السفينة من الاقلاع وأخذها ان أقلعت ، وعلم بذلك رافع فكتب للجار صاحب صقيلة يسأله الاعانة على على ويخبره أنه انما أنشأ تلك السفينة لبعث هدية يجب أن يهديها اليه ، فبعث لجار الى قابس أسطولا ضخما لنصرة رافع ، فلما بلغ ذلك عليا جمع رجال دولته واستشارهم فى ذلك فكلهم أشار عليه باسترجاع أسطوله والتغاضى عن رافع فى هذه المسألة حفظا لما بينه وبين لجار من المصالحة ، فرأى على فى ذلك وهنا عليه فأمر بقية أسطوله فأخرج للحين (١) ووجهه الى قابس فوجد الروم قد نزلوا من قطعهم لضيافة اعددها رافع لهم ، فلم يرعهم الا وصول الاسطول ، فبادروا الى قطعهم فغلبهم المسلمون على أكثرها وقتلوا منهم جماعة كبيرة، قال أبو الصلت : وسلم من سلم منهم فلاذ بالهرب، وطار من خفة الخوف لا من خفة الطرب (٢) وكان ذلك من

(١) وفى بعض النسخ « فى الحين »

(٢) كذا فى جل النسخ وفى بعضها « من خفة الخوف لا من خفة الطرب »

أشد الأسباب في الوحشة التي وقعت بين لُجَارِ وعلي وابنه الحسن بعده حتى أدت الى تغلب الروم على المهديّة وانقراض دولة بني مناد منها ، وفي هذا الفتح يقول محمد بن عبد الله الكاتب يمدح علي بن يحيى من قصيدة ضعيفة النظم : (طويل)

ليهنّ المعالي أن تملك رِقَمَهَا عليُّ بن يحيى بالحجا والتكرم
جرى وجرى صيد الملوك فبذهم (١) إلى غاية في المجد لم تُتقدم
وصمّ تصميم الحسام مبادِرا لاطفاء نار آذنت بالتضرم
تعدى على الأعلاج في بحر قابس وسار إليهم في الخيس العرمرم
فولّوا على الأدبار كلاً وأجفلوا بناب نبا عنهم وظفر مقلّم
ولما تم هذا الفتح لعلي دون قبائل العرب ، أعد الاساطيل لمحاصرة قابس وذلك في سنة احدى عشرة وخمسمائة فلما بلغ رافعا أرسل جماعة من وجوه قومه الى علي راغبا في المصالحة فلم يجبه علي اليها فرأى أنه ليس له قبل بقتال علي ، فقصد الى القيروان وكانت تحت ملك العرب فاتفق بنو عمه علي أن اعطوه اياها ، ففي دخوله اليها يقول محمد بن بشير من كلمات : (بسيط)

سل رافعا ما الذي أجرى تنصره وهل تقى الذلّ عنه من به وثقا
لو لم يز الروم أهلاً والصلب أباً لم يشك من عيشه في قابس رنقا

إِثْقَاكَ الْمَالَ فِي الْعِلْيَاءِ الْحَقِّهِ بِالْقِيَرَوَانِ الَّتِي يَمْتَدُّهَا نَفَقًا
أَبَدَتْ لَهُ عِزَّةً (١) لِلجَاهِلِينَ بِهِ وَكَانَ سِرٌّ عَلَيْهِ قَبْلَ فِئَاخِرْقَا
لِلَّهِ فَعَمَلُكَ لَا لِلْمَالِ تَجْمَعُهُ وَكَيْفَ ذَاكَ وَقَدْ شَتَّتَهُ مِرْقَا
وَكُلَّ مَالٍ تُشَادُّ الْمَكْرَمَاتُ بِهِ أَشَدَّ مَا هُوَ تَوْفِيرًا إِذَا مُحَقَّقًا

وَمَلِكٌ قَابِسٌ بَعْدَ دُخُولِ رَافِعٍ إِلَى الْقِيَرَوَانِ مُحَمَّدُ بْنُ رَشِيدٍ مِنْ
بَنِي جَامِعٍ أَيْضًا ، وَغَلَبَ عَلَى دَوْلَتِهِ مَوْلَادُ يُوسُفَ ، وَاتَّفَقَ أَنْ يَخْرُجَ
مُحَمَّدٌ مِنْ قَابِسٍ لِحَرْبِ عَدُوِّهِ وَتَرَكَ أَحَدَ بَنِيهِ نَائِبًا عَنْهُ فَطَرَدَهُ
يُوسُفُ مَوْلَى أَبِيهِ مِنْهَا وَاسْتَوْلَى عَلَى الْمَدِينَةِ وَانْتَسَبَ إِلَى طَاعَةِ الْجَارِ ،
فَقَامَ عَلَيْهِ أَهْلُ قَابِسٍ وَدَفَعُوهُ إِلَى الْعَرَبِ فَعَذَّبُوهُ عَذَابًا شَدِيدًا وَقَطَعُوا
مَذَاكَرَهُ لِأَنَّهُمْ نَسَبُوهُ لِلتَّعَرُّضِ لِلْحَرَمِ مَوْلَاهُ ، وَكَانَ لِيُوسُفَ أَخٌ
اسْمُهُ عَيْسَى فَفَرَّ إِلَى صَقْلِيَّةٍ مُسْتَنْصَرًا بِطَاغِيَّتِهَا وَزَعَمَ لَهُ أَنَّ أَخَاهُ إِنَّمَا
صَنَعَ بِهِ مَا صَنَعَ لِأَنَّهُ مَتَسَبَّبٌ إِلَى طَاعَتِهِ ، فَخَرَجَ الْجَارُ أَسْطُولُهُ لِحَصَارِ
قَابِسٍ فَحَاصَرَهَا مَدَّةً ثُمَّ رَجَعَ ، وَكَانَ آخِرُ مَنْ مَلَكَهَا مِنْ بَنِي جَامِعٍ
مَدَافِعُ بْنُ رَشِيدٍ بْنُ مَدَافِعُ بْنُ كَامِلٍ بْنُ جَامِعٍ وَمِنْ يَدِهِ أَخَذَهَا
الْمُوَحِّدُونَ ، وَقَدْ كَانَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ عَلِيٍّ لَاطِفَهُ وَاسْتَدْعَاهُ بِأَشْعَارِ
خَاطِبِهِ بِهَا وَتَلَوَّمَ عَلَيْهِ فَاِمْتَنَعَ مِنْ جَوَابِهِ ثُمَّ رَاحَ إِلَى حَصَارِ الْمَهْدِيَّةِ
حَسِبْنَا يَأْتِي بِهِ الذِّكْرُ بَعْدَ هَذَا فِي آخِرِ التَّقْيِيدِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، أَنْفَذَ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ « عِزَّة » وَفِي بَعْضِهَا « غَرَّة » وَلَعَلَّ الصَّوَابَ « عِزَّة »

اليه عسكريا قائده ابنه عبد الله ، فلما علم مدافع باقباله جمع أهله وعشيرته ومن انحاش اليه وفر ، ولقيه عسكري عبد الله فاتبعته شرذمة منه فواقفهم ساعة ثم انهزم ، وقتل جماعة من أهله وعشيرته ، وملك الموحدون قابس ، وتوغل مدافع في الهرب فاستجار بأعراب طرابلس فأجاروه ، وكان شاعرا حافظا للسيرة والاخبار عالما بالانساب فلما أتى عليه عامان طريدا شريدا استشار عشيرته في اللحاق بعبد المؤمن فأشاروا عليه بذلك فسار اليه فلقيه بمدينة قابس فرضى عنه وأسكنه هنالك فتوفى بها وقد ناهز التسعين وكان له أيام ملكه وزير يعزف بسلام بن فرحان بذل نفسه دونه يوم خروجهم من قابس وقاتل عنه الى أن قتل ، وأنشد له العماد الاصبهاني في الحريرة في مدح مدافع المذكور (بسيط) :

مازلتُ أفري أديم الارض منفردا أطوي المفاوز غيطانا وآكاما
حتى حططت رجلي في ذرى ملك غمر المواهب للقصاد بساماً
بشّر (١) مدافع ان الله خوله سبعا ينال به كل الذي راما
قم فافتح الأرض فالأملاك كلهم سواك أضحوا عن العلياء نؤاما
وأنشد له من ابيات ذكر انه قالها يوم قتله (كامل)

أَكْذَا أَمُوتُ وَمَا بَلَفْتُ مَرَادِي يَنْ الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا الْيَّيَّادِ

حيث العيون لوامح وطوامح ما بين أحباب وبين أعادي
وذكر صاحب « الحريدة » أيضا أن أبا ساكن عامر بن محمد بن
مكي بن كامل بن جامع خلص يوم خروجهم واتصل به الفرار
الى دمشق فاستوطنها وقال يذكر أيامهم بقابس (سريع) :

يا جَارِ طرْفِي غَيْرُ هَاجِعٍ والدَمْعِ مِنْ عَيْنِي هَامِعٍ

وَلَقَدْ أَرَقْتُ مُسَامِرَا نَجْمَا بَدَأَ فِي الشَّرْقِ طَالِعَا

مَتَذَكِّرَا بَصُرُوفِ دَهْ سَرَّ أَصْبَحْتُ فِينَا قَوَاطِعِ

إِنِّي مِنَ الشُّمِّ الْأُلَى شَادُوا الْعُلَى أَبْنَاءَ جَامِعِ

أَهْلُ الْمَرَاتِبِ وَالْكَتَا ثُبَّ وَالْمَوَاهِبِ وَالصَّنَائِعِ

يَتَسَابِقُونَ إِلَى الْمَعَا لِي كُلُّهُمْ فِيهَا مَسَارِعِ

وَلَقَدْ مَلَكْنَا قَابِسَا بِالْمَشْرِفِيَّاتِ الْقَوَاطِعِ

تَسْعِينَ عَامَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا لَنَا أَحَدٌ مَنَازِعِ

وَجَنَابُنَا لِلْمَعْتَفِ مِنْ بَزْهَرَةِ الْمَعْرُوفِ يَانِعِ

وَإِذَا شَهِدْنَا مَجْمَعَا يَوْمَئِذٍ إِلَيْنَا بِالْأَصَابِعِ

عَثْتُ بِنَا أَيْدِي الزَّمَا نَ وَأَحْدَثْتُ فِينَا الْبِدَائِعِ

وذكر أن ابنه ساكن بن عامر ورد أيضا الى ديشق وكان
موجودا سنة احدى وتسعين وخسمائة وأنشد له (طويل) :

إذا عَزَّ من أَهْوَى أَغْضَ له طرفي
وأخفي الَّذي بي من سقام ومن ضعفِ
وأَكْتَم عن سَرِّي هَوَاهُ صِيَانَةً
ولو كان في كَتْمَانِهِ أَبَدًا حَتْفِي
مَخَافَةً أَن يَشْكُو فؤادي صَبَابَتِي
إلى مَقَلَّتِي يوماً قُبْدِي الَّذي أُخْفِي

وتغلب على قابس بعد خلوصها للموحدين شرف الدين قراقوش
الارمني مملوك الملك المظفر تقي الدين بن شاهنشاه بن أيوب بن
شادي ابن أخى السلطان صلاح الدين ، وكانت بينه وبين على بن
اسحاق الميورقي مهادنة ومصالحة وكانا يجتمعان فى أكثر حروبهما
ويقيمان الدعوة العباسية فى هذه الجهات ، وسندكر سبب وصوله
الى هذه البلاد باثر الفراغ من خبرى هذا ان شاء الله تعالى ، فتحرك
اليها المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن فكانت له عليها
الوقعة المعروفة « بوقعة الحامة » وذلك فى سنة ثلاث وثمانين ، وسيأتى
خبر هذه الوقعة عند الكلام على الحامة ان شاء الله تعالى ، وفر قراقوش
والميورقي فدخلوا الى صحراء توزر ورجع المنصور الى قابس
فاستسلموا له وفتحوا أبوابها وسلموا له تباع قراقوش وشيعته ، وقد
كان أعدها حصنا وشحنها بأهله وأتباعه وامتنع أهله بقصر

العروسين منها يومين ثم نزلوا الى المنصور راغبين فى الامان فبعث بهم فى البحر الى حضرة تونس ثم رفعوا بعد الى مراکش والى المغرب ، فأظهر قراقوش الانابة وهاجر الى الموحدين وذلك فى سنة ست وثمانين ، وقد مات على بن اسحاق المورقى وولى اخوه يحيى فاجتمع قراقوش بتونس بالسيد أبى زيد ابن السيد أبى حفص وهو اذ ذاك الوالى عليها من قبل المنصور فاقام بها زمنا تحت كرامته ، ثم انصرف فارا عنه فرجع الى قابس وخادع أهلها حتى دخلها فقتل جماعة منهم وأظهر الرجوع على الانابة واستدعى اشياخ العرب الدبايين فقتل أعيانهم بقابس ، ومن جملة من قتل منهم محمود بن طوق بن بقية واليه تنسب المحاميد ، وحמיד بن جارية وهو أبو الجوارى فى سبعين من كبارهم وذلك بداخل قصر انعروسين منها فى موضع منه معلوم الى الان .

وأخبرنى أبو صيرة مسعد بن الازرق الضريسى أن الدعى ابن أبى عبارة لما تغلب على قابس سنة اثنين وثمانين وستمائة أمر بحفر ذلك الموضع لبناء أحب احداثه هنالك ، قال : فوافق الحفر موضع دفنهم فرفعوا منه بين أيدينا نيفا وستين رأسا فأمر الدعى بنقلها الى غير ذلك الموضع فدفنت به ، ثم توجه قراقوش بعد افتتاحه الى طرابلس ، وقد كانت بايعته أول اقباله وانتفضت عليه فحطت طرابلس وقاس تحت ايلته ، ووقع بينه وبين يحيى بن اسحاق المورقى

تغير والميورقي اذ ذاك ببلاد الجريد ، فسار الميورقي اليه الى طرابلس
وخرج قراقوش للقائه فالتقيا بخارجها فانكسر قراقوش وفر الى
جبالها ولم يدخل الى البلد خوفا من الحصار ، وكان من حصار
الميورقي لطرابلس واستيلائه عليها ما يذكر عند ذكر طرابلس ان
شاء الله تعالى .

ثم اخذ الميورقي أيضا في الحركة الى قابس وكان نائب
قراقوش خرج منها لما انهزم قراقوش ووجه اليها الشيخ ابو سعيد
ابن أبي حفص من تونس حافظا من الموحدين يعرف بابن تافراجين ،
فتحرك الميورقي اليها ووصل الى المنزل المعروف بزريرق - الزاى
متقدمة على الراى - وسياتى ذكره بعد هذا ان شاء الله تعالى ، وكتب
الى أهل قابس يذرهم ويحذرهم ومن بعض فصول كتبه فى ذلك :
« ولما عزمنا على قرع بابكم ، والحلول بجنابكم ، رأينا تقديم
الانذار اليكم ، وايراد النصيحة عليكم ، والكف عنكم ثلاثة ايام لا
تمد لكم فيها يد ، ولا يتقدم اليكم بالاضرار أحد ، لنعلم ما عندكم ،
ونبين غيكم أو رشدكم ، فان آثرتم الطاعة ، وتبعتم الجماعة ، مددنا
لكم أكتاف المدد ، واتبعنا فيكم كريم القول وصحيح الفعل ،
وان أبيتتم الا خلافا فقد أبلغنا النفس عذرا ، وأتيننا بالتبرى من
أمركم برا ، ولا تغتروا بأهل طرابلس فلو كان لهم سواد يقطع ،

أو مياه تصد (١) وتمنع ، لجروا الى الطاعة ، وحملوا انفسهم منها فوق الاستطاعة ،

فلما انقضى أجله الذي حد ولم ير منهم اجابة ، ولا أنس منهم انابة ، زحف اليها بجموعه فحاصرها حصارا شديدا وقطع جميع غابتها ، فيقال انه لم يبق منها الا نخلة واحدة تركها عبرة لهم ، فأناوبوا له بعد أن اشترطوا عليه مسالة واليهم ابن تاقراجين وأن يتوجه بأهله وماله في البحر ، فاشترط لهم ذلك ووفى به وأغرمهم ستين الف دينار عقوبة لهم . وقد وصف ذلك كله كاتبه أبو محمد عبد البر بن فرسان (٢) في كتاب كتبه عنه لاهل طرابلس وهي اذ ذاك في طاعته مبشرا بافتتاحه لقابس ، ونقلت هذا الكتاب بطرابلس من خط شيخنا الفقيه ابي فارس عبد العزيز بن عبيد العظيم بن عبيد يقول في بعض فصوله . الحمد لله الذي أعاض من النصب راحه ، وأضاء باشراف الدعوة (٣) العباسية جهة من هذه المدينة كانت مظلمة وساحه ، بعد لاجحة شيطانها ، ومكابدة قطانها ، وتضييق أعطانها ، بمخانيق مسامته (٤) لمبانيها ، على توانيها ، لا تبلى أهلها ريقا ، ولا تجد لهم (٥) للدفاع طريقا ، فريقا ترهب على البعد وتقتل فريقا ،

(١) في بعض النسخ « تصدع »

(٢) ترجمته في كتاب « تحفة القادم » لابن الابار - مخطوط بالإسكوريال وفي خريدة القصر -

للإصفهاني - مخطوط - بالكنية الزيتونية

(٣) في بعض النسخ « الدولة »

(٤) في بعض النسخ « مسامية »

(٥) في بعض النسخ « ولا تجد لهم » ولعل الصواب « ولا تخذلهم »

وكنّا قبل وضع تاجها ، وخلع رتاجها ، وكسر مهابتها ، والتوغل
فى غابتها ، خاطبنا جمهورهم ، واستنزلنا معمرهم للطاعة ومنصورهم
رغبة فى الابقاء عليهم ، وانذارا لم يكن بد من تقديمه اليهم ، فرفعوا
عواءهم ، وركبوا اهواءهم ، واستنهضوا غويهم فنصب للشقاوة
لواءهم ، وكان فيها من رجال الدرق ، ورماة الحدق ، غباء أسندوا
اليهم ظهورهم فانقصت ، وتمسكوا بعراهم فانقصت ، وغرغاء
استنفروها من الجبال ركدوا بعد الهبوب ، وعرفوا سموم تلك
الجنوب .

ومن فصول هذا الكتاب : « فاخذهم هول الحصار ، وأحاطت
الحيام بالاسوار ، حتى كانت المدينة معها كالزند فى ضمن السوار ،
وكالغلق تحت محيط الازرار ، (١) وكالمركز للفلك الدوار ، وكما
لاحت فى هالتها أجسام الاقمار ، لا يتبسون الا على أذن واعية ،
ولا يتسللون الا على عين مراعية ، فضجوا من ثلاث ، ساقتهم الى
الشجب سوق احتثاث ، بعد القسوة ، وانصداع عصى الاسوة ،
والعجز عن حماية الثغر والاولاد والنسوة ، ولما سقط فى ايديهم
ولم يجدوا راحما يعصمهم ممن يؤذيهم ، سلكوا للطاعة طريقه ،
وتظاهروا بها مجازا او حقيقه ، فقبلت على حكم التسليم والتفويض ،
والقيام بمب ، وظيفة المال والنهوض ، وانتقلوا من الحرم الى الحل ،
ومن الحرور الى الظل ، وقصر عن العدو حد السيف المطل ، وتفقدوا

سوادهم فوجدوه طامس الآثار ، مجتث الاشجار ، مغور المياه
الغزار ، لا مندورا أبقت الايدي منه ولا منشورا ، يقول ناظره
متعجبا ومعتبرا ، وكان الله على كل شىء مقتدرا .

وفى فصل منه : « واذا تقرر على الشرط حكم الاصطلاح ، وجرد
المسترزق منهم والمتطوع من ملابس السلاح ، وحمل غويهم
المؤمن فى نفسه وأهله مع من اختار صحبته من جنده الحاسر على
ذات الدسر والالواح ، فرضنا عليهم مائة الف دينار عددا ، لم
نفسح لهم فى اقتضاءها أمدا ، فعمجزوا واستكانوا ، وتضاءلوا بذلك
كأنهم غير الذين كانوا ، فوسعهم التفات دينى ، ونظر على الرحمة
مبنى ، خفف الثون ، فاضحت المائة وهى ستون ، وهم فى شأنها
مفيضون ، وعما عداها معرضون ، فخطبناكم بهذا الفتح ، الذى
أشرقت من جانبيه شمس النجح ، لتأخذوا من المسرة بحظ من تيين
لعينه تبلج الصبح ، فقد تقرر لدينا ما تعتقدون من الاعتماد علينا
والاقتصار ، ومزيد النظر كل حين فى احكام الطاعة والاستبصار ،
ما عضد خبره بالأختبار ، ولم يرتفع منه الا ما وقع بالموافقة وجاء
على الاختيار . » وتاريخ الكتاب العشر الاخير من رمضان سنة احدى
وتسعين .

وفى هذا الفتح والتخفيف على أهل قابس فيما طلبوا به يقول أبو
محمد عبد البر بن فرسان المذكور ، وزعم ابن نخيل فى تاريخه أن
عبد البر قال هذه القصيدة عند فتح طرابلس وليس كما زعم : (طويل)

أَجَلْ أَنَّهُ النَّصْرُ الْمَهْنَاءُ وَالْفَتْحُ طَوَاهُ الدُّجَى وَقَتَا وَيَّتَهُ الصُّبْحُ
عَصَوْا ثُمَّ جَاءُوا طَائِعِينَ إِمَامَهُمْ عِمَايَةَ غَيِّ كَانَ آخِرُهَا النَّجْحُ
هُدُوا لِلْهُدَى بَعْدَ اقْتِحَامِ مِضْلَةٍ بِأَوْجُهُهُمْ مِنْ مَنْحِ ضَرَائِهَا لَفْحُ
عَمَوَاعِنِ سَبِيلِ الرُّشْدِ ثُمَّتْ أَبْصَرُوا وَقَدْ كَانَ نَشْوَانُ الضَّلَالَةِ لَا يَصْحَوُ
وَفَاءُوا عَلَى حِينِ اقْتِرَاحِ سَمَائِهِمْ إِلَى غَرَّةٍ قَدْ كَانَ مِنْهُمْ بِهَا قَرَحُ
أَجَالُوا قِدَاحَ الرَّأْيِ أَثْنَاءَ عَزْمِهِمْ فَحِينَ أَنَابُوا فَازَ بِالْأَمَلِ الْقِدْحُ
وَمَا أَدْعَنُوا لِلشَّرْطِ حَتَّى أَرَاهُمْ رَدَى فُهُمْ فِي كُلِّ حَرْبٍ لَهُمْ بَرْحُ
فَمَا وَرَيْتَ مِنْهُمْ زِنَادَ اسْتِكَانَةِ

مِنَ الشَّرِّ حَتَّى حَكَّ فِي سَمِّهَا (١) الْقَدْحُ
جَثُوا الْقَبُولَ الْعَفْوُ فِي مَجْلِسِ الرِّضَا عَلَى بَذْلِ مَالٍ بَانَ عَنْهُمْ بِهِ الشَّحُ
فَأَوْسَفَتْهُمْ عَفْوًا وَخَفَّفَتْ عَنْهُمْ مِنَ الْمَالِ مَا لَوْلَاهُ أَدَّاهُمْ الْقَدْحُ
وَهَبْتَ الَّذِي لَوْ غَضَّنْ غَيْرَكَ أَنَّهُ يَفُوزُ بِهِ لَمْ يَنْجِهِمْ عَنْهَا الصَّلْحُ
وَمَا الْمَالُ إِلَّا لِلنَّفْسِ وَقَايَةِ خَسَارَتِهِ فِي جَنْبِ مَا يَتَّقَى رَيْحُ
تَقْوُدِ الْجِيوشِ الدَّهْرَ (٢) بَرًّا وَجَلَّةً فَقِي سَبَسَبَ وَخَدَّ وَفِي لُجَّةٍ سَبَحَ
تُنَازِلَ مِنْ عَادَاكَ فِي عَقْرِ دَارِهِ فُتْنَزِلُهُ لَوْ كَانَ مَزَلَهُ الصَّرْحُ

(١) فِي نَسْخَةِ « فِي مَسَد »
(٢) فِي نَسْخَةِ « الدَّهْم »

وتضرب بالحق الصحيح كُلى العدى اذا كان حظّ البطل من غيرك الجرح
وتُطْلِع فجر العدل في مشرق الهدى اذا امتد من ليل اعتداء العدى جُنْحُ
وتسرد من آي الملى سورا لها براهين لا يخفى لها ابداً شرح
تقوم لها في المكرمات دلائل كما قام عن مستودع الروضة النفح
فلا زلت فتاح البلاد ممهداً جوانبها ما التاح من بارق لمنح
ودان لك الداني وقص من الذي قصا طاعياً ريش وحم له ذبح
وبقيت قابس في حكم الميورقي الى أن وصل الناصر الى افريقية
فى سنة احدى وستمائة فاستنقذ من يده قابس وغيرها ، وتردد
عليها حفاظ الموحدين من قبل الناصر مدة اقامته بافريقية ومن قبل
الشيخ أبى محمد بن أبى حفص بعد انفصال الناصر وهلم جرا ، وفى
اثرهم استقر قراقوش بودان فتوجه الميورقي اليه بمن استصحب
معه من العرب الدبابيين الموتورين من قبل قراقوش فحصره بها
الى أن فنى طعامه وأعطى بيده سلبا واشترط على العرب أن يقتلوه
قبل قتل ولده وكان شديد المحبة له فلما خرج هو وولده اليهم قال
له الولد: يا أبت الى أين يروحوا (١) بنا ، فقال: الى حيث رحنا بآبائهم ،
فقتلوه وقتلوا ولده بعده وصلبه الميورقي بظاهر ودان وذلك فى
سنة تسع وستمائة ، وهذا الاخير (٢) من صفة موت قراقوش هو

(١) كذا فى جميع النسخ

(٢) وفى بعض النسخ « وهذا الذى ذكرته اخيراً »

مما تلقته من أفواد العرب الدبايين وهم يزعمون أنهم أخذوا ذلك عن آبائهم عن حضر ذلك من أجدادهم ، وترك قراقوش ولدا آخر اشتهر أمره بعد مدة وكان شجاعا كريما حسن الصورة جدا تميل العيون الى شخصه والاسماع الى ذكره ، ورتبه الخليفة المستنصر بالحضرة في أجناده ، قدمه لطائفة منهم ، فحدثه نفسه بالثيابة وأراد أن يسج على منوال أبيه فهرب بجمع من أصحابه ولحق ببلاد ودان حيث قتل أبوه وأشعل تلك البلاد نارا فأنفذ اليه ملك الكانم من قتله وأراح تلك البلاد من فتنه وحمل رأسه الى بلاده فطيف به فيها وذلك في سنة ست وخسين ، وقد كان البطالون من الاجناد بالحضرة قد اشتغلوا بذكره ، واكثروا الخوض في أمره وقد كنا وعدنا بذكر السبب في وصول قراقوش الى هذه البلاد ونحن الان نذكر ذلك (١) :

كان صلاح الدين يوسف بن أيوب انما ملك هو وعمه أسد الدين شركوه بجيش نور الدين محمود بن زنكي وقوة سلطانه ، وهما في ذلك من جملة أمرائه وأعوانه ، وبعد استيلائه على مصر وموت أسد الدين حدث بين صلاح الدين ونور الدين وحشة خاف بسببها صلاح الدين أن يتحرك نور الدين على مصر ويستولى عليها فاحتاط لنفسه وبني على الاندفاع أمامه ان وصل ، وذلك في سنة ثمان وستين وخسمائة ، فانقسم أمره بين بلاد اليمن وبلاد

المغرب فقال له أخوه تورانشاه بن أيوب أنا أتوجه الى اليمن وأستفتحها وأعيدها (١) لك ان احتجت اليها، فتجهز اليها في السنة المذكورة وافتتحها في السنة التي بعدها وعلى سنة تسع وستين ، وقال له الملك المظفر تقي الدين ابن أخيه شاهنشاه ابن أيوب أنا أتوجه الى المغرب فأفعل مثل ذلك فاشتغل تقي الدين بالنظر في حركته ثم انه زهد في بلاد المغرب وعرف ما بينه وبين افريقية من العريان والمهالك فاستعفى من ذلك .

وكان سرى خبر تغريبه الى جمع من جنده وخواصه فاشترأبوا لذلك وبنوا عليه فلما امتنع تقي الدين من التغريب فر بطائفة منهم مملوكه قراقوش الارمنى وبطائفة أخرى منهم ابراهيم بن قراتكين (٢) سلاح دار المعظم وهو منسوب الى الملك المعظم شمس الدولة أخى صلاح الدين ، وكان في اجناد تقي الدين ، فجاز المذكوران بمن معهما الى المغرب ، ولما جاوزا العقبة رأيا أن يفرقا لينفرد كل واحد منهما بما قدر له من الملك والرياسة فصار قراقوش الى سترية فافتتحها وخطب فيها للسلطان صلاح الدين ولاستأذه تقي الدين بعده وكتب اليهما بذلك وافتتح زلة (٣) وأوجلة وأزال من بلاد فزان دولة « بنى خطاب » الهواريين وكانت قاعدة ملكهم زويلة وهي المعروفة بزويلة بنى الخطاب وعذب ملكها محمد بن

(١) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « اعيدها »

(٢) في نسخة « قراتكين »

(٣) في بعض النسخ زويلة وهو غلط والظاهر ان تلك المدينة هي والتي سماها البكري زلعي

(ص ١٢) شى واحد

خطاب بن عبد الله بن زنفل بن خطاب آخر ملوكهم على المال حتى هلك وخطب فيها لصلاح الدين ولتقى الدين .

ولم يزل على هذه الطريقة يفتح البلاد ويخطب فيها لمن ذكر الى أن وصل الى طرابلس فاجتمع عليه الدبايون ونهضوا معه الى جبل نفوسة فاستولى عليه واستخلص منه أموالا عظيمة أرضى بها العرب ، وكان من الاتفاق أن مسعود بن رمان (١) أمير الرياحين خالف في ذلك الزمان على بنى عبد المؤمن وفر أمامهم فوصل الى هذه البلاد فكان تارة يكون مع زغب وتارة يكون مع دباب ، فلما سمع بوصول قراقوش ومن معه من رماة الفز سر بهم وتوجه بمن معه من أبطال الرياحين اليه فحصر قراقوش بهم طرابلس وصادف بلادا لم تتوقع نائرا ولا مخالفا فهي خالية من الاجناد ومن العدد والاقوات ، فاستولى عليها فعظم اذ ذاك أمره ، وتوقع من بتونس وغيرها شره ، ووصلت اليه العربان من كل مكان فاحتيج الى تكليف الرعية فوق طاقتهم فأبفضه الناس بعد ما كانت القلوب كلها قد مالت اليه ، وأقبلت عليه ، وقد ذكرنا في هذا التقييد من أفعاله الشنيعة ومخالفته على بنى عبد المؤمن وتلاعبه بالمهاجرة اليهم مرة والفرار عنهم أخرى ودوام ذلك نحو من أربعين عاما الى أن قتله الميورقي ما وسعه الذكر واحتمله هذا التقييد بحول الله تعالى .

(١) في بعض النسخ « بن زمان » وعند ابن خلدون « ابن زمان »

وأما ابراهيم بن قراتكين فإنه سار بجمعه ووقع في خاطره
المهاجرة الى بنى عبد المؤمن والركوب عندهم فصدّه أشياخ العرب
المخالفون عليهم عن ذلك وحملوه على الانفراد وطلب الرئاسة
وساروا معه الى قفصة فاستولى على جميع منازلها وأرسل الى « بنى
الزند » (١) رؤساء قفصة فمكنوه من البلاد لانحرافهم عن بنى عبد
المؤمن وجههم في الخطبة العباسية التي ألّفوها ، فدخلها ابراهيم
فخطب فيها للخليفة العباسي ثم لصلاح الدين ، وقدّر أن كان قتل
ابراهيم المذكور وجملته من أجناده بعد ذلك على يد المنصور
يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن في قفصة حسبما نشرحه ان وجدنا
محلا لذكر ذلك ان شاء الله تعالى .

وكان يقال لقراقوش المظفرى لانه مملوك الملك المظفر والناصرى
لانه كان يخطب للملك الناصر صلاح الدين وكذلك كان يكتب
في ظهائره . وقفت على ظهير بتوسيع (٢) أملاك لبعض أهل
طرابلس سعى فيه نفسه « قراقوش الناصرى ولى أمر المؤمنين ، بسكون
الميم فى لفظ أمر وكتب علامة الظهير بخطه . وثقت بالله وحده ،
وتاريخ الظهير عام تسع وسبعين ، وكان الميورقى يكتب العلامة
فى كتبه ، وثقت بالله وحده ، ويجعلها فى أسفل الرقم .
ومما كتب به الميورقى الى العرب يذكرهم الرحم التى بينه

(١) كذا اثبت ابن خلدون وفى بعض النسخ التى بايدينا « بنى الزنة »

(٢) وفى بعض النسخ « بتسويغ »

وبينهم لانه واياهم من سليم ويعيرهم انقيادهم لقراقوش
ويستدعيهم للوصول لحضرته (بسيط) :

يا أيها الراكب الساري لطيته على عذافرة تشقى بها الأكُمُ
بلِّغ سليما على بعد المزار لها يني وينكم الرحمن والرحمُ
يا قومنا لا تشبوا الحرب إن خدمت واستمسكوا بمرى الايمان واعتصموا
يقودهم أرمني لا خلاق له كأنه فيهم من جهلهم عَلمُ
الله يعلم أنني ما دعوتكم دعاء ذي تيرة يوماً فيتقمُ
ولا اجأت لأمر يستعان به من الامور وهذا (١) الحق قد علموا
لكن لأمر رسول الله عن رحم يني إليه وترعى تلکم الذمُ
فإن أتيتم فجعل الود متصل وإن أتيتم فعند السيف نحتكمُ
واعلم أن ما (٢) ذكرناه من معالم هذه البلدة المنار ، وقد وصفناه
أولا ، وعين سلام على المشهور في لفظها أنها باللام ، وقصر العروسين
قد وافقت قابس في جميع هذه الاسماء القلعة المعروفة بقلعة بنى
حماد فاشتملت على معالم تسمى بجميع ذلك ، فالعروسان بالقلعة مبنى
بناه الناصر بن علناس بن حماد ، والمنار مبنى مطل عليها بناء المنصور
ابن الناصر وعين سلام عين بالوادي المعروف بوادي جراوة وهو

(١) كذا في جميع النسخ

(٢) ونى بعض النسخ « ما »

من نواحي القلعة ، وحيشما ورد شيء من هذه الاسماء في شعر أبي
عبد الله محمد بن علي بن حماد (١) فانما يعني مباني القلعة فانه كان
معنيا بندب تلك المعاهد كقوله من أبيات : (بسيط)

أَيْنَ العُروسان لا رسم ولا طلل وأَيْنَ ما شاد منه القادة الأولُ
ومجلس النوم (٢) قد هبَّ الزمان له بحادث قل فيه الحادث الجَلَلُ
وما رسوم المنار الآن مائلة لكنهما خبر (٣) يَجْري بها المثلُ
وكقوله من أخرى : (طويل)

الا ليت شعري هل أَيْتَنَ ليلة بوادي الجوى ما بين تلك الجداول
وهل أَسْمَنَ تلك الطيور غُدِيَّة تجاوب في تلك الفصون الموائِلِ
وهل أَرَدَنَ عين السلام على الصَّدَى فأبرد من حرّ الضلوع النواهِلِ
وانظرُ طيْقانَ المنار مطْلَّة على الوجنات الزاهرات الحمائلِ
كَأَنَّ القباب المَشْرِقات بأفقه نجوم تبَدَّت في سود المنازلِ
فإن ننت الأيَّام عنها أَغْنَيْتِي وانزلنني في غير تلك المنازلِ
فصبرٌ جميل غير أَنَّ صبايَ سَتَقِي بقاء الطالعات الاوْفِلِ

(١) هو ابو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن ابي بكر الصنهاجي صاحب النبد
المحتاجة في اخبار صنهاجة بافريقية وبجاية توفي عام ٦٢٨ انظر الى عنوان الدراية
للغبريني ص ١٢٨ - ١٢٩

(٢) وفي بعض النسخ « القسوم »

(٣) وفي بعض النسخ « نبد »

وقال من ابيات أخرى : (وافر)

على عين السلام سلام صب غذاه ماؤها العذب النير
تأود أيكها وجرت صباها وشئألها كما فتق العير
وأبرد ما يكون الماء (١) فيها وأندى حين يحتدم الهجير
وما ادري أيجري فوق در أم ابتست بمنبعها الثغور
وقد قام المنار (٢) على ذراها كما قام العروس أو الأمير
بناء يزدرى إيوان كسرى لديه والخورنق والسدير

فأقمنا بظاهر قابس بعد يوم الوصول إليها أربعة أيام آخرها يوم الجمعة السادس عشر من شهر التاريخ ووصل الى في أثناء اقامتنا بها كتب من الوالد حفظه الله صدره بقوله (بسيط)

حملتم القلب إذ جد الرحيل بكم من الصباة ما لا تحمل الإبل
فلو سلكنم سيل العزم ما عجزت إذ ذاك مني على دفع النوى الحيل
لكن عراني ذهول يوم ينكم كما يكابد من أحابه رحلوا
فالله يجمع منا الشمل عن عجل فالخير أجمل ما في نيله العجل
واتقلنا عن قابس يوم السبت السابع عشر منه ففارقتنا بمفارقتها

(١) وفي بعض النسخ « الجو » وهو اظهر حيث لا يحسن ان بوصف الماء بالندى وهو من الاعراض اللازمة بجوهره
(٢) في بعض النسخ « المقام »

أرض النواثل واجتزنا فى أرض اخوتهم الوشاحين ثم فى أرض
الحاميد منهم والوشاحيون من كانت عليه ولادة لوشاح بن عامر
وقد قدمنا أن وشاحا ونائلا أخوان ورفعنا نسب نائل وفى وشاح
ابن عامر يقول الشاعر (طويل) :

صنعت صنيعا ضاع فى نجل عامر كما ضاع فى الاصنام وادي زُرُودِ
ووادي زرود فى قبة القيروان بينها وبينه أسيال يسيرة واصله
من موضع يعرف بفران بضم الفاء وتخفيف الراء وهذا الوادى يمر
فى طريقه على مزارع تسقى منه ويتنفع به فيها فاذا انتهى الى
الاصنام وهو موضع فى جوف القيروان انتشر فى سبغة هنالك
متسعة ضاع ماؤه فلم يتنفع به فأشار هذا الشاعر الى هذا .

ورئاسة الوشاحين الآن محصورة فى قبيلتى الجوارى والحاميد
وما عدا هاتين القبيلتين من بنى وشاح كالعمور والجوابية يضاف
اليهما وهما قبيلتان متكافئتان فى العدد والقوة فهما نقص من
احدهما فارس بموت أو غيره نقص من الاخرى نظيره ، عادة
أجراها الله تعالى بينهم فتجد احدى الطائفتين اذا مات واحد من
الآخرى يتوقعون موت مقابله منهم فيقع ذلك عن قريب ، ورئاسة
الحاميد فى بنى رحاب منهم ، وهو رحاب بن محمود بن طوق بن
بقية بن وشاح ، وسيأتى ذكر الجوارى بعد هذا حيث يتعين ذكرهم
ان شاء الله تعالى

وكان نزولنا فى هذا اليوم بظاهر كتانة وهي قرية صغيرة ملتفة
الشجر حسنة المنظر كأنها بستان واحد خضرة ونضرة وعامة
شجرها الزيتون ، وكان غرسه بها أيام ولاية الامير أبى زكرياء على
قابس سنة أربع وعشرين ، ولاهلها قصر كبير يأوون اليه وبها عين
فواردة عذبة قد اجتمعت منها بركة ماء متسعة تلاصق سور القصر
من جهة غريبه ، وتخرج مذائب ومسارب تخرق الغابة فتعمرها بالسقى .
ومنها يوم الاحد الى الزارات وهي قرية ذات نخل كثير وماء
غزير ينبع من عين حمئة وقد اجتمعت لدى منبعها أيضا بركة ماء
متسعة القطر بعيدة القعر

ومن هذه القرية كان الابتداء بسلوك منازل البربر المستسكين
بمذهب الخوارج المستحلين لدماء المسلمين وأموالهم ، وهذا المذهب
هو الغالب على جميع البقاع التى بين قابس وطرابلس وخصوصا
أهل الساحل منهم ، فهم بهذا المذهب المذموم يتقربون ببيع من يمر
بهم من المسلمين للروم فتجد الناس لاجل ذلك يتحامون الانفراد
فى قراهم ويتجنبون ايواءهم وقراهم ، وهم من بقايا الشرذمة الضالة
التي قام بها أبو يزيد مخلد بن كيداد فى افريقية فانه لما أظفر الله
به وأراح منه البلاد والعباد تفرقت أتباعه فى الاقطار فسكنت هذه
الشرذمة بهذه المواضع ، وسكنت طائفة اخرى بجبال بجاية وقسنطينة
وما والاها الى بونة ، ومالت طائفة أخرى الى بلاد الجريد فاستوطنت

نفطة ونفزاوة وما والاها من البلاد ، وسنذكر كثيرا من معتقداتهم
وتصرفاتهم فى عبادتهم عند ذكر جربة وزوارة فيما يأتى بحول الله
تعالى .

ومنها يوم الجمعة الى وادي مجسر وهذا الوادى أصل مائه من
الجل المتصل من المغرب الى المشرق فى جهة الجنوب وسنذكره بعد
ان شاء الله تعالى ، ينحدر ماؤه فيجتمع عند جبل صغير يعرف برأس
تاجرا على نحو خمسة عشر ميلا منه حيث أوقع الشيخ أبو محمد
بالميورقى وقمته المشهورة التى استأصل فيها أكثر أجناده ، وروى
من دمائهم المراقبة ظماء جواده ، وهى الوقعة المعروفة بوقعة تاجرا
تضاف الى هذا الموضع ، وكانت سنة اثنين وستمائة ، ثم يفرق من
تاجرا واديان ينتهيان الى البحر أحدهما هذا الوادى وهو وادى
مجرس والآخر الوادى الاعلى الى جهة المشرق وهو المعروف بـ وادي
الفجاء (١) فلا بد لكل سالك بين تاجرا والبحر من قطع هذين
الوادين ، ووادى مجسر منهما معروف بكثرة الاسود وهى موصوفة
بشدة الاسر، وقوة القسر ، وقد كان بنى فى الوسط من هذا الوادى
مشارع فأجلت الاسود ناسها ، وأكثرت فيهم افتراسها ، ففارقوا
مغناها ، (٢) ولم يستطيعوا لاجل ذلك سكنها ، وهذا الوادى ما
كان من أرضه منخفضا كان الماء به دائما لانه يعود بطبع الارض

(١) وفى بعض النسخ « وادى الفجاء »

(٢) وفى بعض النسخ « مقتناها »

ملحا أجاجا ولا سيما ما قرب من البحر ، وتوجد فيه أنواع من الحوت مستطابة وما كان منه مرتفعاً لم يكن به ماء الا حين حمله عند نزول الامطار وتثبت به غابة مشتبكة من الاثل (١) والطرفاء .

وكان هذا المنزل الذى نزلنا به من المواضع المرتفعة فلم يكن به اذ ذاك ماء فبتنا به تلك الليلة ، ثم انتقلنا عنه يوم الثلاثاء فنزلنا بساحل المجاز المعروف بمجاز الجرف وبقيت منه جزيرة جربة ظاهرة بين ايدينا ، وعرض هذا المجاز من الجرف الى ساحل الجزيرة أربعة أميال ، فباتت المحلة على الجرف تلك الليلة ولما أصبحنا من الغد وهو يوم الاربعاء الحادى والعشرين منه شرع الناس فى الجواز الى جزيرة جربة وقد أعدت لهم السفن لذلك فاجتزنا نحن أولا وأقمنا بساحلها من داخلها بموضع منها يسمى بساحل آجيم بمد الالف وتشديد الجيم نتظر أن يستوفى الناس أشغالهم ، وان يجيزوا خيلهم وأثقالهم الى أن استوفى ذلك ، وتوافق (٢) جميعهم هنالك ، وزرت بهذا الموضع الذى أقمنا به مسجدا هناك مباركاً يذكرون أن الامام المهدي رحمه الله سكن به أول جوازه الى المشرق فانه كان دخل فى رحلته الى هذه الجزيرة

وجزيرة جربة من أعظم الجزائر خطرا ، وأشهرها فى سالف الزمن عمارة وذكرنا ، وطولها من المغرب الى المشرق ستون ميلا

(١) وفى بعض النسخ « من الايما »

(٢) وفى بعض النسخ « ووفى »

كذا ذكر الشريف في كتابه المؤلف للجار (١) ، وأما عرضها فمختلف
فعرض الرأس الغربى منها عشرون ميلا وهو الطرف الواسع ومن
هذا الموضع الى جزيرة قرقنة فى البحر ستون ميلا وعرض الرأس
الشرقى منها خمسة عشر ميلا وهو أضيق مكان بها ، وهى ارض
كريمة المزارع ، عذبة المشارع ، وأكثر شجرها النخيل والزيتون
والعنب والتين وبها أصناف كثيرة من سائر الفواكه إلا ان هذه هى
أكثر ثمرها وعليها مدار غلاتها ، وغيرها من كرائم الارضين لا
يقاربها على الجملة فى ثمارها أو يساويها ، وتفتحها لا يوجد فى جميع
بقاع الارض له نظير لما يوجد بها منه صفاً وجفافاً وطيب مذاق ،
وعطارة استنشاق ، ورائحته توجد من المسافة المديدة ، والاميال
المديدة ، وكان من شجره بهذه الجزيرة قبل هذا كثير ثم قل الان
بسبب أن النصارى يتخفون به ملوكهم وكبارهم ، دون تعويض
لاربابيه عنه فرأى أهل الجزيرة أن غيرة من الشجر أعود بالفائدة
عليهم فقطعوا أكثره ، واختصت هذه الجزيرة أيضا دون غيرها من
البلاد بحسن الاصواف المحمودة الاوصاف التى ليس بافريقية لما
ينسج من أثوابها نظير ، وذلك معلوم من أمرها شهير .

وأكثر مساكن أهلها أخصاص من النخيل ، يجعل كل واحد منهم
فى أرضه واحداً أو اثنين أو أكثر من ذلك ثم يسكنه بعياله ، وليس

(١) هو الملك روجا ، ملك الترمند وقد اعتاد كتاب العرب رسم اسمه لجار - انظر نزهة
المشتاق ص ١٢٧ - ١٢٨

بها بناء قائم الا دور قليلة ، وهم ينقسمون الى فرقتين فرقة تعرف
بالوهبية ، ورئاستهم فى بنى سمو من وأرض هذه الفرقة من الجزيرة
الجهة الغربية فما والاها من جهة الشمال ، وفرقة تعرف « بالنكارة »
ورئاستهم فى بنى عزون وأرضهم الجهة الشرقية فما والاها من
جهة الجنوب .

وكانت مدينة جربة فاصلة بين أرضيهم وكلا الطائفتين خوارج
غلاة فى مذهبهم مكفرون العصاة على ما هو معروف من مذهب
الخوارج لا كمذهب المعتزلة فى امتناعهم من اطلاق اسم الكفر
على من واقع كبيرة ولم يتب منها فان المعتزلة لا تسميه كافرا ولا
مؤمنا وتسميه فاسقا على حكمهم بتخليده فى جهنم ، وكان المعتزلة
بزعمهم توسطوا فى هذا بين مذهب الخوارج ومذهب أهل السنة ،
والمصلحون منهم لا يماسحون بشيائهم ثياب أحد ممن ليس على مذهبهم
ولا يؤاكلونه فى آيته وان استسقى عابري سبيل ماء من بعض أبارهم (١)
استخرجوا ماء البئر كله فمأخوذ ، وثياب الجنب عندهم لا يقربها
طاهر وثياب طاهر لا يقربها جنب ، وقد شاهدت منهم من كان
على طهر اذا أجنب غسل ثوبه الذى أجنب فيه يرفعه بعصا أو
بحجن ثم يلقيه فى البحر فيخضضه بعصاه ساعة ثم بعد ذلك
يتناول به يده ، ويوجبون على أنفسهم الغسل صباح كل يوم رجلا
ونساء أجنبوا أو لم يجنبوا ، ويتوضؤون ثم يتييمون وقد شاهدت

(١) كذا فى جميع النسخ والصواب : آبارهم أو أبارهم

هذا منهم كثيرا ، ويشرطون فى وضوئهم غسل الايدى من
الاكتاف الى غير ذلك من آرائهم الواهية ، والافعال التى حكينا
عنهم منها ما شاهدناه وهو ما قصصنا ومنها ما حكاه عنهم الشريف
فى كتابه المؤلف للجار (١)

وأول من افتتح هذه الجزيرة فى أول الاسلام روفيع بن ثابت بن
سكن بن عدى بن حارثة الانصارى من بنى مالك بن النجار وهو
من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ومن سكن مصر منهم ، وكان
معاوية امره على طرابلس وذلك سنة ست وأربعين ففزا منها
افريقية سنة سبع وأربعين ووصل الى جربة فافتتحها ثم رجع من عامه
فمات فى برقة وقبره بها ، ويقال بل مات بالشام ، ولما افتتحها جمع
السبى والمغنم وقام فى الناس خطيبا فقال : يا أيها الناس انى لا
أقول لكم الا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنا
يوم خير حين افتتحها قام فينا خطيبا فقال : لا يحل لامرئ يؤمن
بالله واليوم الآخر أن يستقى ماءؤ زرع غيره يعنى اتيان الحبالى من
السبى ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة
من فى المسلمين حتى اذا أعجفها ردها فيه ولا يحل لامرئ يؤمن
بالله واليوم الآخر ان يلبس ثوبا من فى المسلمين حتى اذا أخلقه رده
فيه ، رواه حنش بن عبد الله الصنعانى (٢) وتوهم البخارى أنه حنش

(١) انظر نزمة المشتاق ١٢٨

(٢) راجع اسد الغابة لابن الاثير ج ٢ - ١٩١ ومعاجم الايمان للديباغ ج ١ ص ١٠١

ابن علي الصنعاني فذكر أن الاختلاف في اسم أبيه وقد وهمه في ذلك علي بن المديني وفرق بينهما فقال حنش بن عبد الله صنعاني من صنعاء اليمن وحنش بن علي من صنعاء الشام (١) وخرج هذا الحديث ابن صخر عن حنش بن عبد الله الصنعاني قال : غزونا المغرب وعلينا رويغ بن ثابت ففتحنا قرية يقال لها جربة فقام فينا رويغ بن ثابت خطيبا وذكر الحديث مختصرا .

وكان الناصر النكاري قام على المعز بن باديس سنة احدى وثلاثين وأربعمائة ووصل الى جربة وافتتحها وقتل من أراد من أهلها وسبى ذراريهم وأسر ابن كلدين مقدمهم ثم قتله وصلبه فجهز اليه المعز أسطوله وقتل أصحابه قتلة شنيعة واستقرت جربة تحت طاعته، وتوفي المعز فثار أهلها وأظهروا العناد والفساد وأنشأوا مراكب يقطعون بها السبل في البحر على سائر السواحل

قال أبو الصلت في كتابه الذي ذيل به على كتاب الرقيق : « لما ولي أبو الحسن (علي) بن يحيى بن تميم بن المعز وذلك في آخر سنة تسع وخمسمائة واستتب له امره واستوثق ملكه (٢) أمر بأعداد الاساطيل لغزو جزيرة جربة ، وحركه في ذلك ما ترادف عليه من قطع أهلها في البحر واخافتهم المسافرين فيه ، فتم ذلك وقدم على الاسطول قائد الجيش ابراهيم بن عبد الله وأصحابه من أهل الدولة للمشورة

(١) راجع طبقات ابن سعد ج ٥ - ص ٣٩١ وميزان الاعتدال ج ١ - ص ٢٩١ ومعال

الايمان ج ١ - ص ١٤٤

(٢) في بعض النسخ « استتم له امره واستوثق ملكه »

فلانا وفلانا ، فساروا اليها وذلك فى سنة عشر وخمسمائة فحاصروها وأخذوا بمخنتها الى أن أقر (١) أهلها بالطاعة للسلطان وانتقادوا لامره ونزلوا على حكمه وضمن أشياخهم ومقدموهم قطع جميع الفساد الواصل الى ساحل افريقية من قطاعهم واشراهم وأن لا يتعدوا بمتاجرهم المهدية وأعلم السلطان بذلك فكف عنهم ورجع الاسطول وصلاح البحر وارتفع الفساد وأمن المسافرون . .

قال : . . وكان أمر جربة واستصلاح (٢) أهلها قد استعصى على من تقدم من آبائه وأجداده على اتساع ملكهم وكثرة جيوشهم ووفور أموالهم ، ثم تغلب النصارى عليها فى سنة تسع وعشرين وخمسمائة فقتلوا من قتلوا وبقي الباقون تحت طاعتهم ، فلما كان سنة ثمان وأربعين وخمسمائة نار أهلها على النصارى وقتلوا منهم جماعة كثيرة فغزاهم النصارى من عامهم وتغلبوا على الجزيرة ثانية فنقلوا أكثر أهلها سبايا الى بلادهم ولم يبقوا بها الا من لا بال له ، ثم تملكها المسلمون بعد ذلك ، ولم تنزل من أول الفتح الاسلامى على هذه الصفة مترددة بين تملك المسلمين وتغلب النصارى الى زماننا هذا وكان تغلبهم عليها فى هذه المدة الاخيرة سنة ثمان وثمانين وستمئة بسبب اشتغال ملك الحضرة اذ ذاك رحمه الله ببعض الثائرين عليه .

(١) وفى بعض النسخ « حزم »

(٢) فى بعض النسخ « امر استصلاح جربة وطاعة أهلها »

فأقمنا كما تقدم بذلك الموضع من الجزيرة الى أن عبر جميع
الناس إلينا وحصل سائرهم لدينا ، ثم انتقلنا عنه يوم الجمعة الثالث
والعشرين لجمادى الاخرى عصرا مقربين لمرحلتنا من القد الى
حصنها المسمى « بالقشتيل » دمره الله فبتنا تلك الليلة الى جانب مدينة
جربة القديمة حيث كانت قصبة الجزيرة وهى الان خلاء لا أنيس
فيها ، ومشيت مع لمة من أصحابنا فجست خلالها وجلت حلالها
فأريت بقايا مدينة صغيرة الصنع ، مربعة الوضع ، ويحدق بها
سور مرتفع هو باق الى الان ، وبداخلها جامع حسن البناء وقد
تغرب الان فليس الباقي الا آثاره ، ورأيت على جهة منه نقشا لم
تصل يد الفناء اليه فوجدته فى غاية الاحتفال وحسن الصنعة ، ولم
يصل أحد منهم بهذا الجامع كراهية لاقامة رسم الاسلام بتلك
الجزيرة لا خوفا من النصارى كما يزعمون ، وأما الجمعة فتركها
أصل من أصولهم لانهم يشترطون فى اقامتها وجود الامام العدل ،
وفى آخر المدينة بقايا أطلال القصبة حيث كانت سكنى حافظ
البلد وقد استولى الخراب على جميعها وفى موضعها الان شجرة
عظيمة من السدر المعروف فى هذه البلاد بالسدر المصرى قد ملأت
ذلك المكان ، وهذا السدر مخالف لسدر بلادنا هذه وهو أكبر ثمرا
وأعطر رائحة وأما المطعم ففيه غثاثة ، ورأيت منه بتوزر وما والاها
من البلاد شجرا كثيرا وانما نسب لمصر لكثرة بها ، وكان الى
جانب هذه القصبة حمام صغير هو الان باق لم يتسلط الخراب على

شيء منه فبتنا الى جانب هذه المدينة تلك الليلة ثم أصبحنا من الغد مرتحلين فلم نزل نمشي بين نخيل بأسقة ، وثمار متناسقة ، الى أن وصلنا موضع القشتيل دمره الله فرأينا حصنا ، يهول الناظر اتقاننا وحصنا ، وهو مربع الشكل وفي كل ركن منه برج فائتان منها مستديران واثتان مشننان وبين كل برجين من هذه فى وسط الحائط برج صغير مربع ويدور به فصيل قصير ويدور بجميع ذلك حفر متسع فنزلنا على مقدار ميل منه

ووصل الينا اذ ذاك شيخ النكارة وقد كان هو ونظيره من الوهية فرا عن الجزيرة أول اقبالنا عليها خوفا على أنفسهما فلما حللنا بها كتبنا اليها كتابا يطلبان الامان فأسعفا به ، فوصل النكارى وتأخر وصول الوهبي فوصل بعده بأيام ، ولما اجتمعا تكفلا باستخلاص ما وضع من الاداء على قومهما وانفصلا ليشغلا بقبض ذلك من يومهما واستمرت المحاولة فى قتال الحصن المذكور شهرين كاملين فوجدنا قوما قد أطالوا للحصار استعدادهم ، واستفرغوا فى التحرز جهدهم واجتهادهم ، وكانت كثرة الجيش الذى معنا من أعظم الاسباب فى الاقلاع عنه لانتقطاع الاقوات بتلك الجزيرة وتعذر الميرة الا فى الشيء اليسير الذى لا تحصل به كفاية ، فعلمنا أن أخذه يصعب بتلك المحاولة ، ولنا يؤخذ بالحصار والمطاوله ، ورأينا أن نتفصل عنه لما كنا بنينا عليه من تهدين البلاد الجريدية وقبض مجايبها فاذا تم ذلك وعاد الجيش الى الحضرة عينت له

جريدة خيل يبنى فى أمرها على الاختصار (١) فتوطن على السكنى
هنالك للحصار ، فكان ذلك .

وكان الانتقال من جربة يوم الخميس السادس والعشرين لشعبان ،
فكانت مدة الإقامة بها من يوم الدخول إليها الى يوم الخروج عنها
خمسة وستين يوما .

ووصلت إلينا ونحن بها قصيدة من الوالد فى مخاطبة مخدمنا
صدر بها كتابا رأيت اثباتها هاهنا (طويل) :

على ذلك المجد الصميم سلامٌ كما فُضّ عن أذكى المسوك ختامٌ
وما زجه نشرٌ من الروض قد جرى عليه نسيم واستهل غمّامٌ
والأ كما قص الرواة حديثكم وردّد منه فى النديّ كلامٌ
فكل يوافي عنكم بمحاسن إذا كلّ عنها الشرّ ناب نظامٌ
فكم قائل قد شكّ إذ شمّ طيبه أدارين أم دارٌ لكم ومُقامٌ
فليت الصبا تهديه عني إليكم وتشدّ به فوق الفضون حمامٌ
ولنا توجّهتم وجئت ركابكم وسرّح للجُرد العناق لجامٌ
أقنا وللسلوان عنا ترحل وللشوق ما بين الضلوع تُقامٌ
فلو كانت الآمال اجنحة لنا لطرنّا وإكن لا جناح يُرامٌ

امولاي كل الناس يشكو بشوقكم ولكنني للمشتكين إمام
يذكرنيكم كل شيء رايته جميل به يُعنى وفيه يُهم
ولكنني القاه في الناس ناقصاً وفيكم زيادات له وتمام
وبي للتلاقي شوق سرب ظوامي رايين قراح الماء وهو جمام
وقد صدها عن ورده خوف صائد فهن حيام حوله وهيام
فيا ليتني ادري متى الدهر مُسْعِفي بذاك فتشفي لوءة وغرام
أجاهد اشواقني جهادك للمدى فكل يلاقي الجيش وهو عرام (١)
ولكن لك السيف المصم في الوغى وسيفي في تلك الحروب كهام
ووصلتني ونحن بها ايضاً ابيات من الاديب ابي محمد عبد الله بن
احمد الازدي العسيلي غابت عني الآن ، مطلعها : (خفيف)

يا نسيم الصبا ديوني فاقض إن بلغت الحمى وإلا فامض
فاخيته عنها بقولي

قل لبرق جلا الظلام بومض ذاهب في السرى لأرض فأرض
غير مستشر لقلبي سكوناً لا ولا لائذ لجفني بغمض
أيها البرق أنه نحو المسيلتي سلاماً تؤد أكند فرض

وَلْتُبْلَغْهُ أَتْنِي ذُو اسْتِشَاقٍ قَدْ قَضَى لِي أَلِيهِ أَنْ سَأَقْضِي
لَسْتُ أَرْضَى عَلَى الْبَعَادِ لِمَهْدٍ مَبْرَمِ الْعَقْدِ أَنَّ يُشَابَ بِتَقْضٍ
وَصْنِيعِ الْإِلَاحِ عِنْدِي سَمَا عَنْ أَنْ تَقُومَ الشِّفَاءُ مِنْهُ بِبَعْضٍ
لَمَعَ مَوْلَى فِاقِ الْبَرِيَّةِ طَوْلَا تَعَاطَى (١) الْمَنَى فِيمَطِي فِيرُضِي
أَحْرَزَ الْمَجْدِ بَيْنَ جُودِ بَعْرُضٍ مُسْتَبَاحِ الْحَمَى وَبُخْلِ بَعْرُضٍ
مَنْ أَتَاهُ يَشْكُو بَجْدٍ وَبُؤْسٍ آبٍ فِي عَيْشِهِ بِخُصْبٍ وَخَفْضٍ
رَائِدًا بَارِضَ الْجَمِيمِ لَدِيهِ وَارِدًا مِنْ حِمَامِهِ غَيْرَ بَرُضٍ
وَهُوَ يَهْدِي إِلَيْكَ مِنْهُ سَلَامَا يُنْسِكَ (٢) الْمَسْكَ عَرْفُهُ إِثْرَ قُضٍ
لَمْ يَزَلْ عَنْكَ سَائِلًا كُلَّ حِينٍ وَعُلَاهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ تَقْضِي
زَادَهُ اللَّهُ مَكْنَةً وَسَعُودَا يَأْمُرُ الدَّهْرَ كَيْفَ شَاءَ فِيمُضِي
يَا صَفِيَّيَ الَّذِي مَحَضَتْ عَلَيْهِ كُلَّ صَفْوٍ مِنَ الْوَدَادِ وَمُخْضٍ
هَآكُنَا أَقْبَلْتَ إِلَيْكَ حِيَاءَا تَرْجِي أَنْ تُعِيرَهَا لِحَظٍ مُفْضِي
وَاتَّصَلْ بِهَا نَثْرًا

ولما انتقلنا من جربة لم نخرج من المجاز الذي دخلنا
منه بل خرجنا من مجازها المعروف بساحل البر المتصل مقدار

(١) في بعض النسخ « بتعاطى »

(٢) كذا في جل النسخ ونرى بعضها « ينسى »

ثمانية اميال فى البحر اكثرها قصير تقطعه الحيل مشيا وفيه مواضع عميقة لا يمكن السابحات قطعها الا سبعا فهو مجاز خيث لا يجوزه الا عارف به متكرر عليه ، فاجتزنا نحن اولاً فى السفن وشرع الناس فى الجواز فأجازت السفن قوما وأجازت الحيل آخرين مشيا وعوما الى ان استوفى الجواز جميع الناس ، واقمنا بظاهر المجاز خمسة أيام آخرها يوم الاثنين الموفى ثلاثين من شعبان

وكان ارتحالنا غادين (١) الى قابس يوم الثلاثاء غرة شهر رمضان فنزلنا يومنا ذلك بموضع يعرف بسوانى خلف الله وهى منسوبة الى رجل من مرابطى العرب احمدي وهو من تلامذة الشيخ أبى عيسى العمورى كان ابتنى هناك مسجدا رسمه الى الان باق وأحى بنقريته ارضا مواتا فمنعه عما أراد من عمارة تلك الارض كثرة فساد حواش (٢) العربان لما يزرع بها فان العرب كثيرا ما يفصدونها ببواشيهم لانهم يقولون : أمراً باقل ترعى الابل به فى تلك الارض وأمرعه ، وحد هذا الباقل عندهم من هذه السوانى الى البحر ، والباقل عند هؤلاء العرب اسم مرعى من النبات مخصوص ، وهو فى اللغة اسم لكل موضع انتبت البقل والبقل كل نبات تخضر منه الارض ليس له أرومة ، وقد اقبل المكان رباعيا فهو باقل على غير قياس هذا هو الاكثر الشائع فيه وقد سمع فيه مبقل على القياس

(١) وفى بعض النسخ « عالدين »

(٢) كتبا فى جميع النسخ ولعل الصواب « مواشى »

ومنها يوم الاربعاء الى موضع يعرف بتجفت بفتح التاء وتشديد الجيم
وسكون الفين المعجمة وهو بسيط متسع من الارض رأينا به وبساتين
هذه المسافة آثارا قديمة ومباني مختلفة الاشكال ومصانع للبياه
مصنوعة (١) وقد سقط من كثير من تلك المباني احجار مرسومة
بخطوط ليست من خطوط اهل زماننا هذا فاني استدعيت كثيرا
من النصارى لفكها فلم يعرفوها ، وبهذا الموضع ايضا بقايا محارس
متفرقة مع ساحل البحر ليس فيها متسع الا لجلوس رجل واحد
وبالجملة فثأار هذا الموضع كثيرة ، ورسومها الى ضخامة بانيها
مشيرة .

ومنها يوم الخميس الى وادى مجسر ويعرف هذا الموضع منه
بالطواحين بالحاء المهملة وتضاف اليه فيقال طواحين مجسر وقد تقدم
ذكر هذا الوادى قبل ، وكان منزلا في هذه الخطرة متعاليا على
منزلنا الاول الى جهة الجنوب فجاء المنزل الاول بيننا وبين البحر
وهذه الطواحين مواضع هذا الوادى المنخفضة وقد ذكرنا قبل أن
ما كان منه منخفضا كان الماء فيه دائما فكابد الناس في هذا اليوم
مشقة شديدة في اجتيازه وخوض مائه ، ووجدنا بعض المرابطين قد
زرع على احد جانبيه زرعاً بلغ في ذلك الزمن ان يكون للبهائم مرعى
وقد قام عليه لينعه من الجيش مدلا برياطه فثأرت دهماً الاجناد
رعى الزرع على رعيه ، وانجلى الامر على ابطال كدح المرباط وسعيه .

وانتقلنا عنه يوم الجمعة فنزلنا بكتانة وقد تقدم ذكرها ومنها يوم السبت الى قابس وهذه خطرنا الثانية اليها فأقمنا في الاخيرة بظاهرها عشرة ايام آخرها يوم الاثنين الرابع عشر منه واستعد الاجناد فيها لدخول البلاد الجريدية حسبما كنا بنينا عليه اول السفارة فكان رحيلنا عن قابس متوجهين الى توزر يوم الثلاثاء الخامس عشر من رمضان فدخلنا في اول هذه المرحلة من ارض دباب في منازل بنى أحمد وهم بنو أحمد بن دباب بن ربيعة بن زغب وربما شاركهم في منازلهم هذه بنو يزيد .

وبنو يزيد أربعة أفخاذ من دباب تحالفت وانتسبت على مدلول الزيادة لا الى رجل متسم بيزيد وهم : الصهبة والحمارنة والخرجة والاصابة ، فأما الصهبة - بسكون الهاء - فبنو صهب بن جابر بن فائد بن رافع بن دباب ، وأما الحمارنة فبنو حمران بن جابر اخوتهم ، وأما الخرجة - بسكون الراء - فجماعة من آل سليمان بن رافع بن دباب ، اخرجهم بنو عمهم آل سالم بن رافع من أرضهم فمالوا الى مخالفة هؤلاء ، وساكنوهم بمنازلهم هذه ، وكانت أرضهم أرض مسلاتة وما قارب منها ، وأما الاصابة فهم متسبون الى رجل كانت له أصبع زائدة ودباب يطعنون عليهم نسبهم ويذكرون انهم خارجون عنهم . وحللتنا الحمة يومنا ذلك وتعرف بحمة مطماطة تفرقة بينها وبين حمة توزر المعروفة بحمة (١) البهاليل ، فرأيت مدينة حاضرة تحف بها غابة

(١) في بعض النسخ د حامة ،

نخل تحمل حملة وجميع مياه هذه البلدة شروبة وهى فى غاية
السخانة. وبسخانة مائها سميت الحمة، والحمة فى اللغة هى العين التى
بمائها سخانة، وجاء فى الحديث « مثل العالم مثل الحمة (١) »، قال
الهروى فى غريبه الحمة عين حارة يستشفى بها المرضى، وذكر أبو
بر عبيد فى كتاب الامثال أن من أمثالهم: العالم كالحة يأتيها البعداء
ويزهد فيها القرباء، ولم يزد أبو عبيد على هذا، وهو أثر وتامه:
فينا هم كذلك اذ غار ماؤها فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكنون (٢)
ويتفكنون بالنون أى يتندمون، تفكن تفكنا، وقرأ أبو حازم العكلى
فظلمت تفكنون (٣) وهو من هذا، والنسبة الى الحمة حمى، وذكر أبو
عبد الله محمد بن على المصرى فى صلة السمت أنه سمع فى ذلك
حامى بالالف وهو من شواذ النسب.

وهذه البلدة فى أكثر أوقاتها سالمة من الوباء فاذا وبئت - بفتح
الواو وان شئت ضمت - استأصلت أهلها وكانت فى ذلك أشد من
قابس، وكان عليها سور مرتفع ورأيت مواضع منه قد تهدمت ولم
يشتغل أهلها برمها فسألتهم عن ذلك فقالوا نحن لا نعتمد على سور
وانما سورنا سيوفنا فذكرت قول الشاعر (واقر):

إذا صدق الحسام ومُنْتَضِه فكل قرارة حصن حصين
وما لث العرين بذى امتناع إذا لم يحمه إلا العرين

(١) انظر النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير ج ١ - ص ٢٦٢

(٢) انظر النهاية ج ٣ - ص ٢١١

(٣) راجع الكشف ج ٢ - ص ١٥٩ - ١٦٠ (المطبعة الاميرية ١٣١٩)

وبناء داخل هذه المدينة فى غاية الارتفاع وهم يتنافسون فى ذلك
ورأيت فى قصبتها وهى موضع سكنى الزوالى آثارا تدل على
ضخامتها غير أن الحراب استولى الآن على كثير منها ، وبهذه القصة
قناة ماء يتسرب اليها من خارجها فى غاية القوة وقد بنى عليها
بيت على شكل حمام جاء فى نهاية الظرف والحسن

وبظاهر هذه البلدة كانت الواقعة للمنصور أبى يوسف يعقوب
ابن عبد المؤمن ملك المغرب على على بن اسحاق الميورقى ومن معه
من العرب والغز فى بلاد افريقية ، فتحرك الى تونس فلما وصل اليها
وجه ابن عمه يعقوب بن أبى حفص بن عبد المؤمن فى عسكر ضخيم
للقاء الميورقى فالتقوا بمقربة من قفصة فكانت لليورقى عليهم
الواقعة المعروفة بواقعة عمرة ، قتل فيها أكثر جيش المنصور ، وتحامل
من سلم من القتل فوصل الى قفصة فاستدعاهم الميورقى موهما لهم
بالامان فلما اجتمعوا أجال السيف على جميعهم ، فامتعض المنصور من
ذلك ونكب عن المشورة واستبد برأيه وتحرك من تونس واستخلف
عليها أخاه السيد أبى اسحاق ونزل رادس متلوما وقد ظهر تكاسل
الناس فعاقب أقواما على تأخرهم وتوجه ، فلما كان على فرسخين من
الحمة سرح سرية الى منزل العرب الذين مع الميورقى فشنت الفارة
عليهم واكتسحت أموالهم فقل ذلك شوكتهم ، ثم لبس المنصور
لامته وناجزهم الحرب مباشرة لها بنفسه فاستوصلت الموارقة وأفلت
على بن اسحاق وقراقوش فبعيها الموحدون سالكين سيلهما حتى

أشرفوا على توزر فوجدوهما قد توغلا في صحرائها فرجعوا عنها ،
وانصرف المنصور الى قابس فأحاط بها برا وبحرا الى أن فتحوا له
أبوابها ، وفي ذلك يقول أبو بكر بن مجبر (١) من قصيدة طويلة
(وافر) :

لقد برزت إلى هول المنايا وجوه كان حجبها اللثامُ
وما اغنت قسِّي الغرَّ عنها وليست تدفع القدر السهامُ
وهي ثابتة في ديوان شعره ، ومما قاله هو والجواري (٢) في هذه
الوقعة وثبتت القصيدة في ديوان الجواري (بسيط) :

رأى الشقاء ابن اسحاق أحق به من السعادة والمحدود محدودُ
وكيف يخطي بدنياً أو بآخرة مُخَلَّب عن طريق الرشد مطرودُ
أعمى ونور الهدى باد له وكذا من لم يساعده توفيق وتسديدُ
والسيف أبلغ فيمن ليس يردعه عن الفواية ايمـاد وتهديدُ
أولى له لو تراخى ساعة لـفد وربده وهو بالخطي مورودُ
أنحى الزمان على الاغرار (٣) واجتهدت

في قطع خضرائهم أحداثه السود

(١) وفي بعض النسخ « أبو بكر بن بحر »

(٢) وفي بعض النسخ « الجوراني »

(٣) وفي نسخة « الاغزاز »

ونازعتهم نفوس الهند أنفسهم فلم يقفهم عن الهيجاء تعزید (١)
فهم على الترب صرعى مثله عدداً ان كان يقضى بأن الترب معدود
ولوا فلا صاحب عن نفس صاحبه يغني ولا والد يرجوه مولود
يوم جدير بتعظيم الأنام له فما يقاس به في حسنه عبيد
أضحت على فضله الأيسام تحسده ان التيه الرفيع القدر محسود

ثم توجه المنصور الى قفصة فحاصرها حصاراً شديداً الى أن خرج
اليه أهلها راغبين في العفو فشارطهم على تأمين أهل البلد في
أنفسهم خاصة وتبقى أملاكهم بأيديهم على حكم الساقاة وجميع
من عندهم من الحشود والغرباء ينزلون على الحكم فوقع الاتفاق على
ذلك ، وخرج جميع من في البلاد من أهله وغيرهم حتى لم يبق فيه
الا النساء فميز أهل البلاد وأمروا بالرجوع الى بلدهم ، وبقي من كان
به من الغرباء والحشود والاجناد ، ومن جملتهم ابراهيم بن قراتكين
المعروف بسلاح دار المتقدم الذكر فتقفوا ساعة ثم جلس المنصور
بأثر صلاة الظهر بموضع جلوسه وأخذ الناس سرايتهم وأمر
بأولئك المثقفين فقيدوا اليه فأمر بذبحهم فذبحوا بين يديه أجمعين
لم يفلت أحد منهم ، وكان الاعشى الفهمى حاضراً وهو نحوى فاضل
كان الخليفة يعينه لقراءة اولاده القرآن ، فطلب أن يسمح له بشخص

منهم يتولى ذبحه بيده فأجابه الخليفة الى ذلك ولما أضجع له طلب
يسيرا من الملح والصعتر كما يفعله العامة بالضحايا فأضحك بهذا
الفعل المبكى جميع من حضر ، وأمر المنصور بهدم سور قفصة
وقسمه على جميع من بالمحلة فأعادوه فى مدة يومين أثرا بعد عين ،
وفى هذه الحطرة هلك أكثر نخيل قفصة اذ كان المنصور قد آلى
أيام حصارها لها أن يقطع كل يوم ألف نخلة وفى هذا الفتح يقول
أبو بكر بن مجبر أيضا (بسيط) :

ما غرَّ قفصة إلاَّ أنَّها جُرمَت فلم يكن عند أهل الحلم تشريبُ
ما بالها زار آمنُ الله حوزَ تَهَا فلم يكن عندها أهل وترحيبُ
تلك البغى التي خانت فحاق بها وبالزناة بها رجم وتغريبُ
قد فُضَّ شملهم عنها وقد نعت بها من الحين غريبان غرابيبُ
أما يرد سليمان ما يباشره وفيه للنفس ترغيب وترهيبُ
هذي أعاديه قد صارت مقسمة على البلياء فمقتول ومسلوبُ

فنزّلنا بخارج الحمة كما تقدم وأقمنا هنالك ستة أيام آخرها يوم
الاحد العشرون من شهر التاريخ ، وصليت فى أثنائها صلاة الجمعة
بجامعها وهو جامع حسن ظاهر البركة والخير ، ورصل الى ونحن بها
كتب من الشيخ الاديب الفاضل أبى زيد عبد الرحمان بن أبى
القاسم بن نزار السهمى وكنت كلفت بعض من كتبت له بتبليغ

السلام اليه فكانت في كتاب الشيخ (١) أبي زيد هذه الايات
(كامل) :

وصلت تحية نازح بوساطة فكانها نشر الرياض مع الصبا
وكأنما يهدي النسيم من الشذى منها ثناؤك (٢) الاطيبا
وكان عبد الله إذ حيى بها عيسى بغير نبوة لكن نبأ
فعليه مني ردّها لو أنني جيت القفار به لكان الأوجبا
فكتبت اليه جوابا عنها :

أحملت عرف المسك يا ربيع الصبا أم ساق نشرك لي حديثا طيبا
فلقد أعاد الروح رَوْحًا أذسرى من بعد ما قد قاربت أن تذهبًا
هي تحفة وقت بنوسهم بها سهمي وأولوني الحباء المُخسبًا
دعت الحياة فأقبلت منقادة واستدنت الأمل القصي فأكتبًا
وأنت إلى وقد حوى إيضاحها جُملاً أعادت لي السرور مقرّبًا
يا ماجدا أعددت لي سيّدا وأعدّه كبراً وإجلالا أبا
هاك السلام على النوى من ذا كر لك بالجميل مشرقاً ومغربًا
واصحب أبا زيد جديد سعادة تشني الابتي من المطالب مصعبًا

(١) في نسخة «تبليغ السلام اليه مصرحا فرد الى سلامي في كتاب الشيخ الخ ،

(٢) بياض في جميع النسخ التي بأيدينا

وارتحلنا عن الحمة يوم الاثنين الحادى والعشرين متوجهين الى
نقراوة فزلنا يومنا ذلك بمنزل يعرف (١) بمجزم وهى قرية كبيرة
وعليها غابة نخل ممتدة وبها قصور ومنازل ضخمة بالنسبة الى مباني
البادية ، ووجد الاجناد أهلها قد فروا عنها جلاء وتركوها خلاء
فانطلقت أيديهم بالعيث فى ربوعها والرعى لزروعها وكثيرا ما
كانوا يحتفرون أرضا فيجدون أهلها قد أودعوا هنالك ما صعب
عليهم نقله ، وأنقلهم من الاثاث حملة ، فأذهبوا بالافساد رسمها ،
ولم يبقوا منها فى الحقيقة الا اسمها .

ومنها يوم الثلاثاء الى منزلة تعرف بعيون رحال وهى قفرة تنبع
بها عينان نضاختان ، والى جانبها نخيلات يسيرة ، وفى مرحلتنا هذه
فارقنا أرض بنى أحمد ودخلنا فى أرض زعب ، وزعب قبيلة تنسب
الى زعب الاصفر ابن زعب الاكبر بن جرو بن مالك يجتمعون مع
دباب ، فى هذا المعنى يقول الدبابيون ان زعبا منهم يريدون هذا
القرب الذى بينهم فى النسب ، وقد تبين من كلامنا هذا ومما تقدم
أن زعبا الاكبر ولد ولدين زعبا الاصفر وربيعة أبا دباب ، فدباب على
هذا هو ابن أخى زعب الاصفر واذا تداعى الزعيون بزعب فانما يعنون
به الاصفر ولو عنوا الاكبر لدخلت معهم فى ذلك دباب ولكانت
دباب من زعب ، والاشهر فى الزاى منه الضم وضبطها الاجدابی (٢)

(١) فى بعض النسخ « بقرية تعرف »
(٢) هو ابو اسحاق ابراهيم بن اسماعيل الاجدابی صاحب كفاية المتحفظ ونهاية التلطف
ذكره السيوطى فى بغية الوعاة ص ١٧٨

بالكسر وكذا سمعت الفصحاء من أعراب زماننا ينطقون به ، وكذا ذكر الرشاطى هذا النسب فى كتابه : قال هو منسوب الى زعب بزاي مكسورة وعين مهملة قال الامير ابن ماكولا فى الاكمال : له الى اليوم منهم خلق بالحجاز زعييون ولهم غفارة فى طريق مكة ومنها يوم الاربعاء الى طرة احدى قاعدتى بلاد نفزاوة وهما طرة وبشرى ، فرأيت بلدا بلا اسم وقرية بلا معنى وهى مخوفة بالنخيل وبها التمر المفضل على جميع البلاد وليس فيها ما ينظر اليه على الجملة غير العين المعروفة بعين طرة فان لها بركة ماء متسعة حسنة المنظر ، شارحة للنفس ، تدخل البهائم اليها عند الشرب الى حد معلوم لا تتجاوزه وان جاوزته غابت فى مغايض (١) لا قعر لها ، ويذكرون أن لها فى كل عام رجلا تقتله لابد لها من ذلك وأكثر ما يكون ذلك فى الغرباء ، ومن ماء هذه العين يكتسب صبغ بلاد نفزاوة عند الفسل ما يظهر عليه من الرونق والطلاوة ، وبقرية من هذه العين قصبة البلد حيث كانت الولاية وقد أعادها الحراب دكا فلم يبق منها غير سورها المحيط بها ، وبخارج هذه البلدة نخيل منفرد يدعى بنخيل فرعون يعتقد جميع أهل ذلك الموضع أنه غرسه فرعون وهو غير مستملك ، وتمره مباح لمن اجتاز به من الغرباء ومن الغرائب ما اختصت به هذه البلدة من شدة عصف الريح واتصال ذلك غير مختص بفصل من فصول العام ، وهم يسمون

(١) فى بعض النسخ « مغايض »

ذلك الى طلسم كان مدفونا بها وأن بعضهم أخرجه وكسره فكان
بسبب ذلك عندهم دوام الريح هنالك ، ويزعم أهل نفزاوة ان
الرياح انما يشتد عصفها ببلدهم عند نزول الجيوش عليها ، ويعدون
ذلك من جملة الرفق بهم لان الجيوش تسرع الارتحال بسبب
ذلك عنهم

ونفزاوة اسم نقل الى الموضع من اسم القبيلة التي سكنت به في
اول الدهر ، وهم بنو نفزاو بن الاكبر بن بر بن قيس عيلان بن
الياس بن مضر بن نزار ، قال الشريف في كتابه المؤلف للجار (١) :
ومن ولد نفزاو هذا جالوت الذي قتله داود عليه السلام واسم
جالوت ضريس وهو ضريس بن الاصفر بن نفزاو ، ومن نفزاو
تفرعت زنانة كلها وهم في الاصل عرب ، وانما تبربروا بمجاورتهم
للبربر من المصاميد ومخالطتهم لهم ، وقد اختلف حفظ الشيوخ في
لفظ نفزاوة فبعضهم ينصبون النون منها وبعضهم يكسرها

ومن المتسبين الى طرة هذه الشيخ : أبو يعقوب الطرى صاحب
الرسالة التي أولها : « الحكمة صناعة نظرية يستفيد منها الانسان
تحصيل ما عليه الوجود في نفسه ، قسم فيها مدلولات لفظ العقل
ومراتبه تقسيما أخذ جله من كلام الامام أبي حامد الغزالي رحمه
الله تعالى ، فوقف على رسالته الشيخ أبو علي النفطي رحمه الله تعالى

فخطبه بالرسالة التي أولها : ، ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم
لذكر الله وما نزل من الحق (طويل) :

أما آن من صبح الرشاد نفس وحتّى متى ليل الظلام ممسّس
تراني أرى فجر الهدى متعرّضا فيززع للترحال صبّ مُعَرِّسُ
وما حذري إلاّ شعوبٌ مفيرة وملاح اصباح ولاشيط حنّيسُ
من شيان الابله الى الجبر أبى يعقوب : أما بعد فان كتابك ورد
مشتلا على ماهية العقل وحقيقته وقد ألفيته وافيا بمقصودك ، غير
واف بمقصودي ، ولست ممن قنع عن الدر بالصدف ، واقتنى علوما
لم يؤمر بها شرعا فاستغرقت فيها همهته حتى نزلت (١) به قدم
الغرور في مهواة من التلف ، وكل ما تذروه رياح الموت فالهمة
تقتضي تركه ، وقد استشهدت بالحديث في النظر في الاسباب
والترقي منها الى مسببها فالامر كما ذكرت لكن ليست أسبابا هي
ظلمات ثلاث بل هي أسباب نورية يستدل بها على منورها ، فمعرفة
النفس مقام محمود وهو مقام المقربين الذين يمزج من شراهم
الصرف لاصحاب اليمين ، فالمقرب من عرف نفسه موحدا لربه ،
وها هنا نظر لا يسلم منه الا من سلم من رعونات البشر والحظوظ
النفسانية ، ويمكن الارتفاع الى من عرف نفسه موحدا لربه ، وقد من
الله سبحانه بعلوم جليلة ربانية محمدية يعضدهما الشرع ، ويشهد لها

(١) كذا في النسخ ولعل الصواب « نزلت » .

العقل السليم الجامع بين الاصل والفرع ، كالجمع والافتراق ،
وخرق السبع الطباق ، وحقيقة البرزخين ، وما اشتملت عليه أرحام
الانثيين ، والترقى من الاين الى حيث لا أين ، وكيفية الارواح
والاشباح ، وسكون الليل وانفلاق الصباح ، واختلاف اللسان
والاصوات ، ومنطق كل شئ وعجائب الايات ، الى غير ذلك مما
لم يلف قط مسطورا ، وقد اضمحل الوجود وبطل دعواه ، وبرز
المكنون على كل شئ ، كلا بل هو الله ، وأعرب بلسان ناطق فصيح
غمزا أو رمزا ، هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ،
(كامل) :

بل لو ترانا والاحبة يننا لرأيت غزلانا تصيد ساعا
بل لو ترى تلك البقاع وحسنا لظلمت بالحسن البديع مراعا

كذا وقع مراعا وفعله ثلاثي فانما هو مروع :

حبي طباع واصطباري كلفة وأرى التكلف لا يزيل طباعا

وكثيرا ما يشير الى مطالعة كتب حرم الوقوف عليها عقلا وشرعا
ولنا في رسول الله أسوة حسنة ، من يطعم الرسول فقد أطاع الله
وكفى بهذا جمعا ، والحنيفية السمحة قد أشرق سراجها وغر نورها
وقهر سلطانها كل أشوس عاتى القلب ليس له تحقيق أهل الوصول ،
ولا تدقيق أهل الاصول ، الهمج الرعاع ، الذين هم لكل ناعق اتباع ،
قد أوثق النى عقولهم قهم في ربيهم يترددون ، آفتى معرفتى ، أرى الشر

من ذوى النباهة قريبا ، وكانى بسيدى يقول شب عمرو عن الطوق ،
وما أحوجه فى حقيقة الشرع وحالة التصوف الى شىء من الذوق ،
وأعلم أنه لا تظهر حالة حسنة الا بملازمة أصل صحيح ، فان كنت
ممن أراد الاخرة وسعى لها سعيها وأتاب الى الله بقلب سليم فما أنا
أقبل قديمك ، متبع ما يوحى اليك ، والا فاطرو عنى طومار الهذيان
ولا تقعقع لى بالشنان ، « يا أبت انى قد جاءنى من العلم ما لم ياتك
فاتبعنى أهدك صراطا سويا ، يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان
كان للرحمن عصيا ، يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من
الرحمن فتكون للشيطان وليا ، قال سلام عليك سأستغفر لك ربى
انه كان بى حفيا ، (طويل) :

ولما استبان الصبح أدرج ضوءه^١ بأنواره أنوار ضوء الكواكب

أشرق فى الليل نور بهجته ولاح ، حتى أظفأ بشماعة كل مصباح
(بسيط)

مازلت انكر أيتامى وأعرفها حتى استبان فلابيض ولا سود^٢
وجال بى فى بحار الكشف مخبطا لا الكشف كشف (١) ولا الابداد تبعيد

جعلنا الله واياكم من الموحدين المتبعين ، ولا جعلنا من الملحدين
المتبعين ، وما كان لنا أن نأتىكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله
فليتوكل المؤمنون ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ،

(١) فى بعض النسخ ، لا القرب قرب ،

وفى مياومة الفاضل اليسانى مما يتعلق بذكر طرة قال : « وفى هذه السنة يعنى سنة ست وثمانين وخمسمائة وصل الخبر بأن الميورقى حصر ياقوتا نائب قراقوش فى طرة حتى أخذه وأخذ من الغز الذين كانوا معه مائة فارس أضافهم الى جنده فأطبقت على طاعته العربان واستولى على بلاد الجريد » انتهى كلام الفاضل

وفى فصل من تاريخ ابن نخيل قال : « ولما وصل الناصر الى افريقية فى سنة احدى وستمئة خرج الميورقى من تونس ووصل بعسكره الى القيروان فاقام بها أياما ثم انتقل منها الى قفصة ومن قفصة الى جبل دمر ، وفى خلال تنقله الى تلك الجهات بلغه عن أهل طرة من اقليم نفزاوة ما غيرد عليهم فوصل اليها وقتلها حتى افتتحها ثم أطلق الجند عليها فقتلوا الرجال وانتهبوا الاموال واقترعوا الابكار ، وأخربوا المنازل والديار ، ووجد الميورقى بها رجلين من اجناد الموحدين كانا قاطنين بها منذ زمان ف ضرب رقابهما صبرا وترك طرة خاوية على عروشها وخرج من سلم من أهلها فتفرقوا فى بلاد نفزاوة ، انتهى كلام ابن نخيل

ويوم حلولنا بطرة رفع شاعر نفزاوة المستقل برسم الادب فيها أبو بكر بن فتح النمارى النفزاوى لمخدومنا قصيدة مطولة يمدحه بها وكتب الى بهذه الابيات (سريع) :

يا أيها السيد والمستفاد جوهرة أحسد فيها العباد

خاطبت ذاك المجد أثناء ما رفعت للنولى الأجل المعاد
 وإن علي أنه صائر اليك تقريراً عن الاعتقاد
 لوجد قصاري عن رائد (١) خشيّة تنقيل الكلام المعاد
 فقم بمذري وانتشق مسكة تسلم يعتد منك المعاد (٢)
 منتظراً عنه الجواب البذي أنا الثرى وهو انسكاب المعاد
 مسافراً منه تزودت من رضا زاداً ماله من نقاد
 وأنت زوّدتني مقيماً فلي من فضل سمي صالح خير زاد
 زادان ذا يغني لأدنى مدى وذاك يبقى ذخرة للمعاد
 ودم لعين الأدب المتقوى قرير عين قرّة في السواد
 ولما ناولنيها رسوله ارتجلت له في الحال :

يانسمة الروض سقته المعاد صوب حيا روى الربى والبوهاد
 وحدقت أزهاره أعيننا مرادها رؤية ذاك المراد
 أنهى الى على ابن فتح اذا بلفته عني السلام المعاد
 قولي لمن أفردت عليه مني بود صادق واعتق المعاد
 ان لم تكن قبل اجتماعنا فقد رآته قبل العين عين الفؤاد

(١) كذا في النسخ التي بأيدينا

(٢) كذا في نسخة وفي سائر النسخ بياض

وَجْهَ نَحْوِي رُقْمَةً بَرَّةً قَدْ نُظِّمْتُ نَظْمًا يَهْزُ الْجَمَادُ
نَظْمٌ بَدِيعُ اللَّفْظِ مُسْتَحْكَمُ الْمَعْنَى شَدِيدُ الْأُسِّ سَهْلُ الْقِيَادِ
قَرَّرَ فِيهِ بَيْنَنَا ذِمَّةً بَاقِيَةَ الرَّسْمِ لِيَوْمِ التَّنَادِ
فَتَقَ بُوْدٌ مِنْ أَخٍ مُخْلِصٍ يَرَاكَ أَسْنَى صَاحِبِ مُسْتَفَادِ
وَهَاكُمَا مِنْ شَاعِرٍ لَمْ يَزَلْ يَهِيمُ مِنْ حَبِّكَ فِي كُلِّ وَادِ
مُسْتَغْلٍ الْخَاطِرُ قَدْ قَسَمْتُ أَفْكَارَهُ أَيْدِي النَّوَى وَالْإِمَادِ
مَا يَنْ تَخَانُ إِلَى مَوْطِنٍ قَدْ طَوَّحْتَنِي عَنْ ذِرَاهِ الْبِلَادِ
وَقَرَطِ وَجَدَ بَأْنَانَ بِهِ مُحَضَّتُهُمْ مَنِّي صَرِيحُ الْوَدَادِ
وَأَبْقَى مَدَى الْأَيَّامِ فِي عِزَّةٍ وَأَنْعَمَ لَيْسَ لَهَا مِنْ تَفَادِ
مَا غَرَّدَتْ وَرَقَاءُ فِي أَيْكَةٍ وَهَزَّتْ الرِّيحُ قَضِيْبًا فَمَادِ
وَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ جَوَابِي رَجَعَ إِلَى بَقُولِهِ :

أَرَا حَةَ غَيْبِ أَلِيمِ الْعَمَانَا أَمْ سِنَةٌ مِنْ بَعْدِ طَوْلِ السَّهَادِ
أَمْ فَجَاءَ الْبُوصْلُ عَقِيبَ الْجَفَا أَمْ مُسْتَطَابُ الرِّيِّ بَعْدَ الْعَرَادِ
أَمْ رُقْمَةٌ مَنَّنَ بِهَا سَيِّدُ طَابَتْ بِهَا الْأَذْكَارُ فِي كُلِّ نَائِدِ
أَشَقَّرَنِي الْبُشْرَى وَحَسْبِي بِمَا قَرَّرَ مِنْ وَدٍّ وَحَسَنَ اعْتِقَادِ
أَيَّتَهَا النَّفْسُ اتَّكَالًا عَلَى مَنْ رَفَعَ السَّبْعَ الطَّبَاقَ الشَّدَادِ

وفعل مؤلى شد ركن العلى مطر زاً أعلامها بالجهاد
 أيده الله بأيده له فقل العوالي والسيوف الحداد
 وأنت يا أفضل من يرتجى لفضل سمي صالح مستفاد
 داركك الله بالطوافه مقرباً شملك بعد البهاد
 صابِر. لك الخير. ضروب النوى واقطع مسافات الربى والوهاد
 فمن قليل سوف تُلقي الألى مخضتهم منك صريح الوداد
 قرير عين بالذي شئت من قرب وساد بعد (١) طول السهاد
 وفضل نَمى بُزدها سابع ما انهل قطر فوق قطر وجاد
 وصل صلاة الله للمصطفى خير شفيع ضامن الخلدها
 وقد تعرض فى قصيدته التى رفع لمخدومنا الى ذكرى فقال فى
 فصل منها (كامل) :

هذا انتصاب البدخفة ناقد أوذي معارف يستطيل ياني
 لاسيما ولديك جهيد نقدها والوبل من نجاجها التيجاني
 الفاضل الفطن المجلي في المدى والاحصل المختار خصل رهان
 بأبي محمد استقل رواؤها وشفى الروى منها صدى الظمان
 غواص لجتها ومخرج ما بها من لؤلؤ رطب ومن مرجان

ومقلد الاجيادِ كلَّ سِيَّةٍ أَزْبَت على الياقوت والعقيان
ولربما أهدى إِلَيَّ جميل ما منه بظهر الغيب قد أولاني
فلما جملن منّا غاني شكره وأسجلن فيه هموم غاني
وأعوذ من باع ذوي قريحة خمدت بحكم طوارق الأزمان
ولما رأى ما لجوابي المتقدم من الحين الى الوطن ، والتشوق الى
المسكن والسكن ، كتب الى بهذه الارجوزة المزدوجة مداعبا ومنبها
على حسن التوسط له (رجز) :

إِزْبَا بِنَفْسٍ حُرَّةٍ عَنْ ذِكْرٍ مَا يَبْلِلُ الْبَالُ لِسُكَّانِ الْحِمَى
وَعُدَّ عَنْ رَقَّةٍ طَبَعَ عُذْرِي فَمَا لَذِي عَقْلٍ بِهِ مِنْ عُدْرٍ
وَأِنَّمَا الْإِنْسَانُ بِالشَّهَامَةِ قُدِّمَ بِهَا حَفَّتْ بِكَ الْكِرَامِ
وَاحْتَمَلَ الْقَسْوَةَ وَالْيَسَادَ وَأَهْنَاهَا مَا دَمَتْ فِي نَقَرَاوِهِ
طَبَعَ الْمِيَاءُ وَالسَّهْوَاءُ وَالْبَلَدُ لُذَّ عَائِذًا بِقَلِّ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ
إِنْ هِيَ إِلَّا سَفَرَةٌ تُسْفِرُ عَنْ حَسَنِ عَقْبِي مَعَ وَفَرٍ يَفْرُ
لَوْ بَمَتَ فِي اثْنَائِهَا دِيَاكَا وَأَنْتَ ذُو مَلِكٍ وَمَا أَدْرَاكَا
بِجِلْسَةٍ بَيْنَ يَدَيِ عِمَادٍ وَقِيَّتَ فِيهَا أَعْيُنَ الْحُسَّادِ
وَنَظْرَةَ لَوَجْهِهِ مُشْتَقَّةٍ مِنْ نَضْرَةِ النِّعَمِ فَاعْلَمْ وَافَقَهُ

كنتَ على ما بمت منه راجحاً فاضمنم على يقينك الجوانحاً
زهر الجوم حاسداتٍ موضعتٍ إي والذي بفضلِه قد رفعك
وأنت بالتمييز جِدَّ عالم بين الذي رأيت من عوالم
فاحكم بمقل راجح وفهم تجذك فزت بأجل سـم
فالشكر يزدك الله من إكرامه والحسب المرضي من إمامه
بأفضل الخـمـلة والمراتب اضحى لك الخير ويُننُ راتب
صابر على التأويب والإدلاج ودائم الإلجام والإسراج
واقطع مداها ففدفا ففدفا واضع لحاد في مراعيها حدا
واشرب زلالا لا زُعاقا آسن وعدٍ عن تعيق كل ماجن
كذاك حتى تُبصر المعالما من دار ترشيش صيحجا سالما
كَبُرَ هناك ساجدا لله سجود عبد حامد أوّاه
واستقبل الأعراس والأفراحا وعاطٍ من تهواهم الأقداحا
قريـر عـين باجتماع الشمـل وأنس النوى بعد بطيب الوصل (١)
يا أسعد المولى العماد المحسن كهف بني الدنيا وحيد الزمن
أدام ذو العرش له السمودا وأرغم الشائشي والحسودا

وخصَّ كلاً منه بالإنعام ما سبَّح الرعد من الغمام
إليه (١) أخا الفضل الميم ذكّر مقامهم بعبدهم وقَرَّرَ
فإنه يرتقب الوعود مؤملاً جودهم المتبدياً
عساهم أن يجبروا الكسيرا كان إليه لهم نصيراً
وأفضل الصلاة والتسليم على النبي المصطفى الكريم
وهذا الفقيه أبوبكر بن فتح له من الأدب ولطافة الشعر ما تراه
وهو ممن يستغرب وجوده في مثل تلك البقاع وله التقدم في حسن
الخط وهو انفراد فيه بطريقة اخترعها لم تعرف قط في أنواع الخط
المعدودة، وبرع فيها في وقتنا هذا جماعة من أهل الجريد أخذوها عنه
وسياتي لهذا الرجل ذكر بعد هذا إن شاء الله تعالى

فأقمنا بطرة يوم حلولنا بها، ويومين بعده، وارتحلنا عنها يوم
السبت الحادي والعشرين منه فحللنا بظاهر بشرى (٢) وهي القاعدة
الثانية من إقليم نفزاوة وبين طرة اثنا عشر ميلاً أو نحوها
اجتزنا فيها قرى كثيرة منها قرية تعرف بـ كليكل وقرية تعرف بـ ياسك
وقرية تعرف بـ بنى يوسف وقرى سواها، ودخلت إلى بشرى فرأيت
قرية أضخم من جميع ما قبلها من قرى نفزاوة وبخارجها عين
تعرف بعين تاورغا أعظم اتساعاً من عين طرة وأقوى ماء إلا أن في

(١) في بعض النسخ «إيها»

(٢) ينطق اسمها اليوم بتشديد الشين بعد باء مكسورة

تلك حسنا ليس في هذه ، وبها سفرجل قل في جميع البقاع ما
يئاظره أو يقرب منه طيب طعم وضخامة جرم وكثرة ماء وخلوص
صفاء ، وليس يشبهه الا السفرجل الموجود بتاجورة من قرى طرابلس ،
وحدث عندهم في وقتنا هذا صنف من اصناف الكمثرى بديع
الشكل شهى الاكل قلما يوجد مثله طيبا وهم يضيفون الى الطير
جنسه ، اذ لم يتول احد منهم بتلك البلدة غرسه ، فاقمنا بها بقية شهر
رمضان واستهل شهر شوال يالاربعا فاصبحنا يوم عيد الفطر ففقدونا
الى المصلى ووصل خطيب البلد فصلى ثم اخذ في الخطبة فلم أر رجلا
افصح منه ولم اسمع ايضا مثل الخطبة التى خطب بها وكنت اتخيل
انها من انشاء ابى بكر بن فتح المتقدم الذكر فاخبرت انها من انشاء
بعض أهل توزر وسالت عن الخطيب فقيل هو ابو عبد الله محمد بن
حيون من اهل نفاوة .

واصبحنا يوم الخميس متوجهين الى توزر فارتحلنا عن نفاوة ظهرا
مقربين لمرحلتنا من الغد وشرعنا فى اول السبخة المعروفة بتاكمرت
فقططنا سيرا منها وبتنا هناك على عين ماء فلما كان ثلث الليل الاخير
ارتحلنا واخذنا فى اجتياز هذه السبخة فلم نزل نقطعها سرى وسيرا
الى الزوال من الغد وهو يوم الجمعة ، ووجدنا فيها معالم قائمة من
جدوع النخل تمنع السالك من الخروج عن طريقها السلوك يمينا
وشمالا لان ما على يمينها وشمالها من الارض مفانض لا تثبت عليها

قدم ولا يسلكها احد جاهل بها الا غاص فيها ، قال البكرى فى المسالك (١) : وقد هلكت فيها الجماعات والعساكر ممن دخلها ولم يدر امرها ، ثم كلامه . واذا غاص فيها احد التأمت الارض فى الحين وعادت كما كانت

واخبر مخدومنا قال : اخبرنى محمد بن ابراهيم بن جامع المرداسى قال سلكتها قافلة لنا فيها الف جمل فند بعير منها عن الطريق وتبعه باقى الابل فلم يكن أسرع من ان ساخت فى الارض وغاص فيها الف جمل ثم عادت الارض كما كانت وكان لم يكن لتلك الابل اثر ، وذكر ابو الحجاج مسير يوسف بن المنصور الى توزر فقال : وتمادى به السير الى الملاحة المجاورة لتوزر وهى من غرائب الدنيا التى اغفلها المؤرخون ، واهمل وصفها الاخباريون ، فانها اميال فى أميال سطحا واحدا كاللجين المسبوك ، او المرمر المحكوك ، يكاد ينفذه البصر لصفائه ، وكأنما هو غدير جمد بمائه ، قال : وأن وقت صلاة الصبح والناس يشنون فيها فصلوا منها على بساط من الكافور او سطح من البلور ، قال : ولما تمادى المشى فى هذه السبخة الى وسط النهار ، وتوالى عليها تكرار الحافر وتردد الاثار ، تخرق منها نحو مائة ذراع فيما يقرب من البر فكل ما تخلف من الحمولة والاثقال ابتلغته وساخت الجمال باحمالها فما اخرجت الا اشلاء بعد نحرها حيث ساخت فهلك بذلك جملة من الزائلة ، ورزح الظهر وذهب اكثر الحمولة . واما

انا فشاهدت الرجل يدفع سافلة الرمح فى الارض ويعتمد عليه الى
عاليته ولو ازداد دفعا لازداد نزولا فاذا جذبته عادت الارض الى
حالتها الاولى، ووجدنا كثيرا من تلك المعالم قد سقطت وابعده الريح
عن مكانه وتحت كثير منها عظام هنالك من الناس والى جانب
عمود منها امرأة قد ضمت يدها على طفلة فماتتا معا ويذكرون انها
غاضبت زوجها بنفزاوة وحلفت ان لا تبيت يوما ذلك الا بتوزر، او
غاضبته بتوزر وحلفت ان لا تبيت الا بنفزاوة وخرجت من حينها
هى وابنتها فماتتا فى طريقهما .

ومن العجب ان هذه السبخة لا يمكن ان يشرب بها ماء عذب فان
الماء اذا استصحب فيها عاد بهوائها ملحا اجاجا على طبعها ، وقد
أحسن من قال وانشد فيه لنفسه الفقيه الفاضل ابو ابراهيم بن
حسينة يصف هذه السبخة وما لقيناه فى قطعها (وافر) :

فطعنا التاكمرت سُرَى وسِرنا صِيحَةً يَوْمَنا حَتَّى الزوالِ
فَلَا تَسْأَلْ لِمَا قَالِيتَ فِيهِ مِنْ الْاَهْوالِ وَالْكُربِ الثَّقَالِ
غَـاءَ لَيْسَ يَشْبِهُهُ غَـاءَ يَضِيقُ لَدِيهِ مَتَسَعُ الْمَقَالِ
وَلَيْلٌ لَا تَسِيرُ بِهِ نَجُومٌ كَأَنَّ نَيْطَ إِلَى بَعْضِ الْجِبَالِ
وَأَرْياحُ تَصْمُ الْاِذْنَ مِنْهَا تَهَبُّ عَنِ الْيَمِينِ مَعَ الشِّمالِ
نَصَدَّ عَنْ طَرِيقِ الْقَصْدِ قَصْدِي وَتَضْرِبُ حُرُوجَهِى بِالرَّمالِ

ولا أنْطِيع فتح العين فيها لبعض الامر إلا باحتيال
وأجهد في دفاع النوم عني لخوفي من سقوط أو ضلال
وما زلنا نكابد في سُرانا مهالك لا تُقَابِل بِالْمِحَالِ
إلى أنْ لاحت الغابات ظُهوراً بظاهر توزر مثل الخيال
فهنأ بعضنا بعضاً سروراً ولننا راحة بعد الكلال
فلما وصلت الى توزر رأيت بلداً خارجة يجمع الحسن ويستوفيه ،
وداخله يصدق ما قال ابن زنون فيه ، وأشعار أبي عبد الله محمد
ابن زنون أشهر من ان تذكر .

وتوزر هي قاعدة البلاد الجريدية وليس في بلاد الجريد غابة أكبر
منها ولا أكثر مياها ، وأصل مياهاها من عيون تنبع من الرمل
وتجتمع خارج البلد في وادٍ متسع وتشعب منه جداول كثيرة ،
وتتفرع عن كل جدول منها مذانب يقسمونها بينهم على أملاك لهم
مقررة مقاسم من المياد معروفة ، ولهم على قسمها أمناء من ذوى
الصلاح فيهم يقسمونها على الساعات من النهار والليل بحساب لهم
في ذلك معروف ، وأمر مقرر مألوف ، وعلى ذلك الماء أرجاء
كثيرة منصوبة ، ومن العجب أن هذا الوادى يحتل ما يحتل من
غناء أو غيره فاذا انتهى الى المقسم افترق هنالك أجزاء بالسوية على
عدد المسارب فمضى كل قسم منها الى مسرب منها ، وهذا ما

شاهدته فيها عيانا. وكثير من أهلها انما يسكنون بغابتها ولا مناسبة
بين مباني الغابة ومباني داخل البلد فان مباني الغابة اضخم وأحسن .
وبداخل البلد جامعان للخطبة وحمام واحد ومتفرجهم بموضع
يعرفونه بباب المنشر وهو من أحسن المتفرجات لان مجتمع الماء
هنالك ومنه يتفرع كما تقدم ، ويجتمع به القصارون فينشرون هنالك
من الثياب الملونة والامتعة الموشية ما يعمه على كبره فيخيل للناظر
أنه روض تفتحت أزهاره ، واطردت أنهاره ، وليس بتوزر أحسن
من هذا الموضع وهو خارج عن غابتها ، والغابة ملاصقة لسور المدينة
فهى بذلك تمت حصاتها ، وقد وصفها بعض شعرائها فقال من
قصيدة طويلة رتبها على حسب ما اخترت منها : (كامل) :

زُرْ تَوَزْرًا إِن شِئْتَ رَوْضَةً (١) جَنَّةً

تَجْرِي بِهَا مِنْ تَحْتِ الْأَنْهَارِ

نَهْرٌ عَلَى رَمْلٍ يَسِيرُ كَأَنَّهُ رَوْضٌ يُمَارُ عَلَى النَّضَارِ (٢)
أَبًا وَفَاكِهِ حَوَاتٍ وَحَدَائِقًا غُلْبًا تَفَرَّدَ فَوْقَهَا الْأَطْيَارُ
جَنَاتُهَا مِثْلَ الْجَنَانِ فَأَرْضُهَا مَسْكٌ وَنَشْرٌ تَسِيْمُهَا مِعْطَارُ
دُوحٌ يَرْفُ وَنَظَرٌ يَسْبِي النُّهَى وَبُرُودٌ رَوْضٌ وَشَيْهَاتُ الْأَزْهَارِ
وَمَذَانِبٌ مِثْلَ الْقَوَاضِبِ جُرْدَتْ خَلَّتْ عَلَيْهَا لَوْنُهَا الْأَشْجَارُ

(١) فى بعض النسخ « رَوْيَّة »

(٢) فى بعض النسخ « رَوْقَةٌ تَمَارُ عَلَى النَّضَارِ تَمَار »

وتناثرت مثل الدراهم فوقها أنوارها ففضا عفت أنوارُ
وَإِذَا يَهَبُ نَيْسُهَا ذَاعَتْ بِهِ مِنْ نَشْرِ أَزْهَارٍ لَهَا أَسْرَارُ
وَالنَّخْلُ مِثْلُ عِرَاشٍ مَجْلُوءَ تُبْدِي بَدِيعَ حَلِيِّهَا الْأَطْوَارُ
وَإِذَا هَزَزْتَ بَجْدَعَهُنَّ تَسَاقَطَتْ زُطَبًا جَنِيًّا ثَرَهُنَّ نُثَارُ
قُطِرَ مِنَ الْأَقْطَارِ أَشْرَقَ حَسَنُهُ فَكَأَنَّمَا اللَّيْلُ الْبَهِيمُ نَهَارُ
كَمْ فِيهِ مِنْ مَعْنَى جَمِيلٍ رَائِقٍ تَصُوبُ لِرُؤْيَا حَسَنِهِ الْأَبْصَارُ
كَمَلَتْ مَحَاسِنُهُ وَطَابَ حَدِيثُهُ فَبِذِكْرِهِ تَتَزَيَّنُ الْأَسْمَارُ
يَا أَيُّهَا الثَّائِي بِهِ مِنْ أَهْلِهِ أَوْ غَيْرِهِمْ مَتَى حَوْتُهُ الدَّارُ
لَا تَصْبُونُ إِلَى سِوَاهُ فَإِنَّهُ لِلدِّينِ وَالْدُنْيَا هَدًى وَمَنَارُ
هِيَ (١) جَنَّةٌ قَدْ أَصْبَحَتْ مَخْفُوفَةً بِمَكَارِهِ هِيَ لِلْقُلُوبِ سُمَارُ
يَا جَنَّةَ لَوْلَا شَوَائِبُ صَفْوَاهَا تَمَّ النِّعَمُ بِهَا وَعَزَّ الْجَارُ
أَيَّامُنَا مَصْقُولَةً اطْرَافُهَا بِكَ وَالْإِيَالِي كُلُّهَا أَسْحَارُ

وأهل توزر من بقايا الروم الذين كانوا بإفريقية قبل الفتح
الإسلامي وكذلك أكثر بلاد الجريد لأنهم في حين دخول
المسلمين أسلموا على أموالهم ، وفيهم قوم من العرب الذين سكنوها
بعد الافتتاح ، وفيها أيضا من البربر الذين دخلوها في قديم الزمان

عند خروجهم من بلادهم فان بلاد البربر انما كانت أرض فلسطين وما جاورها من بلاد الشام وكان ملكهم جالوت المذكور فى القرآن فلما قتله داود عليه السلام تفرقوا فى البلاد وتوجه أكثرهم الى افريقية وبلاد المغرب وكانت افريقية للروم فأجلتهم العرب البرابر عنها الى جزائر البحر كصقلية وغيرها ، ثم تراجعت الروم الى بلادها على موادة وصلح مع البربر فاخترت البربر سكنى الجبال والرمال وأطراف البلاد وصارت الروم الى البلدان والعناصر حتى جاء الاسلام واقتتحت البلاد ففر جميع من فيها الا من أسلم أو أدى الجزية كأهل الجريد هؤلاء ، وقد اشتهر عنهم ما اشتهر من بيع فضلاتهم وهم يعيرون بذلك كما يعير أهل فابّس ويعير هؤلاء ايضا بأكل لحوم الكلاب ، ولم أر منهم الا مقرا بأكلها مستطيا للحمها وقديما ما هجى من هجى بأكل لحوم الكلاب وممن اشتهر بذلك من قبائل العرب بنو أسد ثم بنو فقعس منهم فقد قال الفرزدق (١). (طويل) :

إذا أسديّ جاع يوما ببلدة وكان سينا كلبه فهو آكٍاء
وقال مساور بن هند (٢) (وافر) :

إذا أسديّة ولدت غلاما فبشرها بلؤم في القلام
يخرّسها نساء بني دُير . بأخبث ما يكون من الطعام

(١) راجع كتاب البخلاء للجاحظ (طبع ليدن) ص ٢٥٩

(٢) راجع كتاب البخلاء ص ٢٥٩ وكتاب الحيوان للجاحظ ج ١ - ص ١٢٨ - ١٢٩

تري أظفار أعقَد مُلَقَّيات برائتها على وَصَمَ الشَّامِ
يخرسها أى يجعلن لها الحرس - بضم الحاء المعجمة وسكون الراء -
هو طعام الولادة ، وقال مساور بن هند أيضا (١) (طويل) :
بني أسد ان تُمَجِّلِ العامَ ففَقَسْ* فهذا إِذْنُ دهرُ الكلابِ وعامُها
وقال حسان بن ثابت يذكر هذيلًا ويعيرهم بأكل لحوم الكلاب
ولحوم الناس (٢) (بسيط) :

إِنْ سِرَّكَ الغدرُ صرفًا لا مزاجَ له فائت الرَجِيعَ وسل عن دارِ الحِيانِ
قوم تَوَاصَوْا باكل الجارِينَهم فالكلب والشاة والإنسان سِيَّانِ
وليس يوقف لوقت بناء توزر على تحقيق لتقديم العهد فى ذلك
وبعض المؤرخين يقول ان بناءها كان باثر طوفان نوح عليه السلام
وكان افتتاحها صلحا فى أول الاسلام على يدى حسان بن النعمان
سنة تسع وسبعين وذلك بعد غوده من برقة بالمدد الذى أمد به
عبد الملك على ما قدمنا ذكره عند ذكر الاجم ، ووقع فى تاريخ ينسب
الى الامام الحافظ أبى الطاهر السلفى أن افتتاح توزر كان على يد عقبة
ابن نافع القرشى وذلك غريب لان ولاية عقبة بن نافع على افريقية
سنة ست وأربعين فان صح هذا الذى ذكر أبو الطاهر فيكون افتتاحها
فى زمن معاوية بن أبى سفيان وعلى القول الاول يكون افتتاحها فى

(١) راجع كتاب البخل ص ٢٥٩

(٢) راجع ديوان حسان بن ثابت (طبع تونس) ص ١٠١ وكتاب البخل ص ٢٦٠ وكتاب

المسوان ج ١ ص ١٢٩

زمن عبد الملك كما تقدم ، ويحتمل أن تكون فتحت أولا في زمن
عقبه ثم انتقضت كما انتقضت افريقية فافتحت ثانيا في زمن حسان،
وأما ما يدل على أنها افتتحت صلحا فبقاء كنائس النصارى بها خرابا
الى زماننا هذا لم يتصرف فيها وأن المسلمين بنوا بازاء كل كنيسة
منها مسجدا (١)

وقد كان على بن اسحاق الميورقي نزل عليها هو وأخوه يحيى
فحاصراها مدة وقطعا غابتها ولولا المخامرة من أهلها لما تمكنا
منها ، ولما افتتحها سالما أهلها الذين باطنوها على فتحها
واستصفيا أموال الآخرين ثم ألزمهم بعد ذلك أموالا أخرى
يفقدون أنفسهم بها ، فكان الرجل منهم ينادى عليه فان وجد من
يفديه أطلق والا رمى بعد قتله فى بئر هناك يسمونها بئر الشهداء
أضيفت الى هؤلاء الذين رموا بها ، وكان هذا بعد فرارهما من بجاية
عند وصول جيش المنصور اليها سنة اثنين وثمانين وخمسائة . ولما
بلغ المنصور ما فعلا فى توزر أنفذ ابن عمه يعقوب بن أبى حفص
ابن عبد المؤمن اليهما فكانت للموارقة عليه الوقعة المعروفة « بوقعة
عمره » فتحرك المنصور بنفسه وأوقع بهم الوقعة المشهورة بظاهر
حمة مطماطة وقد تقدم ذكرها عند ذكر الحمة وتبعهم الى توزر
فتوغلوا فى صحرائها فرجع عنهم وقدر أن مات على بعد ذلك على
توزر جاءه سهم فى ترقوته فمات منه

(١) هذا كلام ابن الأثير يعينه فى شرحه على التقييد الشقراطسية

والاشهر فى اسمها توزر بفتح التاء وبعض الناس يضبطها بالضم
ولا وجه لذلك فان المستند فى اختيار الضم الى مذهب من رأى أن
الانفاذ الاعجية فى أى وزن كانت تحكى على ما وقعت فى
كلامهم ولا يغير منها الا ما غيرته العرب، وأما على مذهب من رأى
أنها ان لم توافق وزنا من أوزان العرب غيرت ونقلت الى أقرب
ذلك منها (١)، وأرض توزر فى وقتنا هذا من العرب لبنى مرداس
وقد تقدم أن رئاسة مرداس فى بنى جامع منهم وهم أشهر عرب
افريقية قدما ورئاسة وقد ذكرنا قبل هذا ملكهم لقابس وأشرنا الى
بعض أخبارهم

فضرنا الاخوية حين وصولنا الى توزر بخارج البلد من جهة
مصلاه وهو مصلى كبير يحدق به حائط مرتفع وأقام الجيش هنالك
ودخلنا نحن مع مخدومنا الى روضة بناتها لرئيس البلد أبى العباس
ابن يملول من اجل روضة هنالك وأحسنه (٢) فأقمنا هنالك الى أن
قبض قطيمهم ، وتساوى فى الاداء مستمهم ومطيمهم .

وزرت بقربة من هذا المصلى مقبرة الفقيه ابى محمد بن يعقوب رحمه
الله وهى بدار أعدت لهم هنالك لدفن من يموت من الغرباء ذوى
الاطار ومعه فيها جماعة سواه ، ورأيت قبر الفقيه أبى محمد فى

(١) كذا فى جميع النسخ التى بايدينا ولا يغنى ما فى النظم من التركيب مع اضطراب
المبارة وعدم ارتباط صحيح

(٢) كذا فى جميع النسخ

حجر بيت صغير (١) وكتب عند رأسه تاريخ وفاته وذلك السابع من شهر جمادى الاخرى عام اثنين وسبعمئة

وفى أثناء اقامتنا بتوزر وصلت الى قصيدة من الفقيه الاجل
الاديب أبى بكر محمد بن أحمد بن شبرين الجذامى السبتي من مستقره
غرناطة، وهذا الرجل من أعظم من رأيت تحقيقا، وأحسنه فى النظم
والشر طريقا، وقد كنت اجتمعت به بتونس ووصل انينا فى الخامس
لذى القعدة من عام ثلاثة وسبعمئة، وكان فى نيته التوجه الى الحج
فلم يقض له ذلك فأقام بتونس مدة ثم ارتحل عنها عائدا الى وطنه
سبته، وكان رحيله فى التاسع عشر من شهر المحرم مفتتح عام أربعة
وسبعمئة فاتفق بعد وصوله الى بلاده من أخذ البلد ما اتفق، وطرق
أهله من التشتيت بسبب ذلك ما طرق، فكان هو وأبوه ممن
انتقل الى غرناطة فخطط هنالك بكتابة الرئيس الوزير أبى عبد الله
ابن الحكيم الرندى وبعث الى هذه القصيدة لتونس معرفا بذلك،
فوجهت اليه من تونس من المخاطبة والمجاوبة ما ملا سفرا جمعت
وسميته «نفحات النسرين»، فى مخاطبة ابن شبرين، ونص قصيدته
هذه (كامل):

ما ذا على صوب الحيا المتجس لو جاد رسما بالكيب الأوعس
إيه على الحى الذين تحملوا والشوق يتبعهم ذما، (٢) الأأنفس

(١) وفى بعض النسخ «قد حجر فى بيت صغير» وفى بعضها «فى بيت صغير حجر»
(٢) فى جميع النسخ «ذما» بالذال المهملة

من كلِّ أغلب مخْرِز خَصَلَ العلى يوم الرهان وكلِّ أَشْنَبِ أَلْمَسِ
 لا يُوحِشُ الله المنازل بالحمى وسقى عهود الغايات الأُنْسِ
 سقيا وتكرمة لما اسلفت من عيد بذات الرقمتين مقدَّسِ
 ولئن نسيت فليست أنسى جيرة راضعتهم دَرَّ المُنَى في تُونسِ
 هيهات ما إن شاقني بعد النوى زمن تصرَّم (١) للظباء الكُنْسِ
 لكن تَذَكَّر سادة قَدْ أَنْطَقُوا بصفات مجدهمُ لسان الأخرسِ
 يا نسمة سحبت فضول ذبولها ما بين ورد بالعذيب وزرجسِ
 والورق قد صدحت على أفنانها والأرض قد لبست ثياب السُنْدُسِ
 حطّني رحال تحيَّتي في ممهد بين الجوانح منه عهدٌ ما نُسي
 والحيّ من تيجان (٢) فأشرح عندهم فرط اشتياقي نحو ذاك المجلسِ
 وإذا هم سألوك فاذكروا أنني قد لُذت بالعزّ المكين الأقمسِ
 وحملت ساحة ماجد متهلل من يعتصم بعلاه يُحَنِّم وَيُخَرِّسِ
 لابن الحكيم ما أثر ما زال بالسِّلَف الكريم الأصل فيه تأتسي
 آنست نار الجود من ناديه في ليل الشجون فكنت أسعد مؤنسِ
 أولا تآلني (٣) نور تلك النار من ناديه طال تخبطي في الحنْدِسِ

(١) وفي بعض النسخ « التصرم »

(٢) في بعض النسخ « تيجان »

(٣) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « تالو » أو « تلالو »

يا ليت قومي يعلمون بأنني في دوحة العلياء طاب معرسي
أأبا محمد العزيز وإنه لدعاء ود في علاك مؤنسي
لله درك من يبلغ لابس من حلة الآداب أسبغ ملبس
حاشاك أن تنسى على شحط المدى عهداً نقى العرض غير مدنس
دغني أسدّد من حديد ملامتي سهماً يفوت الرسائل من القسي
هل أنت ذو علم بما أصبحت من كأس الشجون لأجل بعدك أحسي
ما زلت مذ نرحت ديارك أسأل السرّكبان بين مهجر ومفلس
أوحشت من سحر البلاغة محضري ولقد عهدتك في القديم مؤنسي
أبديت لي هجراً بغير جناية والهجر منك بخاطري لم يهجن
وأنا الذي ما زلت أحمضك الهوى وأمت بالحب الزكي المنرس
أسعى حسود يننا فاستشعرت عليك من جرّاي خيفة (١) مدنس
لا تخفون ذمام إخلاصي فقد أظفرت بالذخر الخطير الأنفس
إن لم تحرّك لي فؤادك هذه نضرب على الود القديم ونياش
أستغفر الرحمن لا أنساك ما لم أطوف في شق الضريح وأرّمس
يا معلمين (٢) من البدائع أكوّسا عاظوا غريب الدار فضل الاكوّس

(١) في بعض النسخ « خيفة »

(٢) كذا في جميع النسخ التي بأيدينا وفي الحلل السندسية « يا معلمين »

وتمعطفوا برسائل من نحوكم تأتي بإحسان على العبد المسي
وإذا سرت من نحوكم نجديّة تهدي نسيم المسك عند تنفس
فلتبغثوا للمستهمام تحية تدني مسراتي وتذهب أبؤسي
لا زلتُم تلقون في أطواركم عزّا تدين لديه شوس الارؤس

واتصل بهذه القصيدة من الكتب : « سيدى دامت سعودك ،
وحرس لاهياء الاجادة وجودك ، ان فوقت سهام العتب ، فلضنتك
بالكتب ، وان أملت باللام ، فلابطاء بلاغ السلام ، فقد استحات
فيما أظن عندك الاحوال ، وجفتنا أنباؤك ثلاثين شهرا فى ثلاثة
أحوال ، حتى كأنك تعرفت بعدى ، ما أحالك عن عهدى ، وتلقيت
من أنبائى ، ما صرفك عن ولائى ، وقد أكثرت بالمخاطبات ، وأثقلت
بالمراسلات ، ظهور الواخداث ، فما روجعت بحرف ، بل عبت
مودتى على حرف ، واتخذت نسيا منسيا ، ونبتت فى الظاهر ولا
أقول فى الباطن ظهريا ، ومع هذا فلا أشك أن عند سيدى أعزه الله
علما بما جرت به أحكام الليالى ، وتشوفا الى تعرف ما تريد (١)
من خاصيتى فى حالى ، فقد جلبت الدهر فى هذه الحادثة أشطره ،
وخبرت الناس فى حالى العسرة والميسرة ، الى أن اقتادنى السعد
بزمام ، وأحلتنى الامل النائي بمشوى امام ياله من امام ، حيث الامير

(١) وفى نسخة « ما تزيد فى خاميتى من حالى »

المؤيد (١) العالى مرفوع مناره ، واضحة للسالكين آثاره ، والسيادة
الوزيرية ، الحكمة العلمية ، ملتقى الامال ، ومجسط الرجال ، وناسخة
أحكام الادبار بالاقبال ، فهناك أضأت لى البركات لىلى المدلهم ،
ونادت بى المكرمات ألا هلم الا هلم ، لا زال هذا الامير (٢) العزيز
مقصودا منصورا ، بالغا من آماله الشريفة ما يقر من المؤمنين أعينا
ويشرح منهم صدورا ، والسلام ،

وقد كتم الفقيه أبوبكر فى هذا الكتاب خبر أخذ بلده وطواه ،
وأوما فيه اليه اكتفاء بما بين فى سواه ، فقد كان كتب الى قبله
كتابا يصف فيه ذلك وكان صدره بهذه الايات (منشرح) :

يا أيها الراكب الذي طلعا	لقيت مستوطناً ومنتجعاً
انزل وحدث بما تشاء فقد	وجدتني للحديث مستمعاً
لعل في مقتضى حديثك من	أنباء ما قد وددته لِمَعاً
أستودعُ الله لا أقول هوى	قطّع قلبي بصدّه قطعاً
لكن صديق حمدتُ خلّته	لذن شربنا كأس الصفاء معاً
من غير ما خانة (٣) له خلّق	على المعالي مزاجها طبعاً
أنعم صباحاً على البعاد أبا	محمد لا برحت مصطنعاً

(١) وفى بعض النسخ « الامر المديد »

(٢) وفى بعض النسخ « الامر »

(٣) فى بعض النسخ « من غير نخانة »

واحفظ فؤادي لديك إني قد تركته في حماك منقطعاً
أما ودادي الذي علمت به فيّ أنه في الضمير قد ربّعا
لولا ولا، ظفرتُ منك به لكنتُ أشدو بتونس جرّعا
« وارحنا للغريب بالبلد النازح ما ذا بنفسه صنعا »
فصدرت الجواب عن كتابه هذا بقولي ، وأشرت الى بسط
القضية :

حَدَّثَ عَنِ الْحَادِثِ الَّذِي وَقَعَا تُلَفِّ مَصِيخًا إِلَيْكَ مُسْتَمْعًا
وَهَاكَ (١) مَا قَدْ سَمِعْتَ مِنْهُ وَإِنْ تَرَكْتَ قَلْبِي بِذَاكَ مُنْصَدِعًا
هَلْ مَعَهُدِ الْإِنْسِ كَيْفَ كَانَ فَقَدْ عَهْدُتُهُ لِلْكَمَالِ مَجْتَمِعًا
وَهَلْ حَمَى الْعِزَّ فِيهِ مُحْتَرَمٌ أَمْ سُلِبَ الْعِزُّ مِنْهُ وَانْتَزِعًا
وَأَيْنَ نَاسٍ هُنَاكَ أَعْهَدُهُمْ عَلَى الْمَالِ جَمِيعَهُمْ طَبِيعًا
مَنْ كَلَّ طَلَقَ الْيَدَيْنِ مَبْتَسِمٌ أَرْضِعْ دَرَّ السَّمَاحِ فَارْتَضِعًا
تَلْفِيهِ كَالنَّجْمِ رَفْعَةً وَسَنًا لَا يَلْ كَبِدُ الدَّجَى إِذَا طَلَعَا
بَاكِرَهُمْ حَادِثٌ فَفَرَّقَهُمْ وَأَذْهَبَ النَّاسَ وَالْبِلَادَ مَعًا
وَجَرَّ عِدْوَانَهُ فَجَرَّ عَنْهُمْ بِهِ مِنَ الْهَمِّ وَالْأَسَى جُرْعًا
يَا لَيْتَ شِعْرِي وَفِي الْمُنَى سِمَةً إِنْ أَبَقْتَ الْحَادِثَاتُ مُسْتَمِعًا

هل يرجع الدهرُ ماضى فلكنم قد عاد من ذاهب وكم رجعا
أم لا يرى عابدا فوا أسفي على زمان مضى ووا جسرعا
هيهات تمّ القضاء وارتفعت مطامع النفس عند ما ارتفعما
فلست ممّا طلبت عودته أوّل من في الحال قد طمعما
عهدي بهم والشجون تغلقهم لاجنب منهم يزور مضطجعما
منثرا في البلاد نظمهم

يا من رأى (١) السلك بعد ما انقطعما
امر من الله لا سمرّد له لم يُبق كهلا منهم ولا يقعما
وخدعة تمّ امرها فضت وكم سديد الآراء قد خدعما
هناك سلامي على البعد ابا بكر قلبي (٢) إليك قد نزعما
وثيق بودّ ادين فيك به ملتزما منه كلّ ما شرعما
إن حال خلّ عن المودة او اجاب داعي السلوّ حين دعما
فاعلم بأنّي والصدق من سمي متعن رأى حفظ عهده ورعما
وانني ما قطعت ذكره بل ما زلت للشكر فيك منقطعما
اقسمت بالركن واليقم ومن قد ظاف باليت نحوها وسمى

(١) في نسخة « زاء »

(٢) وفي بعض النسخ « بقلب »

ما طاب لي بعدك البقاء ولا وجدت لي في الحياة منفعة
وكتبت أيضا من توزر للشيخ المكرم أبي محمد عبد الواحد بن
أبي يغمور الهنتاتي وهو بنفزاوة كتابا صدرته بهذه الايات :
(بسيط) :

يا نسمة صدرت عن روضة ظهرت في بزد رقم وشته السحب مثور
فكلما يمت في سيرها جهة مرت بذيل على الأزهار مجرور
أنهي اشتياقي وتسليمي لمجد أبي محمد بن أبي زيد بن يغمور
وأعليه با يطوي الضمير له من اعتقاد وتعظيم وتوقير
وأنبي بين قلب للوداد له مفرغ وفم للشكر مقصور
وقرري ذاك تقريراً أثبتته ولست فيه بمحتاج لتقرير
لا زال في نعم موصولة وعلاً باق وحظ من الإسعاد موفور
وأكثر الفقيه الطيب الفاضل أبو ابراهيم بن حسينة في هذه
الايام من مخاطبتى بالنظم والنثر في أغراض شتى وأنحاء تأتي على
حسب ما اتفق وأنا أجيبه عن ذلك كله وأكثر ذلك ضاع مني
وأذكر منه الآن قوله (وافر) :

أعبد الله ففت ذوي المعالي حباك الله أيأما سعيده
ونلت منال آباء كرام لهم في المجد آثار حميده

أردت إليك إرسالاً بشعر
لأسمع من جوابك لي مديده
فإنك مستند من بحور
سواحها غدت مني بعيده
فإن جاوبت عن نظم بنظم
بعثتُ بقطعة أيضاً جديده
فلا أبقي لأطرب منك نظماً
ولا أبقيتَ تطلب لي قصيده
فأجبتَه عن ذلك (وافر) :

أعجز كل منقبة حميده
ومن لم نلف في الدنيا نديده
أعنت على النظام بحسن طبع
وأفكار مؤيدة سديده
وتسألني الجواب وإن فكري
ليقصر عن مجاريك المديده
فمهني على التقصير عذرا
وهون من مطالبك الشديده
ودم في عزّة وبلوغ قصد
وسعد دائم وعلا جديده

ثم ارتحلنا عن توزر يوم الجمعة السابع عشره شوال عائدتين لقابس
بعد ان تم قبض مجابى جميع البلاد الجريدية (١) بالمباشرة فيما دخلناه
منها وبالتوجيه فيما لم ندخله، فكانت مدة الاقامة بتوزر خمسة عشر
يوماً وكان الرحيل عنها باثر حضور الجمعة بجامعة فقررنا ليلتنا
تلك لمرحلتنا من الغد سالكين في أول انسخة المعروفة بتاكمرت
حسبما فعلنا فيها اولاً ، وبتنا على غير ماء ثم هيينا (٢) لسلوكها ثلث

(١) في بعض النسخ « قبض جميع مجابى البلاد الخ »

(٢) في بعض النسخ « شرعنا »

الليل الاخير فلم نزل نحف بأيدي المطايا ، ونعد ذلك ان شاء الله
تكفيرا لما ارتكبنا من الخطايا ، الى عصر الغد وكانت هذه الحطرة
أشد من الاولى نصبا ، وكأننا كانت دبورا وتلك بالنسبة الى هذه
صبا ، ولما حللنا بمنزل بشرى من خطرنا الثانية اليه حاول جميع
الجنود أن يقيموا خباء لمخدومنا ولانفسهم فلم يستطيعوا لقوة الريح
ففرق الناس ودخل أكثرهم الى البلدة ولم يضرب في ذلك اليوم
خباء لاحد من الناس ، ونزلنا نحن بجنة من جناتها أمكننا فيها ضرب
الاخية بسبب ما يسد الريح من الثمار التي تكفننا ، فبتنا تلك الليلة
هنالك وأصبحنا من الغد فاشتد عصف الريح حتى أيسنا الحياة
بابتعاد ، (١) واستعدنا الله من قتلة عاد ، وقصفت الريح في ذلك
اليوم من البساتين التي تكفننا نحو عشرين نخلة فانجرفت في
الارض ولم يتأذ بها أحد من الناس

ووصل الينا بهذا المنزل الفقيه الاجل أبو بكر بن فتح المتقدم
الذكر من مستقره طرة بسبب وعد باحسان كنت وعادته اياه عن
مخدومنا فينا أنا بداخل هذه الجنة وذلك يوم الاثنين اذ دفع الى
بوابها براءة ففتحتها فاذا فيها (مقارب) :

لِقَاؤُكَ فَتَحَ فَهَلْ لَابَنَهُ وَقَدْ حَلَّ بِابِكَ إِذْنُ كَرِيمٍ
فَخُذْ مِنْهُ فَأَلَا بِقُلُوبِهِ تَفَاوُلَ كُلِّ حَسُودٍ رَجِيمٍ (٢)

(١) في نسخة « باستبعاد »

(٢) بمعنى « حلف »

فخرجت اليه بنفسى وأدخلته وذلك أول اجتماعى به ، فرأيت شيخا ظريف المنزع حلو المحاوره لطيف الاشارة مستغرب وجوده فى مثل تلك البقاع فتأنست بهذا كرته تلك العشية ، وطلب منى رؤية مخدومنا فلم تمكن تلك الليلة بسبب مرض كان يشكو به فواعدته من الغد وأمرت البواب أن يعرفنى به اذا وصل وأصبحنا يوم الثلاثاء ، فلما كان عشية هذا اليوم دفع الى أحد المتصرفين براءة من الفقيه أبى بكر بن فتح فاذا فيها هذه الايات (وافر) :

وقفتُ باب عزٍّ لا يسامى ملياً وقفة الرجل الذليل
لوعد كان منه قترٌ عيني جميل جاء عن سَعْيي جميل
وكان القصد تسليمي على من إليه قطعت ميلاً بعد ميل
على كبر وضعف أنت تدري بما عاينت منه ومن نحول
وما آليت عند الباب جهداً مُعِيناً للمُلاطف والسُّؤل
فأبدى الوازعون هناك نَجْهاً وقالوا ما قصدك من سبيل
فرختُ وُقيتُ حالي لست ادري

دبيري ما أَيْتَم أم قبيلي
وها أنا قد عزمت على انطلاقي إلى ضَفَفٍ وليسوا بالقليل
تركتهم على قدم الترجي وكلُّ مدسافة التليل (١)

(١) فى نسخة « وكل من سلافته سليل »

إلى فرج قريب من إيابي كما يرد الطيب على العليل
فما ظنّي إذا ما قيل أكدي على بحر الندى أمل المعيل
هناك شماتة الأعداء تأتي بإجهاز يضيق (١) بها مقولي
وداعاً يا عياذي (٢) فاحتفظني لمهد قد وثقت به مثلي
سلام سالمتك يدُ الليالي وعيش العزّ في ظلّ ظليل
وبلّغ دُمت تسليمي ولثمي هنالك موطنى الشرف الجليل

فأخبرت أنه وصل ولم يكن البواب الموصى بها حاضراً فلم يعرفه غيره من البوابين فدفعوه عن الوصول الى : وصادفت أبياته منى ضجراً وضيق نفس بسبب عارض عرض لي فقلت أحبيه وخرجت إليه عما في نفسي مستريحاً بذلك (وافر) :

أمحرز غاية الشرف الأئيل ومن قد جَلَّ عن سمي مهيل
أتتي منك أبيات حسان شمائلها أرقُّ من الشمول
يعزّ عليّ ما قد يَـئـنـت من وقوفك وقفة الرجل الذليل
فأقسم بالهدايا مُشعّرات تجوب الأرض ميلاً بعد ميل
إذا اشتكت السرى بلسان حال تقرّر بالوخيد أو الذميل

(١) وفي بعض النسخ « وضيق »

(٢) غير جميع النسخ « عبادي »

تَوَمَّ بِسِيرهَا أَسْنَى مَحَلَّ بِهِ نَزَلَ الْكِتَابُ عَلَى الرَّسُولِ
لَوَانِكَ بِالَّذِي اسْتَحَقَّتْ تُجْزَى لَمَّا جُوزِيَتْ إِلَّا بِالْجَزِيلِ
وَهَا أَنَا أَشْكِي لِعَلَّاكَ شَكْوَى تَبَثُّكَ بَعْضُ مَا بِي مِنْ غَلِيلِ
أَرَى الْأَيَّامَ تَمْنَعُنِي مُرَادِي وَتُلْقِي بِي لِقَصْدٍ مُسْتَحِيلِ
وَأَطْلُبُ لِلْعَلَا فِيهَا وَصُولًا فَيَصْعَبُ لِلْعَلَا فِيهَا وَصُولِي
وَيُمَضِي الْأَمْرُ غَيْرِي وَهُوَ دُونِي وَأَمْرِي لَا بَسَ ثَوْبَ الْحُمُولِ
وَإِنْ تَكُ قَدْ أَنَا لَتَنِي قَلِيلًا فَمَثَلِي لَيْسَ يَقْنَعُ بِالْقَلِيلِ
وَمَا طَلْبِي لَهَا إِلَّا لَعَلِّي أَسْوَأُ عِدَائِي أَوْ أَزْضِي خَلِيلِي
وَلَيْسَ يَنَالُ حِظَّ بَاجْتِهَادٍ وَلَا تَجْرِي عَلَى قَدَرِ الْمَقُولِ
فَحَسْبُ الْمَرْءِ تَسْلِيمٌ وَصَبْرٌ يُيَمِّمُ (١) مِنْهَا أَهْدَى سَبِيلِ
وَلَكِنْ لِي عَلَى الْأَقْدَارِ دَيْنٌ لَوْتُ بِقَضَائِهِ لِي الْمَطْوِيلِ
وَإِنْ هِيَ بَلَّغْتَنِي فَكَمْ لِي مِنْ (٢) الْأَيَّامِ مِنْ خَيْرِ طَوِيلِ
خَرَجْتُ عَنِ الْمُرَادِ إِلَى حَدِيثٍ نَفَثَ بِشَرْحِهِ نَفْثَ الْعَلِيلِ
أَوْدَعَ وَدَّكَ الْأَصْفَى فَإِنِّي دَعَانِي لِلنَّوِيِّ دَاعِي الرَّحِيلِ
وَأَطْلُبُ مِنْكَ زَادًا مِنْ دَعَاءٍ تَوَاصَلِهِ وَمِنْ ذِكْرِ جَمِيلِ

(١) فِي بَعْضِ النُّسَخِ « يَوْمٌ »

(٢) فِي بَعْضِ النُّسَخِ « مَعَ »

وقد أضيفت نحوك باعتقاد صحيح من فؤاد لي عليل
ثم سميت تلك الليلة في انفاذ ما كان وعد به من الاحسان اليه
فأنفذ له وكانت تلك الليلة التي اجتمعت به فيها أول اجتماع وآخر
افتراق منه .

ثم أصبحنا يوم الاربعاء فارتحلنا الى طرة وقد تقدم ذكرها ، ومنها
يوم الخميس الى موضع يعرف بتاسرا (١) وهو قصر خرب ، والى
جانبه واد سرب ، وبقيت طريقنا الاولى في هذه المرحلة يسرة منا (٢)
ومنه يوم الجمعة الى الحمة وهي الخطرة الثانية اليها وكانت هذه
المرحلة والتي قبلها في غاية الطول فلاجل ذلك نقصت عدة مراحل
عما سبق في المسير مرحلة ، وفي هذا اليوم أظهر مخدومنا أمر
الحج الذي بنى السفر على كتمه حسبما بينا أول التقييد ، واستدعى
أعيان العساكر فعرّفهم بذلك وظهر من الاجتاد اذ ذاك من التأسف
والحزن لانصرافه عنهم وانطلاقه ما لا أفى (٣) بالعبارة عنه فلا تسمع
من الناس يومئذ الا بكاء ودعاء .

ثم توجهنا الى قابس وهذه خطرتنا الثانية (٤) اليها فنزل الجيش
بخارجها ودخلنا نحن مع مخدومنا الى داخل البلد بالدار الكبرى

(١) يعرف مكانه اليوم (بالاستنام) على طريق الظاهر بين قبل والحامة

(٢) في نسخة « يسيرة منا »

(٣) في بعض النسخ « ما لا اجبى »

(٤) وفي بعض النسخ « الثالثة »

التي اعتنى بنائها الشيخ الفقيه أبو مروان بن مكي رحمه الله ، وهي في غاية الضخامة والاحتفال وغير قليل ما أنفق عليها من الاموال ، ورأيت في وسط الحائط الذي في قبتها الكبرى خرقا متسعا ذكر لي انه أثر ضربة منجنيق جعل ضاربه غرضه هذا المجلس (١) حيث كان الشيخ أبو مروان يجلس به فقصر الحجر بملاقاته لذلك الحائط وحرفت اياه (٢) عن البهو قليلا ، وكانت تلك الضربة أيام محاصرة مخدومنا لقابس كما تقدم ، ودار ابن مكي هذه مجاورة لجامع قابس الاعظم ببطحاء متسعة ، وتلك البطحاء هي سرّة قابس والبطحاء اسم علم لها وفيها يقول أبو عبد الله محمد بن العطار القرطبي عرف بالمفرجي (سريع) :

لهفي على طيب ليل خَلَّتْ بجانب البطحاء من قابس
كَأَنَّ قَلْبِي عِنْدَ تَذْكَارِهَا جذوة نار في يدي قابس

فبتنا هنالك ليلة الاحد ثم أصبحنا فوصل الاجناد لوداعنا فكانوا يدخلون أفواجا أفواجا يودعون ثم يخرجون وهم يكون ويدعون الى آخر النهار .

وشاهدنا بهذا الموقف حالا تحرق الضلوع ، وتذكي الولوع ، وتجرى الدموع ، وقد كان النظر اقتضى توجيه الكاتب الفقيه

(١) في بعض النسخ « بها هذا المجلس » ولعل الصواب « بهو هذا المجلس »

(٢) كذا في النسخ التي بأيدينا

الاکرم أبی زکریاء بن یعقوب صحبة الجيش اقامة للحرمة ، وقيامًا
بتسيم ما يجب من الخدمة ، واصبح الجيش يوم الاثنين السابع
والعشرين لشهر شوال متوجها الى تونس ، والفقیه أبو زکریاء معه
وأقننا نحن مع مخدومنا فی قابس يومنا ذلك والثلاثاء بعده ، ثم
خرجنا عنها وكان السبب الذي حثنا على تعجيل الارتحال عنها
ما كان بها من الوباء الذي ورد النهی النبوی عن القدوم على أرض
هو بها، وقد كان أفرط فيها فی هذا الفصل وخرج عن معتاده وقتل
بشرا كثيرا من الغرباء القادمين عليها، وتأثيره غالبا انما هو فی الغرباء
الذين ليسوا من سكانها ، وتخیرنا موضعا نقصده للاقامة الى أن
يصل الفقیه أبو زکریاء من الحضرة فتوجه الى طرابلس وتكون
الاقامة هنالك الى أن يصل الركب الذي يتوجه مخدومنا معه الى
المشرق ، فوقع الاختيار بعد ملاحاة كثيرة وتنازع شديد بين یعقوب
ابن عطية أمير المحاميد وسالم بن مرغم أمير الجوارى على الاقامة مع
يعقوب فی منزل غمراسن فان أهله حلفاء له مع ما هنالك من الامن
الذي لا تخاف معه اغارة مغير ، ولا ضياع كبير من الاشياء ولا
صغير .

فارتحلنا عن قابس متوجهين اليه يوم الاربعاء فنزلنا بمنزل تلبو
على نحو ميلين من قابس، وهو منزل فيه مبان قليلة وعليه غابة زيتون
متسعة وكانت به قبل هذا غابة نخل فقطعت أيام محاصرة مخدومنا

لقابس كما تقدم ولم يبق منها الا نخيلات قليلة فى مواضع متناثرة (١) منه ، فأقمنا به يومنا ذلك وهو يوم الخميس بعده وهو مستهل ذى القعدة ، وارتحلنا منه يوم الجمعة ثانى الشهر المذكور فاجتزنا بموضع يقال له زريق بتقديم الزاى على الراء ، وهو الموضع الذى أقام به الميورقى متلوما على أهل قابس لما كاتبهم بالدخول فى طاعته حسبما بيناه فى ذكر قابس .

وبمقربة من زريق نخلات على عين ماء هنالك عذبة وزاوية يسكنها رجل من البربر وهو عوسجى اسمه سلام ويعرف بأبى غرارة ، وهذا الرجل متم الى الدين وقد حكم على العرب بأنواع من الشعوذة فلا يقدر أحد على مخالفته ، وهو يخفر فى قبائل دباب وله فى استخراج اموالهم (٢) منهم اليد القوية وان امتنع أحد منهم هول عليه وأوعده بمصائب يوقعها به فيخافون منه ، وقد ظهرت له فى هذا الباب عجائب تنقل عنه ، وأخبرنى الشيخ أبو جبارة عبد السلام ابن موسى قال : أغارت المحاميد على قافلة فأخذت منهم بهائم كثيرة فمضى أهل القافلة اليه ، قال فاستدعانى ومضىنا الى المحاميد واسترجعنا منهم ما قدرنا عليه ولج (٣) بعضهم فى الامتناع من الرد فقال له : والله لتكونن لك القاضية او كلاما يشبه هذا قال : فخاف

(١) فى بعض النسخ « متناثرة »

(٢) فى بعض النسخ « الاموال »

(٣) فى جميع النسخ « لج »

وراجع نفسه فرد ما أخذه وقال له : يا سيدى ابا غرارة لعلها تكون
بفرسى لابی، فقال له : بفرسك لا بك ، قال ابو جبارة : فبعد ثلاثة
ايام ذهبت فرس الرجل وليس فعل مثل هذه القضية فى نفوس
الاعراب بقليل .

ونزلنا يومنا ذلك بقرية مارث وهى قرية حقيرة وعليها غابة نخل
يسيرة ، ومنها يوم السبت الى قرية أجاس وهى قرية ضخمة ذات
مبانى كثيرة ولها غابة متسعة وبها عين خراة عذبة الماء غير انها
مستوىة واخبرنى اهلها انهم احتفروا فى هذا الوقت بئرا عذبة الماء
سالمة من الوباء فهم الان يشربون منها ويسقون من تلك العين
بهاائمهم وزروعهم ، ورأيت بها مسجدا يذكر اهلها ان له فضلا
مشهورا عندهم وان الدعاء مستجاب عنده وقد اظهر بعض زهادهم
به الاغتباط ، فلازم به الرباط ، وان كان هذا المرباط وجميع اهل
هذه البلدة على المذهب السيئى المنسوب للخوارج ، وهذا المذهب
هو الغالب على سائر البقاع التى بين قابس وطرابلس كما تقدم قبل
هذا

وبهذه القرية كانت اقامة جعفر بن حبيب حين وجهه باديس بن
المنصور من المهديّة لقتال يانس الصقلى لما اقبل من مصر مدعيا ولاية
طرابلس ، فاقام جعفر بن حبيب بقرية اجاس هذه متلوما عليه نحو
ثلاثة اشهر الى ان كانت الواقعة بينهما بظاهر زنزور، قرية من قرى

طرابلس سيأتي ذكرها بعد هذا وذلك كله في سنة تسعين وثلاثمائة،
وبسط هذه الواقعة : ان باديس بن المنصور كان واليا على افريقية
وكانت طرابلس مستثناة عليه لا يليها احد من قبله بل تتعين ولايتها
من مصر فاحب والى طرابلس اذ ذاك ان يرتحل الى مصر فكتب الى
الحاكم يطلب ذلك منه ليكون بين يديه في حضرته وان يوجه اليه
من يتسلم البلد من يده فوجه اليه يانس المذكور وكان واليا على
برقة فلما وصل الى طرابلس توجه واليها الى مصر وامكنه من البلد
فلما علم بذلك باديس وجه الى يانس يستفهمه عن سبب وصوله
ويستدعي منه سجلا ان كان بيده بالولاية فبعث اليه انما بعث نائبا
عن امير المؤمنين ومثلي يكبر عن ان يولى بسجل فحينئذ وجه باديس
جعفر بن حبيب المذكور لقتاله فاقام المدة المذكورة بقرية اجاس هذه
متلوما عليه وبعث اليه في اثناء تلك المدة يخيره في واحدة من ثلاث
اما بعث السجل ان كان بيده ، واما القدوم على باديس ليفاوضه فيما
وصل اليه ، واما المناجزة بالحرب فعاد جوابه اليه يقول : اما الوصول
فلا سبيل اليه ، واما سجل الولاية فانا اكبر من ذلك اذ كنت خليفة
امير المؤمنين على ما هو اعظم من طرابلس ، واما الثالثة فانا اوافيك
عن الحركة الى وأحيئك الى موضعك فاقاقتك به ، فتحرك اليه جعفر
ابن حبيب متوجها اليه فتزل غربى زنزور ونزل يانس بالجانب الشرقي
منها والزيتون بينهما ثم التقيا فكانت الهزيمة على يانس وقتل اكثر
جنده وأخذ هو اسيرا فطلب ممن اسره ان يحملوه الى جعفر فابوا

من ذلك واحتزوا راسه ثم حملوه الى جعفر ونجا فلان المنهزمين
فلجأوا الى مدينة طرابلس فابى اهل طرابلس من تمكين جعفر من
البلد ومن اللاجئين اليها الى ان وصل اليهم فلفل بن سعيد الزناتى
فمكنوه من البلد وهو اصل ملك الزناتين لها

ويوم نزولنا باجاس هذه انفصل عنا سالم بن مرغم متوجها الى
أرضه سالكا طريق الساحل ، وارتحلنا نحن يوم الاحد مسحرين
فاخذنا ذات اليمين مصحرين الى موضع يعرف بالعقلة وهو واد
متسع بجبل يجرى فى وقت الامطار ويجف فى غيره وحادثاه فى ذلك
الوقت ليس به ماء الا ماء فى احساء صغيرة، وتلك الاحساء هى المسماة
بالعقلة، والعقلة عند العرب هى التى يجبس الماء فيها عن ان يسير، فبتنا
هنالك تلك الليلة على غير ماء وقاسينا فى ميئتنا هذا شدة بسبب ما كان
فيه من البهيمى التى منعت كل احد من ان ينام ، وذلك انها تبرز عند
يسمها شوكة تتخلل الثياب والفراء وتصل الى الاجسام فلا يمكن
لاحد معها سكون وربما قتلت البهائم التى تبيت فى مرعهاها من
نباته (١) اذا دخلت بين اصوافها

ويس (٢) البهيمى هو الذى يسميه العرب بالصفار بفتح الصاد
وتخفيف الفاء ، وتلك الشوكة التى لها هى التى تسميها السفى
مقصورا ، وانشد ابو على للشماخ بن ضراد يصف حمارا (٣) (طويل) :

(١) كذا فى جميع النسخ التى بايدينا

(٢) فى بعض النسخ « نبت »

(٣) راجع لسان العرب ج ٣ - ص ١٨٣

رعى بَارِضَ الوُسْمِيِّ حَتَّى كَانَمَا يَرَى بَسْفَى الْبَهْمَى أَخْلَةً مُلْهِجَ

البارض النبات فى اول خروجه، والوسمى المطر الذى يسمن الارض
بالنبات ، والاخلة جمع خلال ، والملهج الذى قد لهجت فطاله بالرضاع
وكانوا يجعلون على انف الرضيع اذا وجب الفصال خللا يمنعه
من الرضاع ، فيقال ان هذا الحمار رعى بارض البهمى الى ان جف
وظهر شوكة فلم يستطع رعيه اذ ذاك فعاد كانما يرى به أخلة ملهج
كراهة له ونفورا عنه ، وعلى هذا البيت عول الاديب ابو الحسن
حازم بن محمد بن حازم فى قوله من قصيدة له حيمية (كامل) :

تَرَكْتُ مَطَايَا الْأَمْلِينَ لِمَا سَقَنْتَ يَمْنَاهُ مَا تَسْقِيهِ ضَرْبَ الزَّبْرِجِ (١)
فَتَجَمَّ أَنْفُسُهَا لَوْرْدِ جَمَامِهِ بِصُدُودِهَا عَنْ بَرْدِ مَاءِ الْحَشْرِجِ
وَتَصَدَّ عَنْ رَعِي الْجَمِيمِ كَانَمَا تَلَقَى مِنَ الْبَهْمَى أَخْلَةً مُلْهِجَ (٢)
ومعنى الشعرين واحد .

ثم ارتحلنا صباح يوم الثلاثاء السادس من ذى القعدة فلم نزل
نسلك بين هضاب متسعة ، وشعاب متبعة ، الى أن وصلنا الى موضع
اقامتنا منزل غمراسن فوجدنا منزلا قد غضب الله على أربابه ،
فابتلاهم من سكناه والاقامة بمغناد باليم عذابه ، وخرج الينا جميع
أهله فتلقونا على بعد ، ولما وصلنا اليه اخترنا موعدا لبناء الاخبية فلم

(١) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « ما يسقيه صوب الزبرج » .

(٢) فى نسخة « ترى سفى البهمى اخلة ملهج » .

نجده الا بعد صعوبة ومقاساة شديدة لصلابة الارض وعدم ثبوت
الاوئاد بها

وغمراسن اسم للاحية من الجبل المتصل الذى أصله جبل درن
بالمغرب وهو الجبل الاعظم الذى قل على وجه الارض ما يدانيه
سموا وامتدادا وكثرة خصب واتصال عمارة ، ومبدؤه من البحر
المحيط فى أقصى السوس مارا مع المشرق مستقيما الى أن يصل الى
هذا الموضع فيسمى دمر ثم يمتد فتسمى مسافة منه جبل نفوسة
فاذا حاذى طرابلس رق وخفى وامتد كذلك رقيقا الى أن يصل
الى طرف أوثنان من أرض برقة فينقطع هناك ، وهو من مبدئه الى
منتهاه مخصوص بسكنى البربر وبه كل طريقة من الثمار وغرائب
الاشجار والماء ينبع منه فى مواضع معروفة ، وهذه المسافة التى
تسمى منه غمراسن هى متصلة بالمسافة التى تسمى منه دمر من
جهة شرقيها وقد يقال فى غمراسن انها من دمر

ومسافة غمراسن تحتوى على قلاع كثيرة أشهرها قلعة نفيق

- بكسر النون وتشديد الفاء - وقلعة حمدون ، وكان منزلنا فى فضاء

متسع بين هاتين القلعتين وقلعة نفيق أحصنها واليها يلجأ جميع اهل
البلد اذا حل بهم عدو أو وصل اليهم جيش ، وهو جبل مرتفع فى
السماء قد سهلت فيه طرق ضيقة لا يسلكها السالك الا على غرر وقد
تدرب أهلها على سلوكها فهم يتنازون فيها تنازى العصم ، وكذلك

غنمهم وابلهم يسلك البعير منها مسالك لا يستطيع الادمى سلوكها
الا بالحيلة ، وتؤدى تلك الطرقات الى بيوت منحوتة فى الجبل بعضها
فوق بعض من وسط الجبل الى أغلاد يسمونها «الغيران» وأكثر جهاته
عامرة (١) الجهة الشرقية وتليها فى ذلك الجهة القبلية وفى الجهة
الغربية أيضا مساكن قليلة الا أنها الان غير مسكونة ، والنسور
كثيرا ما تأوى اليه وتجتمع فتصاف (٢) عليه ، وتحف بهذا الجبل
مزارع فيها نخل كثير لا يرى أحسن من رطبه ، وبها أبار (٣)
ليست بالكثيرة يستقون منها بالغراغيز ، وأكثر مزارعهم الذرة التى
يسمونها القصب وسبب قلة آبارهم ما يعانونه فى حفرها من شدة
الارض وصلابتها حتى ان الرجل ليمكث فى حفر البئر العام
والعامين بحسب كبر البئر وصغرها ، وقوة اعتمادهم فى رى الارض
انما هو على ما ينحدر من سيول تلك الجبال فى وقت الامطار فانها
تجتمع فى أبطح ذى حصباء متناسبة وتربة بيضاء كافورية تحرق
بمزارعهم احداق السور أو السوار وتخترقها مذانب متسربة اليها
منه ، وليس فى تلك البقاع ما يرتاح اليه الخاطر سوى هذا الابطح
وبوضع منه أحساء مياه عذبة ترد عليه نعمهم وعلى هذه الاحساء
نخل كثير يتغالون فى أثمانه اذا تبايعوه بينهم

(١) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « عمارة »

(٢) فى نسخة « فتصاف »

(٣) كذا فى جميع النسخ

وأهل غمراسن قوم من البربر ورغميون ، وفيهم رجاله (١) مع العرب المحاميد والعداوة بينهما متأكدة (٢) وبين أهل قرية قريبة منهم يعرفون بالمقدمين ولا تزال الحرب بينهم قائمة على سباق ، ومن سيرة هؤلاء المقدمين أن لا يدفنوا موتاهم الا على هيئة الجالس في كهوف متسعة يحفرونها لهم ويتأكد عندهم الدفن على هذه الصفة فيمن توفي وترك ولدا فانهم يقولون : « عز الولد لا ينقطع ما دام أبوه جالسا ، هذه عبارة من سألتهم عن ذلك ، وليس لأهل غمراسن ولا لأكثر ساكني هذا الجبل في الحقيقة من الاسلام الا الاسم فقط ولا تجد منهم من يعرف للصلاة اسما ، فضلا عن ان يقيموا لها رسما ، وكذلك جميع الشرائع ، وأقمنا ما أقمنا معهم فلم نسمع عندهم أذانا ، ولا طرق صوته لنا أذانا ، وان كنت قد رأيت في أعلى قلعتهم موزعا سموه مسجدا ، وليس يصلي فيه الا رجل غريب من أهل زوارة سكن عندهم

وهم ينتحلون مذهب النكارة من الحوارج البربر ولا يفصلون موتاهم ولا يصلون عليهم ولا يورثون البنت شيئا من مال أبيها ، وعيشهم من الغارة على العرب تخرج غازية منهم فتكنم بعض المكامن لمن يمر بها من العرب وخصوصا الجوارى والمخالفة بينهم وبين المحاميد لان أبا جبارة كاتب المحاميد ورغمي منهم ولا يتالون (٣) في

(١) وفي نسخة « راحلة »

(٢) في نسخة « تأخير » متأكدة ، عن قوله « بالمقدمين »

(٣) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « لا يتالون »

الاغارة على الجوارى باصطلاح الحاميد معهم ولا باحترابهم (١)
ولهم أيضا حقد على النفاتين وبينهم دماء ، وهم أغير خلق الله على
الضيف وأكرمهم له فاذا حل الغريب لديهم واستند انيهم جعلوه
من رؤسائهم وانزلوه فوق رؤوسهم وحكموه فى انفسهم ، ولديهم
الامن الذى لم يسمع بمثله فى بقعة من بقاع الارض وحسبك أنا
أقننا معهم فلم يضع لاحد مناشئ مع أنى كنت أرى الثياب
والامتعة وأوانى الصفر وغير ذلك ملقى بين الاخية لا يتعرض أحد
منهم لشيء من ذلك ، ومن أحكامهم أن الرجل منهم اذا ظهرت عليه
سرقة أو خيانة فانهم لا يجالسونه ولا يكلمونه الا فيما لا بد منه
ولا يخرجونه من بلدهم اذا كان منهم فان كان من غيرهم (٢)
قتلوه ، وأخبرنى جماعة منهم أن رجلا منهم ضاعت له دنائير
ووجدها رجل آخر منهم فتركها فى المسجد الذى فى قلعته فبقيت
فى ذلك المسجد لا تمد اليها يد الى أن اتفق فى بعض الاوقات أن
دخل صاحب الدنائير المسجد فوجدها هنالك فأخذها

فأقننا بينهم ساكنين فى الاخية نحو من شهر وبعده بنينا بيتا
فى أرض رجل منهم مطمر (٣) وهو فريض للعرب الحاميد ،
والفريض عندهم كناية عن المفتى الذى يرجعون الى أحكامه وقد

(١) وفى نسخة « باحترابهم »

(٢) وفى نسخة « من غير بلدهم »

(٣) كذا فى بعض النسخ وفى بعضها « مطمر » وفى نسخة واحدة « يسمى مطمرا »

تأملت في كثير مما يحكم به ، وهم هنالك يبنون بيتا فوجدته لا يرجع فيه الى شيء من حكم الشرع وانما سمي هذا مطمرا نسبة الى حكم السياسة والتسديد بينهم ، ولهذا الرجل قوة خطائية على طريقتهم وقدرة على اظهار أقيسة وضرب أمثلة يفعل بها في نفوسهم كثيرا ، وذلك البيت باق الى الان يسمونه بيت السلطان وليس في ذلك الموضع بناء غيره ، ولما كمل بناؤه انتقلنا اليه وتوالت بعد انتقالنا اليه رياح محرقة (١) كانت تهب من قبل الصحراء ودامت كذلك فحمدنا الله على ما ألهمنا اليه من بناء ذلك البيت الذي تقدم وعلمنا انا لم تكن لنا طاقة يسكني الاخيرة معها ووصل الى بعد حلولنا بهذا الموضع كتاب من الفقيه الاجل أبي زيد بن نزار جوابا عن كتاب كنت بعثته اليه وكان في آخره التسليم عليه بخط الفقيه أبي ابراهيم بن حسينة فوصل كتاب الفقيه أبي زيد يتضمن مخاطبتنا معا وكان على عنوانه (كامل) :

للسيدين أخ ونجل بارع إسحاق مع عبد الماله يسلمًا

لا زال كل منهما منحلًا بالفضل والآداب دأبا مكرما

وفي داخل الكتاب (كامل) :

حي المعامل والرعان لجمعها رعا لدمر إذ رعى الأجابا

سكنوا الرعان وأسكنوه فما لهم ساروا الغداة بخلبه خلأبا

من أجل من حلّ الحمى أهوى الحمى وأحب لي في لا به إلبابا
 وجدي بهم وجد أفاق (١) قوى عزم اللحاق بهم نوى إيجابا
 مولى كبد والنجوم صحابه نجل وخدن أوحشا الأصحابا
 حلوا بأفاق العلاء كواكب اسعاده (٢) تستعد الالبابا
 سيعود منزلنا السمال (٣) كما بدا وظهورها من أن يري منجبا (٤)
 وكذا الثواب نورها يسعى بها تأبى الجفاء وتألف الآدابا
 تكفي من المولى جلالة قدره عن أن أجل بذكره الإسهابا
 ولدى المفدى حكمة نبوية تبرى السقام وتذهب الأوصابا
 وحوى البلاغة والبراعة آنا عبد الإله وقد شأى الأترابا
 فالله يسعدنا بهم وبأمنهم وينيل كلاً منهم الآرابا
 وعليهم مني السلام مقبلاً ترابا يرب (٥) نواله الأترابا
 وكتبت لابن عمى الفقيه الاكرم أبى زكرياء ابن الفقيه الاجل
 أبى الحسن على التجانى (٦) كتابا مصدرا بهذه الايات (طويل)

(١) كذا فى نسخة وفى سائر النسخ بياض

(٢) كذا فى النسخ التى بايدينا

(٣) كذا فى بعض النسخ وفى نسخة « اشل »

(٤) وفى نسخة « حجابا »

(٥) كذا فى جميع النسخ

(٦) وفى بعض النسخ « التجانى »

إذا الله حيى معشرا بتحيّة يقصر عنها المسك في الطيب والند
فحيى بني عمي الذين فخارهم فخاري ومجدي حين أَسْمُو لهم مجد
وخصّص منهم من تخصّص فيهم بأوصاف فضل ليس يحصرها العد
أبازكرياء الرضى الأرفع الذي له مني الشوق المجدد والسود
أجبتنا هل يجمع الدهر بيننا فقد طال هذا النأي واتّصل البعد
يذكركم أنس يوم مضى لنا وعهد ائتلاف جذا ذلك العهد
فيديو قليلا من غرام أجتبي وفي القلب للاشواق أضعاف ما يبدو
فقد بلغت مني النوى كلّ مبلغ فقي أدمعي ودقّ وفي أضلعي وقد
فهل تقرب اللقيا وينصرم النوى وينجز لآمال من قريبكم وعد
لئن جمعت أيدي التفرّق بيننا فقد تمتّ النعمى وقد كمل السعد

وعرضت لمخدومنا أعزه الله في أواخر شهر ذى القعدة هذا
شكاية شديدة وتواتر لدينا الخبر أيضا عن جذب برقة وفتنة أهلها
بما لا سبيل الى اجتيازها معه ، ووصل اليها بمقد بشهادة عدول من
أهل طرابلس وخطاب قاضيها أن ركبا فيه نيف على سبعمائة نسمة
جاء من برقة وأنه لم يخلص منه حاشا مائة أو نحوها وأن سبب
ذلك أنهم لم يجدوا هنالك ما يقتاتون به حاشا لحوم الحيات فعدا
عليهم سمها فأهلكهم ، وصح لدينا من هؤلاء الذين خلصوا منه انهم

كانوا يمرون فى كثير من أرضها بالاحياء والحيام فيها مضروبة
وجميع من فى تلك الحيام موتى من رجال ونساء وأطفال الى غير
ذلك مما يحكونه من بيع من بقى فى تلك الاحياء من الاحياء
للناس وأكلهم للحومهم ، فحاولنا بما اجتمع من هذه الاخبار المفضلة
ومن مرضه الشديد رده الى تونس لتكون اقامته بها الى أن يعافى
من مرضه ويصل ركب الارسال المشرقين فتوجه حينئذ معهم من
تونس ، ونظم فى ذلك الفقيه أبو ابراهيم بن حسينة قصيدة مطولة
يحضه فيها على هذا الرأى ، وكان أول قصيدته (متدارك) :

عَرِّجْ يَا صَاحِ عَلِى الطَّلَلِ واسكب أجفانك فى الحِلَلِ
ولا تحضرنى الان هذه القصيدة ودعت الضرورة الى موافقة
اصحابنا على هذا الرأى بعد أن ألحوا فى طلب مشاركتهم بالنظم فى
ذلك فقلت معارضا لقصيدة الفقيه أبى ابراهيم :

طلعت كالبدْر المَكْتَلِ	فتوارى البدر من الخَجَلِ
وأمال اللحظ تمايَلُها	عن غصن البانِ المعتدلِ
حَوْرَاءُ يحار الصبُّ بها	ويختلي السلوة كلّ خلي
حكمت بهواها في فلم	يعدل فى الإمرة حين ولي
فأبجتُ النفس لما احتكمت	وحيتُ السمع عن العَدَلِ
جمعتُ أشتات الحسن فقد	زادت فى الحسن على المثلِ

كأبي يحيى تلقى منه
مولى زهت الايام به
ينميه أبو العباس إلى
شرف بالارث تملكه
بأس كالنار إذا اضطربت
قد ألقى الله بحكمته
يُمضي الآراء مسددة
مولاي قصيدة متدح
طلبت إيضاح فضائلكم
فإذا أحسنت فذاك لكم
وافت عليك معارضة
مع أن قصيدة أولنا
وارجع لمحل حال بما
فأقم للدين تجدده
واخلع أثواب السقم بما
فشروط الحج قد ارتفعت
أشتات الفضل لدى رجل
وتحلت من بعد العطل
حسب في مرقى الجدد علي
فتنقل أحسن متقل
وندى كالفيث المنهمل
بيديه مقاليد الدول
في قول أنفذ أو عمل
وافاك بشعر مرتجل
فحكمت منها بعض الجمل
وإذا قصرت فذلك لي
« عرج يا صاح على الطلل »
فاتت سبقاشاؤ الأول
يشكو لقراقك من علل
في عز باق متصل
تكسى للصحة من حلل
لزوال القدرة والسبل

عهدي بعيدك فيه وقد مدّوا يد داع مبتهل
يرجون ثواءك عن كُثْب ودنوّ لقائك عن عَجَل
كانوا من عهدك في ظلل فعدوا من بعدك في خلل
فأنلهم منك مرادهم وأنقَع بالقرب صدى الغلل
واجمع شملًا بالأهل فقد ماتوا شوقًا قبل الأجل
واسعد واصعد وتسام وزد وترقّ ونل أقصى الأمل
والله يوفّق رأيك في حلّ أزمعت ومرتحل

فأبى إلا سلوكًا لمنهج ، وقصد أن لا يرجع لتونس إلا بعد
تحصيل حجه ، وكان أعزه الله وجه لوالدي كتابا بخطه يعرفه فيه
بحالتي معه ويصفني فيه بما يليق بذاته الشريفة ، ومرتبته الرفيعة
المنيفة ، فوجه إليه والدي جوابا عن ذلك كتابا نصه (بسيط) :

يا نسمة الفجر والازهارُ قد رويت ممّا ادار عليها الوابل الساقى
والروض قد أمسك الامساك منه ترى نمت عليه به أنفاسُ أحـ باق
ولا قرارة إلا قرّرت خبرا بأن دارين منا رأي أحداق
لو أنّه نشر طيب للتجارة قد سقت لطائمه منه بأوساق
والنور تسري إلينا من محامده أنفاس نبد ولكن دون إحراق

بالله هبِّي على نِدادِ تَبَوَّاهِ مَنْ لِلنَدَى فِي يَدَيْهِ سَحْبُ ارْزَاقِ
فَإِنْ ظَفَرْتَ بِقَرَبٍ مِنْهُ فَلْتَصِفِي بِالْسُنِّ الْوُزُقِ فِي الْمَؤَرَّاقِ أَشْوَاقِي
وَتَسْأَلِي لِي وَعْدًا بِاللِّقَاءِ عَسَى وَعْدُ التَّلَاقِي يُجَلِّي مَا أَنَا لَا قِي
وَقَبِّلِي يَا نَجُومَ الْفَاقِ رَاحَتَهُ عَنِّي فَيَسِّرَ الدَّرَارِي قَدَرَهَا الرَّاقِي
يَا رَاحِلِينَ وَقَلْبِي رَاحِلٌ مَعَهُمْ عَنِّي وَإِنْ كَانَ لِي جِسْمٌ هُنَا بَاقِي
لَوْلَا رَجَاءُ التَّدَانِي لَمْ أَعِشْ زَمَنًا فَرْدًا وَلَا وَصِفْتُ بِالْبَصْرِ أَخْلَاقِي
عَسَى اللَّيَالِي الَّتِي بِالْبَعْدِ قَدْ حَكَمْتَ يُجَلِّي دَجَاهَا مِنَ اللَّقْيَا بِإِشْرَاقِ
لَهُ رَقْعَةٌ مَوْلَى قَدْ عُلِقْتُ بِمَا أَوْلَتْ مِنَ النِّعَةِ الْعَظْمَى بِأَعْلَاقِ
تَضَمَّنْتَ ذِكْرَ مَمْلُوكٍ وَوَالِدِهِ مِنْ مَالِكٍ لَهَا بِالْفَضْلِ سَبَّاقِ
فَالْأَمْنُ وَالْيَمْنُ وَالْإِقْبَالُ مَا بَقِيَتْ دُنْيَاهُمَا لَهَا مِنْ أَجْلِهَا بَاقِي

واتصل بهذا النظم من النثر : « يا أيها الملا انه ألقى الى كتاب
كريم ، ويا شاكري الايادي اني لا أبرح عن شكر هذه اليد ولا
أريم ، ومن لي أن أقوم بواجب حقها ، وأستطيع السلوك في لاجب
طرقها ، وهي يد خطتها يد أعلى الله قدرها ، فما يقدر أحد أن يقدرها
تدرها ، تصول بالقلم والحسام ، وتصوب على الايام كصوب
الغمام ، بالنعم الجسام ، ولما وصلت العبد أحرف مولاه ، وأولاه
وأولى ولده من لا والد ولا ولد له من التشريف بذكرها فيها ما

أولاه ، لم يجد لها كفيا ، ولا عملا مرضيا ، الا تضرعا الى من تمد
اليه أيدي الرغبات ، وتستمد من فضله المنح الجزيلة من الهبات ،
فقلت اللهم يا أرحم الراحمين ، اجعلنى على السلام على تلك الغرة ،
واستلام تلك اليمين الكرة بعد الكرة ، من المزاحمين ، ثم رفعت
البراءة المباركة على رأسى اكليلها ، وأوسعتها شوقا لليد التى خطتها
لثما وتقيلا ، ولم أزل أتنعم ببطالتها بكرة واصيلا ، ثم وصلت
الدعاء بأن قلت اللهم ان يكن فى علمك الخير التام له ، فى بلوغ ما
أم له وأمله ، فهون عليه فيه كل صعب ، وروه من نير لطفك بكل
عذب ، وأسعد غيته وسيره على أتم وجوه السلامة ، وأعم
الكرامة (١) ، وأثله خيرك وافرا جليلا ، والا فائق عزمه عما أمه
ورده الى وطنه ردا جميلا ، وأنسى له أجله ، حتى تستنى (٢) ذلك
له ، فى الوقت الذى تؤمن فيه النوائل ، وتساوى فى تهوين
صعوبته وتسهيل حزنوته الاواخر والاولائل ، والبكر والاصائل ،
فأنت يا ربنا تعلم ما للاسلام ، ولامة سيدنا محمد نبيك عليه أفضل
الصلاة والسلام ، فى نظره السديد ، المبارك السعيد ، من الخير
التام ، والصلاح العام ، وناهيك به من دعاء تنزه عن السمعة والرياء ،
ورفعت به الايدى الى رافع السماء ، وختم بالحمد لله رب العالمين ،
والصلاة على سيدنا محمد خاتم الانبياء والمرسلين ،

(١) فى نسخة بزيادة « وعجل اوبته »

(٢) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « يتسنى »

وفى أوائل شهر ذى الحجة تواردت علينا وفود العرب المحاميد فكان فيمن رايته منهم رجل أسود اللون اسمه ابراهيم بن مطرف ويكنى ابا زرارة ، ذكروا أنه كان كاهنا من العرب وادعوا صدقه فيما يتكهنه وحكوا عنه فى ذلك عجائب فسألته عن ذلك فأقر به وادعى أن له رثيا من الجن يأتيه فيخبره بما يكون فى أشعار يخاطبه بها فاستثبته عن شئ من ذلك فذكر لى شعرا ادعى انه أنشده اياه منذ أيام يحيل فيه على كائنة وصفها تكون فى رجب الاتى بعده وهو عام سبعة وسبعمائة ، وكنت كتبت ذلك الشعر فى هذا التقيد فلما تأخر الامر الى انقراض شهر رجب من العام المذكور ولم يكن فيه شئ مما أحال عليه ، وأشار اليه ، بادرت الى محو ذلك الهذيان من الكلام ، وتذكرت قوله صلى الله عليه وسلم لا كهانة فى الاسلام

وحضرنا هنالك عيد الاضحى ونحن بحالة قد غاب عنها السرور بأسره ، فقطعناه ولا أعياد ابن عباد أيام أسره ، واستهل بعده شهر المحرم من عام سبعمائة وسبعة ففى أوائل هذا الشهر وصل إلينا الخبر بقتل ملك المغرب أبى يعقوب المرينى على يد أحد فتيانه ثم قتل ولده أبى سالم ثم قتل اخيه أبى يحيى واستقرار الملك لحفيده أبى ثابت عامر بن عبد الله ، وكان قتل أبى يعقوب على ما تحققت من الكتب الواصلة من هنالك فى التاسع لذى القعدة من عام ستة ، وقتل ابنه أبو سالم بعده بأيام يسيرة وكذلك أخوه أبو يحيى ،

وانتقل أبو ثابت الى مدينة فاس بعد أن سلم مدينة تلمسان الجديدة
لابى زيان محمد بن عثمان بن يغمراسن بن زيان المحصور بتلمسان
القديمة أكثر ولاية أبي يعقوب .

ووصلت الى بعد وصول الخبر بذلك أبيات من الوالد فى مخاطبة
مخدومنا استلوح فيها من موافقة اسم جد هذا المحصور لاسم
المنزل الذى نحن به معنى فقال (طويل) :

أَلَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الْمُبَارَكُ سَعِيهِ تَبَّهْ لِمَا خُوِّلَتْهُ مِنْ مُحَاسِنِ
كَفَيْتَ قَدِيمًا أَهْلَ قَابِسٍ فَتَنَهُ غَوْتُهُمْ بِسُغْفِي مِنْكَ لِلنَّجَحِ ضَامِنِ
وَلَمَّا أَقَمْتَ الْآنَ فِي يَغْمِرَاسِنِ إِقَامَةً مَجْتَازَ بِهِ غَيْرِ قَاطِنِ (١)
وَحَسْبِي تَلْمَسَانُ الَّتِي أَبْصَرْتُ بِهَا عَجَائِبَ صَنَعَ اللَّهُ عَيْنُ الْمُعَايِنِ
وَكُتِبَ إِلَى فِي هَذَا الشَّهْرِ شَقِيقِي أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ
الْفَرِيدَةِ مِنْ نَظْمِهِ (طَوِيل) :

لِلْأَهْلِ الْحَمَى أَصْبُو وَإِنْ جَدَّ لَأْتُمُ وَإِنِّي عَلَى وَرْدٍ بِهِ الدَّهْرُ حَائِمُ
وَمَا الْقَلْبُ خَالٍ مِنْ هَوًى سَاكِنِ اللَّوَى وَإِنْ أَفْقَرْتُ مِنْهُمْ وَأَقْوَتُ مَعَالِمُ
عَلَيَّ لَهُمْ جَفَنٌ مِنَ الدَّمْعِ مُتَرَعٍ وَقَلْبٌ عَلَى حَكْمِ الصَّبَابَةِ هَائِمُ
حَمَى اللَّهُ قَلْبِي كَمْ يَحْنُ إِلَى الْحَمَى وَيُطْرِبُهُ عَهْدُ اللَّقَا الْمُتَقَادِمُ

(١) كذا فى جميع النسخ ولا بد ان يكون بعد هذا البيت بيت سقط

يَحْنُ اشْتِاقاً أَوْ يَحْنُ صِبَابَةً إِذَا لَاحَ ضَحَاكُ مِنَ الْبَرَقِ بِاسْمُ
وإنْ غَرَّدَتْ وَرَقَاءُ فِي غَسَقِ الدَّجَى يَمِيلُ بِهَا غَضَنُ مِنَ الْأَيْكَ نَاعِمُ
تَذَكَّرَ عَهْدًا قَدْ تَقَضَّى نَمِيمُهُ كَانَ لِيَالِيهِ الْوَاضِي مَوَاسِمُ
أَلَا فِي ضَمَانِ اللَّهِ قَلْبِي قَدْ غَدَا يَشَبُّ عَلَيْهِ مِنْ لُطَى الشُّوقِ جَاحِمُ
وَبِالنَّفْسِ أَفْدَى جِرَةَ قَدْ تَحَمَّلُوا فَلَا الْقَلْبَ مَرْتَا حَ وَلَا الْجَفْنَ نَائِمُ
نَاوَأْ فَأَيُّ صَبْرٍ الْمَيِّمُ إِنْ شَرُّهُمْ وَأَيُّ اصْطِبَارٍ بَعْدَ حَبِّ يَلَازِمُ (١)
سَرَّوَا يَقْطَعُونَ الْبِيدَ وَاللَّيْلَ عَاكِفُ كَانَتْهُمْ فِيهِ نَجُومُ عَوَائِمُ
عَلَى كُلِّ فِتْلَةٍ الذَّرَاعِينَ جَسْرَةً سَوَاءٌ لَدَيْهَا سَهْلُهَا وَالْمَخَارِمُ
تَبَارِي عَلَيْهَا الْفَقْرُ (٢) جَدًّا كَانَمَا قَوَائِمُهَا عِنْدَ النِّجَاءِ قَوَادِمُ
جَدِيلَتِ الْآبَاءِ مَوْثُوقَةُ الْقَوَى سَلِيمَةٌ مَا نِطَتْ إِلَيْهِ الْقَوَائِمُ
وَيَا قَاتِلَ اللَّهِ الْمَطْيِ وَإِنَّمَا نَأَتْ بِأَحْبَائِي الْمَطْيِ الرُّوَاسِمُ
لَقَدْ خَلَفُوا مِنْ بَعْدِهِمْ ذَا صِبَابَةٍ يَرُوحُ وَيَغْدُو وَهُوَ بَنَانُ وَهَادِمُ
إِذَا مَا جَرَى ذَكَرَ الْعَمِيقِ جَرَتْ لَهُ دَمُوعٌ حَكَتْ لَوْنَ الْعَمِيقِ سَوَاجِمُ
فِي جِرَةِ الْوَادِي نَدَاءُ مَيِّمٍ تَعْدَى عَلَيْهِ الدَّهْرُ وَالْدَّهْرُ حَاكِمُ
أَعْنَدَكُمْ أَنِّي عَلَى الْعَهْدِ ثَابِتٌ إِذَا ضَيَّعَ الْعَهْدَ الْقَدِيمَ مَصَارِمُ

(١) وقع تحريف شديد في هذا المصراع بجعل النسخ

(٢) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « الغفر »

وَأَنِّي عَلَى رَعِي الذِّمَامَ حَافِظُ وَأَنِّي عَلَى حِفْظِ الْوُدَادِ مَدَامُ
وَيَا مُزْمِعَ التَّرْحَالِ تَحْمِلْ كُورَهُ عَلَى بُعْدِ مَا يَنْوِي قِلَاصَ سَوَاهِمُ
لَكَ اللَّهُ عَوْنٌ وَالنَّجَاحُ مُوَافِقُ وَبَلَفْتَ فِي دُنْيَاكَ مَا أَنْتَ رَائِمُ
تَحْمِلُ رِعَاكَ اللَّهُ عَنِّي تَحِيَّةً كَمَا انشَقَّ عَنْ زَهْرِ الرِّيَاضِ كَمَا تَمُ
تَضَوُّعُ فِي وَسْطِ النَّدَى فَكَأَنَّمَا تَنْشَقُّ مَسْكَانَ مِنْ شَذَاهَا الْعَرَاتِمُ
وَإِنْ صُرْتَ مَجْتَازًا بِأَرْبَعِ دَمَرُ وَلَا حَتَّ بِهِ لِلْعَيْنِ مِنْكَ الْمَعَالِمُ
فَخُصَّ بِهِ عَنِّي شَقِيقِي وَإِنِّي بِحُكْمِ النُّوَى وَالْبَعْدِ فِيهِ لِرَاغِمُ
وَصِفْ مَا أَلَا قِي بَعْدَهُ مِنْ تَشَوُّقُ وَوَجَدْتَ تَنْقَدُّ مِنْهُ الْحِيَازِمُ
تَمَثَّلْهُ الْأَشْوَاقُ لِي فَكَأَنَّمَا وَإِنْ كَانَ نَاءٌ بَيْنَ عَيْنِي قَائِمُ
وَمَا ظِلِّيَاتِ ضَرَمَ الْقَيْظُ لُوحَهَا فَهَنْ عَلَى وَرْدِ الشَّرَابِ حَوَائِمُ
إِذَا لَاحَ بَرْقٌ فِي عَنَانٍ سَحَابَةٍ فَهَنْ لِمَا يَلْتَأَحُ مِنْهُ شَوَائِمُ
رَأَتْ نُطْفَةً زَرْقَاءَ فِي قَلْبِ صَخْرَةٍ مَنَعَةً قَدْ غَادَرَتْهَا الْحَمَائِمُ
يَفِيءُ عَلَيْهَا الظِّلُّ كُلَّ عَشِيَّةٍ وَتَسْتَرْهَا أَغْصَابُ دُوحِ نَوَاعِمُ
بِأَعْظَمَ مِنْ شَوْقِي لِرُؤْيَتِهِ الَّتِي بِهَا أَمْلِي يَدْنُو وَسَعْدِي يَلَائِمُ
أَجَابَنَا بِالسَّخَطِ مَنِّي لَا الرِّضَا عَدْتَنِي نَجُودُ (١) عَنْكُمْ وَتَهَائِمُ

لقد طال هذا البعد واشتطت النوى وجار علينا الدهر والدهر ظالم
 إذا ما تذكرت الليالي التي مضت تخيلت أني في أدكاري حالِم
 أحسن لمسرى البرق من نحو أرضكم إذا ما سرى والليل أسودُ ساجِم (١)
 وكم هي تجت شوقي سواجع أيكه يجاوبها ألف لها ويناعِم
 أطارحها رجع الخين صابرة وأغرب عن وجدي وهن أعاجِم
 فيا ليت شعري هل يعود بقر بكم زمان نعمنا فيه والشمل ناظِم
 ويا حبذا دهر قضى باجتماعنا كريم وأيام تَوَلَّتْ كرائِم
 بحيث قطعنا العيش وهو مهنا ولننا الأمانى والزمان مُسالِم
 وكم قد أدركنا الكؤوس والمن والمنى علينا وما غير السرور منادِم
 فهل مبلغ ذلك السرور الذي مضى سلاماً تؤديه الرياح النواسِم
 إذا حملته عطر الجو عرفه كما خطرت يوماً عليك لطائِم
 سقى الله صوب المزن أعلام دمر وروى رباه العارض المتراكم
 ولا زال مطور الثرى نخصب الذرى تردد فيه اللحن ورق حمائم
 إذا السخب أذرى فوقه الدمع أصبحت تضاحك للأزهار فيه مباسِم
 وما طلبى سقياه إلا رعاية لمن حله والدهر مُنقط وحارِم

ومن اجل من حل الحمى يذكر الحمى وإلا فما تجدي الربوع الطواسم
 فينا نائيا غني ومثواه في الحشا ومن أعجب الأشياء ناهـ ملازم
 الى م نوى لا يستطيع احتمالها وحتى م بعد حوله متفاحم
 ألا زورة تهدي الشفاء على النوى ويهدي لنا منها المسرة قادم
 ومن لي باللقيا ودون منالها فيافي حمامى جنوبهن المناسم
 اروح واغدو والصبـا متسم عسى خبر يأتي به منك ناسم
 وكم لي على بعد النوى من تحية تحملهـا غني البروق البواسم
 فيا ليتني طارت بكوري على النوى خوفاً (١) شديداً القوي وقوادم
 لاأحظي بحظ لي برؤياك مقنع واني اذا ما نلت ذاك لغـانم
 احن اذا ما مر ذكرك خاطراً بقلبي كما حنت نياق روائـم
 عسى الله ان يدني اياك عاجلا فيحسم هذا البعد والين حاسم
 ومما يسلي النفس انك مودعـ حيث تحاماك الخطوب الهواجم
 ومن يك بالمولى العباد اعتقاله فقد نكبت عنه الدواهي الرواسم
 همـام توقاد الاسود مهايـة وتحسد كفيه البحور الخضارم
 عماد بني الدنيا ومولاهبـم الذي يصادر (٢) عنهم من عدا ويصارم

(١) في بعض النسخ « فراح »

(٢) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « يصادم »

من آل ابي حفص الذي قد غدا به حمى الدين في امن وذال المراعى
 حمى حوزة الاسلام قدماً بعزمه فمزت له بالله تلك العزائم
 لقد شمت تلك الربوع بماجد نمته الى العلى جوداً كرام
 يقاسمه في ماله كل مجتد وليس له في مجده من يقاسم
 كريم اذا ما السحب ضنت بقطرها حلیم اذا ما حف باللم راقم
 يرى البخل عصياناً اذا سال سائل كان عطاياه فروض لوازم
 يذكر يوم الجود والروع حاتم وعمر ومن عمر ولديه وحاتم
 حوى قصب العلياء والغاية التي يرى كل خلق دونها وهو فاحم
 فمن كابي يحيى ندى وشجاعة اذا أمه عاف (١) ودارت ملاحم
 هو الجود حتى لو تخلف مجتد لسارت اليه من نداء (٢) المكارم
 لقد غاب عن ترشيش اذ غاب انسها ولاقت من الاشواق ما لا تنادم
 تغير منها كل حن واصبحت يلوح لها وجه من الشوق قائم
 حاة ابي يحيى حياة بني الدنى وآراؤه من كل خطب عواصم
 فلا زال في عز وسعد مجدّد تقابله الايام وهي خواصم
 ودام على مرّ الليالي وكرها ينادي محباً للنمى وينادم

(١) في جميع النسخ « امة عافت »

(٢) في نسخة « يديه »

واستهل بعد هلال صفر بالثلاثاء ففى أواسطه وصل إلينا الفقيه
الاجل ابو زكرياء بن يعقوب وذلك يوم الجمعة الثامن عشر منه
وأخبرنى أن خروجه من تونس كان يوم السبت الخامس منه ، ولما
وصل عزمنا على التوجه الى طرابلس للاقامة بها الى ان يصل ركب
يتوجه معه مخدومنا الى المشرق على حسب ما كان بنى عليه أولا
فأقمنا بفمراسن بعد وصوله شهرا كاملا وارتحلنا منه ظهر يوم
الاحد الثامن عشر لشهر ربيع الاول فكانت مدة الاقامة بها أربعة
أشهر وثلاثة عشر يوما التى هى بحساب كمال الشهر ونقصه
مائة وواحد وثلاثون يوما ، وودعنا فى هذا اليوم الفقيه أبو ابراهيم
ابن حسينة وانفصل متوجها الى تونس وأنشد مخدومنا عند
وداعه له (بسيط) :

سَخَا بِنَفْسِي عَلَى إِثَارِ صَحْبَتِكُمْ يَوْمُ الْوَدَاعِ وَمَالِي مِنْكُمْ خَلْفُ
الْأَفْوَادِ (١) كَطِيرٍ حَلَّ فِي شَرَكٍ وَدُمْعَةٌ مِثْلُ مِنْهَلِّ الْحَيَا تَكْفُ
أَكْفَهَا عَنْ مَجَارِيهَا فَيَعِثُّهَا حَادٍ مِنَ الْوَجْدِ يُجْرِيهَا فَلَا تَقِفُ
خِلَالَهَا زَفْرَةٌ تَشْتَدُّ طَالِمَةً تَكَادُ مِنْ حَرِّهَا الْأَضْلَاعُ تَنْقُصُ
عِلْمُ الْيَقِينِ بَأَنِّي إِنْ صَحْبَتَكُمْ أَرْدَى وَشِيكَاءُ وَلَمْ يَمَهِّلْنِي التَّلَفُ
فَقُلْتُ مَا صُحْبَةُ دَانَ تَصْرُمُهَا بَعْدِي (٢) بَفَرَقَةٍ وَقْتُ مَالِهِ طَرَفُ

(١) فى نسخة « وحيدا »
(٢) كذا فى جميع النسخ

وفي رجوعي رجاء للبقاء به ارجو حصول التلاقي حين تنصرف

فاختار عبدك بعداً بعده صلة على اتصال يبعد الدهر يكتنف

فانظر بعين اعتبار ما اتيت به يقيم لي العذر في عيائك النصف

واترك مقالة اقوام ذوي غرض يردهم قصدهم عن بعض ماعرفوا

وقربنا نحن مرحلتنا من الغد فبتنا على غير ماء ثم أصبحنا يوم

الاثنين فنزلنا بيئر تعرف بالعقلة وهي بئر مرة تتضمنها أرض قفرة ،

ووجدنا بعض المحاميد قد أوردوها ذلك اليوم ابلا كثيرة فزادها

الى المارة تغييرا ، وأخبرني بعضهم أن حفر تلك البئر محدث وأن

البئر القديمة المعروفة هنالك ابعد يسيرا منها وانما انتقل الورد الى

هذه لفضل مائه على الماء الاخر ، وأرض هذه البئر من الارض المعروفة

عندهم بأرض فسى - بكسر الفاء وكسر والسين المهملة مشددة -

ثم انتقلنا يوم الثلاثاء الى ماء يعرف بانتطار بضم القاف كذا ينطقون

به وهي أحساء لا يستطيع أحد لمائها شربا ، ولا يحب الليلة قربها

قربا (١) ، ومنه يوم الاربعاء الى ماء يعرف بأبى الحبر - بضم الحاء

والباء - لا يحمد مذاقه مختبر ، ولا يصبر لتجرع صبره مصطبر ، ومن

هذا الماء فارقتنا أرض المحاميد وودعنا في هذا اليوم أميرهم يعقوب

ابن عطية وانقلب راجعا الى مخيمه وبتنا نحن تلك الليلة هنالك ثم

(١) كذا في بعض النسخ وفي نسخة « ولا يحب ليلة قربها قربا »

ارتحلنا من الغد فزلنا بماء يعرف بتاذر ، وهو أول أرض الجوارى
وهم بنو جارية بن وشاح بن عامر وقد تقدم رفع نسب وشاح الى
سليم عند ذكرنا للمحاميد ، ورئاسة الجوارى الان فى المراغمة منهم
وأمرهم فى حين تاريخه سالم بن مرغم بن صابر بن عسكر بن
حميد بن جارية ووصل الينا بهذا المنزل بعد أن كان قد انصرف
عنا من منزل أجاس قبل وصولنا لغراسن على ما تقدم ، فصحبنا
فى هذا المنزل وما بعده من المنازل ولما اجتمع بنا رغب الى مخدومنا
أن تكون اقامتنا عنده بمنزل زنزور (١) الى أن تصل المشاركة وأن
لا يتجاوزنه الى طرابلس وجعل هذا الغرض من أكبر مطالبه ،
وأقصى مثاربه ، وانما فعل ذلك مضاهاة لابن عمه يعقوب بن عطية
حيث أقمنا عنده بمنزل غراسن تلك المدة المتقدمة ، فلم يكن بد من
اسعافه بما طلب فتوجهنا بانين على الاقامة معه حيث ذكر .

وكان انتقالنا عن تاذر يوم الخميس فملنا الى طريق الساحل
ميتاسرين ، وسامتنا من البحر مدخل فى البر آخذا (٢) من المشرق الى
الغرب بطول خمسة أميال أو نحوها ، ومرساها مرسى مستحسن عند
أهل البحر ويعرف هذا الموضع فى القديم بقصر طالح ، وسيأتى له ذكر
فيما بعد هذا وهنالك السبخة المفضل ملجأها على جميع السباخ ومنها
يمتاز أكثر بلاد النصرانية جثناها وبها اذ ذاك ماء يسير وكأنها

(١) فى بعض النسخ « جنزور »

(٢) بياض فى بعض النسخ وفى بعضها اختلاط كبير لا تستقيم معه العبارة

طرف من سبخة التاكمرت التي بتوزر ، وأهل ذلك الموضع
يذكرون انهم اذا رفعوا ما على وجهها من الملح ووصلوا الى تراب
الارض احتفروا فيه قليلا فوجدوا طبقة من الملح أخرى ثم يحتفرون
فيجدون طبقة أخرى وكذلك الى سبع طباق وهم يجهدون الى
الطبقة السابعة لان التنصاري يتغالون في اشتراؤه منهم ، ويذكرون
أن له عندهم منافع طيبة متعددة .

واجتزنا بعده أيضا على ورد يعرف بتفاضلات - بالتاء المثناة من
أعلاه والفاء والضاد المعجمة - وهي أحساء ماء بين أحقاف رمال
ووجدنا العرب قد أوردتها في ذلك اليوم من النعم الدثر ، ما ضاق
به متسع ذلك القفر ، وتمادى السير بنا الى أن نزلنا بظاهر
زوارة الصغرى وتعرف أيضا بوطن بلد المرابطين وهي قرية ذات
نخل كثير باسق الارتفاع وماؤها في غاية العذوبة وقد استولى
الان الحراب على هذه القرية فليس العامر منها الا بعض القامر ،
وأهلها قوم من الحوارج غلاة في مذهبهم موصوفون بتصميم في
دينهم وأمانة فيما يودع عندهم مكفرين بمواقعة (١) الذنوب ورأيت
منهم اقواما قد نحلّت من العبادة ابدانهم ، واصفرت ألوانهم ، بانين
في ذلك على هذا الاصل الفاسد من تكفير العصاة على ما تقدم بيانه
عند ذكر جربة

وأظهر اهل وطن المرابطين شيخ يعرف بعبد الرحيم الزواري

وجميعهم يعظمه ويقدمه رئاسة وسنا وصلاً بزعمهم اجتمعت به
فرايت شيخاً مجتهداً في العبادة حسن السمعة الا انه باعتقاده الفاسد
قد ضيع اعماله ، وخسر حاله وماله ، وتوسمت في احد من وصل معه
الطلب فتكلمت معه فوجدته قد شارك في طرف من العلم وانجر
الكلام معه من التحدث في اصل المعتقد الى التحدث في مسألة المسح
على الحفين في الطهارة فشنع بها على مثبتيها كثيراً وفقاً لمذهب
الحوارج ، فذكرت له بعض الاحاديث الواردة في ذلك عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فردها بالجملة وقال هذه اخبار آحاد لا يجب
العمل بشيء منها ، قال : وقد نص لنا سيدنا ابو يزيد غلغل بن كيداد
على طرح ما كان من الاحاديث يناقض اصلاً من اصولنا فلغنت
النص ومن نصه ، وأبعدت عنى لفلتات لم يصن لسانه عنها شخصه ،
وقد وافقت الحوارج على انكار المسح على الحفين اضدادهم الشيعة
مستنديين في انكاره الى ما رووه عن علي بن ابي طالب رضوان الله
عليه انه كان لا يرى المسح ، وذلك غير صحيح عنه كرم الله وجهه .
فان حديث التوقيت في المسح وهو حديث صحيح يروى (١) وقد
تعالى الشيعة في هذا واتخذوه شعاراً حتى ان الواحد من غلاتهم ربما
تألى فقال : برئت من موالاة امير المؤمنين ومسحت على خفي
ان كان كذا والى هذا اشار الشاعر بقوله ، ونذكر حكاية هذا
الشعر على ما ذكرها ابو سليمان الخطابي في معاليه ، قال :

(١) كذا في جميع النسخ ولا بد ان يكون في العبارة نقص ولعل الناقص هو « عنه »

كان الحسن بن زيد بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضى الله تعالى عنه وعنهم واليا على المدينة من قبل ابي جعفر المنصور فكتب على بعض كتابه فحبه فكتب له من السجن (١) (بسيط) :

اشكو الى الله ما لقيتُ احببت قوما بهم شقت

لا اشم الصالحين جهراً ولا تشييت ما بقيت

امسح خفي بطن كفي ولو على جيفة وطيت

قال فاطلقه واكرمه .

واما الحوارج فوقفوا في انكار المسح مع نص الكتاب ولم يروا نسخة بالسنة ، ورويت (٢) عن مالك رحمه الله في ذلك رواية شاذة لا ينبغي ان تحمل على ظاهرها ، وقد تناولها عليه من صححها عنه . وبالجملة فالعلماء مجمعون على خلاف هذا القول وقد نصوا على تفسيق من قال به ، وقول هذا الزوارى ان هذا من اخبار الاحاد ليس كذلك فقد نص الاية على ان هذا الحكم مما ارتفع عن رتبة خبر الاحاد ووصل الى رتبة التواتر

وأمام هذه القرية بقربة منها قصر يسمى وزدر - بكسر الواو - وسكون الزاى وكسر الدال المهملة - قد محى رسمه ، وبقي اسمه ، وتخرب أكثر البناء الذى يحف به ولم يبق من اهله الا أناس قليلون

(١) في بعض النسخ « من الحبس »

(٢) في بعض النسخ « روى »

سكنوه جبالا للوطن، وهذا القصر هو المشهور ببيع من يجتاز به الحجاج وغيرهم للنصارى، ولم تزل الركوب تحترس اذا مرت به خوفا من أهله وخوفهم على سرقة الرجال، اكثر من خوفهم على سرقة الرحال، فاذا جازوا عليهم ولم يفقدوا أحدا ممن معهم هنا بعضهم بعضا بذلك، وكان هذا الفعل فيهم كثيرا شائعا فيما تقدم وأما الآن فقد قل ذلك لقلة العابرين به، وسألت أقواما منهم عما اشتهروا به من هذا الفعل فأقروا به ولكنهم ادعوا انقطاعه عنهم جملة، قالوا وهذا الخراب الذى فى موضعنا الآن انما هو مساكن القوم الذين كانوا يفعلون ذلك أهلكهم الله تعالى وأخرب بيوتهم.

فبتنا تلك الليلة بظاهر وطن ثم أصبحنا من الغد مرتحلين فاجتازنا فى أول المرحلة على زوارة الكبرى التى تسمى كوطين - بضم الكاف وكسر الطاء المهملة - وهى قرية أضخم من الاولى وأكبر غابة، وفى أهلها شجاعة موصوفة وعزة أنفس وطاعتهم للعرب مشوبة بعصيان وكان نزولنا منتصف النهار بظاهر ولول، وبين وطن وولول عشرون ميلا وهما قريتان متشابهتان عذوبة ماء وخراب بنيان وولول هى منتهى أرض زوارة، وسميت بذلك لان أقواما من البربر يعرفون بنى ولول نزلوا بها وكذلك تعرف فى القديم بأرض بنى ولول، وهى أكثر بقاع الارض ظباء ولاهلها دربة فى صيدها بأشراك ينصبونها لها تميزوا بذلك عن غيرهم.

ومن ولول يوم الاحد الى موضع يعرف بتليل وهو حصن فى
راس تل مشرف على البحر وتحف بالقصر فى سند التل دور كثيرة
معمورة وما تحت التل سوانى ومزارع وليس هناك شجرة واحدة
وانما معتمدهم فى سكنائهم بذلك القصر على ما يزدرعونه بتلك
السوانى ، وبها آبار معينة الا أن ماءها شريب وليس العذب منها الا
ما بين التل والبحر وأهله برابر نكارة موصوفون بخبث وشر .

وارتحلنا عنه يوم الاثنين فاجتزنا فى أول المرحلة على زواغة
وبينهما ستة أميال أو نحوها ، وزواغة هى أكبر قرية فى ذلك الموضع
وأضخمها وبها نخل كثير ومنها يظهر للمتوسم بعض مباني
طرابلس وبينهما نحو خمسين ميلا ، وأهلها لم يزالوا فى القديم
مشكورين مكرمين للحجاج على الضد من جيرانهم أهل زوارة
ولم يكن يسمع عن أحد منهم بيع مسلم ولا تعرض له بسوء ولكنهم
فى هذا الزمان أظهروا تعديهم ، ومدوا الى المراكب البحرية
والركائب البرية أيديهم ، كأنهم حسدوا أهل زوارة على تميزهم
بتلك الفضيلة التى اشتهروا بها ، وبهذه المدينة آثار قديمة وأعمدة
مرتفعة من الرخام قائمة الى الان لآبناء يكتفها ووجدت سارتين منها
متجاورتين على شكل واحد وكل واحدة مؤلفة من أربع قطع فى
غاية الضخامة والارتفاع وحسن الصنعة غير أن احدهما قد
سقطت قطعة من أعلاها فأخبرنى أهل الموضع أن بعض كبراء

العرب كلهم رمى تلك القطعة لانه سمع أن كل قطعة منها مملوءة
ذهبا فرموها وكسروها فلم يجدوا بها شيئا ، والى جانبها من جهة
البحر آثار المدينة القديمة المعروفة ببصرة (١) وربما كتبت بسين
مكسورة عوض الصاد ، وهى كانت فى القديم قاعدة ذلك الموضع
كله ولم يكن هناك أحصن منها ، واستفتحها عمرو بن العاص
رحمه الله تعالى أول دخوله لافريقية بعد افتتاحه لطرابلس ، جرد
اليها خيلا وهم آمنون قبل أن يصل اليهم الخبر بفتح طرابلس
فصبحتها (٢) خيله ، وقد فتحوا أبوابها لتسرح ماشيتهم وكان على
الحيل عبد الله بن الزبير فدخلوها فلم ينج من أهلها أحد الا ناس
قلائل توجهوا فى مراكب لهم الى صقلية واحتوى أصحاب عمرو
على ما فيها ورجعوا الى عمرو فأمرهم يهدمها واحراقها

وبعد مجاوزتنا لزواغة اجتزنا أيضا على قرية أخرى تعرف
بصرمان وسيأتى لها ذكر بعد هذا ، ثم اجتزنا على زاوية تعرف
بزاوية أولاد سهيل فنزلنا هنالك وهى رابطة حصينة يحف بها
شجر كثير من التين والرمان والخوخ وغير ذلك ، ولها أرض متسعة
تعرف بالسابرية ، وأولاد سهيل قوم من العمور ، والعمور فخذ من
الوشاحيين ينتسبون الى عمور بن وشاح أخى جارية بن وشاح
أخى المحاميد ، ولهم أخ رابع اسمه جواب وهو أبو الجوابية ، وقبيلة

(١) بصرية

(٢) وفى بعض النسخ « مجبتها »

العمور والجوادية في زماننا هذا لم يبلغ من كثرتهم أن يقوم كل قبيل منهما بنفسه فهم تابعون لاحدى قبيلتى اخوتهم الجوارى أو الحمديد ، وقد كانت قبل هذا لهم بهذه الارض صولة ، ساعدتهم فيها من الايام دولة ، ثم أخذ الدهر ذكرهم ، وطوى أمرهم ، وهم الان تابعون للجوارى ، وسهيل صاحب هذه الزاوية رجل كان يعرف بأبى عيسى يذكر عنه صلاح واعتناء باضافة من كان يرد عليه وتوفى عام ثلاثة وسبعين وستائة ، وخلفه فى اقامة (١) رسم هذه الزاوية أبناءه وهم ناس صلحاء سكنوا تلك الزاوية رحمة للمجتازين بهم فانهم يرفدونهم بما يحتاجون اليه من زاد وغيره ويرجعون اليهم ما استلبتهم العرب ، والدبايون يرعون لهم حق رباطهم وحق مشاركتهم لهم فى النسب .

ولما نزلنا بمقربة من هذه الزاوية وصل الينا أهلها راغبين فى الوصول الى موضعهم والتحرر بطعامهم فسرنا مع مخدومنا اليهم فأصعدونا اليهم فوجدناهم قد شحنوها بالعدد المنمة على نحو (٢) التحيس عليها ، ورأيت هنالك كتبا كثيرة محبسة وزرنا بداخلها قبر الشيخ أبى عيسى رحمه الله ، ثم أتوا بطعام محتفل فطعمنا وانتشرنا وبتنا تلك الليلة بمقربة منها ، ثم لما أصبحنا سرنا فاجتزنا بزاوية أضخم منها حالا ، وأكثر رجالا ، وبها مبان كثيرة ولها أرض

(١) فى جميع النسخ « امانة »

(٢) فى بعض النسخ « على رسم »

متسعة وتعرف بزاوية اولاد سنان اخوة الوشاحيين والنوائل ، وهم بنو سنان بن عامر بن جابر وعامر هو أبو وشاح ونائل كما تقدم عند ذكرنا للنوائل ، فبنو سنان يتداعون مع الوشاحيين في عامر أبيهم ، وهذه الزاوية راجعة الى حكم عبد الله بن دباب بن أبي العز بن صابر بن عسكر بن حميد بن جارية الشديد القسوة المشهور هو وبنوه يربط البربر وتعذيبهم بالنار وغيرها لاستخراج أموالهم منهم ، وهناك مجمع (١) العرب وسوقهم ، وبها يباع مجتلبهم ومسوقهم

وكان نزولنا في هذا اليوم بموضع يعرف بلماية ، وهي قرية صغيرة وبها نخل يسير وقصور مرتفعة متفرقة ، وبمقربة منها قرية تعرف بقرقوزة - الاولى راء والثانية زاي - وبها آثار قديمة وكانت لها غابة نخل فأهملت وبطل ثمارها فبتنا تلك الليلة بلماية كما تقدم . ثم أصبحنا يوم الاربعاء الثامن والعشرين من هذا الشهر وهو شهر ربيع الاول فحللنا بمنزل زنزور ، فرأيت غابة متسعة الاقطار ملتفة الاشجار وبها مياه عذبة وأكثر شجرها الزيتون وأكثره من الفرس القديم على نحو زيتون الساحل ، وليس يعظم (٢) شجره في موضع من المواضع ما يعظم (٢) في هذه القرية ، وبها مع ذلك نخل كثير وزطبه متناهي الطيب ، وبها أيضا من شجر التفاح والرمان

(١) في بعض النسخ « مجتسح »

(٢) وفي بعض النسخ « يطعم »

والعنب والتين كثير وهى كثيرة القصور وقد استولى الرمل على أكثرها ، وهم الان يتوقعون استيلاءه على باقيها ، ويقال ان طولها الان نحو من خمسة أميال وعرضها نصف ذلك ، وهى أشبه البقاع بجزيرة جربة هياة غراسة ، واتصال عمارة ، ولا فرق فى النظر بينهما الا أن مساكن أهل جربة أخصاص من النخيل كما تقدم ومساكن هؤلاء دور مبنية ، وكانت فيما تقدم من أملاك أهل طرابلس فلما وقعت فتنة الميورقى بتلك الجهات وانقطع بسبب ذلك طرقت أهل البلد اليها وانتفاعهم بشيء من غلها (١) زهدوا فيها فباعوها من بعض البربر فهو أصل ملك المجريسين (٢) وبها جامع متسع للخطبة يذكر أن عمرو بن العاص رحمه الله ، اسسه واحتجر من هذا الجامع موضع دفنت فيه أم سالم بن مرغم وكثير من ولده وضرب عليه يساب .

ويجاور هذا الجامع قصر خرب متسع يعرفونه بالقصر القديم يقال انه أول قصر بنى بزور ، ولم يبق منه الان الا سوره المحيط به وهم يعظمون أمره ويقولون ان فناء (٣) ما بقى منه يؤذن بخراب البلد وفناء أهلها ، والى جانب هذا الحائط يكون مجتمعهم لنصب سوقهم وهى سوق نافقة ضخمة يجتمع البربر بها من الاقطار

(١) فى بعض النسخ « غلها »

(٢) وفى نسخة « تملك المجريسين »

(٣) فى بعض النسخ « بقايا » وفى سائرهما « بقا »

المتأثية (١) فى كل جمعة فيسعون هنالك جميع ما يجلبونه وأهل
زنزور قوم من البربر هواريون ثم مجريسيون كما تقدم .

وهوارة يقال إن أصلهم من البربر وإن أباهم هوار بن المثنى بن
المسور بن يخصب ، ويقال ابن أبى المثنى وكذا رأيت بخط أبى
اسحاق الاجدابى ، وسمى هوارة لكلمة قالها فى حكاية طويلة
اختصارها أنه كان ساكنا بالحجاز فضلت له ابل فتوجه فى طلبها
الى أن بلغ الى مصر ودخل الى بلاد المغرب طالبا لها فمر بجبال
طرابلس فقال لفلانمه أين نحن من الارض ؟ فقال له الفلام بأرض
افريقية، فقال: لقد تهورنا، والتهور الحق، فسمى هوار لذلك، وحالف
بافريقية قوما من زناتة فرأى عندهم العرجاء أم صنهاج ولط بنى
لط الاكبر وقد كان زوجها لط توفى عنها وكانت جميلة
فتزوجها هوار فكثر نسله منها واتسع فهم الهواريون ومجريس
فخذ منهم ، سموا باسم أمهم ، وكانت لابيهم وخيع (٢) زوج أخرى
سمى تاسا ينسب اليها التاسيون فبنو مجريس وبنو تاسا بنو أب
واحد .

وكانت لمجريس قبل هذا قوة واشتداد بقريتهم هذه وامتناع
من العرب لم يكن أحد من العرب ولا غيرهم يدخل غابتها ولا
يتجاوز شجرة واحدة منها الا باذن منهم ، وكان بها اذ ذاك أجناد

(١) فى بعض النسخ « متأينة »

(٢) فى بعض النسخ « وخيمن » ولعل الصواب « ونيفن »

مرسومون فى ديوان العطاء كلهم من أهلها قد عدوا هنالك جندا لمن يلى طرابلس ، وزسم لهم عطاء يقبضونه من خراج طرابلس فكانوا يذيقون الاعراب شرا ، ويكفون منهم فسادا كثيرا وضرا ، ولم تزل العرب حاقدة عليهم الى ان ضعف الامر وتمكن مرغم بن صابر من الدولة وطلب من الملك أخذ هذه القرية بظهير فأعطىها وذلك فى أول سنة ست وسبعين وستمئة ، فأخبرنى صاحبنا الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد السلام الاموى التاجورى ، قال : لما وصل مرغم بن صابر الى طرابلس أرائى الظهير وسألنى هل هو صحيح فقلت له : انه صحيح ، وهو بالعلامة الجارية قال : فحينئذ أيقن بتملكها ولم يكن يصدق بذلك ، ولا خطر له قط أن يجوزها سالك ، فأحرى أن يجوزها مالك ، ثم أخذ فى اضعافهم ، والسعى فى اتلافهم ، الى أن كاد يفنيهم ، وفى وقتنا هذا متفرقون الى جماعات كثيرة وأظهر فرقتهم فرقة تعرف بالقياد وأمرهم راجع الى رجل اسمه جابر بن مالك وهو قائد الرئاسة فيهم ، وتناظر هذه الفرقة فرقة أخرى تعرف ببني سلام وبني حسين تجمع الفرقتين ، ولا تزال الحرب قائمة بينهما وينضاف اليهما باقى الفرق كالحطايين وبني مزبلة والابراهيميين وبني رزق وبني مدين وغيرهم فى حال الحرب والسلام بالحلف والمعاقدة ، وجميعهم منقسمون بين المراغمة من الجوارى على رتبهم لكل واحد منهم جماعة يحييها ويحييها وربما تباعوهم فيشتري أحدهم ونساؤه وولده للجباية بما يتراضى مع صاحبه عليه ويجعل أداء فى كل عام

على حسب شجره وسعة أرضه وليس أهلها ملاكا فى الحقيقة لشيء منها وإنما هم أجراء للعرب ناصحون واسم الملكية لهم هو النصح فى الخدمة .

وبظاهر زنزور كانت الواقعة بين جعفر بن حبيب قائد باديس ابن المنصور ويانس الصقلى (١) الواصل من مصر وكانت منزلة جعفر بن حبيب بغريبها ومنزلة يانس بشرقيها فالتقيا فكانت الهزيمة على يانس وقتل هو وأكثر جنوده وحملت رؤوسهم الى جعفر وذلك فى سنة تسع وثمانين وثلاثمائة ، وقد قدمنا الخبر عن هذه الواقعة مستوفى قبل هذا .

ومن أهل زنزور صاحبنا الفقيه أبو يحيى بن أبى بكر بن برنيق الهوارى المجريسى انتقل من زنزور الى طرابلس فاستوطنها ، وله مشاركة فى علوم منها أصول الدين على طريقة القدماء قرأها على الفقيه أبى محمد بن أبى الدنيا ، ومنها الفقه وغير ذلك ، لقيته بزوزور ثم لازمني بعد بطرابلس وهو شيخ كبير السن حفظه (٢) متع الحديث ذو دين متين ويذكر أنه كان فى صفه آية فى الجمال وحسن الصورة واقتضح فى محبته بعض الكبراء من أهل طرابلس فأدركه خبل فى عقله فكان مولعا بتكرار اسمه لا يجب من كلمه الا بذلك ، وأخبرنى بعض أهل طرابلس أن هذا المقتضح المخبل العقل كتب

يوما في جدار من جدران طرابلس : أيلام من يحب أبا بكر ؟ فقرأه بعض الظرفاء فكتب تحته ان كان أبا بكر الصديق ، فأنت مؤمن على التحقيق ، وان كان أبا بكر بن برنيق ، فأنت فاسق زنديق .

وزرت بخارج الغابة من هذه القرية قبر الشيخ أبي محمد عبد الجليل الحكيمى (١) وهو على ساحل البحر بيت يجاور مسجده الذى كان انفرد فيه بنفسه ، وتخلى عن أبناء جنسه ، وهذا المسجد من المحارس القديمة البناء المفرطة الحصانة وانما أضيف اليه لسكناء به ، وبنائه الى جانبه ، وأصله من العرب الحكيميين وأهل هذه الجهة يعظمونه كثيرا ، وأخبرنى جماعة منهم أنه مات وقد نيف عمره على المائة والعشرين وكانت وفاته يوم الاحد الثالث لشهر ربيع الاول المبارك من عام خمسة وثمانين وستمائة ، رأيت هذا مكتوبا على قبره .

وعلى مسافة يسيرة من مسجده هذا من جهة غريبه على الساحل أيضا مسجد يعرف بسيقاظة - بكسر السين المهملة وبالقاف - ابتناه الفقيه الصالح أبو الحسن السيقاطي رحمه الله وبه كان يتعبد وهنالك قبره زرتة ودعوت عنده ، وكانت وفاته قديما سنة عشرين وأربعمائة وخرج جميع أهل طرابلس ومن حف بها من النواحي والبلاد فصلوا عليه وكان له يوم مشهود ، وتوفيت لمخدومنا فى أثناء اقامتنا بزور ابنة صغيرة فدفنت بخارج مسجد سيقاظة هذا .

وعلى هذا الساحل بطوله مساجد كثيرة ، وهى مساكن
للصالحين قديما وحديثا شهيرة ، والناس يزورونها ويتبركون بها
وانها لمن أحسن المساكن لمن يريد الانفراد لعبادة ربه والساكن
بها يجمع بين الاحتراس ، ومجانبة الناس ، وأكثرها من مباني ابن
الاعلب مبتنى المحارس من (١) الاسكندرية الى مجاز سبتة وقد
تقدمت الاشارة الى ذلك قبل هذا .

وفى أوائل شهر جمادى وصل الى زنزور غلبون بن مرزوق
السالمى وهو أمير آل سالم بن رافع بن دياب ، وهم أم لا يحصون فيما
بين طرابلس وبرقة ، فتحدث مخدومنا معه فى السفر صحبتته فلم
يوافق عليه خروج أكثر جماعته من يده وقوة طمع آل سالم
وخياتهم ولم يجعل الى التشريق فى ذلك العام سيلا بل قال انه
لا يتصور بحال ، وجعله من أعظم ممتنع وأكبر محال ، وكانت
أيضا الاشاعات قبل هذا تنادى (٢) الينا بوصول ركب الغرب
صحبة الارسل المشاركة فلم نكن نتوقع اياها من تهيؤ السفر فى
ذلك العام الى هذا الحين ، فلما سد غلبون باب الطريق ، ومنع
بالجملة من التشريق ، ولم نتحقق للمغاربة قدوما ، بل عاد موجود
تلك الاشاعات كلها معدوما ، وانما تأخروا بسبب سيرة السلطان
أبى يعقوب يوسف بن يعقوب المرىنى الذى توجهوا بالهدية اليه ،

(١) فى جميع النسخ « بين »

(٢) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « تنادى »

اقتضى النظر الدخول الى طرابلس والتوطن على السكنى بها الى أن
يكون الحج في عام ثمانية وسبعمئة ، فكان دخولنا اليها يوم السبت
التاسع عشر لجمادى الاخرى وكانت مدة الاقامة بزوز شهرين
اثنين وعشرين يوما

وفى أثناء هذه الاقامة بزوز وصل الى كتاب من ابن عمى
الفقيه الكاتب البليغ أبى الفضل محمد بن على التجانى جوابا عن
كتاب صدر منى اليه ، ونص كتابه نظما ونثرا : (مجزو الرمل) :

لمع البرق فشئتُه	وبدا سرّ كتمتُه
وسرى نحوي بسرّ	وبمعنى (١) ما فهمتُه
مُعْلِما (٢) خلعة ودّ	من وداد قد علمتُه
كاشفا غني قناعاً	بدموعي قد رقتُه
همل الدمع لبزق	بلظى ناري وستُه
وأطار القلب مني	وبودّي لوزمتُه
فهو للوجد مضيف	وعلى الشوق ضمتُه
أفرد التركيب بالتحليل	لما أن قسمتُه
فلدّي الجسم والقلب	لدى خِلْ عدمتُه

(١) وفى نسخة د وبمعجب

(٢) بياض فى بعض النسخ

سار شرقا فمدحت الشرق من غرب (١) ذمته
ثم حيّاني برّوح وبرينحان شيمته
بكتاب صَحّ في الود د دليلا فأقمتُه
كم سرحت الطرف مز تاحا إليه ولثمتُه
رسمت (٢) أحرفه فيه خلوصا قد رسمته
يعلم الله اعتقادا واتّحادا ما حرمتُه
وانتسابا وانتصابا لهوى مني أدمتُه
وبعين القرب في سنّ الهوى بالنفس سمتُه
فإذا صَحّ بشيء فهو ما يَنت رمته

وهل أعزكم الله للقلب ارتياح ، الا اذا كان لشمس القرب التياح ،
فحينئذ تتجلى ظلمه ، ويشهر بناره (٣) علمه ، فنور القرب لا يبقى
ظلاما ، وينادى نار القلب يا نار كوني بردا وسلاما ، وسيأتي عند
جسم نداه (٤) جوهره ، ولم يغب عن القلب مظهره ، وروح ائتلف
مع البعد متعارفها ، واتخذ بالذمم في أهل النهى معارفها ، والاسباب
التي تدنى الشاسع ، وتنفي القاطع ، شوق من خافق الجناح او

(١) في بعض النسخ « من عزم »

(٢) في بعض النسخ « وسمت »

(٣) في بعض النسخ « بالاخبار » وفي بعضها بياض

(٤) في بعض النسخ « نراه »

كتب تتصل به أشعة شمسه ، أو سر لا ينشر دفينه من رسمه ،
وأقواها سيبا ، وأقربها نسباً ، تعارف الروحين فى مبدأ أول ، وتوحد
الاثنية بقلب غير قلب وحال غير حول ، وهذا هو النسب ، الذى
تحدد فيه النسب ، على كل حال ، ولعل حال مودتنا بحسب هذا
الاتصال يتصل ، فهذا هو الفصل المميز الذى لا يمتاز عن جنسه
ولا ينفصل ، وأطلب منكم أن تبلغوا أملى المعظم سلمه الله سلامى ،
وتؤدوا له ما يجب من توقيرى واعظامى ، ولو كنت عنده أعزه الله
سليم العقد ، سالما من النقد ، لأقدمت على مخاطبة جلاله ، وجريت
على عادتى فى ترسيل الكلام وإرساله ، وفى التأليف الذى رفعت
الى مجده المرفع محفوظه ومخفوضه (١) وأدبت الى مقامه المحمود
معروضه ومفروضه ، وهو المصنف الذى خصصته بسيادة العلماء ،
وسميته « الناسم » (٢) وأستحيى ان أذكر الإحياء ، دليل على العادة ،
فى تلك العبادة ، زمن اسعاد السعادة ، ولا جرم أن الجزم للحظ
المنفسم (٣) وأن الفراسة لا ترد بطش الدهر المفترس ، والامر لله وحده ،
وحتى الان ليس لى عيش الا فى بركته ، ولا دعاء الا بكلاءة الله فى
سكونه وحرركته ، فهو مبدأ الحياة لى وتامها ، وكفه بوكفها طالما
روانى غمامها ، وقد اتصلت من نحو برقة بروق ، لا تنبض معها

(١) محفوظه ساقط فى بعض النسخ

(٢) وفى بعض النسخ « الناسم »

(٣) كذا فى جميع النسخ وما يقتضيه السياق « ولا جرم ان الجزم لا يرفع الحظ المنفسم »

او عبارة بمعناه

عروق ، غير أنكم وان أجريتم فى مرعى (١) خصيب ، ومسعى للخير مصيب ، قد أحضركم السفر فى مكان مكين ، واستندتم الى ربوة ذات قرار ومعين ، فمن اليقين أنك لا تظماً فيها ولا تضحى ، وأنك تقطع كل يوم بسيما فطر وأضحى ، كل ذلك بمقاربة ذلك الجنب ، واعمال السير والسرى فى مصاحبة ذلك الركاب ، والله تعالى يصحبكم الخير والخيرة ، ويصون لحفظ محاسن الجود تلکم الذخيرة ، ويديم اليمن المصاحب لامركم مدبرا ومديرا ، ويقيم لكم فى كل أرض تحلونها روضة وغديرا ،

أشار بقوله فى هذه الرسالة وسميته « الناسم » ، وأستحى ان أذكر الاحياء ، الى بحث كان بينى وبينه فى لفظة الاحياء مما ذابنت افعل فيه وهى انما تبني من فعل يبنى منه فعل التعجب ، وفعل التعجب انما يبنى من الفعل الثلاثى واليه أشار أيضا فيها ولو كنت سليم العقد ، سالما من النقد ، فأجيتته عن هذا الكتاب بقولى وكلا الشرين الاصل والجواب لزومى : (مجزو الرمل)

نَمَّ عَمَّا قَدْ كَتَمْتُهُ ما من الدمع سَجَمْتُهُ
وَشَجَا الشَّوْقَ فَوَّادَا لم يطغنى حين أُمْتُهُ
سُنَّتُهُ الصَّبْرَ فَحَالَ السُّوْجَدَ عَمَّا مِنْهُ سُنَّتُهُ
أَيُّهَا الْإِخْوَانُ وَالسَّنَلَوَانُ ذَنْبَ مَا اجْتَرَمْتُهُ

قَسَمٌ فِيكُمْ بِشَوْقٍ مَذ تَفَرَّقْنَا لَزِمْتَهُ
مَا تَذَكَّرْتُ قَوَادِي بَعْدَكُمْ إِلَّا رَحِمْتَهُ
لَا وَلَا مَرَّ (١) ذَكَرَكُمْ لِيْلًا فَنِمْتَهُ
وَلَقَدْ جَدَّدَ وَجْدِي بَارِقَ لِلْغَرْبِ شِمْتَهُ
هَاجَ لِي ذِكْرِي نَعِيمٍ مَعَ مَنْ أَهْوَى نَعِمْتَهُ
وَأَفَادَ الْقَلْبَ قَرِيبًا قَلْبَهُ لَمَّا فَهَمْتَهُ (٢)
مَنْ كِتَابَ أَوْجِبَ الْأَنْسَ وَقَدْ كُنْتُ عَدَمْتُهُ
أَحْرَزْتُ كَفِّي مِنْهُ غَنَمَهَا حِينَ غَنَمْتُهُ
جَاءَ فَأَلَا بِاقْتِرَابٍ بَعْدَ بُعْدٍ قَدْ سَمْتُهُ
مَقْلَمًا لِي بِوَدَادٍ كُنْتُ مِنْ قَبْلِ عِلْمْتُهُ
فَمَدَدْتُ الْقَوْلَ فِي الشُّكْرِ عَلَيْهِ وَأَدَمَمْتُهُ
وَتَمَثَّلْتُ يَمِينًا رَسَمْتَهُ فَلَمَمْتُهُ
يَا إِمَامِي وَفَقِيدِي عِلْمَ مَا فِيهِ ائْتَمَمْتُهُ
وَمَنْ الشُّكْرَ (٣) فَرَضَ قَدْ خَتَمْتُهُ

(١) بياض في جميع النسخ ولعل الناقص « بفكري » أو كلمة ما بمعناها ووزنها

(٢) مقلوب « البرق » وهو « القرب »

(٣) بياض في جميع النسخ

فُزَّوْحَزْ (١) كَلَّ علاء (٢) واخُذْ ما رمت ورمته

وابق مخصوصا بفضل أنت منجاء وسمته

« لما وصلنى كتاب سيدى الذى أعترف باحسانه ، وأعترف من بحر بيانه ، وصل الله سعوده ، وانجز من الامال موعوده ، قابلته بما يجب له من اجلال وتعظيم ، وظفرت يدائ منه بكتاب كريم ، وعند ما حلت طبعه ، وحلت ربه ، علمت أن من البيان سحرا ، وأن من الدر ما يكون له بعض الصدور بحرا ، فلثته عوضا عن اليمين التى رسمته ، ووسمته من المحاسن بما وسمته ، واتخذته سميرا مناجى ، أرفعه طورا على رأسى تاجا ، وأتخذة تارة اماما فيما أحاول من صياغة هذه الصناعة ومنهاجا ، ثم لما فهمت خطابه ، وأردت أن أكتب جوابه ، استشعرت بقصور ، فارتبكت بين جواب لا أرتضيه جوابا ، واغفال ليس فى حكم التأدب صوابا ، فقلت الاول تعرض للافتضاح ، وابانة لقصور ذى اتضاح ، والثانى وبالله العصة ، اخلال بحقوق ، ووقوع فى عقوق ، فرأيت أن خطب الاول أقرب ، وأن المعترف بقصوره لا يشرب ، مع أن اغضاء المخاطب عن المعترف معروف ، وطرف رضاه عن المساوى مصروف ، فأجيت به أحيت وكتبت ، وما أدري أأخطأت أم أصبت ، غير أننى لم أفعل الا وأنا على ما ذكرت معول ، ولم أقدم

(١) بياض فى بعض النسخ وفى بعضها « فز وجز »

(٢) بياض فى بعض النسخ ولعل الصواب « واحو »

الا وأنا على ما قدمت (١) وحق لمن شغلت النوى فكره ، واستلب
فراق الاخلاء الاجلاء مثلك صيره ، أن يتجاوز عن هفواته ، ويقبل
ما صدر منه على علاته ، ومعاذ الله ان تكون هذه شكوى من تبرم
بحاله ، أو سئم من حله وترحاله ، فقد أصبحت بحمد الله بملازمة
من رفعتني أياديه ، ورفعتني خدمة ناديه ، بين مراد مكث ، ومراد
مخصب ، غير أن الانسان يقوم بعذره ، ويقوم بزعمه سببا لقصور
فكره ، وضعف نظمه ونثره ، واعرف سيدى أنى بلغت مخدومنا
أعزه الله سلامه ، وأوضحت له اشارته فى ذلك الفصل أمامه ،
فذكر أن العقد كما كان سليم ، وأن النقد نبذ بالعراء وهو سقيم ،
وهو مثن عليكم ، ومهد سلامه اليكم ، والله يحفظ على سيدى
كماله ، ويلبغه آماله ، ويحرس احتواءه على الفضل واشتماله ،

وكتب الى ايضا فى هذه المدة صاحبنا الفقيه المتصوف الفاضل
أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالهوارى فى جواب كتاب
كنت كتبتة اليه قصيدة طويلة حقق فيها وتصرف بأحسن التصرف
والذى يخصنى من هذه القصيدة قوله فى فصل منها : (كامل)

ومن السعادة وصل خلّ صالح عن كلّ فعل سيّء (٢) ينهاني
من لي بخلّ كان يؤنس وحشتي ويؤمنني بالبشر إذ يلقاني
صاحبته في الله أحسن صحبة فشكرت منه كلّ ما أولاني

(١) بياض فى عامة النسخ التى بايدينا ولعل الناقص « متكل »

(٢) فى نسخة « عن فعل كل قبيحة »

ورأيت منه مودة (١) ومجبة وفضائل زادت على الحسان
لا غزو أن حاز الكمال فإنما وقف الكمال على بني تيجان
كم زهرة في روضة سمحت به فرأيت بستانا لدى بستان
فوداده عندي نضرب دائما وثناؤه غص بكل أوان
أقدم الآباء دون منازع وسلالة الحساء والأعيان
وأجل جبر قد سما في عصرنا بالعلم والآداب والابتقان
قد جاءني منكم كتاب سرني بالبشر والترحيب إذ حياني
إنني لأحيًا إذ سمعت بذكركم فيمتني شوقي إذا أحياني
ولربما أدمى جفوني ذكركم فأخال قلبي فاض من أجفاني
فالله يجمع شملنا بقاءكم ويزيدكم بالعفو والغفران
وعليكم مني سلام دائم متطّر ما اهتز غصن البان
وكانت تحت هذه القصيدة أسطر في مخاطبتي بخط صاحبنا
الفقيه أبي عبد الله محمد ابن أبي بكر ابن أبي زاكي البلوى تتضمن
تجديد الرداد ، وتأكيّد الاعتقاد ، فكتبت اليهما في الجواب ، وجمعت
بينهما في الخطاب : (كامل)

إن لم تفيض بدمائها أجفاني لفراق من أهوى فما أجفاني

أولم اواصل ذكر إخواني فقد أصبحت معدودا من الخَوَّانِ
من مُبلغ غني السلو بان لي في الحب قلباً غير ذي سلوانِ
عندي لأحكام الوداد شريعة أضحى القصي بحكمها كالداني
لا أرتضي إلاّ الوفاء طريقة ما الغدر من خلّقي ولا من شأني
والئن نسيت فلست أنسى صاحباً يصل التذكر لي ولا ينساني
خلي الذي عزّت به هَوّارة غزي بصحبته على أخذاني
من قد صرفتُ إليه وجه مودتي وصرفت لحظي عن قُل وفُلانِ
ذا المنزع الأحلى الذي أجرى به في الناس حالته على ميزانِ
ذات قد اختصت بكل فضيلة فاخصّها بالشكر كل لسانِ
يسدي تفضله الى اخوانه ويمدّ فيه الفضل للاخوانِ
كم خصّني من نصحه بفوائد اهدى إليّ حلّيتها فهداني
ولكم ابان لي الحقائق فكره فأقام صورتها مقام عيانِ
ولقد أتاني من لدنه على النوى كتب أتاني الأنس حين أتاني
قد وُفيت فيه البلاغة حقّها ما بين الفاظ وبين معاني
جمع الصنعة والصناعة مازجا تبيين إحسان بحسن بيانِ
ورأيت في اقصى الصحيفة اسطرا ألفن بين الحسن والباحسانِ

من ماجد أَسدى اليَّ أياديّاً مالي بواجب شكرهن يَدانِ
جاءت تُقرِّر من كريم وداده ما حلّ من قلبي أَجل مكانِ
لما قرأت خطابها ففهمته ناديت والسَّراء ملء جَنانِي
قد اتَّحفتني بالوداد بنو أبي زاك فقхраً يا بني تيجانِ
ولما وصلت اليهما هذه القصيدة راجعني الهواري بقوله وهو
من حر نظمه : (طويل)

كتابكم أهدى من الوجد ما أهدى فلا تجسبوا أنِّي نقضتُ لكم عهدا
سرى لي بسرٍّ منه عَرف معرّف أفاد بمسراهِ الصبابة والوجد
جاني بحبٍّ سيّد فيه ماجد به شرف الله السيادة والمجد
نسيم الصبا بالله سرّ بحبيّة فضضتُ بها من شكره المسك والنداء
وحَتّى بها عبد الإله على النوى وأدرج له أثنائها الشكر والحمد
كانني به لما جرى الينُّ يننا ومدّ حجاب البعد ما يشنا مَدّا
يقول جفا أو مال أو ملّ أو سلا وحال عن الإخلاص أو نسي الودّ
غرامِي غرامِي بالحبيب وإن نأى وحبيّ له حبيّ دَنالِي أو صَدّا
وأنسى لمشتاق اليك وصابر إذا لم أجِد ممّا اكابده بُدّا
إذا خطرت ذكراك يوماً بخاطري وجدت لِحِرّ الشوق في أثرها بَرّدا

ألا نفعه منكم تبرّد باطني فإنّ بقلبي من أليم النوى وقد
ألا موعد منكم يُعطل مهجتي فأرتاح للّقا وأستجز الوعدا
لئن جاءني يوما بشير بقربكم وهبت له نفسي وأهون بها نقدا
وإنّي لاستجدي وداذك إنّهُ أجلّ نفيس والأفاضل تستجدي
وإنّي لاستهدي سلامك جالبا بمأناه أنسي والأكارم تستهدي
وإنّي لأستدعي جوابك راغبا ليُفتح بابُ القرب من بعد ما سُدا
لقد ضيّع الأصحابُ عهدي ولانوى وأنت بظهر الغيب تحفظ لي الودا
سأشكركم شكر الرياض بسُخبها وأنظم فيكم من حُلّى مجدكم عقدا
وأجهد في شكري لمجدكم عسى بفضلكم أن تقبلوا منّي الجهدا
وكتبت للفقير الاديب الفاضل أبي ابراهيم اسحاق بن ابراهيم
ابن حسينة كتابا صدرته بهذه الابيات : (كامل)

يانسمة الروض الذي حاكت له أيدي الغمام ملابس اليايراق
سيري (١) مبلغة على شحط النوى طيب السلام الى علا إسحاق
الفاضل الأسى الرضا الأسنى الذي حاز العلا والفضل باستحقاق
وتحملي منى اليه تحية كالمسك نَمّ شذاه في الآفاق

(١) وفى بعض النسخ « مبي » وفى بعضها « منى مغفلة »

يزداد منها من تنشق عرفها طيامتي ما زاد في استنشاق
وصفي له بعد التفرق قدر ما لاقيت من وجد ومن أشواق
الله يا إسحاق يعلم أنني للشكر في عليك ذو استغراق
وبعث هذا الطرس نحوك قاصدا تقرير ود مبهر الميثاق
فأتى يسين إليك صدق مودتي إن الخطاب على البناد تلاقى
لا زلت في نعم تجل ورفعة ولك الإله من المكاره واقعي
فأجاب عن ذلك بقوله : (وافر)

اعبد الله قد حزت المعالي وفقت كبار أعلام الرجال
ملئت نباهة وملئت علما وأكثر من ترى من ذاك خالي
فأنت إمام أهل العلم طرأ لك التقديم في هذا المجال
ولما أن أتاني منك كتب سررت بأن حالك خير حال
وأن عمادنا في حال نعمى وقاه الله من عين الكمال
وأبقاه لإسداء الأبدادي وتشيد المكارم والمعالي
وقلتم كيف حالكم وحالي وقد فارقتم بعد اتصال
فحالي كلها غم وكرب فوا أسفي لما قضت الليالي
فدمع العين لا يرقا وقلبي له وجد حكى وخز النبال

وَكُنْتُ أَظُنُّ أَمْرَ الصَّبْرِ هَيْئاً وَأَنْ الْوَجْدَ غَا ذُو انفصالِ
وَأَنْ فِرَاقَكُمْ يَنْبَلِي فَيُنْسَى سَوَى ذِكْرِي إِذَا خَطَرَتْ يَالِ
فَكَانَ بِعَكْسِ مَا قَدَّرْتُ فِيهِ فَلَا تَبْخُلْ بِتَكْرِيرِ السُّؤَالِ
فَقَلْبِي لَا يَفَارِقُهُ الْتِيَاعُ . كَمَا يَصَلِّي بَحْرَ النَّارِ صَالِي
فَلَوْلَا أَنْ سَنِي لَمْ يُغْنِي وَأَنْ بَنَاءَ جَسْمِي ذُو اخْتِلَالِ
لَكَانَ الْجِسْمُ عِنْدَكُمْ كَقَلْبِي وَلَمْ أَخْفِلْ بِأَهْلٍ أَوْ بِكَالِ
ثُمَّ غَيْرُ قَوَافِي الْآيَاتِ الَّتِي وَجَّهْتُ لَهُ وَصَرَفْتُ مَدَحَهَا إِلَى اسْمِي
وَبَعَثْتُهَا إِلَى مَعَ الْقَصِيدَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَقَالَ مُخْبِراً عَنْ ذَلِكَ فِي جُمْلَةٍ
كِتَابَهُ : . وَامَّا قَصِيدَتُكَ الْقَافِيَةُ فَلَا شِرَاقَ مَعَانِيهَا ، وَاتَّقِ أَنْ أَصُولَهَا
وَمَبَانِيهَا ، وَعَجِزِي عَمَّا يَضَاهِيهَا ، أَغْرَتْ عَلَى كُلِّ مَا فِيهَا ، وَلَمْ
أُغَيِّرْ مِنْهَا غَيْرَ قَوَافِيهَا ، ثُمَّ رَدَدْتُهَا إِلَيْكُمْ الْقَهْقَرَى . بَعْدَ أَنْ جَرَى فِي
أَمْرَهَا مَا جَرَى ، وَهِيَ هَذِهِ : (كامل)

يَانَسَمَةُ الرُّوضِ الَّذِي نَظَّمْتُ لَهُ زَهْرًا تَحْلَاهُ يَدُ الْأَمْوَاهِ
سِيرِي مَبْلُغَةً عَلَى شَحْطِ النَّوَى طَيْبِ السَّلَامِ لِمَجْدِ عَبْدِ اللَّهِ
الْقَاضِلِ الْأَسْمَى الرِّضَا الْأَسْنَى الَّذِي حَازَ الْعِلَى وَالْفَضْلَ دُونَ مَضَاهِي
وَتَحَلَّى عَنِي إِلَيْهِ تَحِيَّةً كَالْمُسْكِ أَوْ ذِكْرَاهُ فِي الْأَفْوَاهِ
وَصَفِيٍّ الَّذِي قَاسَيْتُ بَعْدَ فِرَاقِهِ فَلَقَدْ دَهَنِي مِنْ نَوَاهِ دَوَاهِي

اللهُ عَبْدُ اللهِ يَعْلَمُ انِّي بوجداد مثلك في الأنام أباهي
وبعثُ هذا الطرس نحوك قاصدا تقرير ود فيك ليس بواهي
لا زلت في نَعَم تجلّ وعزّة وعلوّ مقدار ورفعة جـله
وذكرت بهذه الايات أبياتا على وزنها خاطب بها والدي أبقاه
الله تعالى الفقيه أبا محمد عبد الله بن أحمد الأزدي. العسيلي حين
وروده على تونس : (كامل)

يا نقحة الزهر الجني إذا سرت غبّ انسكاب السحب بالأمواه
زيدي بحمل شذا المسوك تعطرا ثم اقصدي الأزدي عبد الله
بحية تصف الشوق عن أخ عقد الوداد لديه ليس بواهي
وصفي له وصفي له بمحاسن هي حلية الأسماع والأفواه
القادم المتقدم الحبر الذي جلت مناقبه عن الأشباه
أدب يهز السامعين ومنطق عذب وظرف حاز (١) كل تناهي
وافى فكلل لفظه أسمعنا بجواهر هي في البلاغة ما هي
إعلم فديت أبا محمد انني (٢) من نهاه عن السلو نواهي
ان التائي والتواصل ممكن داء يعزّ دواؤه ودواهي

(١) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « جاز »

(٢) كذا في بعض النسخ وفي بعضها « اين » وفي بعضها « بن » ولا يقوم بإحداها الوزن
ولعل الصواب « ممن »

هَبْ اِنْ قَرُبَكَ عَاقُ غَنَهِ عَوَائِقُ اِنْ التَّرْسِلَ لِلدَّنُوِّ مِضَاهِي
وَلَقَدْ بَعَثْتُ لَكَ النِّظَامَ لِأَنِّي اَدْرِیْهِ عِنْدَكُمْ وَجِیْهِ الْجَاهِ
فَلَعَلَّ فِكْرَكَ اِنْ یَعْلَمُنِي بِمَا یَهْدِيهِ مِنْ ذَاكَ الطَّرَازِ الْبَاهِي
فَأَجَابَ عَنْهَا الْفَقِیْهِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللَّهِ بِقَوْلِهِ وَتَعَرَّضَ فِي الْجَوَابِ
لِذِكْرِي مَعَ ذِكْرِ الْوَالِدِ : (كامل)

يَا رَوْضَةَ الْأَدَبِ الَّتِي جَاءَتْ كَمَا جِيَّ الْحَيَازُ هَرِ الرِّیَاضِ الزَّاهِي
لِلَّهِ اسْطَارَ بَطْرُسٍ قَدْ حَكَتْ سَوْدَ الْفُرُوعِ عَلَى بِيَاضِ جِبَاهِ
وَعَرِيبِ مَعْنَاكَ الَّذِي ضَمَّنْتَهُ شَرْكَ الْحَلِيمِ وَفَتْنَةَ الْأَوَاهِ
لَمَّا فَضَضْتُ خَتَامَهُ اسْتَجَلَيْتِ مِنْ مِرَاكِ حَسَنًا جَلَّ عَنْ أَشْبَاهِ
وَكَذَاكَ حِينَ لَمَحْتُ خَطَاً (١) مَقْدَارَ كُلِّ مَبْرَزٍ تِيَّاهِ
مَا ارْتَبْتُ فِي اِنْ الْإِمَامِ مُحَمَّدًا (٢) بِطَوْعٍ لَيْسَ عَنْ اِكْرَاهِ
قُلْ لِلْأُولَى سَبَقُوا وَلَيْسُوا مِثْلَهُ هِيَهَاتَ مَا الْفِرْزَانُ مِثْلُ الشَّاهِ
خَلَوْا الْفَصَاحَةَ لَسْتُمْ مِنْ أَهْلِهَا عَبْدُ الْإِلَهِ لَهَا وَعَبْدُ اللَّهِ
طَوْدًا وَقَارًا وَانْفِرَادٍ مَعَارِفٍ وَكَمَالٍ تَهْذِيبٍ وَحُسْنِ تِبَاهِي
لِلَّهِ دَرْكُ يَا وَحِيدِ زَمَانِهِ مَاذَا تَعَاظَمَ بِالْفَاتِكِ جَاهِي

(١) بِيَاضٍ فِي جَمِيعِ النُّسخِ

(٢) بِيَاضٍ فِي جَمِيعِ النُّسخِ

فَاتَخَتْنِي فَفَتَحَتْ بَابَ مَوَدَّةٍ بَيْنَانِهَا مَرْقَى النُّجُومِ ابَاهِي
وَلَكُمْ ظِلٌّ وَلِي إِلَيْكَ تَشْوَقُ كَتَشْوَقُ الصَّادِي لَعَذْبِ مِيَاهِ
وَارِيدِ اقْدَامًا فَاحْجَمُ هَيْبَةً وَلَيَّ التُّهْمَى مِنْ خَوْفِ عَجْزِي نَاهِي
هَلْ يَسْتَوِي وَشَلٌّ وَبَحْرٌ زَاخِرٌ أَوْ هَلْ يَسَاوِي الْآسُ شَوْكُ عُضَاهِ
فَعَسَى التَّسَامُحُ فَهُوَ فَيْكَ سَجِيَّةٌ فَالْمَرْءُ أَمَّا خَاطِئِي أَوْ سَاهِي
وَقَدْ كُنْتُ أَنَا كَتَبْتُ لِلْفَقِيهِ أَبِي مُحَمَّدٍ أَوَّلَ وَرُودِهِ عَلَيْنَا (كَامِلُ)
أَبَا مُحَمَّدٍ الَّذِي أَخْبَارَهُ فِي الْفَضْلِ تَرْوِيهَا الثَّقَاتُ مَسْلَسَانَهُ
لِلَّهِ دَرْكٌ مِنْ وَحِيدِ بِلَاغَةٍ سَاقِ الْكَلَامِ مَنْظُمًا أَوْ رِسْلَهُ
لَا زَالٌ فِي الْأَفْوَاهِ ذِكْرُكَ طَيِّبًا وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا عَسَلَهُ
وَالْيَكْهَ أَبْيَاتَ خَلٍّ مُخْلَصٍ قَدْ ضَمَّنَ الطَّرْسُ الْوُدَادَ وَارْسَلَهُ
وَآتَى بِهَا عَنْ خَاطِرٍ مَتَوَحَّشٍ وَمَتَى اجْبَتْ فَقْدَاتُخْتَ الْإِنْسَ لَهُ
فَاجَابَ بِقَوْلِهِ وَكَلَا الشَّعْرَيْنِ الْأَصْلَ وَالْجَوَابَ لَزُومِي : (كَامِلُ)
أَحْمِيَّ الْأَسْمَى سَيِّي وَالَّذِي مِنْ دُونِ مَا رَدَّ وَهَبْتُ النَّفْسَ لَهُ
أَهْدَيْتَ لِي مِنْ رَوْضِ نَظْمِكَ زَهْرَةً وَسَقَيْتَهَا مِنْ مَاءِ طَبْعِكَ سَلْسَلَةً
يَا أَحْسَنَهَا مِنْ اسْطَرٍّ قَدْ نَشَطَّتْ ذَهْنِي وَقَدْ كَانَ التَّهْلُدُ كَسَلَةً
جَاءَتْ بِخَطِّ اشْبَهَتْ نَوْنَاتِهِ اصْدَاغُ فَرْعٍ فِي الْخُدُودِ مَسْلَسَلَةً
فِيهَا رَأَيْتَ الشَّخْرَ لَا مَا حَدَّثُوا عَنْ طَرْفٍ خِشْفٍ لَمْ يَفَارِقْ مَأْسَلَةً

وروت حديث الفضل عنك محققا فرفعت مسنده إليك ومنسلته
ولما توجهنا الى طرابلس وأشرفنا عليها كاد بياضها مع شعاع
الشمس يعشى الابصار فعرفت صدق تسميتهم لها بالمدينة البيضاء :
وخرج جميع أهلها مظهرين للاستبشار رافعين أصواتهم بالدعاء ،
وتخلى والى البلد اذ ذاك عن موضع سكناه وهو قصبة البلد فنزلنا
بها ورأيت آثار الضخامة بادية على هذه القصبة غير أن الحراب قد
تمكن منها وقد باع الولاة أكثرها فما حولها من الدور التي
تكتنفها الان انما استخرجت منها ، ولها زحبتان متسعتان ، وفي
الخارج منها المسجد المعروف فى القديم بمسجد العشرة (١) لان
عشرة من أشياخ البلد كانوا يجتمعون فيه للمشورة فيدبرون أمر
البلد وذلك قبل تملك الموحدين لها فلما تملكوها ارتفع ذلك الرسم ،
وزال عن المسجد ذلك الاسم ،

وكان فيما يقابل هذه القصبة موضع يعرف بالرياض مخصوص
بوالى البلد ، وأصله من مباني بنى مطروح رؤساء طرابلس فى القديم
ويذكر عن حسنه كان وثماره وضخامة مبانيه وهو الان خرب غير
ان به آثارا دالة على ما يذكر عنه ، وقد اقطع هذا الموضع فى هذا
الوقت لبعض العرب فغيره عن حاله وابتنى فى موضعه دارا .
ودخلت حمام البلد وهو المجاور للقصبة فرايت حماما صغيرا الساحة

(١) فى نسخة واحدة بزيادة « ويعرف الان بمسجد الموحدين وسمى مسجد العشرة »

الا انه قد بلغ من الحسن غايته ، وتجاوز من الظرف نهايته ، وكان هذا الحمام من منافع القصبة فيبيع من جملة ما بيع منها ، وهو الان محبس على بعض المساجد ، وبالبلد حمامان آخران غيره الا انهما فى الحسن دونه ، ورايت شوارعها فلم أر اكثر منها نظافة ولا احسن اتساعا واستقامة ، وذلك ان اكثرها تخترق المدينة طولا وعرضا من اولها الى آخرها على هيئة شطرنجية فالماشى يمشى بها مشى الرخ خلالها ، ورايت بسورها من الاعتناء ، واحتفال البناء ، ما لم اره لمدينة سواها ، وسبب ذلك ان لاهلها حظا من مجاها ، يصرفونه فى رم سورها ، وما تحتاج اليه من مهم أمورها ، فهم لا يزالون أبدا يجددون البناء فيه ، ويتداركون تباشيره بتلاقيه ، ورأيتهم قد شرعوا فى حفر خندق متسع يرومون ان يصلوه بالبحر من كلا جانبي البلد ، وابتداء حفره من الركن الذى بين القبلة والمشرق وعارضهم فى حفره هنالك موضع يعرفونه « بالرملة » وهو حقف رمل متسع لاصق الى جانب السور ولا يزالون ابدا يتكلفون نقله من ذلك الموضع فاذا جهدوا جهدهم فى حمله ورميه فى البحر اعادته الريح كما كان لا تقدمه عن موضعه ولا تؤخره واختصاص ذلك الموضع لذلك الكتيب من الرمل من اعجب الاشياء ، وهو على الضد من موضع رايته بظاهر توزر خال من الرمل مع ان ما حوله من البقاع قد ارتفعت كتابتها (١) لما تسفى الرياح من الرمال عليها ، واخبرنى ابو العباس

احمد بن محمد بن يملول ان ذلك الموضع ايضا من عجائب بلدهم
وانهم لا يزالون يرصدونه فلم يروا قط رملا عليه وان الرياح ربما
اشتد هبوبها فيرون الرمال تتفرق عنه يمينا وشمالا

وكان افتتاح طرابلس في القديم على يد عمرو بن العاص رحمه
الله تعالى ورضى عنه بعد افتتاحه لمصر والاسكندرية وذلك سنة
اثنين وعشرين ، سار اليها في جيشه فنزل على شرفها من الجهة
الشرقية واقام عليها شهرا لا يقدر منهم على شيء وقد كانوا استعانوا
بقييل من البربر يعرفون بنفوسة دخلوا معهم في دين النصرانية
فخرج ذات يوم من عسكر عمرو رجل من بنى مدلج يتصيد في نفر
معه فامعن عن العسكر الى جهة غربي المدينة ومال الى شاطئ البحر
والبحر لاصق بالمدينة وليس بالمدينة اذ ذاك من جهة البحر سور بل
كانت سفنهم شاردة الى بيوتهم فنظر المدلجي واصحابه الى البحر
قد حسر من جهة المدينة عن مسلك يمكن النفوذ اليها منه ، فندبوا
معهم جماعة واقتحموا المدينة فلم يكن للروم مفزع الا سفنهم ، وابصر
عمرو اصحابه في جوف المدينة فاقبل بجيشه حتى دخل عليهم فلم
يفلت من الروم سوى من خف في سفينة ، واحتوى عمرو على المدينة
فهدم سورها ، وارتحل عنها ثم جدد بناء سورها من جهة البر على يد
عبد الرحمان بن حبيب التغلب على افريقية في آخر دولة بنى امية
سنة اثنين وثلاثين ومائة ، وتاخر بناؤه من جهة البحر الى ولاية هرثمة
ابن أعين على افريقية من قبل الرشيد سنة ثمانين ومائة فهو الذي

ابتناه على يد ثقتة زكرياء بن قادم ، ثم زاد فى اتقانه ورفع بنائه من جهة البر والبحر معا أبو الفتح زيان الصقلبي متولى طرابلس عام خمسة واربعين وثلاثمائة .

ويحيط بهذا السور الآن فصيل آخر اقصر منه على العادة فى ذلك يسمونه الستارة ولم يكن فى القديم وانما امر بينيانه الشيخ ابو محمد عبد الواحد بن ابي حفص ايام وصوله الى طرابلس فى شهر شعبان من سنة اربع عشرة وستمائة ، رايت هذا مكتوبا على باب من ابواب الستارة يغرف بباب عبد الله ، ولم يصلوا هذه الستارة حين بنوها بالبحر وانما انتهوا بها الى الباب الاخضر وبينه وبين البحر فسحة فأتمت بالبناء ايام مقامنا بطرابلس .

وقد كان زيادة الله بن الاغلب لما تغلب الشيعى على اكثر بلاد افريقية هرب من رقادة فارا امامه فتوجه الى طرابلس فاقام بها اياما ثم انفصل عنها متوجها الى المشرق ووصل بعد ذلك الشيعى الى رقادة فولى عليها اخاه ابا العباس وتمايم بن المبارك ثم انفصل الى سجلماسة واستخرج عبيد الله المهدي من سجنه ودعاه بالخلافة وذلك سنة سبع وتسعين ومائتين ، فلما استقامت الامور للمهدى وقتل ابا عبد الله الشيعى وأبا العباس اخاه جهز جيشا الى طرابلس مع بعض قواده فحاصرها مدة ثم انصرف عنها خائبا ولم يفتحها فناظ ذلك عبيد الله فوجه ولده ابا القاسم الملقب بعد بالقائم فكان خروجه لذلك فى جمادى الاولى من سنة ثلاث وثلاثمائة فحاصرها وضيق

عليهم الى ان فنى طعامهم وافتتحها وقد كانوا اسمعوه شرا ونالوا من
عرضه كثيرا فسالهم فى انفسهم الا قليلا منهم واغرمهم ما أنفق على
الجيش وذلك اربعمائة الف دينار ، وكان المتولى لتفريغهم وتعذيبهم
خليل بن اسحاق وهو من ابناء جندها ومن ولد بها وكانت له صولة
وهية وحظ جليل من العلم وباع متسع فى الادب وسيأتى خبر وفاته
بعد هذا ، واستخلف عليهم ابو القاسم القائم واليا من قبله ثم انصرف
عنهم

ولما انفصل الفيدويون الى مصر وتركوا الصنهاجين بافريقية
استولى بنو خزرون الزناتيون على طرابلس ، وكانت بينهم وبين
الصنهاجين وقائع كثيرة اشار الرقيق فى تاريخه الى بعضها ولم
تزل بايدي الزناتيين الى سنة اربعين وخمسمائة ، وكانت فى تلك
السنة شدة عظيمة ومجاعة هلكت فيها الناس وفروا عن اوطانهم
فجهز اليها « لجار » صاحب صقلية اسطولا حاصرها به وذلك بعد
استيلائه على المهديّة وصفاقس واستقرار ولاته فيها ، ووقع بين اهل
طرابلس خلاف ادى الى تغلب الاسطول المذكور عليها فاحسن
قائده جرجى (١) بن ميخائيل الى اهلها لما اضره من تملك غيرها من
البلاد الساحلية ، وابقى فيها جنده من المسلمين والصقليين وغيرهم
وولى على البلد شيخه ابا يحيى بن مطروح التميمي ، وجعل قاضيهم
رجلا منهم يعرف بابى الحجاج يوسف ابن زيرى وهو صاحب

(١) فى بعض النسخ « جرجيس » وفى بعضها « جرجير »

التأليف المعروف « بالكافي في الوثائق » فكانت احكام المسلمين كلها مصروفة الى واليهم وقاضيههم ولم يكن النصراني يتعرض لشيء من احكامهم

وأقامت تحت تغلب النصارى اثني عشر عاما أو نحوها الى أن افتتح الموحدون أكثر بلاد افريقية فخاف النصارى أن يكتتبهم أهل طرابلس فأجبروا أن ينشروا بينهم عداوة فأمرهم أن يصعدوا المنابر فيتكلموا في جهة الموحدين بسوء فأعظم أهل طرابلس ذلك واجتمعوا الى قاضيههم أبي الحجاج فسفر بينهم وبين النصارى وأعلم النصراني عنهم أنه لا سبيل الى نيل ذلك منهم وأن الامر انما كان العقْد بينهم أن لا يكلفوا المسلمين شيء مما يخالف دينهم وذكر أهل الدين بسوء مما يخالف الدين فان رضوا منهم بهذا والا سلموا لهم البلد وخرجوا عنهم فأعفاهم النصراني من ذلك ، وأحدث الله عند أهل طرابلس عزما على القيام عليهم والتخلص من أيديهم فأسروا النجوى بذلك بينهم واتعدوا لليلة معينة ونصبوا تلك الليلة في الطرقات خشبا وأناشيط تمنع الحيل من الجرى فيها وثاروا عليهم فبادر النصارى الى خيولهم ورخصوها فلم تجد مجالا فأخذوا قبضا باليد وعاد البلد الى تملك المسلمين وكان هذا في سنة ثلاث وخمسين وخسمائة ، وحكم على البلد شيخه أبو يحيى بن مطروح وكان رجلا شهما حازما وصانع العرب المجاورين له فاستقام حاله . ولما نزل الخليفة عبد المؤمن الى افريقية افتتح المهديّة ووصلت

اليه وفود البلاد وذلك فى سنة خمس وخمسين فكان من جملتهم وفد طرابلس وشيخه ابن مطروح فبايعوا عبد المؤمن وقدمه عبد المؤمن على أهل بلده فلم يزل محمود السيرة فيهم الى أن عجز فى أيام أبى يعقوب بن عبد المؤمن وقيد الهرم فطلب التوجه الى الحج فسرجه السيد أبو زيد ابن السيد أبى حفص وهو اذ ذاك صاحب تونس فتوجه بجميع أهله فى البحر واستقر بالاسكندرية فمات بها وبقيت ذريته هنالك الى الان ومنهم رؤساء وأدباء .

وفى فصل من مياومة الفاضل اليسانى قال : وفى شهر رجب - يعنى من سنة ست وثمانين وخمسائة - وصل الى الاسكندرية فى البحر شيخ طرابلس أبو يحيى بن مطروح وهو شيخ كبير قد أضر وعجز عن الحركة ، وذكر باقى خبره وأهل طرابلس يتحدثون أن النصارى ملكوا بلدهم مرة أخرى وذلك ليس بصحيح وانما أخذها النصارى من حين الفتح الاسلامى هذه الاخذة فحسب

وقد قدمنا فيما سلف من كتابنا هذا الخبر عن وصول قراقوش من المشرق فى سنة ست وثمانين وخمسائة وأنه حصر طرابلس بمن التف عليه من العربان حتى استولى عليها وكانت اذ ذاك خالية من الاقوات والاجناد لانهم بعد بيعتهم لعبد المؤمن واستقرار بلدهم فى ملك الموحدين لم يتوقعوا ثائرا ولا مخالفا ، فملكها قراقوش وبقيت تحت بيعته سنين يسيرة ثم انتقضت عليه هى وغيرها من

البلاد فأظهر الهجرة الى الموحدين مخادعا وأقام لديهم مدة ثم فر عنهم مبادرا الى قابس فاستولى عليها ثم الى طرابلس فملكها أيضا وأقام بها حتى وصل اليها يحيى الميورقي من بلاد الجريد قاصدا حصاره فخرج اليه قراقوش من طرابلس وترك نائبا عنه بها ثقتة (١) ياقوتا المعروف بالافتخار وكان اللقاء بينهما بالموضع المعروف بمحسن من جهات طرابلس وهو الذى يقول فيه غبد البر بن فرسان : (طويل)

ألا لا سقى الرحمن محسنَ قطرة ولا زال مغبرّ الجوانب محسنُ
وخيب قطيسا من الغيث كله ولا ابتلّ فيه للركائب فرسنُ

فانكسر قراقوش كسرة شنيعة وتوغل فى جبال طرابلس وتبعه الميورقي أياما ثم رجع الى طرابلس فحصر بها ياقوتا المذكور فلم يقصر فى دفاعه وضبط البلد ضبطا عظيما فكتب الميورقي الى أخيه عبد الله وهو اذ ذاك صاحب ميورقة يطلب منه الاعانة ببعض أسطوله فوجه اليه قطعتين ضيق بهما على طرابلس تضيقا شديدا الى أن استولى عليها فامتن على أهلها بالعمو وحصل نائب قراقوش فى يده فوجهه الى ميورقة فى القطع التى وصلت اليه منها ولما حصل بها قيده عبد الله بقيد ثقيل وتركه فى سجنها فلم يخرج منه الا بعد استيلاء الموحدين على ميورقة وقتلهم لعبد الله المذكور وذلك

فى سنة تسع وتسعين وخمسمائة فحينئذ خرج ياقوت (١) وتوجه الى مراکش فبقى بها الى أن مات ، وترك يحيى بن اسحاق ابن عمه تاشفين بن غازى نائبا عنه بطرابلس وخرج منها فأقام بها تاشفين المذكور مدة ثم ثار عليه أهلها وأخرجوه منها ودخلوا تحت طاعة الموحدين فتولت عليهم حفاظها الى الان .

ويقابل باب الستارة المتقدم الذكر المعروف بباب عبد الله من السور القديم باب يعرف بباب هوارة نسبة الى من نزل به فى أول الزمان ، وبين يديه من داخل المدينة بطحاء متسعة يعرفونها بموقف الغنم يبيعون بها أغنامهم ومواشيهم ، وهنالك مسجد ينسب بناؤه الى عمرو بن العاص رحمه الله (٢) وفى هذا الموضع يقول أبو يحيى ابن مطروح الذى قدمنا الخبر عن توجهه الى الاسكندرية : (بسيط) لوقفة عند باب البحر ضاحية او باب هوارة او موقف الغنم اشهى الى النفس من كسر الخليج ومن دير الزجاج وشاطئ بركة الخدم وبين الباب المعروف بالباب الاخضر منها وباب البحر مسجد مصاب (٣) لسور المدينة أشاد بذكره حلول الامام المهدي رحمه الله تعالى به حين جوازه على طرابلس ، والى جانبه ميضأة جعلت هنالك للمتوضين والمغتسلين ، والمواضع الحربة من المدينة والحالية

(١) فى بعض النسخ « خرج ياقوتا »

(٢) فى نسخة « رضى الله تعالى عنه »

(٣) وفى بعض النسخ « معاقب »

انما هي بين يدي الباب الاخضر ، وبخارج باب البحر منها منظر من
أنزه المناظر مشرف على الساحل حيث مرسى المدينة ، وهو مرسى
حسن متسع تقرب المراكب فيه من البر وتصطف هنالك اصطفا
الجياذ في أواريتها

ومصلى البلد بجانبه بين جنوب وشرق منه وهو محدث الوضع
هنالك وانما كان المصلى القديم في الجهة الغربية هنالك بناء عبد الله
ابن أبي مسلم و خليل بن اسحاق سنة ثلاثمائة فنقل كما تقدم ،
وموضع المصلى القديم يعرف الان بالعيون سمي بذلك لان هنالك
عيون ماء عذبة وهو بشاطئ البحر وماؤها ينصرف اليه ، وبمقربة من
هذا المصلى الان بئر قد نبتت بها شجرة واحدة من شجر الجميز
المخصوص نباته بأرض المشرق وهو شجر عظام على شكل التين
وورقه أصفر من ورق التين وحمله كحمل التين الا أنه ليس
للواحدة منه علاقة وانما تنبت ملاصقة للعود وفي طعمه حلاوة
شديدة تصحبه غثاثة وأهل طرابلس يقولون ان بلدهم في حكم
بلاد المشرق لنبات هذه الشجرة الواحدة به ، وليس بخارج البلد في
وقتنا هذا شجرة سواها ما عدا نخلات يسيرة في الجهة الغربية وأما داخل
البلد فلا تكاد دار منه تخلو من نخلة أو كرمة على اصطلاحهم فانهم
يسمون شجرة التين الكرمة ، والكرمة في اللغة انما هي شجرة العنب ،
وقد جاء النهي عن تسميتها بذلك في الحديث الصحيح (١) وينبت

بخارج البلد صنف من أصناف النرجس دقيق الورق لم أر أقوى منه فوحاء ، ولا أعطر روحاً ، ويذكر في التاريخ أن غابة طرابلس كانت متصلة الى الجبل بأنواع الفواكه على اختلافها ، وتعدد أصنافها ، فافسدتها العرب وأجلت أهلها عنها .

وبخارج البلد محارس قديمة ومساجد كثيرة مشهورة بالفضل مزورة للبركة ، وأثنى البكرى (١) على المسجد المعروف منها بمسجد الشعاب وذكر أنه أعمرها وأشهرها ، يريد في ذلك الزمان ، وأما الان فهو خال لاعماره به ، وقد رأينا أن نذكر بناء هذا المسجد الذى اشار اليه البكرى وبعض ما تأدى اليه من خبره ومثل ذلك فى غيره من المساجد التى بخارج البلد تتيماً لفوائد هذا التقيد بحول الله تعالى : فمنها مسجد الشعاب المذكور وهو منسوب لابي محمد عبد الله الشعاب أحد الصلحاء الفضلاء من أهل طرابلس وكان نجاراً ونسب المسجد المذكور اليه لانه هو الذى أتم بناءه ولزم السكنى به ، وكان بعض النحاس قبله قد ابتدأ بناءه ثم وقف عنه فحضرت الشعاب نية فى اتمامه فرمى الالة من يده وتوجه الى قاضى طرابلس فقال له انى قد عزمت على بناء ذلك المسجد وأحب أن تستدعى فلاناً الذى ابتدأ بناءه فتستفهمه هل يتمادى على بنائه أو يرفع يده عنه فأنتم وأسكن به فاستحضره (٢) القاضى وسأله عن

(١) راجع البكرى ص ٧

(٢) فى نسخة « فاستدعاه »

ذلك فأقر بعجزه فتولى الشعاب بناءه وسكن به ، وذكّر أن الحضّر عليه السلام كان يزور الشعاب هذا ويحادثه وأنهما رئيسا مجتمعين في المسجد المذكور، وسمع الشعاب يوما بكاء امرأة عند باب مسجده فسألها عن سبب بكائها فأخبرته أن لها ولدا أسره عدو الدين وسالته الدعاء بخلاصه فدعا له وأمنت المرأة على دعائه ثم انصرفت المرأة الى بيتها فأصبح ولدها في السكك يسأل عن دار امه فسئل فأخبر بفراره في البحر وسلامته ووصوله عن عهد قريب فتوجهت المرأة الى الشيخ تشكره وتعرفه بوصول ولدها وأن ذلك انما كان ببركة دعائه فهناها سلامته وقال لها انما نجاه الله بدعائك لما علم اضطرارك وكانت وفاته رحمه الله سنة ثلاث وأربعين ومائتين .

ومنها مسجد خطاب وهو بخارج المدينة من جهة شرقيها على البحر وينسب للشيخ خطاب البرقي الرجل الصالح ويكنى أبا نزار وكان ذا كرامات وخصوصا في باب المرائي ظهرت له في ذلك عجائب ، وكان يخاطب في النوم بجميع ما يكون في اليقظة قبل كونه ، وحكى عنه أبو عبد الله الحيارى قال : قال لى خرّجت مرة الى الحج منفردا فينما أنا في البرية اذ مر بى رجل فتوسمت فيه الخير ووقع في قلبي أنه الحضّر فبادرته بالسلام واقسمت عليه بالله تعالى أنت الحضّر فقال : لقد بقيت فيكم من الخير بقية لم يزدنى على هذا وغاب عني ، وأخبرنى الحيارى عنه أيضا قال : قال لى بينما أنا سائر في البرية واذا بسبع قد عارضنى فقلت له : يا أبا الحارث ان كنت قد

أمرت فينا بشيء فدونك والا فالطريق ، قال فقرب منى ووقف هنية
ثم انصرف ، وحكى أنه قال : بينما أنا فى البرية اذ رأيت شخصا
فاستغربت وجوده هناك وقصدته فوجدته مفرج بن بياضة فقلت له :
أبا عبد السلام ههنا ! فقال : نعم يا أبا نزار ، فاستغربت معرفته بى مع
أنه مكفوف البصر ، وكان مفرج هذا رجلا صالحا من أهل جزيرة
تونس المعروفة بجزيرة باشو ، وكان يخرج وحده من بلده الى مكة
فيحج ثم يعود قال فبتنا جميعا وتأنست به وسأته كيف يتهيا له
الحج مفردا فقال : يا أبا نزار انى اذا خرجت من موضعى أسمع قائلا
يقول لى : يمينك شمالك أمامك خلفك حتى أصل الى مكة أو كما
قال .

ومنها المسجد المعروف بالحدود ويعرف أيضا بمسجد الجدة لان
احدى جدات بنى الاغلب ولالة افريقية بته وهكذا كان يعرف فى
القديم ، ثم يعرف بعد بمسجد البارزى لسكنى أبى الحسن البارزى به
وهو بخارج طرابلس من جهة جوفها مشرف على المقابر ، واشتهر
هذا المسجد بسكنى أبى عثمان سعيد بن خلفون الحسانى المعروف
بالمستجاب وأصله من قرية حسان من قرى طرابلس كان زاهدا
فاضلا منقطعا الى الله سبحانه وظهرت بركته غاية فعرف بالمستجاب
واتفقت له فى المسجد المذكور قضية مشهورة : كان ذات يوم جالسا
فيه على عادته فسمع تحته دويا عظيما اهتز المسجد له فخرج بعض من

كان معه لاختبار ذلك فوجد شخصا يقطع الحجارة من كهف تحت المسجد فنهاد عن ذلك فلم ينته فرجع الى الشيخ فأخبره فنزل الشيخ اليه وقال له ، اتق الله فانك تزلزل المسجد بهذا الذى تصنع فقال : ارجع أيها الشيخ الى مسجدك فان الوالى أمرنى بهذا فقال له : لو أمرك الوالى بهدم المسجد كنت تهدمه؟ قال نعم والله لو أمرنى بذلك لفعلت ، فرجع الشيخ الى مسجده وهو يقول اللهم احصد عمره فعند استقرار الشيخ فى المسجد سقط جزء من ذلك الكهف على الرجل فقتله .

وقال الشيخ أبو عبد الله الحشاب القاضى رحمه الله تعالى : خرجت مع أبى الحسين بن المنذر من طرابلس لزيارة الفقيه أبى محمد بن أبى زيد رحمه الله تعالى وسماع العلم عنه ، فبينما نحن عنده يوما اذ تحدث أبو الحسن فقال أراد الشيخ أبو عثمان الحسانى مرة الحج فاتفق مع جماعة من إخوانه اهل الدين والفضل وكنت معهم فخرجنا على الوحدة وقطعنا صدرا من الطريق واقمنا ثلاثا لم نطعم فأثنى الشيخ أبو عثمان الى ربوة فمسح وجهها بيده وجعل يأخذ من ترابها ويجعله فى اناء كان معه ثم ثراه بشيء من ماء وقرأ عليه وسمى وقال لنا : سموا الله وكلوا ، قال : فجعلنا نأكل ونطعم طعم السويق ، قال : فأطرق الشيخ أبو محمد بن أبى زيد ساعة ثم رفع رأسه وقال : هذا داخل فى الامكان لا سيما وقد ذكرتم انكم أقمت ثلاثة أيام لم

تطعموا وقرأ قوله سبحانه : أمن يجيب المضطر اذا دعاه

ولما رجع المؤدب محرز بن خلف رحمه الله تعالى من الحج قيل له :
من رأيت فى طريقك من الصلحاء ؟ قال رأيت بطرابلس رجلا وامراة
اما الرجل فأبو عثمان الحسانى وأما المرأة فسدونة وكانت سمدونة
هذه عجوزا (١) صالحة تسكن مسجد الشعاب المتقدم الذكر وكان
أبو نزار خطاب الرجل الصالح المتقدم الذكر يزورها ويعتقد
بركتها ، وهذا كما يحكى (٢) أن سحنون بن سعيد لما رجع من
الحج قيل له من رأيت من الصالحين فقال : لقد لقيت رجلا ما الفضيل
ابن عياض بأفضل منهم .

ومنها المسجد المعروف بمسجد المجاز وكان معروفا بسكنى أبى
الحسن على بن احمد بن الحبيب (٣) أقام ساكنا به فيما يقال
اربعين سنة ، وكان فقيها صالحا عالما زاهدا وله فى الفقه والفرائض
والشروط تواليف مفيدة ، وأقام أربعين سنة لم يضحك ونحوها من
خمسین سنة لم يحلف بالله يمينا ، وقال له ابن اخيه عند ما أملى وصيته :
أنسيت الكفارة فقال : لولا أنى فى الموت ما أخبرتك ما حلفت بالله
منذ كذا وكذا يمينا محقا ولا مبطلا وما علمت أن على يمينا أكفرها .
وهذا آخر ما حضرنا ذكره من المساجد التى وقعت الإشارة اليها
وبداخل البلد مدارس كثيرة وأحسنها المدرسة المنتصرية (٤) التى

(١) وفى اكثر النسخ « عجوزة »

(٢) فى نسخة « ذكر ان سحنون »

(٣) فى بعض النسخ « الخطيب »

(٤) فى بعض النسخ « المستنصرية »

كان بناؤها على يد الفقيه أبى محمد عبد الحميد بن أبى البركات بن أبى الدنيا (١) رحمه الله تعالى وذلك فيما بين سنة خمس وخمسين الى سنة ثمان وخمسين ، وهذه المدرسة من احسن المدارس وضعا وأظرفها صنعا . ونقلت من خط أبى الحسن على بن موسى بن سعيد فى بعض تقييده قال : خللت فى بعض سفراتى بطرابلس فبكرت يوما الى المدرسة التى أنشأتها بها الهمة العلية الامامية المنتصرية فدخلت اليها ، وقعدت مسرحا طرفى فى روضة حبق حبست حاستى البصر والشم عليها ، ثم قلت : (بسيط)

يا حَبْدًا نَسَمَةً هَبَّتْ لِنَاشِقِهَا غَبَّ الْكِرَى سَحَرًا مِنْ رَوْضَةِ الْحَبَقِ
حَسْبُهَا عِنْدَ مَا هَبَّتْ وَقَدْ نَعِشَتْ يَلَّةً مِنْ نَدَاهَا رُوحَ مُنْتَشِقِ
قَرْنِفَلِ الْهِنْدِ قَدْ وَافَى التَّجَارُ بِهِ مُحَافِظِينَ عَلَى نَشْرِ لَهُ عَيْقِ
فَعِنْدَ مَا فَضَّهَ الدَّاءِيَّ ذَكَرْنِي بَطِيْهَةً طَيْبَ عَيْشٍ مَرَّرِي أَنْقِ
بَتَوْنِ أَنْسِ الرَّحْمَنِ سَاحَتَهَا وَسُقَيْتْ أَبَدًا بِالْعَارِضِ الْفِدْقِ
وَلَا أَمُوتُ إِلَى أَنْ تَتَقَى قَمْرًا لِلْحُسْنِ مُطْلَعِهِ مِنْ ذَلِكَ الْأُفُقِ

وبين هذه المدرسة وباب البحر مبنى من المبانى القديمة العجيبة وهو شكل قبة من الرخام المنحوت المتناسب الاعالى والتحوت (٢) التى لا تستطيع المائة نقل القطعة الواحدة منها ، قامت مربعة فلما

(١) ترجمته فى عنوان المدرسية ص ٦٤ وفى تاريخ الزركشى ص ٣٤ - ٤١

(٢) فى بعض النسخ « التحوت »

وصلت الى السقف ثمنت على احكام بديع ، واتقان عجيب صنيع ،
وهى مصورة بأنواع التصاوير العجيبة نقشا فى الحجر ، وقد بنى الان
عليها مسجد يصلى فيه ، وأخبرت أن ذلك كان لان بعض الكبراء
حاول هدمها وأخذ رخامها ، وعلى بعض قطعها من الجهة الشمالية
أسطر مكتوبة بخط رومى ، أخبرنى أبو البركات ابن الفقيه أبى
محمد ابن أبى الدنيا عن والده الفقيه أبى محمد أنه لم يزل معتنيا
بالبحث عن ترجمتها وأنه وجد نصرانيا يعرف ذلك الخط
فذكر له أن نصه : أمر ببناء هذه الكنيسة فلان بن فلان من حلال
ماله الذى اكتسبه من غلة زيتونه وفى يوم اتمامه لبنائها او يوم
شروعه فى بنائها وصل اليه الخبر من الشام أن نبيا من العرب ظهر
بالحجاز اسمه محمد بن عبد الله .

وبين القصة وهذه المدرسة المتقدمة جامع طرابلس الاعظم الذى
بناه بنو عبيد ، وهو جامع متسع على أعمدة مرتفعة وسقفه حديث
التجديد ، وبه منار متسع مرتفع قائم من الارض على أعمدة
مستديرا (١) فلما تم نصفه كذلك سدس وكان بناؤه فى العام المكمل
للمائة الثالثة على يد خليل بن اسحاق ، وقتل خليل بن اسحاق هذا أبو
يزيد مغلد بن كيداد لما تملك القيروان سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة ،
وأصله من طرابلس كما تقدم وقد ذكرنا طرفا من أخباره قبل هذا ،
ولما قتله أمر بصلبه فبادر اليه بعض القرويين فجرد ثياب نفسه وشرع

(١) فى بعض النسخ « على اعمدة مرتفعة قائمة من الارض مستديرة »

فى ذلك فنظر أصحاب أبى يزيد الى آثار السياط (١) قد عمت ظهر القروى ، فسألوا عن ذلك فذكر لهم بعض من حضر أن كل عامل يتولى يفعل ذلك به لدناءته وشره ، فاعتوروه برماحهم وصلبوه الى جانب خليل بن اسحاق .

وأخبرنى صاحبنا الفقيه (٢) أبو العباس أحمد بن عبد السلام الاموى قال : نقلت من خط القاضى أبى موسى بن معمر أن شكرا المعروف بالصقلى ابنتى الماجل الذى بجامع طرابلس من الجهة الجوفية (٣) والقبه التى عليه فى سنة تسع وستين ومائتين ، وأن خليل ابن اسحاق ابنتى المنار الذى به كما ذكرنا ومساجد البلد لا تحصى كثيرة وهى تكاد تناهز الدور عدة .

والتائم برسم العلم فى هذه البلدة فى وقتنا هذا شيخنا الامام الحافظ أبو فارس عبد العزيز بن عبد العظيم بن عبد السلام بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبيد ، وهو رجل ليس من عمرو ولا زيد ، ناهيك من رجل قد نال من المعارف ما اشتهى ، وحاز فيما حاز من العلوم الاصولية والفرعية الغاية والمنتهى ، حضرت درسه بمسجد مجاور لداره فرأيت رجلا متضلعا من العلم ذاكرا بالمذهب ذكرا (٤) لا يجاريه فيه أحد ولا تكاد مسألة من مسائله تشذ عنه ، حسن العبارة

(١) فى بعض النسخ « اثر الضرب »

(٢) بزيادة « الحافظ » فى بعض النسخ

(٣) فى نسخة « من جهة جوفية »

(٤) لا يوجد « ذكرا » فى بعض النسخ

مشاركاً في علوم جمة وله اعتناء بحفظ كلام القرويين في المذهب من تعليل أو تفسير أو تفريق أو تخريج واعتناؤه في الأصول الدينية والفقهية على كلام الامام أبي المعالي ، وكلام الشيخ أبي حامد الغزالي ، وهو سبائي النسبة من ولد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وأخبرني أن مولده بطرابلس عام تسع وثلاثين وستمائة ، وأكثر استفادته على ما أخبرني على الفقيه القاضي أبي موسى عمران ابن موسى بن معمر الطرابلسي رحمه الله تعالى ، وليس له رحلة عن بلده الا الى الحج ، حج في عام ثلاثة وسبعمئة .

ولما حضرت درسه وتحققت مكانته المكيّة في العلم أحبت القراءة عليه مدة اقامتنا (١) هنالك ، وطلب مخدومنا أن يكون ذلك بمحضر منه فلم يكن بد من استدعاء الشيخ لموضع سكنانا ففقدنا مجلساً لذلك بالقصبة وفي مجلس الامر (٢) منها ، وطلب الحضور بذلك المجلس جماعة من أعيان الطلبة بالبلد فأذن لهم ، ورأينا أن يكون المتروك حديث خير الانام ، الذي هو الاصل لجميع الاحكام ، فابتدأت القراءة بلفظي لصحيح مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري رحمه الله تعالى في غرة شهر شعبان من العام المذكور قراءة تفقه فيه ، وتدقيق للبحث في الفرائض الكريمة ومعانيه ، وقد كنت ابتدأت تقييد ما أنتجته فيه بيننا المناظرة ، وأفادته المحاضرة ، مما جاء كالاكمال ،

(١) في بعض النسخ « مقامي »

(٢) في بعض النسخ « الامير »

لكتاب « الاكمال (١) » ، ثم بعد ذلك فى الشهر نفسه ابتدأت قراءة دولة أخرى من كتاب المسند الصحيح للإمام الحافظ أبى عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفى البخارى رحمه الله ، وامتد فى قراءتهما مدى ، قرىء فيه منهما ما هو نور وهدى ، الى أن دعا بنا داعى الين فاعجلت النقلة عن تمام الكتابين .

وكتب لى شيخنا أبو فارس بخطه اجازة سقى فيها من شيوخه الفقيه القاضى أبا موسى عمران بن موسى بن معمر المتقدم الذكر أنه (٢) ولى القضاء ببلدهم نيفا وثلاثين سنة ، ووطله الامر بالطلوع الى تونس فى عام ثمانية وخمسين فتوجه اليها وولى قضاءها ما ينيف على عشرين عاما ، ثم توفى بها رحمه الله سنة ستين قال : وكان رحمه الله ذا أخلاق جميلة ، وسيرة حميدة ومعارف جليلة ، واخبر أنه قرأ عليه كتاب « التفریع ، لابن الجلاب ومن أول كتاب « التهذيب ، الى كتاب الحيار منة ، قال وسافر الى تونس فاستمرت قراءتى للكتاب المذكور مع سائر طلبة الفقيه أبى موسى على الفقيه أبى محمد عبد الوهاب ابن محمد الهزوتى ، وكان الهزوتى حين كان القاضى أبو موسى حاضرا معيدا لدرسه بعد قيامه ، وقرأ على الهزوتى أيضا جملة من كتاب « المحصول ، لابن العربى وجملة من كتاب « المستصفى ، للغزالي ، وتوفى الهزوتى هذا عام ثلاثة وستين .

(١) يعنى الاكمال على صحيح مسلم للقاضى عياض

(٢) كذا فى جميع الاصول ولا يبعد سقوط « وذكر » او كلمة بمعناها بين « الذكر » و « انه » .

ومن شيوخه أيضا الفقيه أبو محمد عبد الحميد بن أبي البركات
ابن أبي الدنيا قال قرأت عليه كتاب «الارشاد» لابن المعالي وبعض
كتاب «البرهان» له وجلة من كتاب المستصفي، ومنهم الفقيه أبو
الجيش محمد بن ابراهيم الاندلسي البسطي، اجتاز على طرابلس قافلا
من الحج فقرأ عليه بعض تواليفه في العربية وسمع عليه شيئا من نظمه
وروى عنه «المذهبة» لابن المناصف حدثه بها عن مؤلفها .

ومنهم الفقيه أبو محمد عبد الله بن عبد الكريم الغماري، اجتاز على
طرابلس من المغرب قاصدا الى المشرق فطالت اقامته بطرابلس فقرأ
عليه كتابه الذي ألفه في الفرائض وجل كتاب «الكافي» لابن المنير
في الفرائض أيضا وجل كتاب «الخصار» في علم الحساب وكان ذلك
في عام أربعة وخمسين .

ومنهم الفقيه القاضي أبو العباس أحمد بن عيسى الغماري وصل الى
طرابلس قاضيا بعد انفصال القاضي أبي موسى بن معمر منها ، فقرأ
عليه جملة من المعالم الفقهية لابن الخطيب ، وسمع ما كان يتناظر فيه
بين يديه من التهذيب ، ومنهم الفقيه أبو العباس الاعجمي ورد من
المشرق على مدينة طرابلس في سنة اثنين وستين قاصدا الى المغرب ،
فقرأ عليه بعض المعالم الدينية لابن الخطيب ، ومنهم الفقيه القاضي أبو
محمد عبد الله بن ابراهيم بن أبي مسلم القابسي وصل الى طرابلس
قاضيا وله رحلة الى العراق ودخل فيها بغداد، قرأ عليه بلفظه أكثر من

نصف البخارى ، وهنا انتهى من سمي شيخنا أبو فارس من شيوخه ،
وبالجملة فقد كان زهد الشيخ كبيرا ، وذكره فى المغرب والشرق
شهيرا .

وجميع الخواص من هذه البلدة مقهرون تحت أحكام العوام منهم
لبعد بلدهم عن الحضرة (١) وانقطاعهم عن الاوامر الا أن فى خواصهم
وعوامهم اكراما لمن يحل ببلدهم من الغرباء ووفاء بحقوقهم ومراعاة
شديدة لامورهم .

وقد أنشدنى صاحبنا الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد السلام
التاجورى ، قال أنشدنى الشيخ الفقيه البليغ أبو الحسن على بن ابراهيم
التجاني أيام حلوله بطرابلس على غير اختياره فأقام بها مدة ثم توجه
منها الى الحج وذلك سنة أربع وثمانين ، وأنشدت بعد ذلك بتونس
الفقيه أبا الحسن البيتين فأنشدنيهما لنفسه : (مقارب)

لاهل طرابلس عادة من البرتنسى الغريب الحميا
حللت بها مكرها ثم إذ اقامت بها ابدلوا الهاء ميما

واعتماد كل واحد منهم فى طعامه ، وما يدخره من قوت عامه ،
انما هو على ما يجلب اليها فى البحر ، ومن عادتهم أن لا يتركوا أحدا
يخرج شيئا مما حصل ببلدهم من الطعام الى خارجه ويعاقبون على
اخراجهم ، وليس البلد بلد اختراث وهو بالجملة بحرى لا برى الا ان

(١) فى بعض النسخ من « الحاضرة »

أرضهم معدومة المثال في إصابة الزرع اذا أصابت وليس يدرى (١)
مثلها في ذلك ، وأشهرها بذلك الفحص الذي يسمونه سوفجين وهو
- بالسین المهملۃ المضمومة والفاء والجیم المشددة - قال البکری : وربما
انبت الحبة في هذا الموضع في بعض السنين مائة سنبلۃ ، قال : وهم
يقولون فحص سوفجين ، يصيب سنة بعد سنين (٢) وذكر البکری
متصلا بهذا أن بمدينة طرابلس بشرا تعرف ببثر الكنود من شرب
منها فقد عقله وأنهم يعيرون الشارب منها ومن أتى منهم بما يلام
عليه قيل له : لا عتب عليك فقد شربت من بثر أبي الكنود انتهى
كلام البکری (٣) وهذه البثر قد رأيتها بداخل المدينة وعليها
يوردون بهائمهم ، وكثير من أهل البلد يشرب من مائها ولا يتحرج
من ذلك مع علمه بما يسند عنها

وزرت بخارج المدينة بين شرق وشمال قبر الشيخ الصالح أبي
محمد عبد الوهاب القيسي رحمه الله ، وهذا الرجل يعظمه أهل
طرابلس كثيرا حكى لي جماعة منهم : أنه رأى النبي صلى الله عليه
وسلم في منامه نحو من أربع مائة (٤) وأنه كان يساور النبي صلى
الله عليه وسلم في أكثر أموره فلا يفعل ما يفعل الا بإشارته ، قالوا
ولم يسمع منه هذا في حياته ولكنه وجد بعد موته مكتوبا عنده
بتواريخه يذكر كل ليلة وما رأى منها ، ثم أوقفني بعد ذلك بعض

(١) في بعض النسخ « يري »

(٢) راجع البکری ص ٩

(٣) راجع البکری ص ٨

(٤) راجع كتاب الاشارات لعبد السلام بن عثمان الفيتوري ص ١٤ - ١٥

أهل البلد على جزء فيه هذه المنامات وذكر أنه نقلها من خطه ، فرأيت فيها غرائب من سؤاله للنبي ، صلى الله عليه وسلم عما يفعله في جميع ما يعرض له من أمور و إشارة النبي ، صلى الله عليه وسلم بذلك بما يراد ودوام ذلك واستمراره في كل جزئية من جزئيات حاله قال : وقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : اني آخيت بينك وبين أخيك أبي يعقوب يعني الحشاش وأبي علي يعني يونس بن السماط ، قال فرأيت ليلة فقلت له : يا رسول الله ما رأيت فيما خطر لي ولاخى أبي يعقوب قال وما ذاك قلت نكتب ببعض ما يجري بيني وبينك يعني في النوم لاخينا أبي علي يونس ، قال فقال لي نعم أبوعلى رجل صالح وذلك زيادة في حقه فانه يزداد معرفة فاكتب له ثم قال لي : ولكن لا تمازح غير أخيك أبي يعقوب هكذا رأيت هذه اللفظة في النسخة التي نقلت منها ولا ادري هل هي بالحاء أو بالجيم ، قال فرأيت بعد ذلك ليلة أخرى فقلت له يا رسول الله قلت لي لا تمازح أحدا غير أخيك أبي يعقوب ولم أفهم مقصودك بذلك فقال لي صلى الله عليه وسلم ألم أذن لك أن تحدث بهذه المرائي أبا علي كما تقدم فكيف أقول لك أطلعهم عليها ثم أقول لا تمازحه انما مقصودي أنك لا تطلع على هذا المعنى ، قال الشيخ اي المرائي غير أخيك أبي يعقوب وأبي علي خاصة ، قال فقلت له : ان الاخ أبا يعقوب يخطر له السفر فما ترى في ذلك ؟ فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : ألم أقل لك - يعني في منام قبل

هذا - ان الاقامة أرفق بحاله قال فقلت له يا رسول الله وهو مخير فى الذى عنده من السبب كما تعلم هل يخرج عنه او يقيه فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم : بل يقيه على الامانة فيعطى منه كل ذى حق حقه ، الى امثال هذا من الثامات وهى نحو من اربعمائة منامة كلها على هذا النحو وفيها تبسمه له مهما رآه بانواع النداء وقوله له مرجبا بالحبيب ومرجبا بالرجل المفلح واعلم يا بنى انى أحبك واجب أخاك ابا يعقوب وأنى لافرح بك وأمثال هذا ، قال وشكوت اليه ليلة حالى ومخالفة فعلى لقولى فقال لى صلى الله عليه وسلم : يا موفق من خلق سعيدا او سبقت له السعادة اتراه يشقى كرر ذلك مرتين او ثلاثة ، ثم قال لى : وانى لارجو انك واخاك ابا يعقوب ممن سبقت لهم السعادة

وأبو يعقوب الحشاب هذا ممن استوطن فى آخر عمره طرابلس ، واصله من الاندلس وقد كان فى اول امره على ما بلغنى ثار فى جبل الفتح وادعى الملكة هناك ، ثم نقلته تصارييف الايام الى طرابلس فاقام بها متعبدا مترهدا ، وأتاه استدعاء من حضرة تونس فتوجه اليها فى البحر فاجتاز على جزيرة جربة فتوفى بها رحمه الله تعالى ، وامر بتعمية قبره فلا يوقف له بها الان على قبر ، ويظهر لى ان ذلك والله اعلم لانه اطلع على النصارى ستملك تلك الجزيرة بعد ، فكره اشهار قبره بين قوم كفار ، أو لانه مال على احد القولين عندنا فى تكفير اهلها بما شرعناه من مذهبهم الفاسد

ولابى محمد عبد الوهاب رحمه الله تعالى الان ولد يدعى ابا الحسن ، وهو رجل فاضل زاهد حضرت درسه فى الوعظ وقد قال والده ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له فى بعض مناماته ان الله جاعلك وجاعل أولادك من خواص اوليائه ، وفى منامة أخرى أنه رأى كأنه أوتى السعادة ، قال فجعلت اديرها على ولدى ابنى الحسن ومحمد ، فابو الحسن هذا ، واما محمد فتوفى رحمه الله بمكة عند تمام حجة حجها طاف فيها طواف الافاضة فسقط فى بعض أشواطه ميتا ، أخبرنى بهذا شيخنا ابو فارس ابن عبيد ، وكان حجها فى عام واحد وزرت هنالك أيضا قبر الفقيه الامام أبى اسحاق ابراهيم بن اسماعيل بن احمد بن عبد الله الاجدابى اللواتى الطرابلسى وهو قبر معظم يكثر الناس زيارته والدعاء عنده ، وكان الفقيه أبو اسحاق هذا من أعلم أهل زمانه بجميع العلوم كلاما وفقها ونحوا ولغة وعروضا ونظما ونثرا وله تاليف جليلة وأسئلة مفيدة فى الفقه وغيره ومن جملة تاليفه كتابه المتداول المسمى بكفاية المتحفظ ، وكتابيه فى العروض ناهيك به حسنا وترتيا وتهذيبا وهو نسختان كبرى وصغرى ، وكتابيه فى الرد على أبى حفص بن مكى فى تثقيف اللسان ، وكتابيه فى شرح ما أخره ياء مشددة من الاسماء وبيان اعتلال هذه الياء استوفى فيه جميع احكام هذه الياء على اختلاف أحوالها من تصنيف وتكسير وغير ذلك ، ولما استوفى فيه ذلك استيفاء جيلا

تعرض لشرح المقاطع الواقعة في سورة مريم لاشتمالها على كثير من تلك الاحكام ، فجاء هذا التأليف في غاية الافادة والتحقيق وكتابه المختصر في علم الانساب وله تأليف مختصر في الانواء على مذهب العرب

ورسلته المعروفة برسالة الحول تعرب عن أدب كثير وحفظ غزير ، وكان الفقيه أبو اسحاق أحول ، وسبب تأليفه لها انه حضر يوما بطرابلس عند القاضي بها أبي محمد عبد الله بن محمد بن ابراهيم ابن هانش الطرابلسي ، فحكم ابو محمد بحكم أخطأ فيه فرد عليه الفقيه أبو اسحاق فقال له : اسكت يا أحول فما استدعيت ولا استفتيت ! فألف تلك الرسالة ، وكانت ولاية ابن هانش طرابلس سنة اربع واربعين وأربعمائة بعد ان فر عنها قاضيها محمد بن فاضل البكري الافريقي هاربا خوفا من أهلها وعزل عنها سنة سبع وسبعين فكانت ولايته اثنين وثلاثين سنة

وأكثر هذه التأليف ملكتها بخطه ، وكان رحمه الله من أحسن الناس خطا ، وأخبرت ان الامير أبا زكرياء رحمه الله كان شديد البحث على خطه وانه سمع ان كتاب الفصيح بيع بخطه بطرابلس فبرد بريدا اليها في البحث عنه فبحث عنه ووجه به اليه ، وكذلك أخبرت ايضا انه سمع أن بطرابلس كتاب أمثلة الغريب لابن الحسن علي بن الحسن بن الحسين الهنائي المعروف بكراع (١) بخط

الفقيه أبى اسحاق فى ملك بعض بنى النقاد وهم من أعيان طرابلس
فوجه اليه فيها ، فوجه النقاد بها اليه وقد وقفت على كتب (١) النقاد
بوصول الكتاب المذكور والشكر له على بعثه ، وملكته بخطه أيضا
تأليفه الذى اختصر فيه كتاب أنساب قریش تأليف أبى عبد الله الزبير
بن أبى بكر بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن
العوام رحمه الله ، وحسبك بهذا التأليف الجليل علما وفائدة وهو كما كان
الشيخ أبو الحسن على بن مغيث رحمه الله يقول : هو كتاب عجب لا
كتاب نسب ، ورأيت الفقيه أبا اسحاق قد أدخل من حفظه فى نفس
هذا المختصر زوائد تشتمل على فوائد نبيه عليها ، وكفى بهذا الرجل
العظيم القدر فخرا لهذا القطر ولم تكن له رحلة عن بلد طرابلس الى
غيرها ، وقد سئل أنى لك هذا العلم ولم ترتحل فقال : اكتسبته من بابى
هوارة وزناتة وهما بابان من ابواب البلد نسبا الى من نزل بهما فى
أول الزمان ، يشير أنه انما استفاد ما استفاد من العلم ببقاء من يفد على
طرابلس فيدخل من هذين البابين من المشرقين والمغربيين ، وكان له
اعتناء بقاء الوفود والقيام بضيافتهم

وأخبرنى بعض الطلبة ان خط الفقيه أبى اسحاق باق الى الان فى
بعض جدر داره من طرابلس وهى فى وسط البلد بمقربة من الجامع
الاعظم ، وعلى مسافة يسيرة منها من جهة غربيها دار الشيخ الفقيه

(١) كذا فى جميع النسخ ولعل العواب . على ما كتب للنقاد .

أبي الحسن علي بن محمد بن المنذر (١) الطرابلسي الفرضي المشتهر فضله وعلمه ورئاسته ، وهي مزاحمة لمسجد يعرفونه بمسجد ابن فرج أضيف الى الفقيه أبي مسلم مؤمن بن فرج الهواري الطرابلسي لاقرائه به ، وتوفي أبو مسلم هذا سنة اثنين وأربعين وأربعمائة ، وكان مولد الفقيه أبي الحسن بطرابلس قديما سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة ، وله تآليف في الحساب والازمنة وغير ذلك سوى كتابه المشهور المسمى بالكافي في الفرائض ، وقد لقي الشيخ أبا محمد بن أبي زيد وقرأ عليه وارتحل الى مكة سنة تسع وثمانين فلقى بها أحمد بن زريق البغدادي ، وروى عن أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الجوهري ، ثم عاد الى طرابلس فلم يزل بها الى سنة ثلاثين وأربعمائة ، فخرج منها لمحنة جرت عليه فتوجه الى موضع يعرف بغانيمة بالغين المعجمة والنون قرية من قرى مسلاتة ، فسكن بها الى ان توفي هناك سنة اثنين وثلاثين ، وقبره الان على الطريق بها ، وقد اجتزت على غانيمة ورأيت قبره بها. وسيأتي ذكر ذلك بعد هذا ان شاء الله تعالى ، وهو اول من اظهر السنة بطرابلس لما كانت في افريقية الواقعة المعروفة بوقعة المشاركة سنة سبع وأربعمائة قتل فيها الشيعة واتباعهم ، وعلى يد الفقيه (٢) أبي الحسن كان قتل من قتل بطرابلس منهم ، واول

(١) كذا في بعض النسخ وهو موافق لاختيار النسخة الجزائرية من كتاب العبر لابن خلدون ج ٢ - ص ٦٠ - س ٢ وفي بعض النسخ الاخرى « المنصر » وفي النسخة البولاقية من كتاب العبر ج ٧ - ص ٤٢ « المنصر »

(٢) وفي نسخة « الشيخ »

من قطع من الاذان ، حتى على خير العمل ، واذن في ذلك اليوم اذان
اهل السنة بنفسه ، وقد قتل بنو عبيد بشرا كثيرا اسقطوا هذه اللفظة
من اذانهم (١) تمعدا او نسيانا ، واول من اقام للناس بطرابلس صلاة
القيام ، وقد كان رسم هذه الصلاة امحى من افريقية فقال الشيخ
ابو الحسن القابسي رحمه الله تعالى : لما دخل بنو عبيد القيروان ارادوا
ان يمنعوا الناس من هذه الصلاة ، قال : وليس (٢) شيء اشد على بنى
عبيد من هذه الصلاة ، فقليل لهم انكم توغرون بهذا الفعل قلوب
العامة فانهم يقولون ممنونا من الصلاة ، فامروا الائمة ان يختموا كل
ليلة ختمة كاملة وان لا ينقصوا شيئا منها ، فصلى الناس اول ليلة
بوفرهم فلما كانت الليلة الثانية نقصوا ولم يزالوا ينقصون لثقل
ما كلفوا به حتى خلت المساجد منهم كما ارادوا ، واسقط الناس القيام
بهذه الصلاة فكان الشيخ ابو الحسن بن المنذر اول من احيا بطرابلس
رسمها وقدم ابا مسلم مؤمن بن فرج فصلاها بالجامع الاعظم ولم
تكن قبل ذلك صليت به لانه من بناء بنى عبيد كما تقدم ، واول من
اطلق للناس صلاة الضحى جهارا ولم يكن احد فى مدة بنى عبيد
يصليها الا مستخفيا بها فان ظهورا عليه قتلوه ، ومر بعض عمالهم
برجل على شاطئ البحر يصلى وقت الضحى فساله عن صلاته فذكر
انه كان جنبا فلما مر بالبحر نزل واغتسل وقضى صلاة الصبح فلم
يقبل ذلك منه وامر به فالتقى فى البحر الى ان مات

(١) فى نسخة « من الاذان »

(٢) فى نسخة « ولم يكن »

وكان سبب محنة الفقيه ابي الحسن ان سعيد بن خزرود لما قتله
زغبة (١) سنة تسع وعشرين واربعمائة فتح ابو الحسن بن المنصور
مدينة طرابلس لخزرود بن خليفة فدخلها واقام بها اشهرا ، ثم لما كان
شهر ربيع الاول من سنة ثلاثين وصل المتصر بن خزرود وكانت
معه عساكر زناتة ففر خزرود بن خليفة من طرابلس مختفيا وترك له
البلد ، فدخله المتصر واوقع بابي الحسن مكروها عظيما ونفاه من البلد
واستباح جميع املاكه وعذب كثيرا من اقاربه بسببه .

ورایت مقابر طرابلس كلها فوجدتها قد امتلات من بنى آدم
وغلبت عظامهم على تراب الارض فلا ترى منها ملء كف من تراب
الا وعليها جمجمة او عظم ولا سيما الجهة الشمالية منها ، وكثيرا ما
يدفنون هناك الغرباء الذين ليسوا من اهل البلد ، وهناك مدفن جثة
ابى عبد الرحمان يعقوب بن ابى يعقوب يوسف بن محمد الهرغى الشائر
بطرابلس ، وكان هذا الرجل قد ظهر فى اول دولة الامير ابى زكرياء
يحبى ظهورا عظيما واشتهر بالاقدام والاقترام فى الامور العظام ،
وكانت بينه وبين الجوهرى صداقة متكاذبة ، فلما قتل الجوهرى بتونس
سنة تسع وثلاثين استوحش ابن ابى يعقوب ، وعلم الامير ابو زكرياء
باستيحاشه فوجه اليه اخاه ابا عبد الله بن ابى يعقوب يوسف ليؤنسه
ويصل به فلما وصل اليه لم يزدده وصوله الا فرارا وكان قد اقتنى
لنفسه اموالا عظيمة ، فحدثته نفسه بالامارة هناك والاسباب بالملك

فاجتمع على ذلك واستعد لظهوره فتفاوض عقلاء طرابلس فيما بينهم
فى ذلك وتذاكروا ما يتخوفون من غاقبته وراوا ان يادروا بالقبض
عليه فاحاطوا به فى الليلة التى عزم على اظهار ذلك فى صبيحتها
فقبضوا عليه وعلى اخيه وعلى جماعة ممن تبعهما فاحتبسوهم الى ان
طالعوا بامرهم فورد عليهم الامر بقتلهم فقتلوا وصلبت جثثهم بباب
هواره من ابواب طرابلس وحملت رؤوسهم الى تونس فنصبت على
سور القصبة منها ، وذلك فى شهر شوال من السنة المذكورة وهى
سنة تسع وثلاثين ثم نزلت جثة ابنى عبد الرحمان بعد دفنت حيث
ذكرنا

وكان ممن قتل مع يعقوب فى هذه الكائنة ونصب رأسه مع
رأسه ، ابو عبد الله محمد بن القاضى ابنى عمران بن عيسى بن عمران
وابوه هو قاضى القضاة بمراكش الذى يقول فيه الشاعر : (مجث)

يخَطُّ فى الرِّقِّ خطا كأنه خط شيطان

يفك عنه المملى موسى بن عيسى بن عمران

وكان ابنه هذا قد وصل الى حضرة تونس فضاقت حاله بها مع
ضيق كان فى خلقه فتوجه الى طرابلس فاتصل بابن ابنى يعقوب
وشاع عنه انه انشأ خطبة اعدّها لتقرأ يوم بيعته ، كان منها فى وصفه :
القائم بالمدينة البيضاء ذات الرمال ، الفاصل بهدايته بين الحرام
والحلال ، قترفا معا شؤم هذه الخطبة ، واستمر بعد الممات على ما

كانا عليه في الحياة من الملازمة والصحة ، وأخبرني الفقيه ابو عبد الله محمد بن يحيى العدل بحضرة تونس رحمه الله قال : كان ممن حبس بطرابلس معهم أبي فدخلت عليه في السجن وكنت اذ ذاك صغيرا فقال لي يعقوب ما سورتك يا بني ؟ فقلت له الحديد ، فجعل يكرر هذه اللفظة تطيرا منها ، فكان من صدق هذه الطيرة من قتله (١) ما تقدم ، قال ولم يسلم من اصحاب ابي عبد الرحمان الذين ثقفوا معه غير ابي لتشفع اهل طرابلس فيه عند الامير ابي زكرياء ، وانشد ابو زيد عبد الرحمان بن محمد بن ابراهيم الاصولي في بعض تآليفه لنفسه من قصيدة يمدح بها الامير ابا زكرياء ويصف هذه الكائنة ويذكر تسمية يعقوب نفسه بالامام الفاطمي ، ويعقوب هذا ينتسب لهذا النسب العلي : (طويل)

لقد عَجَلْتُ للفاطمي فطامه وما سَوَّغْتَهُ دَرَّهَا الْبَيْضُ وَالسُّمْرُ
رجا رَفْعَةً فاعتاضَ منها بِنَصْبٍ نَمَاهُ بِهِ لِلْجِدْعِ مَنَصْبُكَ الْحُرُّ
يرى شَرَفَاتِ السُّورِ قَدْ قَمْنُ حَوْلَهُ (٢)

يَصْخُنُ لِأَمْرِهِ أَكْذِبُهُ الْأَمْرُ
ضَحَى فَلَحَرَ الشَّمْسُ لَفْجُ إِهَابِهِ وَلِلرَّيْحِ لَا لِلرُّوحِ فِي جِسْمِهِ كُرُّ
وَكَمْ رَامَ تَشْيِيدَ الْقُصُورِ فَحَلَّهَا (٣) وَأَعْظَمَ مَا يَرْجُوهُ لَوْ أَسْعَفَ الْقَبْرُ

(١) لا يوجد « من قتله » في بعض النسخ

(٢) في نسخة « نحره »

(٣) في نسخة « يعجلها »

أتى رهبة لمادعوت إجابة فجرده من ثوب نعمتك الكفر
وجامك منه بعضه متصلاً وخلف بعض حيث لاجاده قطر
يناجي اخاه لا بقول بيته وهيهات عز السر فحواه والجهر
تبراً منه واتحاك لسانه فلو رام نطقاً لم ير منه لك الشكر
فدونك يا يعقوب عقي منافق إلى النار عباها اذا ضمك الحشر

وانشدني بطرابلس صاحبنا الفقيه ابو العباس احمد بن عبد السلام
الاموى التاجورى فى قضية ابى عبد الرحمان لما نصب رأسه ورؤوس
من قتل معه بسور القصبة من تونس للفقيه المحدث الحافظ ابى
عبد الله محمد بن عبد الله بن ابى بكر بن الابار، ثم انشدني بعد ذلك
هذه الايات بتونس الشيخ الفقيه ابو الحسن على بن ابراهيم التجانى
قال انشدنيها قائلاً : (كامل)

وعصابة قطفت رؤوسهم الطيبى	قطف البان ازاھر البستان
غدروا وما شعروا بان وراءهم	للحق انصاراً على البهتان
فانظر الى هاماتهم مسودة	كالليل غير بوارق الأسنان
تبدو من السور المنيف بصفحة	يضاء كالشامات والحيلان

والاشهر فى هذه المدينة طرابلس بفتح الطاء وضم الباء واللام،

قال البكري في المسالك : وترجمة هذه اللفظة باللغة الاغريقية ثلاث
مدن (١) تم كلامه (٢) وبعض الناس يكتبها حيثما وقعت في خطه
بالالف وعلى هذا قول احمد بن يحيى من قديم شعرائها في قصيدة له:
(مقارب)

لقد طال شوقي الى فتية حسان الوجوه باطرابلس
وقد عيل صبري فما مُسْعدي على الشوق الا دموع بَعْش

واحمد بن يحيى هذا من ولد اخي علي بن زياد الفقيه التونسي
رحمه الله واصل علي بن زياد من طرابلس ايضا مات سنة ثلاث
وثمانين ومائة (٣) وذكر لي بعض النبهاء من طلبتها انه وقف لبعضهم
على ان المختار في طرابلس الشام ان تكتب دون الف تفرقة بينهما ،
واما الكاتب المتأخر ابو الحسن علي بن ابي بكر بن بلال فانه سكن
لام طرابلس استنادا الى ما تقرر في اللغة العربية من جواز تغيير
الاسماء الاعجمية للضرورة فقال في بعض وترياته يخبر عن نفسه :
(طويل)

سرى فرسا في سيره ولو انه خلّني من الاوزار سار ولم يَزْسُ
سمى سمي طمّاح لأبعد غاية فكانت له دار المقام طرابلس
سينضي ركاب العزم عنها مجرّدا لافضل من دانت له الجن والانس

(١) راجع البكري ص ٦ - ٧

(٢) في بعض النسخ « ثم تلامت »

(٣) طبقات ابي العرب ص ٢٥٣ وفي بعض النسخ سنة ثلاثين ومائة وهو تعريف من النسخ

وكان رحمه الله أخذ في التوجه الى المشرق ليحج ووصل الى طرابلس فصرفه الدهر في بعض خدمها فنظم مدة اقامته بها هذه التريات يصف اشتياقه ، ويطلب التخلص مما عاقه ، الى ان تهيأ له السفر فانفصل وحج وذلك سنة احدى وثمانين ، ثم رجع فمات بطريقه وهو قافل رحمة الله تعالى عليه

وبطرابلس كانت وفاة أبي حفص عبد الله بن محمد بن عامر ابن أبي عامر وهو والد الحاجب المنصور أبي عامر محمد بن عبد الله ابن أبي عامر صاحب الفتوحات المدونة والاستيلاء المشهور ، وكان أبو حفص هذا فقيها صالحا معلوما بالخير والزهد والقعود عن السلطان ، سمع الحديث وكتبه عن محمد بن عمر بن لبابة واحمد بن خالد ومحمد بن فطيس وغيرهم ورحل الى المشرق فأدى الفريضة ثم عاد قافلا فادر كته منيته بطرابلس فدفن بها انتهى من كلام أبي حيان ، وفيه عن ابن عفيف وذكر ابن الابار في « التكملة » (١) ما تقدم وأخبر ان وفاته كانت آخر خلافة الناصر وكان انقراض خلافة الناصر في شهر رجب من سنة (٢)

ومن فضلاء طرابلس المشهورين بالعلم والمشاركة في الادب المتقدمين عن عصرنا هذا قليلا : أبو محمد عبدة الحميد بن ابي البركات بن عمران ابن ابي الدنيا الصدفي الطرابلسي ،

(١) راجع التكملة ص ٤٣٧ - ٤٣٨

(٢) يبايض في جميع النسخ وكان انقراض خلافة الناصر في رجب من سنة ٣٥٠

مولده بطرابلس فى منتصف شعبان من سنة ست وستائة
وارتحل الى الشرق فبقى فريضة الحج وادرك الريفى
والصفراوى فقرأ عليهما ووصل الى تونس فى مدة الامير أبى
زكرياء فاقام بها زمانا ثم عاد الى بلده ، واستدعى بعد ذلك الى تونس
فولى بها الخطط الرفيعة من قضاء الجماعة وقضاء الانكحة والخطابة
بالجامع الاعظم وغير ذلك من الخطط وله تصانيف منها : العقيدة
الدينية وشرحها ، وجلاء الالتباس فى الرد على نفاة القياس ، وكتاب
مذكر الفؤاد فى الخوض على الجهاد، وله شعر قليل منه قوله : (كامل)

طُرُقُ السَّلامَةِ والفلاح قَناعَةٌ ولزوم يَتِ بالتَّوَحُّشِ مؤنِسِ
يكفيه أنسا ان يكون أنيسه آيُ القرآن ونوره في الحِنْدِسِ
وَإِذَا رَأَتْ عَيْنَاهُ أنسانا اتى فليَنفِرَنَّ نفورَ ظبي المَكْنَسِ
ولَقَلَّما يَنفَكُ صاحبِ مِقْوَلٍ من زَلَّةٍ أو عَثَرَةٍ في المَجْلِسِ
تَحْصَى وتُكْتَبُ والجهولُ مُغْفَلٌ حَتَّى يَراها في مقامِ المَفلِسِ
وأظهر له الخليفة المستنصر رحمه الله فى بعض الاوقات تغيرا
فكتب اليه يستعطفه : (طويل)

أمولاي مَا زِلْتُمْ تَنيلونَ عبدكم ضروبا من النعماء جلت عن المثلِ
ولم يبقَ إِلَّا المَفْوَ وهو أَجَلٌ ما يُنالُ فَأَكْمِلْ لي به منحة الفضلِ

فما العيش في الدنيا بغير رضاكم بضاف ولا طعمُ الحياة بمخلّولي
وقد كدّر الاعراضُ صفو معيشتي فأنكرتُ أحوالي وانكرنى اهلي
ولي أمل يقضي بغفران زلتني وبالغفوعن جرمي وبالصفح عن فعلي
بقيتَ تزيد الملك عزّا وبهجة

وتحيي رسوم الفضل والدين والمذل
ولا يخطِشني منك غفوء ورحمة فإنهما ما أخطئا أحداً قبلي
وصلّى إلاء العرش بدءاً وعودة على المصطفى من خلقه خاتم (١) الرسل
وله القصيدة الطويلة التي اولها : (وافر)

بحمد الله نبتدىء الامورا ونغتم آخرها فيه الجورا
وكانت وفاته بتونس يوم الجمعة الثانى والعشرين من ربيع
الاول عام أربعة وثمانين وستمئة .
ومنهم الفقيه أبو على الحسن بن موسى بن معمر الهوارى
الطرابلسى احد ارباب الرتب ، الجامعين بين رئاسة الفقه ورئاسة
الادب ، ولد بطرابلس سنة تسع وستمئة وقرأ بها يسيراً ثم توجه
مع أخيه الفقيه القاضى أبى موسى الى المهدية للقراءة بها على الفقيه
أبى زكرياء البرقى فلزمه مدة ، ثم عاد أبو موسى الى طرابلس وأقام
أبو على ولزم البرقى وتفقه عليه واختص به اختصاصاً كثيراً فلما

وقعت فتنة أبي حمراء بالمهدية ووصل كتاب الشيخ أبي علي بن أبي موسى بن أبي حفص الى (١) المهدية اذ ذاك بالتحذير من أبي زكرياء البرقي ومن أبي حمراء ، وتوجه الامر له بقتل أبي حمراء وازعاج البرقي الى الحضرة كان ذلك فقتل أبو حمراء وحمل البرقي على حمار ومعه خواص أصحابه فيذكر من رآه على تلك الحالة وهو يمثل عند (٢) اشرافه على الحضرة : هكذا في البري فعل بي فكيف لو زلت بي القدم ، فكان ابن معمر احد من وصل صحبته وأدركت الامير أبا زكرياء شفقة على البرقي فاعاده الى وطنه وأقام ابن معمر بالحضرة وكان فقيها مفوها خطيبا لسنا غير انه كان في لسانه فضول ، كثر امتحانه به والتعرض له بسببه .

وترقى في دولة الخليفة المستنصر رحمه الله فولى خطة القضاء في كثير من بلاد افريقية منها باجة وبجاية وغيرها ، وولى خطة العلامة الكبرى وخطة الارفاع والنظر في خزانة الكتب ، ونفیر الخليفة عليه فنفاه الى المهدية ، فكان خروجه من الحضرة يوم السبت الثامن عشر لذي القعدة الحرام سنة سبع وستين ، ثم وقع الرضى عنه بعد عام كامل وتوجه الامر بتسريحه في ذى الحجة من سنة ثمان وستين فوصل الى تونس في شهر ربيع الاول من سنة تسع وستين ، ولما مات الخليفة وولى ولده الواثق استدعى في يوم السبت التاسع عشر

(١) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « والى »

(٢) وفي بعض النسخ « على »

لذى الحجة من سنة خمس وسبعين فأمره بالنظر فى خزانة الكتب
وسئل عنها حين كانت لنظره اولا فذكر انها كانت ثلاثين الف
سفر وأنه آخر عنها ثم أعيد اليها فوجدها عشرين الف سفر وأنه
الان اختبرها فوجدها تقصر (١) عن ستة آلاف سفر ، فسئل عن
موجب ذلك ، فقال : المطر وأيدى البشر ، واستمر على النظر فيها الى ان
تغير عليه رئيس الدولة أبو الحسن بن أبى مروان فى بعض القضايا
فأمر بثقيفه فثقف بدار الاشراف مدة ثم أخرج ، وكانت وفاته
بتونس فى اليوم الثانى لجمادى الاولى من سنة اثنين وثمانين
وستمائة ، وله شعر كثير أخبرنى ابن أخيه الفقيه أبو يعقوب يوسف
ابن القاضى أبى موسى عمران قال : كنا جلوسا عنده فأنشد بعض من
حضر بيتين لأبى الوليد سليمان بن خلف الباجى : (وافر)

مضى زمن المكارم والكرام سقاه الله من صوب القمام
وكان البرّ فعلا دون قول فصار البرُّ نطقا بالكلام

قال فأنشدنا لنفسه متمما عليهما (وافر)

وزال النطق حتىّ ليس تلقى فتى يسخو بمرجوع السلام
وزاد الامر حتىّ ليس إلا سخى بالاذى او باللام

وكان أبو عبد الله محمد بن يحيى الفضيل ممن ثقف بدار
الاشراف معه حين ثقفه ابن أبى مروان على ما تقدم فحصل بينهما

اتصال وود واتفق ان سرح ابن معمر قبل سراح الفضيلي فهناه
الفضيلي بذلك فأنشد مرتجلا : (طويل)

لئن سَرَّني فك الإِسَّار من الحبس لقد ساءني فقدي لما فيه من أنسي
ولو أنني خَيْرْتُ فيما أريدُه لآثرت تقديمي سراحك عن نفسي

وفي مدة لزومه داره للجفوة التي كانت عرضت له قبل نفيه الى
المهدية قدم من السفر صديق له ممن تلزمه زيارته فلم يمكنه ذلك
فكتب اليه : (طويل)

كتبت ولولا الحكم كنت إليكم من الشوق في مَتْن الرياح أُطيرُ
وَإِنَّ يَسِيرًا أَنْ أُسِيرَ مُسْلِمًا عليكم على وجهي وذاك يسيرُ
وما في صميم القلب من خالص الوفا فسيان فيه غيبة وحضورُ
وأنشدني له بعض الطلبة من أهل بلد طرابلس قصيدة وقعت
هنا مرتبة على حسب ما اخترناه منها : (بسيط)

لولا احورار جفون أودعت سَقَمًا

ما أمطرت سحبُ أجفاني الدموع دَمًا

ولا وقفتُ أُصَيِّلُنا بربكم (١) ولا سقيتُ رباه من دمي دِيَمًا

ولا نَشَرْتُ عقيق الدمع في طلل منه أذيع الذي قد كان مَكْتَنَمًا

شمل السلو شيت بعد بعدكم وطالما كان قبل اليوم ملتئماً
الين يقطع منه كل متصل والشوق يثر منه كل ما انتظماً
والوجد شاد بجسمي ما يهدسه آه على ما بنى فيه وما هدماً
يا من يلوم على ما جل من أسفي هذا اليسير من الامر الذي كتما
ما خطط النوم في جفني رسم كرى إلا محاسن السند ما قد خط أو رسماً
أنيكم أنني من يوم ينكم ما زلت للسند والتذكار ملتزماً
ارتاح إن هب ريح من جنابكم أو لاح برق بذاك الافق وابسماً
أما ومن قدر الاشياء مقتدرا وحبيكم وكفى بالحب لي قسماً
ما رام قلبي اضطراباً بعد بعدكم ولا تأخر بي من وجده قدماً
وانشدني أيضاً وقد ابل الخليفة من مرضه : (بسيط)

الله أنعم بعد اليأس بالفرج يا ازمة الدهر عند الشدة انفرجي
شكر الخلائق لا يكفي لأيسر ما كفى وسكن من هرج ومن رهج
أبقى الانام بإبقاء الإمام فكتم بصونه صان من مال ومن مهج
إذا رعى الله للإسلام راعيهم لم نأس من فقد ذي قدر ولا همج
وذكر ابن البار في بعض تواليفه قال : انشدني القاضي أبو علي
ابن معمر له ولاحد أصحابه في أبي المجد الصوفي المهدوي يداعبانه
لولوعه بتزوج المعجزة : (طويل)

أبا المجدكم تغرى بحب المجائر وذلك في شرع النهى غير جائز
كلفت بأطلال محال الدهر رسمها فاصبحت تبغي الفوز بين المفاوز
وأشدنى شيخنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن حيان
الأوسى، قال أنشدنى أبو على بن معمر لنفسه : (بسيط)

آهاً نردد لو تشفى لنا كرباً وبالعلات نحيا لو قضت أرباً
وبالاماني ينال القلب بغية وقد تحقق من مقتادها كذباً
يرتاح إن لاح برق من جهامتها وما تراءى له إلا وقد ذهباً
يسر إن مد يوماً جبل منيته وما تطاول إلا جُدْ وانقضباً
إن عز ما يتبغيه (١) فهو في هرج ويخشى الفقد إن ما يتبغى قرباً
وارحمته لقلبي كم أجشمه امرأ يذيب من الأصلاذ ما صلماً
وكم يعانى ملأت بايسرها يهون الأمر (٢) من دنياه ما صعباً
وكم يلجلىج في افكاره ليجاً سوداً تؤجج في احشائه لهباً
وكم تهب سموم من تنفسه لو استمرت لنا هبت نسيم صبا
استغفر الله لا اشكو الزمان ولا أبدي إذا طرقت أخطائه رهبا
ولا أئن لحظ منه اغوزني ولا أسر إذا ماء المنى انسكبا

(١) وفى نسخة « ما يرتجيه »

(٢) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « المرء »

أَنْتَى يُسَرُّ لَيْبٌ إِنْ رَأَى حُلْمًا وَكَيْفَ يَطْرَبُ مَنْ خَمَرَ الْفَنَاءَ شَرِبًا
وَأَخُوهُ الْفَقِيهَ الْقَاضِيَّ أَبُو مُوسَى كَانَ عَلَمًا صَالِحًا فَاضِلًا وَقَدْ قَدِمْنَا
مِنْ أَخْبَارِهِ مَا ذَكَرَهُ شَيْخُنَا أَبُو فَارِسٍ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ غَيْدٍ عِنْدَ
تَسْمِيَةِ شَيْوْخِهِ •

فَأَقْبَنَّا بِطَرَابِلُسَ سَاكِنِينَ فِي قَصَبَتِهَا كَمَا تَقْدُمُ عَامَا كَامِلًا وَنُصَفَ
عَامَ وَأَيَّامَا إِلَى أَنْ تَهَيَّأَتْ لِمُخْدُومِنَا أَعَزَّهُ اللَّهُ وَجْهَتَهُ ، وَكَمَلْتُ عَلَى
أَتَمِّ الْمُرَادِ بِغَيْتِهِ ، حَسْبَمَا نَبِيْنُهُ بَعْدَ هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، فَحَيْثُذْ وَقَعَ
الرَّحِيلُ عَنْهَا • وَبَلَّغْنِي بِأَثَرِ الْحُلُولِ بِهَا إِنْ الْفَقِيهَ الْبَلِيغَ الْكَاتِبَ أَبَا
الْفَضْلِ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي الْحَسَنِ عَلَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ التَّجَانِيَّ ضَوْعَفَ لَهُ
بِالْحُضْرَةِ مَرْتَبَهُ وَأَعْلَيْتُ عَنْ إِخْوَانِهِ الْكِتَابَ رَتْبَهُ فَكُتِبَتْ إِلَيْهِ بِذَلِكَ :
(كامل)

أَهْدِي أَبَا الْفَضْلِ السَّلَامَ مَرْدَّدًا لِعَلَّاكَ عَنْ قَلْبِ إِلَيْكَ مَشُوقٍ
وَأَقَرُّرَ الْوُدَّ الَّذِي أَنَا سَالِكٌ فِيهِ مِنَ الْإِخْلَاصِ خَيْرِ طَرِيقٍ
وَسَمِعْتُ أَخْبَارًا أَدَارَ بِذِكْرِهَا مِنْهُي الْحَدِيثِ الَّتِي كَانَ رَحِيقٍ
أُنْبِئْتُ أَنَّكَ قَدْ خُصَصْتَ بِرَتْبَةٍ أُنْسَمْتَ مَقَامَكَ فَوْقَ كُلِّ رَفِيقٍ
فَسَرَرْتُ أَنْ نَالَ السِّيَادَةَ وَالْعِلَّا مَنْ فَخَرَهُ فَخْرِي لَدَى (١) التَّحْقِيقِ
مَا الْعَزُّ عِنْدِي إِنْ اعَزَّ وَأَنَّمَا عَزِّي الْمَكْمَلُ إِنْ يَعَزَّ فَرِيقِي (٢)

(١) وَفِي بَعْضِ النُّسخِ « عَلَى »
(٢) وَفِي بَعْضِ النُّسخِ « فَتَبْقَى »

ان اكرموك فقد اتى اكرامهم في موضع بالكرامات حقيق
طوّقت للانعام ما تشدّو به والشّدْوَ شِيمةٌ كلّ ذي تطويق
والله يرزقك الزيادة حاكماً لك بالمال والسعد والتوفيق
فوصل جوابه عن ذلك بما نصه : (كامل)

أهدي سلام الود خير رفيق من عدّ اوحّد أسرتي وفريقي
ومقام عبد الله نجل محمّد في قومه سام على السيّوق
نذب تحلّى من جلالة سندس واقام للعلاء أنفق سوق
وازدان بالفضل الذي هو مُرضع (١) لبني الافاضل ليس بالممذوق
زانت فتاة السنّ منه فتوةٌ قد ضمّخت اخلاقه بخلوق
ومعارف تُدرى لهنّ عوارف فيها حقيق مجده بحقوق
أما موثيق العهد فأنهـا ابدأ لديه مميّزة بوثوق
ومشارع الودّ التي اروي بها ما امطرتها خلّبات بروق
هى ما علمت مواليد ومراضع وزكاء فرع من زكاء عروق
ودليل تأكيد الوداد رسائل تقضي بعهد في الرداد وثيق
تدنو على شحط الربع كأنها شمس تعمّ يهجة وشروق

اوكلها الهتان يزوي محلاً فيعود بعد المخل جد اتيق
 ولرب قافية اتت قافية تقفولها الشعراء نهج طريق
 فلئن تمكن من طريقته امرؤ فلها مكان ليس بالمطروق
 انت الذي تجلو المعاني خلوة يصبو الحجي لجمالها المرموق
 ولكل معنى زانه اللفظ الذي يكسو كغصن في الرياض وريق
 وافت تهني لي باسمد رتبة رفعت بحر سوابغ التوفيق
 ومقدم بالله شرط قضية قرنت بها الآمال بالتصديق
 واجل ما آثرته حظ أتى عفوا بدون الظن والتعليق
 هي نظرة من نحو خير خليفة غاظت (١) أبا زيد بخير عتيق
 ما كنت لولا ان عين رضاهم نظرت بايسر ما جرى بحقيق
 سؤدت ان طوقت نعماء التي قد قام فيها شاهداً تطويقي
 وكفاية الآثار قد قابلتها بفصيح قول في الثناء طليق
 هو مشرب انا منه صاحب نشوة ومواصل لصوحه بغبوق
 لا اشتكي الا نواك فأنني من اجل حادثها اغص بريق
 سحقا لدهر لو قضى بآلف لغدا مكان الالف غير سحيق

اقصى فلولا ما دعوه ابا الورى لعقته ويقل فيه عقوقي
أعليه نذر لا يزال يفى به ان يعقب الجميع بالتفريق
لم انس سيل الدمع يوم فراقنا وغريقنا مستمسك (١) بغريق
ما ان ذكرت السين الا بان من نفسي ومن نفسي دخان حريق
فالله اسأل ان ينظم شملنا عقداً ويجمع نازحنا بمشوق
وما ذاك على الله بغريز ، وقرب الاماكن (٢) فيه متعلق بخير
موجب مجيز ، فعما قريب نتلقى بالفعل هذا الامكان ، ويعود الجمع
منتظما كما كان (٣) بفضل الله وهذا الزمان (٤) الذى اوقع ريبا ،
واشتعل الرأس منه شيبا ، سرعان ما تقهقر القواطع عنه مقصرة ،
وتحول ليله آية النهار مبصرة ، وتلقى حبله من سقط الفرقه
مضغة ، ويرجع راجع الشباب صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ،
واذا كان يعيده حامل كلام ، ويرده واصل سلام (٥) ، فما ظنك به
حين تقبل الركائب ، ويلتقى المقيم والايب ، وترى القافل الذى
شد ما أثقل رحله ، يلقي الزاد فما زاد حتى نعله ، فتراح الركائب
من جذب البرى ، ويراح الى جنة القرب ونار القرى ، وحيث
تصل الافراح ، وأنشد من صد عن نيرانها فأنا أبو قيس لابراح (٦)

(١) فى بعض النسخ « مستمسك »

(٢) وفى بعض النسخ « الامكان »

(٣) وفى بعض النسخ « هذا الشمل مشتملا » وفى بعضها « هذا الشمل منتظما »

(٤) وفى بعض النسخ « هذا الوقت » وفى بعضها « هذا الرتب »

(٥) وفى بعض النسخ « كلامى » و « سلامى »

(٦) والمشهور فى قول سعد بن مالك هذا « من نر »

والله المرجو في أن يعيد (١) ذلك الزمان ، وعليه سبحانه في تحقيق
الرجاء الضمان (٢) ، بحوله وطوله ثم تنوب الى واجب الشكر ،
وشكر الواجب الذكر ، وغرس ثمرة (٣) الاحسان ، اذا تمهد بعهد
الانسان ، كانت ثمرتها وهى الشاء ذائفة ، ولم تكن ثمرة تلك
الغروس ضائفة ، وكل ما يلحق الفرس من نضرة ونعمة ، تلبسه
ملايس نعمة ، فلفارسه ينسب ، ومن جملة مكارمه يحسب ، وذلك
الجلال للشيخ أمن الله جهته ، وبين الله وجهته ، لا يشك أنى
غرس نعمته ، واحد المعتزين بخدمته ، وعنايته قديما هى التى
أصارتنى من خدمة هذا المقام الكريم الذى طوقت نعمه فمدحت ،
وسقيت ديبه فشكرت ومرحت (٤) بثاية منه سقت دوحى غمامها ،
فبشكره - أعزه الله - يفرد من لسانى حمامها ، وعن ثغور منحه تفتت
باسمها ، كما أنه عن منشور (٥) مدحه لا تفتت نواسمها ،
فصادح (٦) ثنائى لا يثنى عن تغريد وتلحين ، وثمر بر طيبات
مادحه لا تزال تؤتى أكلها كل حين ، فقرروا عند سيادته - حفظها
الله - ما يجب تقريره ، وكرروا من معاد ذلك ما تحسن اعادته
وتكريره ، والله سبحانه يلفكم أملككم ، ويختم بالصالحات عملكم ،
ويسهل سبيلكم ، ويجعل اليمن المصاحب دليلكم ،

(١) وفى نسخة « يعود »

(٢) وفى نسخة « التكلان »

(٣) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « شجرة »

(٤) وفى بعض النسخ « فرحت » وفى بعضها « مدحت »

(٥) وفى بعض النسخ « منشور »

(٦) وفى جل النسخ « فصادح »

ووصلت بعد ذلك أبيات من بعض من وصل الى الحضرة من
الادباء وكان من مقصده رؤيتي فلم يجدني بها : (كامل)

خذها تحية نازح الناطقان لكنه بوداده لك داني
من شيق لأبي محمد الرضى عبد الإلاه الماجد التيجاني
مثن على تلك الحلال ولم يزل من اجل بُعدك دائم الاشجان
لما وصلت لتونس الفتيها من بعدكم ربما بلا سَكَّان
قد اظلمت في مقتلتي لبعادكم فكانها جفن بلا انسان
فلو استطعت لسرت عنها نحوكم اسى لرؤيتكم على اجفاني
وكتبت فى أول شهر المحرم مفتتح عام ثمانية وسبعمائة للفقير البليغ
ابى الفضل محمد بن أبى الحسن على بن ابراهيم التجانى بهذه
القصيدة وما ردفها من النثر مقررا لادامة الود ، ومتبرما بامتداد امد
البعد : (مخلع البسيط)

حبكم في الحشا مقيم فما يروم الذي يلوم
اما درى العاذلون جهلا ان عذاب الهوى نعيم
هل عند من عنده قوادي ان غرامي به عيم
بيت من لوعتي خليا ومنه بي المُقعد المُقيم
اجابنا هل ينال حظا من وصلكم من بكم بهيم

هَبُوا لاجفاننا مناما	فمهدُها بالكرى قديم
لازمها بعدكم سهاد	تعرف مقداره النجوم
وعَلُوا بالرضى فؤادا	به لهجرانكم كلوم
يظنه عُدِّي سَلِيمًا	وهو لِفَرَطِ الِاسَى سليم
إن حكم الدهر بافتراق	موقعه في الحشا اليم
فكل شيء الى كتاب	قَدَره القادر الحكيم
هالك أبا الفضل من سَلَامِي	مِسْكَاً رسولِي به النسيم
واعلنتم بما بي من اشتياق	اليك مقداره عظيم
وإذ طلبتَ بعلم حالي	وانت عندى بِهَا عليم
فأنني في اتصال نُفْسِي	بشكرها الدهر لا اقوم
منعم في جناب مَنُولِي	بِقُرْبِهِ تبعد الهموم
لله منه غمام جود	عَنِّ الورى صوبه العميم
كم كَفَّ بؤس الورى بكف	تعجز عن جوده النجوم
يشر (١) أمواله ولكن	شمل المعالي بها نظيم
ايه نِدَاءُ حواه قلب	مَازجه ودك الصميم

هل تترجى للزمان عدلا فانه في النوى ظلوم
قد علم الله من ودادي ما أنا راع له مُديم
وانّ عندي لحفظ عهدي طريقة نهجها قويم
وانّ تحل بيتنا فياف يقصر عن جوبها الرسيم
فان ذكراك كلّ حين في القم والقلب لا تريم
لقد تدانت لنا قلوب وانّ تناءت لنا جسوم
فنسأل الله جمع شمل فهو لطيف بنا رحيم

« هذه أعزكم الله آيات صدرت عن قلب (١) منقسم ، وفكر بتولد التبلد متسم ، قد أعاره الهوى أتباعا ، وأعادته النوى شعاعا ، فكلما رمت جمعه ، وطلبت أن أرأب صدعه ، طرقة من هوائج الفكر ، ولواعج الذكر ، ما يفرق منه ما لأمّت ، ويشتت ما نظمت ، ولربما جذبه الحنين الى الوطن ، وجد به التشوق الى الاهل والسكن ، فيطلب الصبر وهو جد متمنع ، ويروم التصنع ولات حين تصنع ، وكيف يحجب الوجد وهو ذو استبانة ، أم كيف يطلب الصبر وقد أبانه اليبس أي ابانة ، وقد كان في حول ثواء ثويته (٢) تقضى لبانة ، فكيف بثواء احوال ، ولقاء احوال ، بمثلها يسأم السائم ، ويمدّم صبره القلب الهائم ، ولكن مشاهدة هذا المولى الذي أنا في كرمه

(١) في نسخة « من ذهن »

(٢) في بعض النسخ « في حول ثويته » وفي بعضها « في حول ثواء »

أمسى وأصبح ، وبنعمه أغبق وأصبح ، تنسى الأهل والوطن ،
وتسلى عن كل ما شط وشطن ، فلا ندم على ما عدم من رآه ، ولا
تغرب من يسه ولو خلف الأهل وراه ، وإن فضل الله تعالى لكفيل
بأن يجعل مدة الفرقة قليلة ، وأن يعلى بالتقرب منا أنفسا عليلة ،
فيعيدها وقد بلغت التراقي ، ويفيدها من اللقاء الطيب الراقى ،
(طويل)

وقد يجمع الله الشيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا
(طويل)

وأنى لأرجو الله حتى كأنما أرى بجميل الظن ما الله صانع
وأياه أسأل أن يزيد جدكم جدة (١) ، وأن يديم مدتكم فى السعادة
ممتدة ،

فأجاب بقوله : والترم فى الجواب تشديد حرف الروى ، وكان
أولاد مخدومنا قد وصلوا اليه فى ذلك الوقت من الحضرة - فأشار
فى جوابه هذا اليه : (مجزو الرمل)

من لشفوف مُعْنَى ذَكَرَ العهد فَحَنَّا
راعاه الدهرُ بَين بعدما كان اطمأننا
ابصر الربيع قواء فبكى شوقا وأنا

(١) فى بعض النسخ : أن يزيدكم جدة ،

وتمشى مشي ولهـ ان به يقرع سنا
وشجاه هاتف فو ق الربى غنى فنى (١)
إلفه دان فلو فا رق إلفا ما تغنى
اطرب الروح وأبر دت شجوني حين ثنى
فهني من فرط ارتياح دون راح تتثنى
وتذكّرت زمانا بالتداني مرّ غنا
وحديثاً ما أحىلا هوسراً منه صنا
وبصدري مئت سرّ مُدرجا فيه أجنا
لست فيه بضنين عندما (٢) يعمل ظناً
أيها الاجاب ما بنتم ولكن نحن بنا
أطلعوا (٣) من قُربكم صبّحاً قليل البعد جنا
وانظرونا نقبّس من نوركم (٤) ما تمنى
ما عليكم لو نظرتهم نظرة الشفاق منا
وسمحتهم لقريح القلب بالسوان ضنا

(١) فى بعض النسخ « غنى »

(٢) فى بعض النسخ « من »

(٣) فى بعض النسخ « اصبحوا »

(٤) فى بعض النسخ « من قريكم »

لم يزل في كل معنى يجلب الود معنى
راكباً في كل فن منه ذِيلاً وفناً
لا يحاشي من فنون الو د والإخلاص فناً
هل أمان من زمان فرض البعد وسناً
سن أغياراً وغاراً ت النوى واليين سناً
ورماناً بسهام بعد ما كان مجناً
خاننا العهد وما للعهد والميثاق خناً
وجرى جزي سبوق للنوى لا يتأنى
نال منا بافتراق بعد ما كان أمناً
وعناء ترك الأبدان وهيا حين عنا
عقل العقل تسري مع مناصات فجناً
عند ما شدت رحال ضعف الصبر فلناً
كيف بالصبر وأننى بجميل الصبر أننى
ولعل الدهر ينسخ ما كان استسناً
ويعيد الشمل منظو ما كما كتم وكناً
وإذا ما الله سنى عقد أمر يتسنى

« سبحانه لا اله سواه ، وبارادته يوقع الدهر ما نواه ، فمن يعتب
الدهر أو يسبه ، ففي النار حصيدة لسانه تكبه ، فهو عبد بتصرف
مالكه يتصرف ، ونكرة باضافته الى أعرف المعارف يعرف ، فلا
ذنب ينسب اليه ، ولا احد يعتب عليه ، سواء أنأى أو قرب ،
وأهل أو عزب (١) ، وسهل أو صعب ، وضم الشتيت أو شعب ، له
ان يتحكم حكم الوصى ، ويستقصى حكمه فى القريب والقصى ، وذو
الحجى يستمسك بحلمه وعلمه ، ويسلم نفسه لحربه وسلمه ، ويرى
ان لا حجة له فى اعتراضه ، على افتراضه ، ولا سبيل لاحتكامه ،
فى أحكامه ، ولا قدرة على صرفه ، عن صرفه ، ولا حيلة فى خديعته ،
عن شريعته ، لا جرم أنه يجرم ويتوب ، ويحرم ويشيب ، وينجح اذ
يجمح ، وييخل ثم يسمح ، أحواله غير مقصورة على انفراد صورة ،
ولا مبنية ، على اتحاد نية ، لا يدوم على حالة ، من ايجاب أو احالة ،
ولا يبقى على نسق ، فى اصباح أو غسق ، بل يتلون تلون الحرباء ،
ويتكون تكون الجرباء ، بينا تطلع نجومها ، يأفل نجومها ، فنجومها
أبدا تطلع وتغيب ، ونيراتها لا يدوم لها الطلوع ولا المغيب ، وكذا
الدهر مهما أعد للنوى طريقا ، وجرع بضاعة الفرقة فريقا ، ابان الى
الدنو أسرع راجع ، وأشبهت عاقبته عاقبة دواء نافع ، وقد مدت
النوى منكم باعها ، حتى كادت الايام تتناسى طباعها ، وعند هذا
التناهى يقصر متناولها ، ويقرب من الامانى الصادقة بكم متناولها ،

مع نجاح الطلب، وحسن المتقلب، ان شاء الله تعالى والله سبحانه لطيف
بخلقه، حاكم على الدهر وخلقه، يقضى وفي قضائه لطف، ويؤكد
ارادته وفي تأكيدها عطف، ألا تراه كيف يسر لمولانا المعظم، ما
سرد من الشمل المنظم، وذلك بانفراج التضايقين شوق وخلد،
 واجتماع التضائفين والد اعزه الله وولد، بعد ما كانت الشمس
شعاعا فعاد الشمل بذلك نظيما، وأصبح غيظ الدهر الذي لا يكاد
يكظم كظيما، وعما قريب ينظم به شمل الاوامر والامور، وتلحق
بركته وهو مقيم ببلده سائر المعمور، وقد طال عهدي بتقيل راحته،
 واستئمان قلبي مع تبعه من راحته، فهي راحة عهدها كالعادة
جودا، وكنت بها مطورا مجودا، أيام كنت من خاطر الخطير
ببال، ورزقت منه حظي قبول واقبال، والزمان يقبل ويعرض،
 ويصح ويمرض، وأنا أنتظر هذا الوجود أن يجود، وأرتقب تلك
السعود ان تعود، فلي بضاعة ولأء ثمر بوفورها مريحى، وتعمر
بموالاتها تجربها ممساي ومصبحى، والله أسأل ألا يمد بفرقتكم مدة
اليين، وأن يعود بعود كم قلبي الى جسدى فما جعل الله لرجل من
قليلين، انه المنعم والقادر، وعند أمره يقف الوارد والصادر .

وكتب الى فى شهر ربيع الثانى بعض من وافق اسمه اسمى من
اصحابنا الطلبة بتونس فى اثناء مخاطبة خاطبنى بها : (طويل)

لمعرك لو ان الرياح تحمّلت جسموا لسارت بي لنحوك ريح
وكم لك عندي من صريح مودة لعلمي أن الود منك صريح
أراك على بعد قريباً لناظري على أن طرفي بالدموع جريح
وإني لأرجو الله في جمع شملنا فإني على باب الرجاء طريح
عنيك سلام الله ما هبت الضبا وما ناح قمري فحنّ قريح
فكتبت اليه الجواب عن ذلك : (طويل)

رأى بارقاً تحت الظلام يلوح فراح اشتاقاً والكئيب ينوح
تألق من أرض الأجنة موهنا فحنّ فؤاد بالبعاد قريح
وطالبه أهل الملام بسلوة فلم يك منه للسؤ جنوح
رعى الله إخواناً إذا ما ذكرتهم تسابق دمع العين وهو سفوح
لئن نزحوا عن ناظري فما لهم مدى الدهر عن قلبي المشوق نزوح
وبلّغ عبد الله غني تحية مرددة تغدو له وتروح
سمي الذي أصفته بمودة له خالص من وردها وصريح
شربنا معا كأس الصفاء فما لنا سواها غبوق دائم وصبح
أعلل آمالي بقرب مزاره ومن دون ما أرجو مهامه فيح
لقد أتعب الين المشتّ قلوبنا فهل بعده من اوبة فتريح

وفى شهر جمادى الاخرى كتب الى من أصحابنا الاخلاء
الفضلاء الفقهاء الاذباء بتونس من دعاه كرم عهده ، الى أن يجدد
بتجديد المخاطبة ثابت وده ، وأرادوا أن يودعوا نظمهم كله صحيفة
واحدة فرغبوا الى الوالد حفظه الله تعالى أن يصدرها بشيء من
نظمه فكتب الى الوالد فى صدرها : (طويل)

سلام من الرب الرحيم ورحمة مجددة تترى على عابد الله
وانى لمعمور الفؤاد بذكره اذا ما الهاعن ذكر احبائه اللاهي
فيا ربنا اجمع شمل احبائه به فلا منية تدني الاماني الا الهي
ثم أثبت كل منهم اسمه ونظمه وقد رتبت هاهنا ذكرهم على
حسب ما رتبوا شعرهم

فكان الذي خاطبنى بعد الوالد ابقاء الله صاحبنا الفقيه الكاتب
ابو عبد الله محمد بن يعيش ، كتب الى بقوله : (وافر)

شباك الربيع إذ ظعن الحبيب فأنت وإن نشأت به غريب
اذا بعد الأجرة عن محل
وكيف يطيب عيش بعد خل
بقرب ثوبي محمد المفدى
وأوبته السرور لنا يئوب
عليه تحية ما انهل غيث
على روض فمال به قضيب

فأجيبته عن ذلك بقولى : (وافر)

عسى الزمن الذي ولى يَؤوب فقد سئمت من الشوق القلوب

إذا ما قلت قد قرب اجتماع قضى بتفرق خطب ينوب

واعظم من ترى أسفاً وحزناً حبيب قد نأى عنه حبيب

أبا عبد الاله نـداء خلّ هواءك له من الدنيا نصيب

رعائك الله من راع لمهدي وإن طال التباعد والمغيب

اتتني منك آيات حسان بها للفضل قد جمعت ضروب

أفادتني من اسمك حين وافت وطيب حديثها عيشا يطيب

واهدت لي الوداد على التائي فقرت بعد كرتها الكروب

فشق مني بإخلاص ووّد جديد ليس تبليه الخطوب

وإن تك مدّة البعد استطالت فيرجى بعدها الفرج القريب

وكتب الى بعده الفقيه الاجل الافضل أبو عبد الله محمد بن عبد

الله المعروف بالهوارى واضنه وقف على مطلع قصيدة الفقيه البليغ

أبى الفضل القافية التي تقدمت قبل هذا فأشار اليه ، وعول في

مطلع قصيدته هذه عليه ، وجعلها جوابا عما كنت خاطبته به قبل

هذا : (كامل)

أهدى سلام الودّ خير حبيب من عدّ أول فاضل وحبيب

أهداه عبد الله نجل محمد فخر الزمان امام كل اديب
فأعادلي انساً مضى وافادني بمصنف من نظمه وغريب
وكفاية ابدت فصيح بيانه برسالة طُبعت على التهذيب
هي درة الغواص جلت قيمة وقيمة عزت لدى القلب
خلت فجلت كل هم كان بي ودنت فأقمت زفرتي ولهبي
سدرت عن الفكر الصقيل عن الحجى عن صدر حبر بالعلوم رحيب
ما كتبه الا الكتاب اقبل ترتج بالترهيب والترغيب
يا ايها الخل الرضا الاوفى الذي مانأيه عن خله بقريب
ما ترك من رئيس فاضل متيقظ متحفّظ محبوب
نزلت مقداري ببعث قصيدة هرّت لها الادباء عطف طروب
مكاتها روح أتى ذا كربة (١) ومدامة دارت على شريب
غرتها كلفاً بها فلتمتها ولقيتها بالبشر والترحيب
لما اجتهدت اصبت في مدحي لكم بلسان صدق خل عن تكذيب
فما بشرك والقريض كلاهما اجران جاء لا جهاد مضيب
في ماث ما تهودونه من كتبكم مسلاة قلب ظل في تعذيب

لا تحسبوا اني سلوت ودادكم في حالة الابداد والتقريب
اخذت على قلبي حقوقك موثقاً رغي له يبقى بقاء عسيب
فاحضر وغب عني فودك ثابت ارعاه فيك بمحضر ومغيب
واذا ذكرتك خالياً فكأنما جمعت لي الأفكار كل حيب

فأجبت عن هذه القصيدة بقولي : (كامل)

ان أقض من أسف فغير عجيب فرط اشتياق وابتماد حبيب
ما قلت قد بلى الفرق فانقضى الا وجدده جديد خطوب
ولقد شجا نفسي واضرم لوعتي واثار اشجاني وهاج كروبي
بزق بدا والليل ارخى سجنه والبدر شمّر ذيله لغروب
اجرى حديث القرب صادق فآله فقهته من لفظه المقلوب (١)
يا بارقاً اعدى (٢) الفؤاد بخفقه وطوى الضلوع على لظى والهيب
الله والعهد القديم ونسبة يرعى نسيب مثلها لنسيب
فلقد تشابهنا انسكاب مدامع ولزوم سهد واجتاب (٣) سهوب
ان انت جزت على ربوع اجبتي فاشرح لهم شوقي وفرط رجبي

(١) اي القرب مطلوب البرق

(٢) في بعض النسخ « اعدى » وفي بعضها « اغدى »

(٣) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « اجتاب »

واخصص ابا عبد الله محمدًا بحجة كثرته في الطيب
ابلفه ان القلب بعد بعاده لم يخل من حزن ولا تعذيب
ذا السيرة المثل الذي قد جلّ عن مثل يرى فيها له وضرب
كم من يد اسدى الى على النوى لم يسله عن ذاك طول مفيد
متضمنًا نظمًا ونثرًا أزيًا حسنًا بكلّ مخيل وخطيب
قد اودعت جمل المحاسن منه في لفظ وفي معنى وفي اسلوب
واراد منى ان اجيب وانّه لمدى يقصر عنه كل اديب
فاجبته ولو استطعت توقفتُ فيما اراد لكنت غير مجيب
لكن لوازم حقّه وفروضه حكمت عليّ بذاك حكم وجوب
فبعثته والخوف يقصر خطوه يرنوا بلحظ للحياء مريب
وكتب بعده أبو عبد الله محمد بن أبي بكر النوى المعروف
بابن أبي سلام : (طويل)

سلام محبّ قد اتى طيّب طرسه وزارك عبد الله في ثوب نفسه (١)
فخذه عن الزاكي المحبّ لكم فقد عدته العوادي عن اداء بنفسه
وبلغ الى المولى العماد تحية معطرة تحكى طهارة فؤده

(١) في بعض النسخ « لبسه » وهو حسن لازالة الايطاء

فاجبته عن ذلك : (طويل)

اتى فأتى القلب (١) المشوق بأنسه نظام رأيت الدرّ في طيّ طرسه
كما (٢) زار حبّ عاشقا بعد بعده وعاد رجلاً آملاً بعد بأسه
كتاب أتى من لم يزل متشوقاً لإتيانه والدهر يقضي بحسه
قبله تقيل ذي كلف به ونقله من راحتيه لرأسه
رعى الله من راعى ذمامي على النوى ومن يومه في الودّ لي مثل أمسه
أبناء عبد الله الاجلّ الرضا الذي سما قدره عن قدر أبناء جنسه
لقد حاز أشات الفضائل واكتسى ملابس حمداً زانهنّ بلبسه
إذا ضيّع العهد القديم مضيّع وبناع وداداً من أخيه ببخسه
فلا بن أبي زاك عهد زكّيه ترفّعن عن شك السدوّ ولبسه
ادام له الله السيادة والملا وبلغه أقصى أمانتي نفسه

وكتب صاحبنا الاديب الفقيه البليغ المجيد أبو العباس أحمد

ابن عبد الله الرصافي بهذين البيتين : (طويل)

سلام زكّي يحسد المسك عرفه ودارين تهوى ان تمّر بداره
يسير ويسري بكى يوافي رضا أبي محمّد الأسنى بحسن بداره

(١) في نسخة « اتانى فحيانى »

(٢) في نسخة « فكّم »

فكتبت الجواب عنهما : (طويل)

رعى الله مَنْ اجلو الأسى بادكاره ومن قرب آمالي بقرب مزاده
 خليل رعى عهدي وإن اقصت النوى ديارى بماضي حكمها عن دياره
 اتى نظمه صبا به شيقا له يعانى الأسى في اليه ونهـاره
 فاذهب عنه حزنه وأنا له من البر والتأنس فوق اختياره
 ومن كابي العباس فضلا ووصفه يزيد على الاخبار عند اختباره
 فأسأل ربى أن يمن بقربه وينظم منا الشمل بعد اتـثاره

وكتب صاحبنا الفقيه الاديب أبو القاسم بن محمد بن الملجوم
 هذه الايات : (بسيط)

اذكى السلام وازكاه واسراه يعطر العنبر الشحري (١) مسراه
 يمر مر نيمات الصباح على ذاك المحيا اعز الله محياه
 من ذي وداد وذي شوق وذي كلف يجك (٢) الدهريا من لست أنساه
 يسي وينك ود لم تخنه ابـا محمد فارعه أنسي لآراءه
 نفسي فداك نئن شط المزار لقد ادنتك من كبد المشتاق ذكراة
 ولم اطق ذكر ما القاه من حرق ومن أسى فيك بعد البعد القاه

(١) وفى بعض نسخ « النوى »

(٢) فى جميع النسخ « يحييت » ولا يستقيم عليه الوزن

لكن اعلل آمالي فأنشدُها كم من امور صعب فرج الله
فلا تزال تحياتي مرددة عليك ما رددت ذكراك افواه

فأجته بقولي : (بسيط)

حي الفؤاد على بعد فاحيــــــــاه خيل ابت غير حفظ العهد علياه
اهندي إلي سلاماً من لدينه فقد اهدي إلي السأمانني حين أهدها
وقد كساني ثياب الانس ضافية طرس كسته ثياب الوشي يُمنّاه
دنا فادني سرورا كان قبل نأى وصادف الحزن ذا قرب فأقصاه
قد استوى الناس في استحسان جملته لما استوى لفظه حسنا ومعناه
يا غائباً حاضراً في حال غيته فكلمنا شئت ان القاه القاه
اما الوداد الذي قررت صحته فإني مثل ما ترعاه ازدهاه
ما حلت عن حب من احيت منقلباً ولا نسيت هوى من كنت اهواه
فتق بود صحيح من أخ ثقة باق على حفظ عهد ليس ينساه
ودم ابا القاسم الاسنى حليف علا واسعد وفنر واخو اقصى ما تمناه
وكتب الى الفقيه المتصوف الاديب الفاضل أبو عبد الله محمد بن
عمر ابن رأس الحجلة : (طويل)

احبة قلبي ذُبت في حبكم وخدا ولم استطع للدمع صرفاً ولا رداً

وين مكاننا من الرمل والربى متالف يُغني ما يقاد وما يُخدى
 فهل تتأتى (١) من جنابكم الصبا فانشق من ارواحها المسك والندأ
 فمهدي برّياكم (٢) وطيب نسيمها يعيش بها في الترب من سكن اللحدأ
 سلام على ذاك الجلال فأني رايت سلام الله افضل ما يهدي
 فأجبه عن ذلك : (طويل)

سلام يحاكي المسك في الطيب والندأ على ماجد قد فاق اهل الملا مجدأ
 حباني بطرس منه مشتمل على معان معال لست احصرها عدأ
 فقرّر ودأ لم يزل متقررا واهدى من الاخلاص والبر ما هدى
 إذا الناس عدوا كان احلاهم حلأ (٣) وافضلهم ذاتا واکرمهم عهدأ
 ادام له الله السيادة والملى واصحبه التوفيق واليمن والسعدأ
 ووقف صاحبنا الفقيه الافضل أبو عبد الله محمد الجزري على ما
 كتب به الى هؤلاء الاخلاء فكتب الى في أسفل كتبهم : (خفيف)
 ايها الماجد الرضا ان نظمي لست ارضى بان يحل لديكا
 فعمى الفضل في القبول وفي الصفح اذا الصفح منك صار اليكا
 وعليك السلام بدأ وعودا ضعف ما سلم الجميع عليك

(١) في جميع النسخ « تأتي » ولا يستقيم عليه الوزن

(٢) في بعض النسخ « برؤياكم »

(٣) وفي بعض النسخ « اعلاهم علا »

فكتبت اليه : (خفيف)

ايها الخلل ان نظمتك وافى مبدياً ما من الوداد لديكا
فتمل جواب خلٍ مُحِبٍ فيك شاك نواك مشن عليها
وعلى مجدك الصميم سلام طيب العرف قدر شوقي اليكا
وكتب الى في شهر شعبان صاحبنا الفقيه الكاتب الاديب أبو
عبد الله محمد بن يعش بهذه الايات مراجعا عما كنت كاتبته به
قبل هذا : (كامل)

في القلب من الم الفراق كلوم فعذابه من اجل ذاك اليم
ولوعة الاشواق بين جوانحي ناراً لها بدماعي تضريم
جربت كل عظمة حكمت بها ايامنا ولصرفها تحكيم
فوجدته دون الذي حكمت به في المغلوات وفي المكارم خيم
أأبا محمد الذي (١) ٠٠٠٠ من بعد عبد الله فهو عظيم
اعلم فديتك انني مدغبت عن عيني لم يطرقهما التهويم
وافى جوابك لي فقت مبادرا للاقائه ولمثل ذاك اقـوم
حاز الفضائل والمكارم طرسه فعليه من حلل البهاء رسوم
اهدى قلبي كمل ما احبته فكانما هو بالضمير عليم

يني وين اكابر لك ذمة
ومودة الآباء يحفظ عهدها
رعي ورعيهم لها معلوم
فالله يجمع شملنا بكم على
من كان ذا كرم وانت كريم
ومن يعيشي السلام عليكم
خير ويبقي عزكم ويديم
ما مال غصن حين هب نسيم

فراجعته بقولي : (كامل)

الم الفراق على النفوس عظيم
سألني بما أحيت من انبائه
من ذا بعب الصبر فيه يقوم
لله إخوان نعمت بقر بهم
فلدي قلب بالشجون عليم
غاظ الزمان دنونا فاعاده
زمننا وإيام الوصال نعيم
لكنها الاقدار تجري بالذي
بعدا فشتت شملنا المنظوم
شاء الإله وحسبنا التسليم
قسماً بما اضرت من ودّهم
بشري بحكم وجوده معدوم
ولقد وجدت وقد قدتهم أسي
أنى يكون لِهائم تهويم
ومنت جفني بعدهم سنة الكرى
قلبي سليماً منه وهو سليم
ويظن من لم يدر ما بي من اسي
عبد الإله فقربه مقنوم
واشد من أسي يفرقه ابو

فهو الذي نازعته كأس الهوى صرفاً فلا لغو ولا تأثيم
 ذو الفضل والعلية والشيم التي وجه الزمان بحسنها موسوم
 ذات قد انتسبت براكي طبعها للفضل فهو أخ لها وحميم
 اخذ الوفاء سجيّة فضميره ابداً على حفظ الوداد مقيم
 ودلّ صدق وداده كتب له يصل الوداد وصولها ويديم
 ولربّ نظم جاءني من نحوه جمع الفضائل طرسه المختوم
 وافى فقرّر (١) ذمّة مرعية ورُسوم ودّ عهدن قديم
 فالله يحفظ مجده وكماله وينيله ما يتغي ويروم
 وعلى علاه تحية لا ينقضي منها ورود نحوه وقدم
 تسري معطرة إليه كما سري سحراً على زهر الرياض نسيم

وكتب الى في شهر رمضان بعده أيضاً بعض أصحابنا الافاضل
 بقوله : (طويل)

تحية مشتاق تمرّ به الصبا إلى ذلك المعنى الذي به من اهوى
 قبلـغ غني من أحبّ تحية بي

وتشكو بطول (٢) البعد لو تنفع الشكوى

(١) في بعض النسخ « يقرر »

(٢) في بعض النسخ « تشكو طول »

وَتُغْرِبُ عَنْهَا (١) فِي الْفُصُونِ حَمَائِمُ فَتَنْعُطُفُ الْأَغْصَانُ مِنْ تَحْتِهَا زَهْوًا
أَخْصُ بِهَا عَبْدَ الْإِلَهِ عَلَى النَّوَى سَرَّاجُ بَنِي تَيْجَانَ حَقًّا بَلَا دَعْوَى
وَكَلَّمَهُمْ نُورٌ لِأَهْلِ زَمَانِهِمْ

وَأَخْبَارُ أَهْلِ الْفَضْلِ عَنْهُمْ غَدَتْ تُزَوَّى
أَرَى أَمَدَ الْبَعْدِ اسْتِطَالَ وَعَمْرُهُ تَوَالِي وَأَزْجَوَانَهُ مُبَشِّرًا يُطَوَّى
وَمَا حَالُ مَقْصُودِ الْجَنَاحِ وَشَوْقُهُ يَطِيرُ بِهِ لَوْ كَانَ يَنْهَضُ أَوْ يَقْوَى
عَلَيْكَ سَلَامٌ مِنْ مَحَبٍّ هَفَّتْ بِهِ نَوَازِعُ شَوْقٍ تَيَمَّتْ قَلْبَهُ شَجَوَا
وَفِي شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ وَصَلَ التَّعْرِيفُ بِوُصُولِ الْمَشَارِقَةِ الَّذِينَ كُنَّا
نَنْتَظِرُهُمْ إِلَى حَضْرَةِ تُونِسَ ثُمَّ خَرُوجِهِمْ مِنْهَا صَجْبَةً حَصَّةً عَيْنَتْ
لِتَشْيِيعِهِمْ إِلَى طَرَابُلُسَ ، فَبَنَى مَخْدُومَنَا عَلَى التَّوَجُّهِ صَحْبَتَهُمْ ، وَكَانَ
وُصُولُهُمْ إِلَى طَرَابُلُسَ فِي أَوَائِلِ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ ، وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ
السَّادِسِ وَالْعَشْرِينَ مِنْهُ كَانَ خُرُوجُنَا مِنْ طَرَابُلُسَ فَبَتْنَا بِظَاهِرِ
الْمَدِينَةِ وَوَدَعْتُ فِي هَذَا الْيَوْمِ شَيْخَنَا أَبَا فَارِسَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَيْنَدٍ
وَأَنْشَدْتُهُ : (بَسِيطُ)

سَقَى رَبُّوعَكَ يَا مَغْنَى طَرَابُلُسَ حَيًّا يَحْيِيكَ مِنْهُ كُلُّ مَنْجَسٍ
فَكَمْ يَدُ لَكَ فِي تَانِسَ تَغْتَرِبُ شَطَّطَتْ بِهِ الدَّارُ عَنْ أَنْسَ وَعَنْ أَنْسٍ
أَقَمْتُ فَيْكَ عَلَى حُكْمِ النَّوَى زَمْنَا كَانَتْنِي فِيهِ لِلْسَّرَّاءِ فِي عُرْسٍ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ « عَنْ »

أثوب من اهلك الغرّ الكرام إلى قوم أوافي لديهم كل ملتبس
ما بين جدّ وتأنيس بمثلهم — نأى عن الخاطر استيخاشه ونُسي
لو لم يكن لك عندي في الزمان يد اثني عليك بها ما امتدّ في نفسي
إلا ملاقة من حزت الفخار به عبد العزيز ألامام العالم الندي
محبي العلوم ومحظيها ومبرزها من حلي الفاظه في احسن الألبس
ومخبرز الشيم الغرّ التي كرمت ففاه بالمدح فيها كل ذي خرس
يجلو اذا اشكلت في العلم مسألة ذهنا يجلي سناه كل ملتبس
نعمت من قربه لما اتصلت به بوقت انس من الأيّام مختلس
والله يحفظه غوثا لمستبق لكشف نازلة نورا لمقتبس

وأصبحنا من الغد مرتحلين فنزلنا يومنا ذلك بتاجورة وهي قرية
كبيرة عامرة وبها قصر متسع يشتمل على دور كثيرة ، وفي وسط
هذا القصر حصن اقدم بناء منه يقال ان حميد بن جارية أبا الجوارى
ابنتاه وشارك فيه فى العمل بنفسه ليحض أهل الموضع على اتمامه ،
وهو الذى عمر هذه القرية ونقل أهلها اليها من أرض هنالك
تعرف بارض عبد رب (١) وكان ابتداء عمارتها فى عام خمسين
 وخمسائة ، وهم يدعون أنهم من العرب وينتسبون الى تميم
ويذكرون أنهم سكنوا الارض المعروفة بارض عبد رب من حين

(١) فى بعض النسخ « بارض رب »

الفتح الاسلامى ثم نقلهم منها حميد بن جارية الى هذه القرية
وبتاجورة السفرجل الذى لا يوجد فى بقاع الارض مثله وليس
يقرب منه الا السفرجل الموجود بنفزاوة وقد تقدم التعريف بذلك ،
والى تاجورة هذه ينسب صاحبنا الفقيه الحافظ أبو العباس أحمد
ابن عبد السلام الاموى التاجورى لزم سكنى طرابلس وهو أحد
العدول المصدرين بها عارف بالتوثيق وعقد الشروط حافظ للاداب
والتواريخ حسن الخط جدا ، ورد على تونس قبل هذا واجتمعت به
فيها ثم اتصلت ملازمتى له بطرابلس مدة اقامتى بها ، مولده فى
العشر الاواخر من رجب سنة خمس وثلاثين وتوفى رحمه الله
بطرابلس فى هذا العهد الاقرب وذلك فى يوم الاربعاء السابع
والعشرين من شوال من عام ثمان وسبعمائة .

وينسب أيضا الى تاجورة هذه الشريف أبو عبد الله محمد بن
عبد الله الحسينى التاجورى وله بطرابلس وجهاتها شهرة عظيمة ،
وكنت أسمع أخباره من صاحبنا الفقيه أبى العباس وأتوهم أنه من
اهل تاجورة ، ثم وقفت بعد ذلك على ذكره فى كتاب « كنوز
المطالب » لآبى الحسين على بن موسى بن سعيد (١) فنقلت هذا الفصل
من كلامه فيه ، قال : « اجتمعت به فى حصن الخليل عليه السلام ، وكان
قد أطلال السكنى به حتى عرف فى المشرق بالخليل ، وانما يعرف فى
المغرب بالتاجورى ، قال : وتاجورة بليدة فى شرقى طرابلس كان قد

(١) هو أبو الحسن على بن موسى بن محمد بن سعيد الفرناطى المتوفى سنة ٦٨٥

أطال المكث بها ، وهنالك جبال كان أهلها يتشيعون فيه بزكواتهم
وهداياهم اليه يفعل فيها ما شاء فسعى به ، وخاف ففر الى المشرق ، قال
وأنا رأيته بحصن الحليل وفي مصر وفي دمشق يقرب انطرف بين
الحيل والحول ، ومائدته منصوبة للصادر والوارد ، وكان الناس
يتعجبون من حديثه في ذلك فبعضهم يقول انه يصنع الكيمياء
وبعضهم يقول انه يصله من جبال تاجورة ما جرت به عادتهم وانهم
ينتظرون أن يقيم بها دعوته ، قال : وأخبرني أن أباد خرج به من الكوفة
وهو ابن سبع فدخل به الى المغرب وربى في سراكش ثم انتقل الى
تاجورة فسكنها ثم الى المشرق ، وكانت وفاته بدمشق في سنة
اثنين وخمسين وخمسمائة وأنشد مما انشده لنفسه قوله : (مخلع
البسيط)

جربت في الارض كل حَيٍّ فلم اجد في الورى كريما

اظنّ ما في الطروس زورا عساه ان يسخي (١) اللئima

وقوله ايضا : (طويل)

السنا بنى بنت النبي وعمّه وفي الذروة العليا من آل غالب

ليوث ولكن لا تصاد بحيلة سيوف ولكن لا تددين لضارب

وانتقلنا عن تاجورة يوم الاحد فترلنا بموضع يعرف بغافق وهو

قصر خرب خال لا عمارة به ، ومنه يوم الاثنين الى وادي الرمل وهو
واد متسع عذب الماء لا ينقطع ماؤه في شتاء ولا في صيف ومبدؤه
من الجبل قاطعا الى البحر لا بد لكل مشرق يجعل الجبل يمينه أو
مغرب يجعله يسرته (١) من قطعه ، وأصل مائه من عيون تتبع في
أثنائه بتبدىء من مسافة قريبة من الجبل فتجري قليلا ثم تنقطع ثم
تبتدىء بعدها عيون أخرى فينتهى ماؤها الى البحر ولا يعم الماء
جميع الوادي الا في وقت الامطار عند نزول السيول من الجبل

وفي عاليه عند سفح الجبل قصر يعرف بصييار - بكسر الصاد
المهمله تليها ياء معتلة ثم باء مفردة - وهو معمور وكان نزولنا من هذا
الوادي في أسفله بمقربة من البحر وعلى مسافة يسيرة من هذا
المنزل الذى نزلنا به ، بينه وبين البئر المعروفة ببئر طشانة - بضم الطاء
المهمله وتشديد الشين المعجمة - قبر يعرف هذا الموضع به فصار القبر
اسما علما له وهو لرجل من العرب ثم من دباب ثم من بنى عيسى
منهم ، واسمه شهوان بن عيسى بن عامر بن جابر بن فائد بن رافع بن
دباب ، وكان هذا الرجل ذا رئاسة في قومه وصيت بعيد واشتهر
بالكرم فلم يذكر معه في وقته غيره وفيه يقول شاعر العرب : (طويل)

حَمَى الارض شهوان بن عيسى بن عامر

وعِزَّضَ الفتى إِنْ ضَيَّعَ المجد تالفُ

(١) وفي بعض النسخ « مينة » و « مسرة »

والاعراب الان اذا نزلوا هناك ولم يكن لهم زاد قاموا على قبره
فنادوا : يا شهوان اقر أضيافك ، فيذكرون أنهم لم يبيتوا قط دون
عشاء اما بصيد يتاح لهم أو بضالة يلقونها أو بغير ذلك وهذا أمر
حدثني به جماعة منهم وهو مشابه لما يذكره المؤرخون عن حاتم
الطائي أنهم كانوا ينزلون بقبره فيقريهم وفي ذلك يقول الشاعر
يمدح عدى بن حاتم : (طويل) (١)

ابوك ابو سَفَّانةَ الخيرُ لم يزل لَدُنْ شَبَّ حتى شاب في الحير راغبا
قرى قَبْرَهُ الاضيافَ إِذْ نَزَلُوا بِهِ وَلَمْ يَقْرِ قَبْرَ قَبْلَهُ الدهرَ راكبا

وحكى أبو عبيدة قال: نزل أبو الحيرى فى نفر من قومه بقبر حاتم
فجعل يناديه: يا أبا عدى اقر أضيافك، فقال له قومه فكيف تنادى رمة
بالية فقال ان طيئا تزعم أنه لا ينزل به أحد قط الا قرأه فناموا فانتبه
أبو الحيرى مذعورا ينادى وا راحلتاه ، فاستفهمه أصحابه عن أمره
فقال : خرج حاتم بالسيف وأنا أنظر حتى نحتر راحلتى فنظروا الى
راحلتها فاذا هى تشحط فى دمها (٢) فقالوا له : قد والله قرأك، وأخذوا
ياكلون من لحمها ما شاؤوا ثم ارتحلوا صباحا فنظروا الى راكب
يقود بعيرا وهو يسأل عن أبى الحيرى فتعرض له أبو الحيرى فقال
له : « أنا عدى بن حاتم وان حاتما أتانى الليلة فذكر أنك استقريته وهو

(١) راجع ديوان حاتم (طبع ليبزيك) ص ١١

(٢) فى بعض النسخ « فى دمانها »

يشدك (١) (متقارب)

أبا الخَيْبَرِيَّ وانت امرؤ لَنُؤْمُ العِشِيرَةَ ظِلَامُهَا
اتيت بِصَحْبِكَ تَبْنِي الْقَرَى لدى حَفْرَةٍ صَدَحَتْ هَامُهَا
أَتَبْنِي لِي الذَّمَّ عِنْدَ الْمَيْتِ وَحَوْلِي طَيُّ وَانْعَامُهَا
وَأَنَا لَنُشْبِعُ أَضْيَافَنَا وَنَأْتِي الْمَطْيَّ وَنَعْتَامُهَا

وقد أمرني أن أحملك على بعير مكان راحلتك فدونكه ،

وانتقلنا من وادي الرمل يوم الثلاثاء فنزلنا بالعين المعروفة بعين (١)

تأمدت - بالثاء الصحيحة المثناة وبكسر الميم وكسر الدال المهملة
وسكون النون - وهي عين متسعة عذبة الماء يتضمنها (٣) واد متسع
يشتمل على غابات مشتبكة من الأبا والقصب وإلى جانبها أحساء ماء
تشابهها في العذوبة، فأقمنا عليها يومنا ذلك ومن الغد، واستهل علينا
شهر المحرم مفتتح عام تسع وسبعمئة ونحن مقيمون بها

ثم ارتحلنا عنها صباح يوم الخميس الثاني لشهر المحرم فسلطنا بين
غيطان وأودية قد عم قاعتها الشجر المعروف بالعشر وهو شجر ناعم
النبات شديد الخضرة يضرب إلى سواد ما ، وهو ينبت صعدا وله
أوراق عظيمة ونور مشرق حسن المنظر كنوار الدفلى وثمره أخضر
كالأترج تملأ الواحدة يد حاملها وهي مملوءة بشيء يشبه القطن

(١) راجع ديوان حاتم ص ١١ و ص ٩٣ - ٩٤

(٢) في بعض النسخ بعير ، عين ،

(٣) في بعض النسخ ، ينتظها ،

تسميه العرب الحرفع - بضم الحاء المعجمة وسكون الراء وضم الفاء -
ربما حشيت منه المرافق والوسائد ، وأخبرني من أثق به أنه رأى ثيابا
صنعت منه

وأشد أبو حنيفة قول الشاعر وشبه به لغام ناقته : (بسيط)
يضحي على خطمها من فرطها زبدٌ كان بالرس منه خرقعا نديفاً (١)
ولذي الرمة في مثله (٢) (طويل)
تطير اللغام الهيبان كأنه جنى عشر تنفيه اشداقها الهذل
الهيان الخفيف المتناثر ، وعود العشر خوار ضعيف أجوف مستو ،
ولذلك تشبه به العرب سوق النساء واذرعهن قال طرفة (٣) (طويل)
كان البرين والدمالج علقت على عشر او خرو ع لم يخض
البرين الخلاخل ، واحدها برة
وقال ذو الرمة في مثله (٤) (طويل)
كان البرى والعاج عجت متونه على عشر نهى (٥) به السيل ابطح
والعشر لا يأكله حيوان ، وفي ذلك وفي خضرته ونعمة نباته
قال عوف (٦) (كامل)

هلا فوارس رخرحان هجوتهم عشرأ تناوح في سراحة وادي

(١) اورد صاحب اللسان هذا البيت في الجزء ٩ ص ٤٢٢ برواية اخرى

(٢) راجع ديوان ذي الرمة (طبع كنبريج) ص ٤٥٨

(٣) راجع معلقة طرفة (بيت ٦٠)

(٤) راجع ديوان ذي الرمة ص ٨١

(٥) وفي بعض النسخ « نهس »

(٦) راجع كتاب الاغانى ج ١٠ ص ٣٢ واللسان ج ٣ ص ٢٧٢ (برواية اخرى)

لا تاكل الابل الغراث نباته وعماده لا يجتسى (١) لمعاد

تناوح أى تقابل ، وسرارة الوادى وسطه وهو شجر كثير التروع
وليس شئ من النبات على اختلافه أكثر لبنا منه ويجنى منه المغاير
واحدتها مغفور وهو صنغ حلو كريحه الرائحة يقال له سكر العشر ،
وفى الحديث : أكلت مغاير ، وهو من هذا ولا تكون المغاير الا فيه
وفى العرفط والرمث والثام ، والثام أكثرها مغاير ، وليس فى
كلام العرب مفعول بضم الميم الا مغفور هذا ، ومغرود بالغير المعجمة
لضرب من الكمأة ، ومنحور لغة فى المنحر ، ومنابت العشر القيعان
وبطون الاودية وقد ينبت بالرمل قال ابن البيطار فى أدويته : ولم أر
شيئا منه فى بلاد الاندلس وأول ما وقفت عليه بظاهر طرابلس
الغرب بالجهة الشرقية منها يشير الى هذا الموضع ، ثم قال بعد ذلك :
رأيت به بديار مصر بظاهر القاهرة ، انتهى كلامه

وكانت العرب تستجلب المطر اذا احتبس عليهم بشجر العشر هذا ،
وذلك ضرب من السحر ، يعمدون الى شجر العشر وشجر السلع بفتح
السين واللام فيأخذون منها أغصانا يجعلونها فى أذناب البقر
ويشعلون النار فيها ثم يصعدونها الى الجبل فيزعمون انهم يمتطرون
من وقتهم ، وقد اشار الى ذلك أمية بن أبى الصلت فى قوله :
(خفيف) (٢)

(١) فى نسخة « ينتحى »

(٢) راجع ديوان أمية بن أبى الصلت ص ٤٥ وكتاب شعراء النصرانية للاب لوريس شيخو -

ج ١ - ص ٢٣٦ - ٢٣٥

سَنَةَ أَزْمَةٍ تُخِيلُ بِالنَّاسِ تَرَى الْعِضَاءَ مِنْهُمْ صَرِيرًا
لَا عَلَى كَوَكَبٍ يَنْوُو وَلَا رِيحٍ جَنُوبٍ وَلَا تَرَى طُخْرُورًا
وَيَسُوقُونَ بِأَقْرَبِ السَّهْلِ لِلطَّوْدِ مَهَازِيلَ أَوْشَكَتْ أَنْ تَبُورَا
عَاقِدِينَ النِّيرَانَ فِي ثُكُنِ الْأَذَى نَابَ مِنْهَا لَكِي تَهِيَجَ الْبُحُورَا
سَلَمَا مَا وَمِثْلُهُ عَشْرَا مَا عَائِلَا مَا وَعَالَتِ الْبِقُورَا
تُخِيلُ بِالنَّاسِ أَيْ تَطْمَعُهُمْ فِي الْمَطَرِ ، وَالطُّخْرُورُ الْقِطْعَةُ مِنْ
السَّحَابِ بِالْحَاءِ الْمَعْجَمَةِ وَبِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ ، وَالْبِقُورُ جَمَاعَةُ الْبَقَرِ

وَقَالَ الشَّاعِرُ يَعِيبُ عَلَيْهِمْ فَعَلَهُمْ هَذَا : (بَسِيطُ)

لَا دَرَّ دَرُّ رُجَالٍ خَابَ سَعِيهِمْ يَسْتَجْلِبُونَ نَزُولَ الْغَيْثِ بِالْعُشْرِ
أَجَاعِلُ أَنْتَ بَقُورَا مَسْلُومَةً وَسِيلَةَ لَكَ بَيْنَ اللَّهِ وَالْمَطَرِ
وَنَزَلْنَا يَوْمَنَا ذَلِكَ بِالْعَيْنِ الْمَعْرُوفَةِ بِعَيْنِ فَارَةَ ، وَهَذِهِ الْعَيْنُ أَعَذَبُ
مِنَ الْأُولَى وَهِيَ بَوَادِ حَسَنِ الْمَنْظَرِ شَارِحٌ لِلنَّفْسِ ، وَقَبْلُهَا (١) عَيْنُ
أُخْرَى جَارِيَةٌ إِلَّا أَنَّهَا أَوْشَعُ جَرِيًا مِنْهَا يَجْرِي مَآوُهَا فَيَنْتَهِي إِلَى هَذِهِ
الْعَيْنِ وَتَجْتَمِعُ مِنْهُ بَرَكَةُ مَاءٍ مُتَسِّعَةٍ قَدْ ظَلَلَتْهَا غَابَةُ مُشْتَبِكَةٍ مِنْ شَجَرِ
الْعَرَعِ وَالضَّرْوِ وَالْخُرُوعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَجْرِي الْمَاءُ مِنْ تِلْكَ الْبَرَكَةِ

(١) وَفِي بَعْضِ النُّسخِ « وَقَبْلُهَا »

جريا قويا ينتهى الى البحر ولا يجرى الماء فى أعلى هذا الوادى الا فى وقت الامطار ، وهنالك القصر المعروف بقصر فارة سمي باسم قوم من البربر سكنوه يعرفون ببني فارة وبهم سمي العين ، وهو الان خال لا عمارة به ، ويقابله من أعلى الوادى القصور المعروفة بقصور الورانيز - بالراء والنون والزاي - وهم قوم من هراغة نزلوا بتلك القصور قديما فأجلتهم العرب وأختلها منهم فانتقلوا منها الى أرضهم المعروفة بهم التي بين تاجورة وطرابلس والقصر المعروف ببني خيار ، وهو أيضا خال خرب أجلت العرب أهله فانتقلوا الى المحرس بين قابس وصفاقس وقد تقدم ذكر ذلك عند ذكرنا للمحرس

وعرض لى فى هذه الايام عارض مرض رجوت أن يهون أمره فاشتد ، ورمت أن يقصر أمد فامتد ، وبلغ منى فى هذه المنزلة أشد مبلغ ، فأقام مخدومنا والمشارقة وجميع الركب بسبي هنالك خمسة ايام رجاء أن أجدا ابلا لا ، أو أطيق معهم ارتحالا ، فلم تسعف الاقدار بذلك ، فعزم على مخدومنا فى الرجوع من هنالك ، فلم أطب بذلك نفسا وأظهرت تجلدا وقوة تكلفت بها الارتحال معهم ، فترلنا بالعين المعروفة بعين ودرس - بكسر الواو وسكون الدال المهملة وكسر الراء - وهكذا تنطق العرب بها والبربر يلحقون هذه اللفظة تاء ساكنة (١) على ما نحو المعروف من كلامهم ، وأمام هذه

(١) فى بعض النسخ بزيادة « فيقولون تودرس »

العين على اميال يسيرة منها القرية المعروفة بغائيمة - بالفين المعجمة والنون - وهى الان خالية لا عمارة بها وبها قبر الشيخ الفقيه أبى الحسن على بن محمد بن النمر وقد تقدم ذكره وسبب سكناه فى آخر عمره بهذه القرية الى أن مات بها ، والناس الى الان يزورون قبره ويتوسلون الى الله سبحانه عنده ، ويذكر أهل تلك الجهات أن كل رفقة استصحبت شيئا من تراب ذلك القبر فانها لا يتعدى عليها فهم لا يزالون ينقلون ترابه فيجده من يقصد الاجر من أهل تلك الجهات أو من المجتازين عليه

فاقمنا بهذه العين يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء بعده والعدة التى عرضت لى كما تقدم فى ابتداء حديثها ومنتهاى شدتها وعجزت بالجملة عن الركوب فلم يكن بد من الرجوع واعتذر لى مخدومنا بان الموضع لو احتمل الاقامة أكثر مما أقام به لاقام الى أن أجد الراحة ، فودعته فى هذا اليوم وهو يوم عاشوراء وانقلبت راجعا ، وكانت الحصّة الواصلة من الحضرة صحبة المشاركة بانية على الوصول الى مسرّاة فرجعت من هذا الموضع بسببى ، ونزلنا فى هذا اليوم بالبئر المعروفة ببئر ينوت - بضم الياء المعتلة وبالنون والتاء الصحيحة المثناة - وهى بئر معينة عذبة بسفح جبل عال ومنها يتبدى المشرق فى قطع الشعراء المعروفة بشعراء قباطة وكانت طريقنا فى هذه المرحلة متعالية عن طريقنا الاولى الى جهة الجنوب

وانتقلنا من البئر المذكورة يوم السبت الى الحصن المعروف
بحصن سلمة وهو من أرض مسلاتة فرايت ملجأ ، يذكر سلمى وأجأ ،
وهو على أعلى جبل وقد دارت به دور كثيرة ، وتحف بهذا الجبل
مغارس زيتون وكرم ومزارع وهى كلها فى ثنايا واودية بين
جبال وعرة ، وتحت هذه القرية فى قاعة مستوية قرية صغيرة تعرف
بتاغمرت - بكسر الغين المعجمة وكسر الراء - وبها مباني ضخمة بالنسبة
الى تلك القرى ، وشرب جميعهم من أحياب مملوكة لهم تملأها
السيول المنحدرة من تلك الجبال فى أوقات الامطار ، وما وراء هذه
الجبال من قبليها يسمى بالظاهر ، وما بين يديها من جهة البحر يسمى
بالباطن

فأقمنا بظاهر هذا الحصن ستة أيام آخرها يوم الخميس السادس
عشر الى أن وجدت خفة من المرض ، وارتحننا غدوة يوم الجمعة
السابع عشر مغربين آخذين ذات اليمين مما يلي باطن الجبل فقطعنا
هنالك فى اول المرحلة القاعة المعروفة بقاعة شنيكس - بكسر الشين
المعجمة وكسر النون وسكون الكاف وبالسین المهمله آخر - وبها
أشجار زيتون متفرقة من بقايا الفرس القديم الذى كان هنالك قبل
الاسلام وهى مثمرة الى الان ، وامتد السير بنا الى وادى الرمل
فكانت هذه المرحلة مشتملة على اربع مراحل مما تقدم لنا فى السير .
ومنه يوم السبت الثامن عشر الى طرابلس واشتملت هذه المرحلة

أيضا على ثلاث مراحل مما تقدم ، فأقمت بطرابلس خمسة ايام
آخرها يوم الاربعاء الثانى والعشرين منه ، ثم خرجنا عنها فزلنا يوم
الخميس بزور فأقمنا بها يومنا ذلك ويوم الجمعة بعده ، ومنها يوم
السبت الى صرمان وقد ذكرت قبل هذا وعلى هذه القرية غابة
زيتون ممتدة وبها قصر كبير يأوى اليه أهلها وقد حف به حفير
متسع وابتئت فى أسفل الحفير دور كثيرة لا تسكن الا فى وقت
الامن فاذا خافوا دخلوا الى الحصن

ومنها يوم الاحد الى حصن تليل وقد تقدمت الاشارة اليه ، ومنه
يوم الاثنين الى قرية ولول وقد ذكرت ، ومنها يوم الثلاثاء الى وطن
وقد وصفناها قبل فأقمنا بها ثم ارتحلنا مقربين لمرحلة الغد بعد أن احتملنا
ما يكفيننا من الماء فبتنا بالمرسى المعروفة برأس المخبز وقد وصفناه
قبل هذا

وارتحلنا منه يوم الاربعاء فانتبهنا الى البئر المعروفة ببئر الزكرة
فبتنا عليها ، ثم ارتحلنا عنها يوم الخميس غرة صفر فزلنا على المورد
المعروف بخنافس وارتحلنا منه فانتبهنا الى المورد الاخر المسمى
ببئش الذئب فلم نجد فيه ماء ولم نحتاج اليه لاننا كنا احتملنا معانا
من الماء ما كافانا عنه ، ووجدنا على هذا المورد ركبا صغيرا قد وصل
اليه قبل وصولنا بأيام سيرة فلم يجدوا به ماء فهلكوا هنالك جميعا ،
فبتنا حيث ذكر ثم ارتحلنا من الغد فوصلنا الى أجاس وقد تقدم

ذكر هذه القرية ، ومنها يوم السبت الى واد يعرف بوادى الزركين
- بفتح الزاى وسكون الراء وكسر الكاف - وهنالك سوانى (١) لبعض
المرابطين تسقى من آبار هنالك عذبة ، ومنه يوم الاحد الى قابس
فنزلا برياضها المنسوب (٢) الى عروسيها وأقيمت بها يوم الاربعاء
السابع لصفر .

وفى يوم الخميس الثامن منه كان ارتحالى عنها ، وتاخرت الحصة
عنى من هذه المنزلة منفصلة الى البلاد الجريدية وكان النزول فى
هذا اليوم بالمباركة وقد ذكرت قبل هذا ، ومنها يوم الجمعة الى
المحرس وقد ذكر أيضا ، ومنه يوم السبت الى صفاقس وقد استوفينا
الكلام عليها ، ومنها يوم الاحد الى قرية تعرف بحجاي وهى قرية
صغيرة على نحو هذه القرى الساحلية .

ثم منها يوم الاثنين الثانى عشر لصفر الى المهدية فرأيت
مدينة جليلا قدرها ، شهيرا فى قواعد الاسلام ذكرها ،
وهى بناء عبيد الله المهدي أول خلفاء العبيدين واليه تنسب ،
وكان ابتداء بنائه لها لحمس خلت من ذى قعدة سنة ثلاث
وثلاثمائة ، ولما اكمل بناءها أمن بزعمه على الفاطميات قال
أبو اسحاق ابراهيم بن القاسم الرقيق فى كتابه : « خرج عبيد الله
المهدي بنفسه فى سنة ثلاثمائة الى مدينة تونس فاجتاز على قرطاجنة

(١) كذا فى جميع النسخ
(٢) كذا فى جميع النسخ

وغيرها ومر على جميع السواحل يرتاد موضعاً على ساحل البحر
يتخذ فيه مدينة تحصنه وتحصن بنيه من بعده ، وقد كان عنده علم
حدثانى بقيام قائم على ذريته فأقام يلتبس ذلك مدة فلم يجد موضعاً
أحسن ولا أحصن من موضع المهديّة فبناها هنالك وجعلها دار
مملكته قال « وكان أول ما ابتنى منها سورها الغربى الذى فيه أبوابها
وعند ما وضع أول حجر منه وهو حاضر أمر ناشبا كان بين يديه أن
يوتر قوسه ويقف على ذلك الحجر ويرمى سهمه ففعل انرامى ذلك
فانتهى السهم الى المصلى ووقع قائماً على نصله فقال المهدي الى ذلك
الموضع ينتهى صاحب الخمار يعنى أبا يزيد فقدر أن وصل أبو يزيد
الى ذلك الموضع ولم يتجاوزده ،

قال معلم الفتيان (١) فى تاريخه : وأمر المهدي بقياس مسافة هذه
الرمية فكانت مائتى ذراع وثلاثة وثلاثين ذراعاً فقال المهدي : هذا
منتهى ما تقيم المهديّة فى ايدينا من السنين ، قال : ولما تم بناء السور
هنأد أولياؤه بذلك فقال لهم : « ان جميع ما ترون انما عمل لساعة
واحدة يعنى ساعة وضول أبى يزيد الى المهديّة ، قال : وكان يقف على
فرسه فيأمر الصناع بما يصنعون ، قال : وأمر بعمل باب الحديد للمدينة
فجعل صفائح مصمتة ثم أثبتت فيها المسامير فبقيت تتقلقل فقال
للصناع : ما عندكم فى هذا؟ فقالوا : لا ندرى ، فأمرهم بتسميرها كذلك
ثم أمر بإيقاد النار تحت الباب كله حتى التهب واتصلت المسامير

بالصفائح فعادت كلها قطعة واحدة ، فكان ذلك مما عد من معارف المهدي . . ، وهذا تعصب ممن نقله وأدنى معرفة الصانع ان يعرفوا هذا القدر ان كان صحيحا

ولما تم الباب على هذه الصفة أحب اختبار وزنه فكلهم أخبره أن لا سبيل الى ذلك لا فراط ثقله فأمرهم أن يضعوا احدى مصراعيه (١) على ظهر سفينة ففعلوا ذلك ونظر الى منتهى غوص السفينة فى الماء ثم أنزل وشحنت السفينة بالرمل والحجارة الى أن وصل منها ما وصل اولا واستخرج الرمل منها فوزن على كرات فكان وزن كل مصراع مائة قنطار ، وفى كثير من نسخ المؤرخين الف قنطار وكذا حكى أبو عبيد فى « المسالك » ولما علموا قدره وحاولوا تركيبه صعب عليهم فتحه وعلاقه فلم تكن المائة من الرجال تستطيع ذلك فأمر المهدي أن يكون مداره على الزجاج فهان أمره وعاد الرجل الواحد يتولى منه ما كنت المائة تعجز عنه ، فعجب من هذا كله من (٢) فطنة المهدي ونفوذ فكرته

وأمر المهدي بحفر مرسى المدينة وكان حجرا صلبا فنقر نقرا وجعله حصنا تراكمه الحربية ، وأقام على قم هذا المرسى سلسلة من حديد يرفع أحد طرفيها عند دخول السفن ثم تعاد كما كانت تحصينا للمرسى من دخول مراكم الروم (٣) وابتنى دار الصناعة

(١) كذا فى بعض النسخ وفى بعضها « احدى مصاريه »

(٢) فى بعض النسخ « ومن »

(٣) فى بعض النسخ من « طروق مراكب الروم »

وهى من عجائب الدنيا ، ثم شرع فى حفر الاهراء بداخل المدينة
وبنى الجباب والمصانع واخترن الاهراء بالطعام وملا الجباب بالماء
ثم أمر بحفظها ولم تفتح الا فى أيام ابى يزيد ولولا ذلك لما أطاقوا
الحصار ، وكان اتساع المهديّة فى أول بنائها من الجوف الى القبلة
قدر غلوة سهم فاستصغرها المهدي عند ذلك فردم من البحر
مقدارها وأدخله فى المدينة فاتسعت ، والجامع الاعظم الان والدار
المعروفة فى القديم بدار المحاسبات من جملة ما ردّم من البحر
واخذ عبيد الله فى بناء قصوره بها فبنى قصره الكبير المعروف به
الذى كانت به طيقان الذهب ، وبنى ابنه ابو القاسم بازائه قصره
المعروف به ايضا وبينهما فسحة ، وبشرقى قصر عبيد الله حيث كان
هى دار الصناعة الان

ولما كمل سور المدينة وقصورها أراد عبيد الله الانتقال اليها
فنتقل ذلك على أوليائه وجنده وصعب عليهم استبداله بالموضع الذى
استوطنوه ، فقال لهم : ان صعب ذلك عليكم فنحن ننتقل ونترككم
هاهنا ونجرى عليكم الارزاق والصلوات وعما قليل ستنتقلون الينا
مسارعين ، قال المؤرخون فلم يكن بعد ذلك الا زمان يسير حتى
أرسل الله السماء بامطار غزيرة أخربت مساكن رقادة وأهدمت
دورها وأهلكت خلقا عظيما من أهلها فخرج الناس فى الاخيرة
والفازات ، وكتبوا الى المهدي يسألونه الانتقال الى المهديّة فأجابهم
الى ذلك فانتقلوا اليها وتبّت عمارتها

وقالت الشعراء فى تهنته المهدي بها فأكثرُوا ، ومما استحسن فى ذلك قول ابن بديل الكاتب : (كامل)

بُنِيَتْ لَدَى اقصى المغارب دار قُطِنَتْ بها الاحرار والابرار
لاذِبَ يبرد الماء لَمَّا ان دُرَتْ ان القلوب على الحسين حِرَار
وأُنزل المهدي جنده وخاصته فيها وابتنى لعامة الناس المدينة
الآخرى المسماة بزويلة وهى احدى المدينتين وبينهما قدر غلوة سهم
وجعل الاسواق والفنادق فيها وادار بها خنادق متسعة تجتمع بها مياه
الامطار ، فكانت كالربض لمدينة المهديّة ، وقد كان العز بن باديس
جعل عليها سورا عند دخول العرب الى أرضه سنة أربع وأربعين
وأربعمائة ، وقد خربت هذه المدينة الان فلم يبق لها أثر ، وكان
بخارجها الحمى المعروف بحمى زويلة وكان كله جنات وبساتين
بسائر الثمار وأنواع الفواكه فأفسدته العرب كما تقدم

وأقام المهدي ساكنا بمدينة المهديّة مدة حياته ثم مات بها سنة
اثنين وعشرين وثلاثمائة ، فولى ابنه ابو القاسم القائم ففى آخر دولته
ثار عليه أبو يزيد مغلد بن كيداد النكارى وقد قدمنا فى هذا
التقييد صدرا من حروبه معه ، فما زال يفتح المدن ويخرب البلاد
الى أن افتتح القيروان وهزم جيش القائم الاعظم ، وأقبل يريد حصار
المهديّة وكتب الى أهل البلاد الداخلين تحت طاعته يستنفرهم
لحصار المهديّة وذلك سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، فعلم القائم بذلك

فأمر بحفر خندق حول أرباض المهديّة وزويلة ، ووصل أبو يزيد في جيوشه فأحاط بالمهديّة وكان جيشه بموضع يعرف بخربة جميل على أميال قريبة منها ، فكانت خيله تصل الى أرباضها فتقتل وتنهب فلجأ جميع الناس الى المهديّة واخلوا أرباضها

وأبصر القائم ذات يوم غرة من أبي يزيد لتفروا أكثر جيشه للنهب فأخرج طائفة من جنده الكتامين وغيرهم فقصدوا أبا يزيد وسبق الخبر بذلك الى أبي يزيد فوافق وصول ابنه فضل اليه بجمع عظيم من ضريسة فأمرهم بلقائهم وأن يكف عن قتالهم ما كفوا عنه فان أبوا الا قتاله وجه اليه من يعلمه بذلك فالتقوا بالموضع المعروف بسوق الاحد وهو فيما بين المهديّة ومعسكر أبي يزيد وسطاً ، فأبى الكتاميون الا قتال فضل فوجه الى ابيه يعلمه بذلك فركب أبو يزيد من حينه بجميع من معه فوافاهم وهم يقتتلون وقد هزم ابنه فضل وقتل جماعة من أصحابه فلما رآه الكتاميون انهزموا من غير قتال ولجأوا الى المهديّة فدخلوا اليها

ووصل أبو يزيد في اثرهم الى أن اشرف على المهديّة فأحب نقل فازاته الى موضعه ذلك ، فأشار عليه أصحابه بالرجوع الى معسكره وان تكون اقامته به الى أن يستقصى الامور فرجع اليه وأقام هناك أياماً ثم انتقل منه وزحف الى المهديّة فوصل الى خندقها واقتحم الماء بمن معه فوصل الماء الى صدور خيلهم ، وجيوش القائم في ذلك كله

متقهرة عنه ووصل ابو يزيد بنفسه فى تلك الحطرة الى مصلى
المهدية فلم يبق بينه وبين المهدية الا رمية سهم حسبما
انذر به المهدي عند بناء سورها ، فلما رأى الناس
ذلك لم يشكوا فى تغلبه على المهدية ، فاجتمعوا الى القائم
وعظموا له الامر وسألوه الخروج الى أبى يزيد فقال لهم : انه قد بلغ
الى أقصى غايته ولن يتجاوزده ولنجزن الله وعده ، ثم قال لبعض من
بين يديه : اصعد الى السور فاذا رأيت ابا يزيد انتقل عن مكانه من
المصلى فاشر لنا باشارة نعرف ذلك بها ففعل الرجل ما أمر به ، ولما
أشار لهم قال لهم القائم : أبشروا فلن يعود أبو يزيد الى مكانه ذلك
أبدا ، وانتقل أبو يزيد الى الموضع المعروف بترنوط وهو على خمسة
أميال من المهدية فمسكر هنالك ، واتصل حصاره لها فقتل بين
الفريقين فى ذلك على توالى الايام أمم لا تحصى أكثرها من جيوش
القائم

وذكر البكرى أن فى كتاب الحدائق : « اذا ربط الخارجى خيله
بترنوط ، لم يبق لأهل السواد محلول ولا مربوط ، أهل السواد أهل
الساحل قال وفيها أيضا : « ويل لأهل السواد ، من محلة ابن
كيداد ، ويقال من مخلص بن كيداد (١)

ولما طال على جند أبى يزيد المقام وشئوا التغرب على بلادهم
وتحققوا حصانة المهدية وامتناعها عنهم انفصلوا عن أبى يزيد

(١) راجع المسالك والممالك للبكرى « طبع الجزائر ، ص ٣١

بأجمعهم فلم يبق معه الا طوائف من هواراة وزناتة ، فحينئذ أقلع عن
المهدية وذلك فى صفر سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، ومات القائم فى
آخر هذه السنة وأبو يزيد محاصر لسوسة وقد قدمنا ذكر ذلك
قبل هذا

فولى بعده ابنه اسماعيل الملقب بالمنصور ، فبادر بانفاذ جيش برى
وجيش بحرى الى أبى يزيد بعد أن أحب النهوض بنفسه فمنعه
أولياؤه منه ، فتوجهت جيوشه الى سوسة وكان ما أخذه التحصيل
من جند أبى يزيد المحاصرين لها حسبما قدمنا قبل هذا مائة الف
خص يسكن فى الحص الواحد الثلاثة والاربعة فصاعدا ، وكان
جيش القائم البرى أربعمائة فارس لا تزيد على ذلك فهجموا على
عسكر أبى يزيد فى يوم كثير الغيم وأطلقوا النار فى مجتمع حطب
كان هنالك فتطايير شرارها الى أخصاص أبى يزيد فأظلم الجو
وتخاذل البربر وانهزموا واسلموا أبا يزيد ، فقتل من أتباعه أمم كثيرة
وتوجه أبو يزيد منهزما الى القيروان فلم يقبلوه وقتلوا جماعة من
أصحابه فهرب عنهم

وخرج المنصور من المهدية فى طلبه بشجاعة قوية قال المؤخون ،
فلم يزل يهزمه ويقتفى أثره الى أن أخذه جريحا فى جيل كيانه (١)
وذلك فى شهر المحرم من سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، فسلخ جلده
وجعل فيه ما ملأه حتى عاد صورة هائلة فطيف به من جبال صنهاجة

(١) فى بعض النسخ « كيانه » وفى بعضها « كتامة »

بالمغرب الاوسط الى المهديّة (١) ثم صلب بها الى أن مزقته الرياح
بعد ان مزق شبل العالم فى البلاد ، وكان يسبح دم أهل القبلة
ويستحل الفروج ويفعل فى الاسلام أشد ما يفعل فى دار الحرب
ولما تم للمنصور أمره ولم يبق له من ينازعه أحب الانتقال من
المهديّة الى مدينة صبرة وهى ملاصقة للقيروان، وقد كان بنى سورها
وجعل فيها قصرا لنفسه فكان انتقاله اليها أول سنة سبع وذلك
أصل تسمية صبرة بالانصورية ، ولم تزل صبرة دار ملكهم الى أن
انتقلوا الى مصر فتغلب المعز ابنه عليها سنة اثنين وستين وثلاثمائة ،
فصير ولاية افريقية الى زيرى بن مناد الصنهاجى ، فسكنها هو وبنوه
الى أن خالف المعز بن باديس على بنى عبيد وصرح على المنابر بلعنهم
وذلك سنة اربع وأربعين وأربعمائة ، فجهز اليه وزيرهم المعروف
باليازورى الاعراب الذين غلبوا على أمره وأخذوا أكثر بلاد من
يده ، وقد تقدم بسط ذلك كله والاشارة الى بعض حروبهم معه فى
أثناء هذا التقيد

فلما رأى المعز اختلال الاحوال وتغاب الاعراب على البلاد علم
أن صبرة لا تحصنه منهم ، فبنى على الانتقال الى المهديّة فولى ابنه
تيميا عليها وذلك سنة خمس وأربعين وجعل ينقل اليها أهله وذخائره
شيئا فشيئا ، وقد كان رجاله وخاصته حذرون من تولية ابنه تيم
وخوفوه أن يستبد بنفسه ويمتنع بالمهديّة على أبيه فلم يسمع منهم ،

(١) ونرى بعض النسخ " الى وسط المهديّة " .

ووصل تميم الى المهديّة فوجد بها عبيدا لايه قد كان أعدهم هنالك
لضبطها قد قويت شوكتهم و أكثر ملأهم ف وقعت بينهم وبين عبيده
فتنة ومنازعة ، فبينما هم في ذلك اذ دخل عليه شاعره محمد بن حبيب
القلانسي فأنشده قصيدة منها : (بسيط)

السيف يسبق قبل الحادث العَدْلَا لَا تُغْدِي السيف حَتَّى تَقْتُلَ السَفْلَا
تَقِيلُ عُدَاتِكَ مِنْ دُنْيَا لِيَاخِرَةِ فَكُلُّهُمْ ظَنُّ هَذَا الْمُلْكِ مُنْتَقِلَا
فحرّكه لآبادة أولئك العبيد فأطلق عليهم أيدي العامة فقتلوا
أكثرهم وفر من بقى منهم الى المعز بصرة فاتبعهم تميم طائفة من
الاعراب لحقوهم قبل وصولهم الى صبرة فقتلوهم أجمعين ، وبلغ
المعز ذلك فقوى في نفسه ما كان يذكر له عن تميم من الاستبداد
والاستئثار بما حصل لديه من الذخائر ولكنه لم يجد بدا من مداراته
والاغضاء له عن فعلته هذه .

فلما كانت سنة تسع وأربعين توجه المعز الى المهديّة في خفارة
رجلين من العرب قد كان صاهرهما بيتيه يعرف أحدهما بالفضل
ابن أبي علي وهو مرداسي ، ويعرف الآخر بفارس بن أبي الغيث
توجهها اليه فاستخرجاه من صبرة سرا ، وأحس باقى الاعراب بخروجه
فلحقوه في أثناء الطريق فواقفهم فارس بن أبي الغيث في جماعة من
قومه وجعل يؤنبهم على الاستخفاف بخفارته ، فقالوا له انك قد
أعظمت التحامل علينا في خفارة مثل المعز وتركنا له عظيم والفائدة

فى أخذه كبيرة فلا تمنعنا منه ، فلم يزل يوافقهم ويراجعهم الى أن
خلص المعز وصاحبه الفضل بن أبى على ودخل المهديّة ، ويقال انه
قد كان أخرج بعض قطعه البحريّة وسيرها فى البحر محاذية له
خوفا مما عساه أن يعرض له فى طريقه ، فلما لحقه الاعراب كما
قدمنا ناداه أرباب القطع بالبدار اليهم ليعتصم بالبحر من أولئك
الاعراب فلج فى السير ربى من الدخول اليهم أنفة منه وجلدا الى
أن خلاص وحصل بالمهديّة . ودخلها وهو خائف من ولده تميم ان
يقبض عليه ، فخرج تميم لثأته وترجل وقبل الارض بين يديه ومشى
أمامه ولم يزل فى خدمته ويرد الى أن مات المعز سنة أربع وخمسين ،
فحينئذ استبد تميم بالملك وغلبه الاعراب على أمره فلم يكن له الا
ما ضمت (١) أسوار بلده خلا أنه كان فى بعض الاحايين يحالف
فريقا من الاعراب فيجد السيل بذلك الى الخروج لقتال من يقصده
وحصار من يشور عليه ببلد من بلادده ، وقد قدمنا أن حمو بن مليل
البرغواطى ثار عليه بصفاقس واستبد بها وأراد الوصول الى المهديّة
لمحاصرته فخرج تميم للقاءه فالتقى بظاهر المهديّة فهزمه تميم وعاد
حمو الى صفاقس خائبا فأتبعه تميم ابنه يحيى فحاصره بصفاقس
واستوفينا ذلك عند ذكرنا لصفاقس

ولما كانت سنة ست وسبعين واربعمئة وصل لحصاره ابراهيم
بن محمد الثائر بقابس ومعه جمع عظيم من الاعراب أميرهم مالك

ابن علوان (١) الصخرى، فنزلوا على المهديّة فارسل تميم الى احفافه من الاعراب أموالا فهجموا على عسكر ابراهيم وخرج تميم بمن معه من جنده فهجم عليه من الجهة الاخرى فانهزم ابراهيم هزيمة فاحشة ورجع ابراهيم الى قابس وفر ابن علوان الى القيروان فتوجه اليه تميم ومن معه من الاعراب فحاصروه بها الى ان خرج منها تحت الليل هارباً ثم عاد تميم الى المهديّة

فلما كانت سنة ثمانين واربعمائة وقع ما وقع من نزول اهل ييش وجنوة من النصارى على المهديّة فاستولوا عليها وعلى زويلة وسبوا أهلها وقتلوا من شاؤوا منهم واحرقوه بالنار ، وكانت عدة القطع التى نزلوا بها عليها ثلاثمائة قطعة تجتمع على ثلاثين الف مقاتل، قال أبو الصلت : « وكسفت الشمس فى هذا العام ببرج الاسد طالع تخطيط المهديّة كسوفاً كلياً فجرى بها هذا الواقع باثر ذلك، قال : » وكان من أعظم الاسباب فيه مع قضاء الله الذى لا يرد ومشيئته التى لا تدفع غيبة عسكر السلطان عن المهديّة ومفاجأة الروم دون استعداد لهم وأخذ أهبة للقائهم وخلو كافة الناس من الاسلحة والعدد وقصر الاسوار وتهديمها وتكذيب تميم مع ذلك بما يرد عليه من اخبار النصارى وسوء رأى فلان متولى تدبير البلد (١) اذ ذاك فى المنع من الخروج اليهم ولقائهم فى الماء فتركوا الى أن نزلوا فى البر فكان من تغلبهم على المهديتين وعيّنهم فيهما ما هو مشهور

(١) فى بعض النسخ « ملك بن علوى » وفى بعضها « ملك بن علوا »

(٢) وفى بعض النسخ « متولى البلد ومديرها »

معلوم ، قال : « ولجأتهم إلى قصره المعروف بقصر المهدي ، وهو قصر حصين فأقام به إلى أن وقع الصلح بينه وبينهم على مائة ألف دينار تدفع لهم ويقلعون بما حصل في أيديهم من المسلمين فدفعت لهم وأقلعوا بأموال المسلمين ونسائهم وإبنائهم » قال : « وقد استوفى وصف ذلك كله أبو الحسن علي بن محمد بن الحداد في قصيدة طويلة أولها :
(منسرح)

أنتى يلتم الخيال أو يقفُ وبين اجفاننا نوى قد صفُ
ويقول فيها :

غزا حمانا العدو في عدد هم الدبا كثرة أو النعفُ
عشرون الفا ونصفها ائتلفوا من كل أوب لبسما ائتلفوا
جاؤوا على غيرة إلى نفر قد جهلوا في الحروب ما عرفوا
وهم من العيش في بلهنية وليس للدهر أعين طرفُ
فايقظوا من سبات غفلتهم لهم عيون اجفانها رهفُ (١)
في سفن كالجاليس لها إلا من السمر والطبي شعفُ
هبت رخاء رياحها فجرت كما اشتهاوا وهي عندنا عصفُ
فإن وئت في الهبوب حررها مجاذف كالصلال تلثقفُ

(١) في بعض النسخ « وصف »

وأقام تميم بعد ذلك بالمهدية الى أن مات بها سنة احدى وخمسمائة ، فولى ابنه يحيى فكان مما حدث فى أيامه من الاسباب المؤدية الى تغلب النصارى على المهديّة التغلب الثانى الذى أدى الى انقراض دولة صنهاجة منها أن نصرانيا اسمه جرجير ابن فلان الانطاكى كان قد هاجر من المشرق الى تميم ، وكان قد عرف لسان العرب وبرع فى الحساب وتهذب بالشام بانطاكية وغيرها ، فحكمه تميم فى دخله وخرجه وجعل مصارف الاموال لنظره فصارت أموال المسلمين كلها فى يده وأيدى أقاربه ، وكان الاتساع فيه من الاموال ، فلما مات تميم خاف هذا النصرانى من يحيى فخطب لجار صاحب صقلية واعلمه أنه يجب الانتقال اليه فوجه لجار اليه قطعة أظهرت أنها وصلت فى رسالة فخرج هذا النصرانى وأقاربه فى يوم جمعة عند اجتماع الناس للصلاة وتزيوا بزي البحرين فطلعوا اليها وتم لهم أمرهم ، فلم يفتن الناس لهم الا وقد أقلعوا ولما وصلوا الى صقلية حكمهم عبد الرحمان النصرانى صاحب اشغالها فى الجبايات فنصحوا وأظهروا ، واحتاج لجار أن يوجه رسولا الى مصر فأشار عليه عبد الرحمان بجرجير هذا فأرسله فنصح وأقبل بذخائر ملوكية أحظته عند لجار

ثم مات يحيى بن تميم بالمهدية سنة تسع وخمسمائة ، وولى بعده ابنه على بن يحيى فووقت الوحشة بينه وبين لجار بسبب السفينة التى أنشأها رافع بن مكى بن كامل بقابس حيث منعه منها على ،

فاستتضر رافع بلجار فوقعت المقاتلة بين أسطول على وأسطوله
بسببها وقد تقدم ذكر ذلك مستوفى عند ذكرنا لقابس ، ووصل
بأثر ذلك رسول لجار الى على يقتضى أموالا كانت تثقت له
بالمهدية ، وكان على عند تلك الوحشة قد أمسك وكلاءه فسرهم له
على ووجههم اليه بأمواله فلما وصلت اليه وجه رسولا ثانيا بمكاتبة
فيها اغلاظ وتهديد وتقصير على العادة وإساءة فى الادب ، فأغضب
ذلك عليا وصرف رسوله دون جواب ، وبلغ عليا ان النصراني
يتهدده ويوعده فامر باستجداد الاساطيل والاستعداد لقتاله فأنشأ
اسطولا قويث انفس الناس به ومدحته الشعراء بسببه فقال محمد
ابن بشير من قصيدة له : (طويل)

واعدت للاعداء كل مضمصم يسير إليهم قاصدا وهو أهوج
كمثل الرواسي منعة غير انها على ثبج الدماء تسري وتدلج (١)
كان القنا والبل في جنباتها سيال بأكناف الهضاب وعوسج
يُميد مضىء الجبؤ قتم حالكا دخان لظى من نارها يتوهج
اذا نضضت من السن لهيئة بمارج نار يستقل ويعرج
رايت صلالا أخرجت من جهنم تحرق كباد العداة وتنزع
ولم تزل الفتنة مؤكدة بينهما الى أن مات على وولى بعده ابنه
الحسن فكتاب أمير المؤمنين بالمغرب على بن يوسف بن تاشفين

واتفق باثر ذلك أن وصل أسطول على بن يوسف مع قائده على بن
ميمون الى بلاد لجار فاستفتح منها حصونا وسبى منها سبايا كثيرة ،
فلم يشك النصرانى أن الباعث لعل بن يوسف على ذلك انما هو
الحسن فاستجاش من قبله وحشد أجناده ومقاتليه وبالغ فى كتم
أمره بمنع السفر الى سواحل المسلمين ، ولم يخف على الحسن مقصده
وخشى أن يطرق بلاده دون تأهب له فأمرهم باتخاذ الاسلحة
وتشييد الاسوار واستقدام القبائل من العرب وغيرهم للجهاد ،
ووصلت الحشود اليه من كل جهة ونزلت الاعراب بظاهر المهديّة
فلما كان يوم السبت لحس بقين من جمادى الاولى سنة سبع
عشرة وخسمائة وصل أسطول لجار الى المهديّة فأرسل بالجزيرة
المعروفة بجزيرة الاحاسى وهى على عشرة أميال من المهديّة ، ونزل
قائداه عبد الرحمان وجرجير الى الجزيرة وضربت لهما ولقدمى
الفرنج مضارب هنالك وكان وصولهم آخر النهار فخرج منهم الى
البر تلك الليلة خلق كثير وانسطوا حتى بعدوا عن البحر أميالاً ثم
عادوا الى الجزيرة ، ووصل القائدان فى اليوم الثانى فى البحر فى
بعض قطعهم الى المهديّة فأطافا بها وانتهيا الى ساحل زويلة فهالهما
ما رأيا بالاسوار والسواحل من الناس وانصرفا عائدين الى
الجزيرة ، فوجدا طائفة من العرب والاجناد قد دخلوا اليها وكشفوا

من كان بها من الروم عن مواضعهم وقتلوا منهم قوما وانتهبوا
بعض أسلحتهم

فلما كان في اليوم الثالث تمكن النصارى من انتصر المعروف
بقصر الديماس وحصل به زهاء مائة منهم باعانة بعض الاعراب لهم
على ذلك لما مناهم به عبد الرحمان وصاحبه ، وقد كن لجار أمرهما
بذلك من النزول بجزيرة الاحاسى والتحيل فى أخذ قصر الديماس
بمباطنة العرب ثم ألزحف من هنالك فى البر بالرجال والحيل الى
المهدية

فلما كان اليوم الرابع اجتمع المسلمون وخرجوا من المدينة وكبروا
تكبيرة راعت من فى الجزيرة فظنوا أنهم داخلون اليهم فانهزموا الى
مراكبهم وقتلوا بأيديهم كثيرا من خيلهم ، ودخل المسلمون الجزيرة
وليس به أحد منهم فوجدوا فيها خيلا وآلات وسلحة أعجلهم
الهرب عن حملها ، وأخطوا بقصر الديماس يقاتلونه والاسطول فى
البحر يعاين ذلك ولا يستطيع اغاثة من فى القصر نكثرة ما اجتمع
فى البر من عساكر المسلمين ، فلما علموا أنهم غير قادرين على استنقاذ
من فى انتصر أقبلوا عائدين الى صقلية ، وأقام المسلمون يقاتلون من
حصل بقصر الديماس منهم الى أن اشتد عليهم الحصار وفنى ماؤهم
وطعامهم فخرجوا منه ليلة الاربعاء الرابع عشر من جمادى الاخر
فخطفتهم سيوف الاعراب فقتلوا عن آخرهم

وهنئى الحسن بهذا الفتح ولم يدر ما تحت طيه من المحنة التى
خصت وعمت المسلمين بسببه ، وكتبت عنه فى ذلك كتب الى سائر
الجهات منها كتاب يقول فى بعض فصوله : « وان صاحب صقلية لج
فى طغيان غيه ، واستمر على عدوانه وبغيه ، وحمله سوء تقديره ،
وفساد تدبيره ، على اهتضام جانب الاسلام ، وظن أن ذلك سهل
الملتص قريب المرام ، فاستجاش وحشد ، واستنفر واستمد ، ولما
استتمت له فى ظنه أمورده ، وكمل تدبيره ، الذى كان فيه تدميره ،
سير أسطوله نحو المهديّة - حماها الله - فى نحو من ثلاثمائة مركب
حمل على ظهرها ثلاثون الف راكب وزهاء الف فارس ، وكان
اقلاعه فى طالع مقارن للنحوس ، قاض عليه ب تلف الاموال وهلاك
النفوس ، فمن أول ما أسناد الله فيه من صنعه الجميل ، وأظهره من
عنايته التى لا يؤدى حقها بغير الشكر الجزيل ، أن أرسل عليهم
ريحا صيرت جميعهم الى التبار ، وأصلتهم ببرد الماء حر النار ،
ونابت فى اهلاكهم مناب زرق الاسنة وبيض الشفار ، وكان لجار
قد رام اخفاء كيدّه ومكره ، بمنع السفر الى سواحل المسلمين وحظره ،
فسقط الى الساحل مركب من جملة أسطوله يعرفنا من ركابه
صورة أمره ، وما يسر الله سبحانه من تشيت شمله وشره ، ولم نكن
قبل ذلك مهملين لما يقتضيه هذا الحادث من التأهب والاستعداد ،
واستضافة الاجناد الى الاجناد ، فاستظهرنا باستقدام قبائل العرب

المطيفة بنا فأقبلوا أفواجا أفواجا ، وجاؤوا مجيء السيل يعتلج اعتلاجا
ويتدفق أمواجا ، وكلهم على نيات فى الجهاد خالصة ، وعزمات
غير مترددة فى مواقف الموت ولا ناكسة ، ووصل الاسطول
المخذول بمن أسلمه السوق الى حد الحسام ، وتخطاه الفرق فنجا من
الحمام الى الحمام ، ونزلوا على عشرة أميال من المهديّة بجزيرة هنالك
ذات أحساء بينها وبين البحر مجاز متدانى المعبرين ، قريب ما بين
الشطين ، حين مرّاهم ، سهل على الفارس والراجل خوضه واقتحامه ،
فتسرع اليهم من جندنا ، ومن انضاف اليهم من العرب المنجدة لنا ،
طائفة أوسعت أعداء الله طعنا وضربا ، وملأت قلوبهم خوفا ورعبا ،
فلما عاينوا ما نزل بهم ، أنزلوا عن ظهور مراكبهم ، ما كان أبقاد
الفرق من أفراسهم ، وكانت نحو خمسمائة فرس وظنوا أنهم ان
امتطوا متونها مستسلمين (١) ، وصدّموا بها جيوش المسلمين ،
أمكنهم بها انتهاز فرصة فأكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ، وجعل
الدائرة عليهم لا لهم ، وخامرهم من الرعب الذى نصر الله به
المسلمين ، وخذل به المشركين ، ما ولوا منه أدبارهم يرون الهزيمة
والهرب غلبا ، وتركوا كثيرا من خيلهم واسلحتهم نهبا مقتسما ،
وفيثا مفتتسا ، واتفق فى مدة مقام هذا الاسطول بالجزيرة أن رجلا
من طفاة العرب ومردتهم دعاه فساد دينه ، وضعف يقينه ، أن
اغتيال لهم قصرا على المجاز المذكور شديد الامتناع فحصل به منهم

(١) كذا فى الأصول ولعل الصواب « متسلمين »

زهاء مائة عالج ، وتسربت العرب اليهم من كل فج ، فجردنا من
خيلنا من تولى أمره ، وبأشر حصره ، اذ كانت العرب لا تباشر مثل
هذا وانما تعرف الحصن (١) لا الحصون ، وانما يعظم غناؤها في
السهول لا الحزون ، ثم أقطع جميع الاسطول حين علم عجزه عن
استنقاذ أصحابه ولبثوا بعده والقتل يحققهم ، والنار تحرقهم ، الى
ان استوصلوا عن آخرهم ، وكبهم الحنف على جباههم ومناخرهم ،
وجرى أمر هذا العدو المخذول من أوله الى آخره وفاتحته الى خاتمته
على ما قاله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ
جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ، فالحمد لله
الذي أيد الاسلام ونصره ، وأعلاه وأظهره ، وأباد الشرك ودمره ،
وأذله ودحره ،

ولما أقطع الاسطول الى صقلية خائبا خاسرا غاظ لجار ذلك ، ثم
اتفق باثره أن وصل أسطول المثلث من المغرب وقائده محمد بن
ميمون المذكور قبل فعات في بلاد لجار وقتل وحمل نساءها سبيا
الى بلاده ، وكان لجار كلما وصل أسطول من المغرب الى بلاده
نسبه الى الحسن فعزم العزم المصمم على غزو المهديّة وانشأ في ظاهر
الامر بينه وبين الحسن صلحا وفي نفسه ما فيها لثم خديعته ويمكن
من مراده ، وكان بين الحسن وبين عمه يحيى بن المعز بن باديس
ابن المنصور بن الناصر بن علناس ابن حماد صاحب بجاية ما أوجب

(١) في بعض النسخ « مصر » وفي بعضها « الحصا »

أن يبعث يحيى فى هذه المدة لمحاصرته بالمهدية أسطولا فى البحر
وجيشا فى البر ، قائده مطرف بن على بن حمدون الققيه ، فحصر
المهدية برا وبحرا ونزل مطرف بن على بجيشه بظاهر زويلة فاستمد
الحسن لجار فأمدته بأسطوله ، فعلم مطرف بذلك فارتحل عن المهدية
مسرعا وكانت للجار جواسيس بالمهدية فكتبوا اليه يعلمونه أن
بمرساها مراكب قد استوفت وسقها ، فأمر جرجير قائد الاسطول
التوجه للنصرة بالهجوم عليها وأخذها ففعل ذلك غدرا وحملها الى
صقلية ، ثم هجم بعد ذلك على مرسى المهدية فأخذ منه مركبا كان
الحسن قد احتفل فيه وشحنه بذخائر ملوكية ليوجه بها الى الحافظ
العبيدى صاحب مصر وكان ذلك المركب يسمى « بنصف الدنيا »
ولم يزل يوالى (١) الغزو عليها بأساطيله والمقدم عليها جرجير
المذكور وهو العارف بالمهدية حاضرة وبادية ويضعفه بذلك الى ان
دخلت سنة ثلاث واربعين وخمسائة فلم يشعر الحسن صباح
الاثنين الثانى من شهر صفر الا وقد طلع عليه جرجير المذكور فى
ثلاثمائة مركب للفرنج فأرسل على بعد من المهدية وكانت الريح
قد منعتهم من الدخول الى المرسى ، فأرسل الى الحسن يخادعه ويذكر
أنه وصل لطلب عسكر يستعين به على أهل قابس ليوليها ابن رشيد ،
وقد تقدم ذكر ابن رشيد هذا فيما سلف من التقيد وبيننا سبب
خروجه من قابس فعلم الحسن أن هذه مخادعة له الى ان تنهيا له

(١) فى بعض النسخ « يرسل »

الرياح فيدخل بها وأنه لم يصل إلا بعد علمه بخلاء المهديّة من
العسكر

وقد كان الغلاء المتوالى على افريقية أضعف أكثر جند الحسن
وأهلك خيلهم ومع ذلك فكانت بقية العسكر فى محاربة ابن
خراسان صاحب تونس عضدا لمحرز بن زياد الفادعى صاحب المعلقة،
فعزم الحسن على تسليم المهديّة للنصارى ، وأمر فى الحين بالرحيل
عنها وخرج من القصر بما خف معه ومن أمكنه من أهله وولده
وحشمه وتبعه الناس فارين بما قدروا عليه من أهل وولد وجرى
عليهم فى هذه الضيقة ما لم يكونوا يقدرونه ، وذكر ابن شداد
من كلام الحسن عند خروجه : « سلامة المسلمين من القتل والاسر ،
خير الى من الملك والقصر ،

وبقى الاسطول على ظاهر البحر لا يمكنه الدخول الى البلد
بسبب الرياح الى الساعة السابعة من حين وصوله ثم لانت له الرياح
فدخل ووجد المهديّة خالية فتملكها من دون مدافع ، ووجد جرجير
قصر الحسن على حاله لم يحمل الحسن منه الا ما خف له ، فرأى فيه
من الذخائر الملوكية ما هاله وحكم على ذلك كله ، وأمر أن ينادى
فى المهديتين بالامان فارتفع النهب منهما ، وأخرج النصارى من
المهديتين فأنزلهم فيما بينهما فى مضاربهم وأخيتهم ، فكان من بقى
بالمهديّة أحسن حالا ممن فر منها فان الفارين لقوا من المشقة وعدم
الماء ما أهلك أكثرهم الى أن تداركهم جرجير فبعث لهم خيلا

يعلمونهم بالامان فرجعوا الى بلدهم وفرق عليهم مالا وطعاما
أقرضهم اياه فصلحت أحوالهم واغبط الناس بالمهدية لما رأوا من
عدل النصارى فعمرت أحسن عمارة

وأما الحسن بن علي فإنه وصل (١) الى عسكره الذي قدمنا أنه
كان في نصرة محرز بن زياد فلقه محرز بالبر وأكرمه وأنزله عنده
فأقام هنالك شهرا وهو كاره في الإقامة ، لما يرى في عيني محرز
من السئامة ، فأحب الانتقال الى مصر وواليتها اذ ذاك الحافظ عبد
المجيد بن محمد بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن
المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي وباسمه كان الحسن يخطب
في بلاده ، فابتاع من تونس مركبا أعده لسفره فعلم جرجير بذلك
فاعد له عشرين قطعة ترقب اقلاعه فتبعه وعلم بذلك الحسن فعدل
عن السفر الى مصر ، ونظر في التوجه الى الخليفة عبد المؤمن بن علي
بالمغرب ، وأنفذ كبار ولده يحيى وتيسا وعليا الى ابن عمه يحيى بن
العزيز صاحب بجاية وكتب له يستأذنه في الوصول الى حضرته
وأن يكون توجهه الى عبد المؤمن بعد اجتماعه به فتلقى بينه ميمون
ابن حمدون وزير يحيى أحسن لاقى وكتب على لسان يحيى الى الحسن
بالتوجه على ما جرى عليه والتحريض على الوصول والعدل علي
ما خطر بباله من قصد غيره

فأعلم الحسن محرز بن زياد بما كتب اليه ابن عمه فأشار عليه بالتكيب عنه وأن يتوجه حيث ما أحب فهو خير له منه ، فلم يطمع الحسن وتوجه الى بجاية فلما قرب منها ندب يحيى وزيره الى لقاء الحسن فامتنع عن ذلك وبعد لآى ما (١) أمر أخاه قائد بن العزيز بالخروج الى لقائه مع مشيخة البلد وأن يعدلوا به عن بجاية الى الجزائر فيكون مقامه بها ، ففعل أخوه ذلك وأنزله هو وأولاده بمدينة الجزائر فى أمكنة لا تليق بهم وأجرى عليهم جريات لا تكفيهم وأمر ميمون بمراعاة احوال الحسن ومنعه من السفر والكتب الى الخليفة عبد المؤمن لما توقعه من استعانة عبد المؤمن به فى أخذ بجاية فبولغ فى التشديد عليه فى ذلك ، وأقام ساكنا بها الى أن نزل عبد المؤمن الى المغرب الاوسط وقد تغلب على جميع بلاد المغرب الاقصى وجميع جزيرة الاندلس وذلك عام سبع وأربعين وخمسمائة فتغلب على مليانة والجزائر ، فاجتمع الحسن به هناك وقد سار اليه وهو بمدينة متيجة فأقبل عبد المؤمن عليه وقربه اليه واستصحبه معه وجعل الحسن يغريه بأخذ بجاية حسدا لابن عمه ورغبة لخروج الملك من يده ليتساوا (٢) فى ذلك فنزل عبد المؤمن الى بجاية والحسن معه فاستولى عليها وعلى جميع أعمالها وذلك بعد هزيمة لساكر

(١) فى بعض النسخ « وبعد » عوض « بعد لآى ما »

(٢) كذا فى جميع الامور والصراف « ليتساويا »

صنهاجة بجبل زيرى وأعان يحيى أيضا على نفسه بانهما كه فى
لذاته واهماله تدبير دولته وتفويض الامر لغيره

فلما استولى عبد المؤمن على بجاية فر يحيى بن العزيز منها فى
البحر وكان مرامه التوجه الى برقة والنفوذ من ذلك الى بغداد لعلمه
أن الخليفة العيىدى بمصر ينقض (١) عليه الخلع الاول ، فلما وصل الى
بونة جعل الحارث يتأفف منه ويؤنبه على اهمال الملك فخرج عنه
يحيى الى قسنطينة وبها اذ ذاك أخوه الحسن بن العزيز فأكرمه
الحسن وتخلى له عن الامر فأقام بقسنطينة أياما يعمل رأيه الى أن
أناب الى الطاعة ودخل فى ايالة الموحدين ووصل الى الخليفة فأكرمه
وأنزله مع ابن عمه الحسن بن على

ثم كانت لعبد المؤمن على العرب (٢) الوقعة المعروفة بوقعة
سطيف ، هزم فيها طوائفهم وطلع الى الحضرة بجميع من حكم عليه
ومن جملتهم الحسن ويحيى فأسكنا براكش فى رفاهية ورزق جارا ،
فلما كانت سنة ثمان وأربعين وصل الخليفة الى سلا واستصحب
يحيى معه فأسكنه بها فى بعض قصور بنى عشرة وأقام بسلا الى أن
مات هنالك ودفن فى مقابرها الجوفية مما يلى البحر

وأما الحسن فانه أقام براكش الى أن عاد عبد المؤمن اليها فلم
يزل يغريه بالحركة الى افريقية ويحضه على استنفاذ المهديّة من أيدي

(١) فى بعض النسخ « يتنقض » ولعل الصواب « ينقم »

(٢) فى بعض النسخ « المغرب »

النصارى الى أن تحرك اليها سنة أربع وخمسين وخمسمائة ، فافتح
تونس وأذهب دولة بنى خرسان منها وقد كان عند وصوله الى
باجة عرض عسكره فكانت الحيل أزيد من مائة الف فارس وأما
الرجال فلا يحصون كثرة ، فأقام بها ووجه الى اهل تونس بالتأمين
والعفو فلم يزدادوا الا عصيانا ، وقد كانوا قاتلوا ولده عبد الله قبل ذلك
ومزقوا جيشه وفعلوا فيه الافاعيل لما وصل الى محاصرتهم سنة اثنين
 وخمسين وانفصل عنهم أسوأ انفصال ، فارتحل عبد المؤمن من باجة
ونزل على طبرية وأعاد اليهم الترغيب والترهيب فلم يقبلوا فارتحل
الى تونس وكان نزوله عليها يوم السبت العاشر من جمادى الاولى
من السنة المذكورة واتصلت الاخوية من الحنايا الى حلق الوادى
وعاين أهل تونس أمرا عظيما وأيقنوا بالهلاك وأقام العسكر ثلاثة
أيام لا يقاتلون فنزل الى عبد المؤمن أشياخ لطلب السلم من أهل
تونس منهم بنو عبد السيد : عمر ومعاوية وعبد السيد ومنهم ابنا
منصور بن اسماعيل وابن عمه عتيق ، ومنهم الخارجى محمد وحمزة
ابن حمزة وعبد العزيز القمودى (١) وغيرهم وكانوا اثنى عشر رجلا
فوصلوا الى عبد المؤمن فطلبوا العفو منه فأسغفوا (٢) به بعد مكابدة
شديدة وامتناع عظيم من عبد المؤمن

ولما عفا عن أهل تونس اشترط مسالمتهم فى أنفسهم ومشاطرتهم
فى رباعهم وأموالهم كلها للمخزن ما عدا ملبوس رقابهم وغير أهل

(١) فى بعض النسخ « العمورى »

(٢) فى بعض النسخ « فاستغفوا »

تونس من قراها وسائر بلادها يشاطرون في أموالهم ، وكذلك صاحب تونس على بن احمد بن خراسان الا أنه اشترط عليه الخروج من تونس والانتقال الى بجاية فوقع الشرط على ذلك وتسلم عبد المؤمن منه تونس وخرج ابن خراسان منها من يومه فمات في الطريق

وأقام عبد المؤمن بعد الفتح ثلاثة أيام ثم ارتحل الى المهدية وخلف بتونس أبا محمد عبد السلام الكومى ومعه أشياخ من الموحدين لاستخلاص الاموال من أهل تونس فوقع البحث عن أموالهم ودخلت دورهم فحمل جميع ما فيها وبيع ما أمكن بيعه من رباعهم وأملأهم وخرج الامناء الى سائر بلاد افريقية لمشاطرة الرعية فى جميع ما بأيديهم حتى لم يبق من افريقية بقعة الا عنها ذلك

ومن تاريخ ابن شداد : « أن عبد المؤمن لما سار الى تونس بالجموع العظيمة كانوا يملحون بالمزارع فى الطرق الضيقة فلا يؤذون شيئا منها وكانت رسوان (١) هذا العسكر تمتد أميالا وكلهم يصلون الصلوات الخمس وراء امام واحد بتكبيره واحدة ولا يتخلف أحد منهم كائنا من كان عن الصلاة وكانت مقدمة هذا العسكر اثني عشر ألفا قد كلفوا بحفر الابار فى الطريق واستخراج المياه فكانوا يمتدون قبله بيومين فلا يأتى الا وقد هيئت له الفلات وملئت الاحواض بالمياه ولولا هذا التدبير لم يقدر على قطع هذه المسافة

(١) كذا فى جميع النسخ

البعيدة بهذه الجيوش العظيمة ، وكان كلما مر بأرض فيها عرب
بادروا اليه فاستصحب أعيانهم معه وقد كانت وقعة سطيف أذلتهم
وكان أسطوله فى البحر سبعين مركبا قوادها محمد بن عبد العزيز
ابن ميمون من البيت المشهور فى قيادة البحر وابن الحراط وأبو
الحسن الشاطبى وغير هؤلاء ممن هو مثلهم فى المعرفة والشهرة ، قال :
« وعرض عبد المؤمن الاسلام على من بتونس من اليهود والنصارى
فمن أسلم سلم ومن امتنع قتل » .

ومن غير كلام ابن شداد : أن عبد الله بن عبد المؤمن لما فعل به أهل
تونس ما فعلوا حين نزل عليهم قبل هذا حلف أن يدخلها بالسيف
ويقتل جميع من تقع عينه عليه من أهلها ، فأمر الناس فى هذه الحطرة أن
يدخلوا دورهم ولا يخرج احد منهم حتى يسمع النداء ليدخل عبد
الله الى البلد فدخلها وسيفه فى يده فلم يلق الا شيخا قتله وانصرف
وقد برت يمينه

قال ابن شداد : « ثم توجه عبد المؤمن الى المهديّة فكان وصوله
اليها ضحوة يوم الاربعاء الثانى عشر لرجب وبها حينئذ ولادة ملوك
الافرنج وأبطالهم وقد أخذوا زويلة فنزلها عبد المؤمن بمن حملته (١)
من خواصه ومن أهل الاسواق فعادت مدينة معمورة من يومها ،
واقبل الناس يقاتلون المهديّة مع الامام فلا يؤثر ذلك فيها لخصانتها
وضيق مأخذ القتال منها لان البحر دائر بأكثرها ، وكان الفرنج

(١) فى بعض النسخ « يحمله »

يخرجون منها فينهبون أطراف العسكر فأمر عبد المؤمن ببناء سور بين عسكره والمدينة ينعمهم من الخروج وركب عبد المؤمن في قطعة من قطعه ومعه الحسن بن علي الذي أخرج منها وطاف بها من البحر ، فهاله أمرها وعلم أنها لا تفتح بقتال وليس لها الا مطاولة الحصار وتوقع الاقدار ، فتماذى حصاره لها ستة أشهر ، وقال عبد المؤمن للحسن : ما الذي أخرج هذا المعقل من يدك ؟ فقال له : أخرجه انقضاء الامد ، وعدم الثقة بأحد ، فصدق عبد المؤمن واستحسن كلامه وكان الحسن فصيحاً معروفاً بذلك

ووصل من طاغية صقلية أسطول فيه مائة وخمسون مركباً غير الطرائد ، فحضر مقدمو (١) أسطول عبد المؤمن بين يديه فقالوا (٣) له : ان هذا الاسطول قد أقبل ولا يصل الا متفرقا بحكم النوء فلنأذن لنا في الخروج اليه فسكت عبد المؤمن فاغتموا سكوته وبادروا الى القطع فملئوها بما احتاجوا اليه من العدد وخرجوا واصطففت عساكر المسلمين على الساحل ، قال الحاكي : كنت حاضرا وعبد المؤمن يبكي ويسجد في الارض ويقول : « اللهم لا تضعضع دعائم الاسلام ! ولما قرب أسطول الفرنج من دار الصناعة خرجت اليه من المهديّة قطعة لتلقيه فبادر ابن ميسون الى أخذها ، وكان بعض أسطول الفرنج أيضا قد حط قلعته للدخول فأعجله أسطول المسلمين عن

(١) في بعض النسخ « مقدم »

(٢) في بعض النسخ « وقال »

الدخول واستولى على ثمانى قطع منه فاجتمع بقية الاسطول وولوا
منهزمين فسجد عبد المؤمن شكرا لله تعالى وفرق فى غزاة الاسطول
اثنى عشر الف دينار مؤمنية ، وأيس أهل المهدية من النصرة فنزل
فى أواخر ذى الحجة عشرة من فرسانهم فوقفوا بين يدى عبد المؤمن
وسألوه الامان لمن بها فى الانفس والاموال وأن يسبح لهم
بالخروج منها وكان قوتهم قد فنى فعرض عليهم عبد المؤمن الاسلام ،
فقالوا ما جئنا لهذا وانما جئنا نطلب فضلك وترددوا اليه أياما وقالوا
ما عسى المهدية وما فيها من الافرنج بالنسبة الى ملكك العظيم
وأمرك الكبير وان أنعمت علينا كنا ارقاءك فى بلادنا ، فرأى منهم
كمالا فى الاجسام وتؤدة فى الكلام فأعطاهم ما أرادوا وجهزهم
فى سفن الى بلادهم وكان الفصل شاتيا فلما قربوا الى صقلية هال
البحر عليهم فهلك أكثرهم

وتسلم عبد المؤمن المهدية وعاد اليها الاسلام فى يوم عاشوراء من
سنة خمس وخمسين ، ورغب الحسن الى الخليفة ليلى ذلك ، وولى على
المهدية أبا عبد الله محمد بن فرج الكومى ، وأسكن الحسن زويلة
فأقام بها عشر سنين الى أن توفى عبد المؤمن وولى ابنه أبو يعقوب ،
فوصل أمره بطلوع الحسن الى المغرب فطلع بأهله وولده وحاشيته
وذلك فى سنة ست وستين ، فلما وصل الى الموضع المعروف بتامسنا توفى

هنالك ببقعة تعرف بـ ثأبار زلوا (١) وقبره هنالك وكانت وفاته في شهر رجب من العام المذكور

ثم توفي أبو يعقوب وولى ابنه المنصور أبو يوسف ، فثار عليه بالمهدية محمد بن عبد الكريم الرجراجي (٢) وقبض على واليها اذ ذاك الشيخ أبو علي يونس ابن الشيخ أبي حفص وذلك سنة خمس وتسعين وخمسائة ، وكان محمد بن عبد الكريم هذا ممن نشأ بها وكان أبوه من جندها الساكنين بها المترتين (٣) فيها وهو مضاف الى قبيلة كومية ، وكانت ل محمد هذا شجاعة وبسالة ظهرت له في مواطن كثيرة مع الاعراب وغيرهم ، وكان قد جمع لنفسه خيلا ورجالا من الرعايا يضرب بهم على الاعراب المنقصة فيكف ضررهم واعتداءهم ، وعلم اقدامه وغناؤه فقدمه الوالى على ذلك واطلق يده فيمن عند منهم عن الامر ، فكان يقبض عليهم فيقتل منهم من يقتل ويحبس من يحبس ولا يطلق من حبسه الا بعد دفعه الاموال الكثيرة واعطائه العهود والمواثيق على الكف عن العناد والفساد ، فكانت العرب تهابه ولا تتنجع أرضا من أرضه الا باذنه فبعد صيته بذلك وسما ذكره وحصل الامن به في تلك الجهات فكان يدعى له في المساجد وفي عقب الصلوات

(١) في بعض النسخ « ايان زلوا » راجع كتاب العبر لابن خلدون (طبع الجزائر) ج ١ ص ٢١٠

(وطبع بولاق) ج ٦ ص ١٦٢

(٢) في بعض النسخ بزيادة « واستبد بنفسه »

(٣) في بعض النسخ « المرتقين »

واتفق أن قدم الشيخ أبو سعيد ابن الشيخ أبي حفص على إفريقية من قبل المنصور فولى على المهدية أخاه أبا علي يونس بن أبي حفص فلما وصل إليها واطلع على حال ابن عبد الكريم بها طالبه بأسهامه فيما يفتنه من أموال الأعراب المفسدين فامتنع ابن عبد الكريم من ذلك وطلب من الشيخ أبي علي أن يجريه على ما أجراد عليه الولاة من قبله فقبض الشيخ أبو علي عليه وأهانته وامتنعه فبعث ابن عبد الكريم إلى أخيه الشيخ أبي سعيد يستشفع به فأعرض الشيخ أبو سعيد عنه ، واتفق باثر ذلك أن عظم افساد العرب بالساحل وكثر التشكى منهم ، فألح الناس على الشيخ أبي علي في اطلاق ابن عبد الكريم وكادت تقوم بسبب ذلك فتنة فاضطر إلى اطلاقه ورد إليه جنده الذين كانوا متميزين بصحبته ، وأمره بالخروج لكف أولئك العربان عن الفساد فاغتنم ابن عبد الكريم ذلك وخرج عن المهدية مبادرا وضرب أخيته بظاهرها وأقام هنالك يومين إلى أن اجتمع لديه أصحابه فشكا اليهم ما فعله الشيخ أبو علي به وعرفهم أنه عازم على الغدر به ان وقعت منهم موافقة له ، فأجابوه إلى ذلك وصوبوا له رأيه فنهض بهم في ثلث الليل الاخير إلى المهدية فلما فتح بابها دخل إليها بمن أحب من جنده وأمر باغلاق الباب ثم بادر إلى قصر الشيخ أبي علي وكان ابن عبد الكريم متلثما فانكره البواب وأغلق باب القصر فحصر عن وجهه فعرفه ففتح له الباب وفر هاربا فدخل ابن عبد الكريم وجماعته إلى القصر ، وسمع الشيخ أبو علي

أصواتهم فخرج الى رجة القصر عاريا من السلاح وقبض ابن عبد
الكريم عليه وإجب قتله فتشفع فيه بعض أصحابه فاستحياء وثقفه
فى موضع من القصر وذلك فى شهر شعبان من سنة خمس وتسعين
المذكورة ، فلم يزل هنالك الى أن وصل قداؤه من قبل أخيه الشيخ
أبى سعيد بن أبى حفص على يدى محمد بن عبد السلام الكومى
وذلك خمسمائة دينار ذهبا ، فأطلقه ابن عبد الكريم بعد امتناع وإباء
وانما أطلقه بشفاعة ابن عبد السلام المذكور وكان صهرا لابن
عبد الكريم

ووصل الشيخ أبو على لآخيه الشيخ أبى سعيد بتونس فزجره
وهجره ولم يزل غاضبا عليه مدة من زمان ، واستبد ابن عبد الكريم
بحصن المهدية وتسمى من الاسماء السلطانية « بالتوكل على الله ،
وكانت الكتب تنفذ عنه بذلك وقوى أمره ، ووصل الى تونس
السيد أبو زيد ابن السيد أبى حفص بن عبد المؤمن وإليا ، فعزم ابن
عبد الكريم على محاصرته فحشد جموعه ووصل الى تونس وذلك
فى سنة ست وتسعين ، وكان الشيخ أبو سعيد اذ ذاك بها معزولا فدار
ابن عبد الكريم بعسكره الى جهة قرطاجنة فضرب أخيته وخيامه
عند مدخل البحر الى البحيرة وهو المكان المعروف بحلق الوادى ،
فأمر السيد أبو زيد عند ذلك بتسيير القطع فى البحر وخروج
العسكر فى البر ، وكان ابن عبد الكريم قد أكنن للجيش كميناً فى
بعض المواضع فلما وصل عسكر تونس ووقع القتال بينه وبين ابن

عبد الكريم خرج ذلك الكمين فولى العسكر منهزما وقتلت منه مقتلة عظيمة ولم ينج منه الا القليل وترامى منه جماعة فى البحر فقتلوا هنالك وانبسطت جموع ابن عبد الكريم فى تلك الجهات فأخذوا من المرسى المعروفة (١) بمرسى البرج أموالا كانت للناس هنالك وأمتعة ، وانتهبوا من تلك القرى ما قدروا عليه

وبعث السيد أبو زيد والشيخ أبو سعيد الى ابن عبد الكريم أشياخا من الموحدين يعيرون عليه فعله ويذكرونه انتشاء الى الموحدين ويسألونه الرجوع عنهم فأجاب الى ذلك ورجع الى المهديّة فأقام بها أشهرا ، ثم حدثته نفسه بحصار يحيى بن اسحاق الميورقى وهو اذ ذاك بقابس وقد حدثت بينهما وحشة ، فغلف على المهديّة إنه عبد الله وتوجه الى قابس فلما أشرف عليها هاله أمرها وعلم أن لا طاقة له بها فارتحل عنها الى قفصة وحكم عليها ، وعند استقراره بها وصل اليه الخبر أن الميورقى خرج من قابس فى أتباعه فخرج ابن عبد الكريم بجيوشه من قفصة ونزل بقصور لالة ووصل اليه الميورقى فالتقيا هنالك فكانت الهزيمة على ابن عبد الكريم وولى هارباً لا يلوى على شىء الى أن حصل بالمهديّة ، وتسرب اليه من سلم من جنده فحصلوا بها واحتوى يحيى على أخيته وجميع أمواله وأتبعه الى المهديّة فنزل عليها محاصرا له وذلك فى أول سنة سبع وتسعين

وكان من دهاء الميورقي أن بعث الى السيد أبي زيد بتونس يسأله
السلم ويطلب منه في أثناء كتابه الاغاثة بقطع في البحر يتمكن بها
من ابن عبد الكريم وكان السيد أبو زيد حقد على ابن عبد الكريم ،
فأجابه الى ذلك وبعث اليه قطعتين فلما رآهما ابن عبد الكريم سقط
في يده فأجمع على توجيه ابنه عبد الله الى الميورقي ليصلحه على
تسليم المهديّة اليه ويشترط المسألة في أهله ونفسه وماله فأجابه الى
ذلك ، وزجع عبد الله فأخرج أباه من المهديّة وتوجه الى يحيى للسلام
عليه فلما وقعت عينه عليهما أمر بهما فصرفا الى خيمتين ثقفا بهما
متفرقين وحصل يحيى بحصن المهديّة واستولى على ما كان لابن
عبد الكريم بها من الذخائر السنية ، ثم أدخله هو وولده الى المهديّة
فثقّفهما في بعض سجونها فلما كان بعد أيام يسيرة أخرج الاب من
السجن ميتا لا أثر به فسلم الى أهله فدفنوه بقصر قراضة وبقي ابنه
عبد الله يتوقع الموت كل ساعة الى أن أخرجه يحيى وأظهر نفيه الى
جزيرة ميورقة ليكون هنالك تحت نظر أخيه فعمر له قطعة توجه
فيها فلما حاذى أرباب السفينة به القل بمقرية من قسنطينة ألقوه
بقيده في البحر فانقضى أمر ابن عبد الكريم وولده

وحصلت المهديّة للميورقي فكلم يبق له بافريقية منازع وحصلت تحت
بيعته طرابلس ، وقابس ، وصفاقس ، وبلاذ الجريد كلها ، والقيروان ،
وتبسة ، ووصلت بيعته بونة فبنى على محاصرة تونس ، وكان نزوله

على تونس يوم السبت من الشهر المذكور فنزل بالجبل الأحمر من
جهة جوفها وأقام هنالك أياماً ثم انتقل منه فنزل بين بابي السويقة
وقرطاجنة ونزل أخوه الغازي بن اسحاق على الموضع المعروف
بحلق الوادي حيث يصب البحر في البحيرة فردمه ردماً حتى صار
أرضاً يساً وقطع تصرف القوارب الداخلة اليه والخارجة عنه ، وترك
عليه من يحرسه ، وتوجه فنزل بقبلي المدينة بمقربة من باب الجزيرة
وردم الخندق الذي هنالك ردماً ونصب امام الباب مجانيق وآلات
من آلات الحرب وأقام محاصراً لها كذلك أكثر من أربعة أشهر
فلما كان يوم السبت السابع من شهر ربيع الآخر من سنة
ستمائة استولى على البلد وقبض على السيد أبي زيد وولديه وجماعة
من أشياخ الموحدين فتقفوا بدار بنيت لهم بداخل القصبة وجعل
عليهم من يحرسهم ، وأمن أهل تونس في أنفسهم ورباعهم ، وأغرمهم
مائة ألف دينار ، ذكر أنها هي التي لزمته في النفقة عليها ، قسطها أهل
تونس على أنفسهم بحسب أحوالهم وسعة أموالهم ، وجعل قابضاً
عليها أبا بكر بن عبد العزيز بن السكاك من أهلها ، ولحقهم في
استخلاصها من العناء والشدة على يد ابن عصفور ثقة الميورقي
وكانت ما أدى إلى قتل جماعة منهم أنفسهم ورأوا ذلك أرواح لهم ،
ومن جملتهم عبد الرافع المقدم على قبض مال المخزن وغيره من
الناس ، ولما علم الميورقي بهذا أمر برفع الطلب عن أهل تونس

فيما بقي قبلهم من مال المغموم وذلك خمسة عشر ألف دينار ، وعامل الناس بالاحسان ، ونادى فيهم بالامان ، وقد وقفت له على ظهور بصرف بعض أملاك بني التجاني عليهم مما تطرق اليه النزول حين دخوله وقبل ذلك وتاريخه الثامن لذي قعدة من سنة ستمائة

وفى أثناء ذلك بلغه عن أهل جبل نفوسة توقف عن أداء مغمومهم ، فخرج بنفسه اليهم واستصحب معه السيد أبا زيد وولديه يرحلون برحيله وينزلون بنزوله الى أن استوفى من أهل نفوسة مغمومهم وعاد الى تونس واستقر بقصبتها ، واتصل بالناصر ما دهم افريقية منه ومن ابن عبد الكريم قبله ، فانتفض (١) لذلك وأخذ في الحركة اليها وكانت الاخبار ترد على الميسورقي بحركته فيدفعها الى ان وصل رجاله فأخبروه بوصول الناصر الى بجاية ، فوجه حيثئذ ذخائره وأمواله الى المهديّة لتكون تحت خياطة ابن عمه على بن الغازي ، وخرج من تونس فوصل الى القيروان وأقام بها أياما ثم انتقل منها الى قفصة فاجتمع بالعربان هنالك وأخذ مواليقهم ورهائنهم على الخدمة معه

وبلغه في خلال ذلك أيضا عن أهل طرة من بلاد نفزاوة ما أوجب أن ارتحل اليها فأطلق أيدي الجند عليها فقتلوا كثيرا من أهلها وانتهبوا أموالهم وأطلقوا النار في بعض دورهم ، وقد أشرنا الى ذلك قبل هذا ثم انتقل الى حمة (٢) مطماطة ووصله الخبر أن الناصر

(١) في بعض النسخ « فانتفض » وفي بعضها « فانتفض »

(٢) في بعض النسخ « حامة »

نكب عن طريق تونس وأخذ على طريق قفصة فى اتباعه ، فانتقل الى
جبل دمر متحصنا به ، ووصل الناصر الى قفصة فأقام بها أياما ، ثم
توجه الى قابس مستفهما عن أخبار يحيى فعرف بانتقاله الى جبل
دمر فولى على قابس بعض ولاته وتوجه الى المهديّة فبرز (١) عليها
بجموعه ونصب عليها آلات الحرب ، وقدم فى أثناء ذلك الشيخ
المقدس أبو محمد عبد الواحد بن أبى حفص لقتال الميورقي ، فتوجه
الشيخ أبو محمد بجيش ضخم اليه فأحب يحيى الفرار من الجبل الى
الصحراء فشجعه أصحابه وحرصوه على الثبوت له فالتقى ، فكانت
للشيخ أبى محمد عليه الوقعة المروفة بوقعة تاجرا وقد تقدم ذكرها
قبل هذا ، وقد استأصل فيها كثيرا من أجناد يحيى وأجلت الحرب
عن قتل أخيه جبارة وكتبه على بن اللطى وعامل يقال له الفتح بن
محمد ، وفر يحيى فى شرذمة قليلة ، وكان قد قدم عياله وأهله على نحو
خسة فراسخ من المعركة فلما فر أخذهم بين يديه ولولا ذلك
لسبوا ، واستنقذ الشيخ أبو محمد من يده السيد أبا زيد حيا بعد
أن ضربه الموكل به بسيفه ضربات قصد به قتله فاعجل (٢) عن
الاجهاز عليه واستنقذ أيضا جماعة من الموحدين سواد كانوا فى يده
وأخذ رايته السوداء ، وأحاط الموحدون بجميع ما فى العسكر من
الاموال والابل فانتهبوها ، ورجع الشيخ أبو محمد بجميع ذلك الى

(١) فى بعض النسخ « فبرز »

(٢) فى بعض النسخ « اعجز »

الناصر وهو محاصر للمهدية فأركب الامين الموكل بثقاف الشيخ أبى زيد على جبل سام شهرة له ويده الراية السوداء فطيف به على المهدية وكانت الهزيمة فى الثانى عشر لشهر ربيع الاول سنة اثنين وستمئة ورفع حمادى المالى المشهور بالابداع فى قطع الكاغط (١) هذين البيتين مقطوعين فى الكاغط (١) (وافر)

رأى يحيى إمام الحق ياتى قفّرُ أمام من وافى إليه
فشبهت الشقي ياء يفرى (٢) ولأم الأمر قد دخلت عليه

وكمل التبريز بالفنائم على ملاحظة من المحصورين بالمهدية وهم مع ذلك مكذبون بهزيمة يحيى مفحشين فى السب وألح الناصر فى قتالهم وجمع المجانيق على جهة واحدة فى السور (٣) حتى كثر القتل والجراحات فيهم وتحققوا انهزام يحيى فسقط فى أيديهم وطلبوا الامان فأسعفوا به ونزل على بن الغازى وأتباعه وشيعته على أن يخلى سبيلهم ويسلموا البلد ويكونوا فى أمان الموحدين الى أن يصلوا الى يحيى حيث كان ، وكان ذلك فى السابع والعشرين من جمادى الاولى فكان بين هزيمة تاجرا وفتح المهدية أربعة وسبعون يوما

(١) فى بعض النسخ « الكاغط » وفى بعضها « الكاغيط » وفى بعضها « الكاغذ »

(٢) فى بعض النسخ « يفرى » وفى بعضها « يقرى »

(٣) فى بعض النسخ « الصور »

وخرج على بن الغازى عن المهدية بجملته وحاشيته فضرب أخيته بقصر قراضة فبات هنالك تلك الليلة ثم دعت نفسه الى الدخول (١) تحت طاعة الموحدين فبعث الى الناصر يعرفه بذلك ويقول الان اطعت بعد أن صرت فى حكم نفسى ، فاستحسن الناصر ذلك منه واستدعاه وأحسن اليه وأنزله عنده ، ووافق ذلك وصول مملوك الناصر ناصح صاحب ديوان سبته بالهدايا العظيمة التى جمعها فى المدة الطويلة وكان فيها ثوبان قد نسجا بأنواع الجواهر وجعلت فيها أعلام من اليواقيت والاحجار النفيسة ، فأمر الناصر بحمل جميع الهدية الى على بن الغازى فمات ناصح عن اثر ذلك كمدا وترك ابنين كالبدرين (٢) قال فيهما أبو الحسن بن حجرى (٣) الاشيلي :

(رمل)

ناصر قد كان عبداً ناصحاً فى جميع (٤) الأمر حتى فى البنين لم يلد إلا هلالاً نيراً فاتناً حيث بدا للنظارين وأقام على بن الغازى مع الناصر الى أن توجه الى تونس فتوجه صحبته ثم طلع معه الى مراکش وتحرك الموحدون الى الفزو لجزيرة الاندلس فتحرك معهم فاستشهد بها مع من استشهد من الموحدين رحمهم الله تعالى

(١) فى بعض النسخ « بالدخول »

(٢) فى بعض النسخ « كالبدر »

(٣) فى بعض النسخ « جدر »

(٤) فى بعض النسخ بياض وفى بعضها « فى امر ... » وفى بعضها « فى جميع الامور »

وعفا الناصر عن جميع من كان بالمهدية من المقاتلين وغيرهم واشتغل برم سورها ، وترتيب أمورها ، ثم ترك الشيخ أبا عبد الله محمد بن يغمور الهنتاتي واليا عليها من قبله وكان انتقاله عنها في الموفى عشرين لجمادى الاخرى سنة اثنين

ونفذت كتب الفتح الى المغرب والاندلس من منزل أبي نصر في الثاني والعشرين من الشهر المذكور ، واستقر بتونس في غرة رجب فأقام بها بقية العام المذكور وأكثر عام ثلاثة وستمئة بعده ولما كان شهر رمضان منه أشاع الحركة الى المغرب وتحدث مع أشياخه ومدبري دولته فيمن يترك بإفريقية فأجمعوا على الشيخ أبي محمد ابن الشيخ أبي حفص ولم يختلف في ذلك اثنان (١) وكانهم (٢) أرادوا بعده عن الخلافة ليجدوا السبيل الى أغراضهم فأمر الناصر بعض خدامه في الحديث معه في ذلك استحياء من مواجهته (٣) به فامتنع ولم تسمح نفسه بمفارقة وطنه ، ففاوضه الناصر في ذلك بنفسه فاعتذر له ببعد الشقة عن خلفه بمراكش من أهل وولد وبما يستلزم ذلك من مفارقة الخليفة والبعد عنه ، ونظر الناصر فلم يجد عوضا عنه ولم يرد اكرامه على المقام فحكى نبيل مملوك الشيخ أبي محمد رحمه الله قال : بينما انا جالس على خباء الشيخ ليلة اذ بضوء قد خرج من مضارب الخليفة فاذا بشرذمة من الخدم والفتيان

(١) في بعض النسخ « الا اثنان »

(٢) في بعض النسخ « لانهم »

(٣) في بعض النسخ « وجأهته »

قد قصدوا نحو خباء الشيخ، قال: فمرفقه بذلك، قال: اذا وصلوا فافتح لهم، فلما وصلوا فتحت لهم فدخل ولد الخليفة الناصر ومعه ولد الشيخ أبى محمد من ابنة المنصور وهو المعروف بالسيد أبى الحسن، وكان الناصر خاله قد رباها مع ولده يوسف المستنصرولى عهد واختصه كولد فوجهه مع ولده ليقدر أنه بمنزلة الولد ومعهما سالم الفتى مربى الناصر وفتيان آخرون سواد فقام الشيخ أبو محمد لولد الناصر وأجلسه معه وقال له: ما حاجتك أيها الطالب ولو كان عندى غير نعمتكم لقابلتكم (١) به فقال له الفتيان كرامته قضاء حاجته فقال نعم حاجته مقضية فقال له الولد: ان مولانا وسيدنا يخصك بالسلام ويقول لك هذه البلاد هى من أول هذا الامر العزيز مع هؤلاء، الثوار فى أمر عظيم، وتحت ليل بهيم، وقد وصل اليها سيدنا عبد المؤمن وسيدنا أبو يعقوب وسيدنا المنصور وما منهم الا من انفق عليها أموالا، وأفنى فى الحركة اليها رجالا، والمشقة شديدة، والشقة بعيدة، وما عاد واحد منهم الى حضرت الا وعاد الويل، وأظلم ذلك الليل، وهذه الدعوة كما يجب علينا القيام بها والذب عنها كذلك يجب عليك، وقد طلبنا فى جميع اخوانك السادة وأعيان أهل الجماعة من ينوب عنا فى هذه البلاد فلم نجد عنك معدلا (٢) فانحصر الامر الينا واليك، فاما ان تطلع الى حضرة مراکش فتقوم

(١) فى بعض النسخ: «لقابلتكم».

(٢) فى بعض النسخ: «معدلا».

هنالك مقامنا وتقيم نحن بهذه البلاد ، أو نطلع نحن الى حضرتنا ، فقال الشيخ : يا بنى أما القسم الاول فهو مما لا يمكن وأما القسم الثانى فأجبت اليه على شروط ، فسر الولد بذلك وقبل يده وقبل الشيخ أبو محمد رأسه وانفصلوا وكأنما كان عندهم تلك الليلة فتح جديد بالسرور الذى عندهم ، والطمانينة مما كان أهمهم

ثم خلا الناصر به مستفهما عن شروطه فاشترط أن لا يتولى افريقية الا بقدر ما تصلح أحوالها وينقطع طمع الميورقى عنها ويتخير الناصر فى رجاله من يوجهه عوضا عنه وجعل النهاية فى ذلك ثلاث سنين ، وأنه يعرض عليه الجيش فيبقى معه من يقع اختياره عليه ، وأنه ان فعل فعلا كائنا ما كان لا يسأل عنه ولا يعاتب فيه ، وأن من بقى بعد انفصال الناصر واليا على بلد من بلاده افريقية فهو فيه بخير النظرين ان شاء ابقاه وان شاء عزله ، وغير هذه الشروط والناصر مقبل عليه قابل لشروطه ، وبعد تقرر ذلك خرج الناصر متوجها الى المغرب وذلك فى السابع من شوال ، وصحبه الشيخ أبو محمد ثلاثة ايام رحل معه فيها الى باجة

وكان أهل تونس عند خروج الناصر قد وقفوا ورفعوا أصواتهم بين يديه مشفقين من الميورقى وخائفين أن يصل اليهم بعد انفصال الخليفة عنهم ، فاستدعى الناصر وجوهم وقربهم منه وكلمهم بنفسه فقال انا قد اخترنا لكم من يقوم مقامنا فيكم وآثرناكم به على شدة حاجتنا اليه وهو فلان ، فتباشر الناس بولاية الشيخ أبى محمد اذ كان

لا يكاد يسمع له كلام ما دام راكبا الى أن ينزل وكان يلقب بالصامت ، ورجع الشيخ أبو محمد من باجة الى تونس واليا على جميع بلاد افريقية ، وكان أول جلوسه للناس في القصبة يوم السبت العاشر من شوال من السنة المذكورة وهي سنة ثلاث وستمائة ، وبقي ابن يغمور حافظا بالمهدية الى أن عزل عنها بعد ذلك وتوالت عليها حفاظ من الموحدين

وولى الامير أبو زكرياء رحمه الله عليها (١) ابن عمه أبا علي عمر ابن عيسى ابن الشيخ أبي حفص وذلك في شهر رجب من سنة ثمان وثلاثين ، فبقي واليا عليها الى أن توفي بها في الثاني عشر لفر من سنة ست وأربعين ، وكان أبو علي هذا واليا على بسطة فلما دعا أبو العلاء لنفسه وكتب الى ولاية البلاد بالدخول تحت طاعته امتنع أبو علي من ذلك وقال : أنا لا أباع حتى أرى ما يكون من الامام بمراكش وكتب لابي العلاء في جواب كتابه قوله سبحانه : قل يا أيها الكافرون الى آخر السورة ، فلما ثبت عنده موت عبد الواحد المخلوع بايع أبا العلاء وتوجه اليه الى اشيلية فدخل عليه وقبل يده وكان أبو زيد بن يوجاق (٢) حاضرا فجعل يثنى عليه وكان في جملة ما أثنى عليه أن قال : وهو حافظ للقرآن ففهمها أبو العلاء (٣) وقال : وإخاله لسورة

(١) وقعت هنا زيادة « باخوة » في بعض النسخ

(٢) في بعض « يوجان »

(٣) في بعض النسخ « العادل » وفي بعضها « العادل »

المفصل احفظ منه لغيرها ، ولم يضره ذلك عنده بل ولاه حيان التي
بسطة من أعمالها

ولما عزم أبو العلاء على تسليم حيان للنصارى وكتب بذلك الى
أبى على تورع أبو على أن يفعل ذلك وجمع أهل البلد فقال لهم
شأنكم وبلدكم فانى لا أخرجه من يدكم لاحد من أعداء الملة ولا
من أعدائكم ، فأخبروه أن ارادتهم مبايعة ابن هود فبايعه معهم ثم
ارتحل اليه بنفسه فأعظم قدومه ولم يزل عنده تحت بر واکرام الى
أن ركب البحر الى افريقية ، فولاه الامير أبو زكرياء على بجاية ثم
نقله منها الى بونة ثم الى المهدية كما تقدم ، وهو شاعر مجيد وقفت
على ديوان شعره فى مجلدين (١) ومنه قوله - وبعثه الى قبر النبى ، صلى
الله عليه وسلم من اشيلية - : (منسرح)

إليك ألقى بمذر محتشم مرتحل القلب ساكن القسدم
أصبح من قصده على أمل ومن لظى شوقه على ألم
يتبع ركب الهدى إليك أسى ما شاء من جيرة ومن ندم
برح (٢) شوق به إليك فيما ينفك ما لم يزرّك في ضرم
ألوى به عن بلوغ نيته حُكم زمان عليه محتكم
فزممة تلتوى على عقب وهمّة ترتضى إلى أمم

(١) فى بعض النسخ : فى مجلد *

(٢) فى بعض النسخ : يروح *

يا خير من تنقل المطي له عذري في اللبث غير متهم
عبدك لو يستطيع جاب اليك القفر في غيـهـب من الظلم
يسمح ما ين حنص منه إلى يشرب برًا بوجهه وقـم
ولي ذنوب قد عُنقني ثقلًا لولا أذني ثقلهن لم أقـم
يرجوك يا شافع البرية ان تشفع فيه لبارئ السم
عسى قبول لديك يلحقني بقبرك المستنير والحرم
وصاحبك اللذين خصهما بنعمة القرب منك ذو النعم
فقد توسلت بالذي لك عند الله من عفة ومن عظم
صلى عليك الإله ما اتصفت اوصافه بالجلال والكرم
قال ابن البار في الحلة السراء : وكتب الى مع تمر أهـداه : (طويل)
اتك خليقات بحسن الخلائق بها غنية عن كل ما في الحقائق
سيلات جبار حكت وسط دوحه خوافق بالمران بين القياتق
وله في صواب أهدي اليه وألغز في وصفه من أبيات : (مقارب)
بعث بما يشتهى يابن عم فدمت ودامت لديك النعم
بابيض كالمحض لكنه به شدة تستير القـرم
لسطوته سورة بالأنوف وليس - لعمرك - مما يشـم

شفاء ولكن نِعَمًا (١) الشفا لمن ظل يشكو بداء البشم
وقد يجتري الجفلى باليسير منه واكن لأمر يذم
ووقع له فى قصيدة مدح بها ابن عمه الامير أبا زكرياء : (سريع)
وان من أقبح شيء يرى عقلة يملكها وغد
او حلة تلبسها عادة وجيبها فى صدرها لبند
فكان الامير أبو زكرياء وشعراؤه يتضحكون بهذا ، وينسب كثير
من الناس له هذين البيتين : (سريع)

بكفيك يا معتقل السميري ما نالنا من طرفك الأخور
ان كنت من جندك فى قلة فأت من لحظك فى عنكر
وانما هما لآخيه عبد الرحمن بن عيسى وقد ذكرناه وأخاه فى
كتاب الدر النظيم بأنهم من هذا
وفضلاء المهديّة وشعراؤها كثيرون لو أخذنا فى استقصائهم
لطال الكتاب بهم

وفى انموذج ابن رشيق منهم من له البدائع كعبد الله بن ابراهيم
ابن مثنى ، وعلى بن عبد الكريم بن أبى غالب ، ومحمد بن حبيب ،
ولابن رشيق كتاب «الروضة الموشية» فى شعراء المهديّة، ذكر فيها من
يطول تعداده ، ولعثمان بن أبى القاسم بن عبد الرحمن بن

حشرون (١) المهدوى كتاب « المختار فيما انتقاه لاهل عصره من الاشعار ، وفى كتاب « خريدة القصر ، لعماد الدين أيضا جماعة من أهل المهديّة وتتبعهم يخرجنا عن مقصود كتابنا هذا ، ولا بأس بذكر من أمكن منهم ممن أدر كناه بعصرنا أو أدر كه شيوخرنا . وكفى بالمهديّة فخرا بعالميا وصالحيا أبو القاسم بن على بن عبد العزيز بن البراء التنوخى ، وأبو عبد الله محمد بن على بن ابراهيم بن الحجاز اللواتى

أما أبو القاسم منهما فكان مولده بها فى حدود الثمانين وخسمائة ، وكان رحمه الله أحد العلماء الاعلام الحفاظ المكارين فى أنواع العلوم ، وكان فى أول أمره زاهدا فى الدنيا وأبنائها ، معرضا عن ملوكها وأمرائها ، ثم جرت محن له آلت به الى مراجعة ما كان معرضا عنه ، فحين أقبل عليها أقبلت عليه وانتهت اليه بالحضرة رئاسة العلم ورئاسة القرب من السلطان ، وكانت وفاته بها فى يوم الخميس العاشر من شوال سنة سبع وسبعين ، وقد كان ارتحل الى المشرق سنة اثنين وعشرين فسمع بالحرمين الشريفين وبالقاهرة ومصر والاسكندرية من جماعة يطول تعدادهم ، وقد ذكرهم فى جزء خاص بهم ، ولم أقف له على شعر الا على قوله - فقد ضربت اجزاء الدنانير العشارية والحماسية فى عام ثلاثة وسبعين : (طويل)

بدا الذهب الابريز من كف ماجد سما بالمعالي والكبير كبير
امام ترى الاملاك يصفر قدرها اذا ذكرته والصغير صغير
وتحتقر الدنيا باجمعها لدى ندى راحته والحقير حقير
لقد جل قدراً ملكه واعتلاؤه فليس يضاهي والخطير خطير
واما أبو عبد الله فكان من اجل أهل زمانه ديناً وعلماً وفضلاً ، ولد
بالمهديّة سنة ست مائة وتفقه بها على أبي زكرياء النبرقي (١) وارتحل
الى المشرق فأخذ به عن جماعة يطول تعدادهم وحج وتوجه الى
بغداد فقرأ بها « الحاصل » على مؤلفه تاج الدين أبي عبد الله محمد بن
الحسين الارموي (٢) وآب الى حجة ، بعلوم حجة (٣) فدرس وأفتى ثم
نقل الى الحضرة ، فتقلد قضاء الجماعة بها سنة ستين ثم صرف عنه في
شهر رمضان من سنة اثنين وستين ثم رد عليه في السابع عشر لذي
قعدة في سنة سبع وستين ، وكانت وفاته رحمه الله ببلده في السابع
والعشرين لجمادى الاخرى من سنة ثلاثة وثمانين ، وولده أبو
القاسم صاحبنا سري (٤) النفس على الهمة حسن الاخلاق وهو الان
بالحضرة بخط بخط العلامة الصغرى وله شعر ضعيف أنشدني
نفسه يتنزل : (طويل) -

(١) في بعض النسخ « البوني »

(٢) هو الحامل من المصنوع في الأصول للقاضي تاج الدين محمد الارموي المتوفى سنة ٦٥٦

راجع كشف الظنون (طبع لندن) ج ٥ ص ٤٢٤

(٣) في بعض « بعلم جم »

(٤) في بعض النسخ « طيب »

تَبَدَّتْ قَقَالُ الْقَوْمِ قَدْ طَلَعَ الْبَدْرُ مَهَابَةً (١) بِقَتْلِ الْعَاشِقِينَ لَهَا خُبْرُ
سَرَتْ فَأَسْرَتْ فِي فُؤَادِ مَحَبَّهَا سَرَائِرُ وَجَدَ يَسْتَبِينُ بِهَا السَّرُّ
وَأُجِيتَ إِذْ حَيَّتْ وَمُنَّتْ بِأَسْنَمِهَا لِنَفْسٍ كَثِيبٍ كَادَ يُتْلِفُهُ الْهَجْرُ
لَهَا اللَّهُ مِنْ قَتَانَةِ الْإِحْسَنِ طَرْفَهَا تَقَاصَرُ عَنْهُ النَّبْلُ وَالْبَيْضُ وَالسُّمُرُ
إِذَا مَا بَدَتْ طَاشَتْ عَقُولُ ذَوِي النَّهْيِ فَتُقْتَحَمُ الْبُلُوبُ وَيُسْتَعَذَّبُ الْمُرُّ
فَكُم سَلَبَتْ لَبًا وَكُم وَلَهَتْ ظَنًا وَكُم فَعَلَتْ بِالْعَقْلِ مَا تَفْعَلُ الْخُمْرُ
وَكُم تَقَضَّتْ عَهْدًا وَكُم عَقَدَتْ جَفَاً وَكُم وَعَدَتْ لَكِنَّ شَيْتَهَا الْغَدْرُ
وَمَهْمَا شَكُوتِ الْحَبِّ قَالَتْ هُوَ الْهَوَى فَاوْلَهُ قَرَبٌ وَآخِرُهُ قَبْرُ

ومن شعراء المهديّة وعلمائها الذين حدثنا أسيّاخنا عنهم: أبو عبد الله
محمد بن إبراهيم بن عثمان الزناتى المعروف بالحنفى، ولد بها وهو من
أعيانها وارتحل الى المشرق فدرس بدمشق مدة ثم انتقل الى الموصل
فانتحل مذهب أبى حنيفة واشتغل به حتى صار اماما فيه واشتهر
بالتسبب اليه فلا يعرف فى افريقية الا بذلك، ولم يكن فى هذه
المعصور كلها ببلاد افريقية حنفى غيره، ولما عاد من المشرق لزم
سكنى المنستير المتعبدة المشهور بالفضل تحت جراية من الامير
أبى زكرياء رحمه الله، وكان اذا وفد على الحضرة اجتمع بالامير أبى

زكرياء وجلسه . حدث عنه أشياخنا الفقيه أبو يحيى بن عبد الكريم
العوفى ، وأبو عبد الله محمد بن أبى القاسم القيسى الأزدي ، وأنشدنا
أبو عبد الله محمد القيسى المذكور قال : أنشدنى الحنفى لنفسه يذم
بلده ويصف أهلها بالبخل الأبيات المشهورة : (طويل)

إذا حلّ بالمهديّة الضيف نازلاً يروم القري زفت إليه الكوامل
إذا حسروا عنها المناويل أشدت وما السيف إلا غمده والحمائل
وبين هذين البيتين بيت أضربت عن ذكره (١)

وكان بالمهدية قاض ذبح قردا لاذيته فقال فيه ابن أبى الحواجب
المهدوى وهو أحد شعرائها نفاه الإمبر أبو زكرياء رحمه الله منها الى
المشرق : (منسرح)

غرائبُ الدهر قد كثرن ولا أغرب من حكم ذابح القِرَدَةِ
أحلّ ذبح القروء محسباً وجرم الفضل بسما اعتمده
فقال الحنفى :

عاب عليه صنيعه نفرٌ وما درى الجاهلون ما قصده
يذبح من كان شبه صورته لكي تُرى في الوجود منفرده

(١) يوجد فى طرر بعض النسخ ما نصه « والبيت الذى اضرب عن ذكره هو قوله
صحاح حكى عن ام موسى فزادها يقال فيها حسه ويماطل
وانما اضرب عن ذكره لما فيه من التشبيه بالصديقه ام موسى عليه السلام وغلط الجذ بالهزل

وكانت وفاة الحنفى فى الثالث عشر لصفر من سنة خمس وخمسين وستمائة

ومن شعرائها ورؤسائها المنسوبين الى بعض منازلها الكاتب الاديب أبو العباس أحمد بن ابراهيم القيسى الليلانى وهو منسوب الى قرية من قرى المهديّة تعرف بلليانة - بضم اللام الاولى وكسر الثانية - هكذا تعرف وكان أبوه مشغلا بأعمال المهديّة ونشأ أبو العباس نشأة طلب وأدب فتفقه بالمهديّة على البرقى وتأدب ثم نهض الى الحضرة ، فولى بها الاعمال الجليلة وساعدته الدنيا فبلغ من الرئاسة فيها الغاية القصوى وكان يحدث نفسه بأمر كبير يدل عليها قوله : (مجثث)

فى أمّ رأسي حديث لسمع ليس يذكّر
فإن تطاول عمري وساعد الجّد يظهر
أرى جموعا صحاحا ومذهبي أن تكسّر

وشاع فى كلام العامة : ويل للامة ، من سبع جبة فلما كان فى شهر المحرم من سنة تسع وخمسين دخل أبو العباس أحمد بن ابراهيم الغسانى على الخليفة المستنصر وكان ذلك اليوم يوم مطر فقال السلطان مستدعيا للاجازة « اليوم يوم المطر ، أجزيّا أحمد فقال « واليوم رفع الضرر ، فتنبه السلطان لما سمع وقال : ايه ، فما بعد هذا ، فقال : (رجز)

والعام عام تسعة كمثل عام الجوهري

وكان القبض على الجوهري وقتله في عام تسعة وثلاثين فكانت هذه الاجازة سبباً في القبض على الليلاني ، وطولب بدفع الاموال وكان يدفعها شيئاً فشيئاً فلما استخلص ما عنده عذب الى أن مات وذلك كله في شهر المحرم من العام المذكور، ومن شعر الليلاني قوله:

(كامل)

هذا العذيبُ وهذه نجدُ	أين الذي يقضي به الوجدُ
ما هكذا حال المحبِّ اذا	أعلام ربيع حبـيه تبدو
سِرَّحُ دموع العين مبتدراً	وبذكر ماضي عهدهم فاشدُ
والثَّم على شَغَفِ مواطئهم	ان عاق عن مقصودك البعدُ
لم أنس يوم وداعهم سَحَراً	والدمع أسلم ذرّه العِقدُ
هز الصبا اغصاناً بانهم	فتعانقت وتواجد الرندُ
هذا العذيبُ بدت له عَذَبُ	في ظلّها قد خيم المجدُ
لا يُخَفِّقُ المسعى إذا خفقت	أعلامها بل ينجح القصدُ
فغسى اللقاء يكون مقترنا	ان انجذت كلفاً بها نجدُ
ولعلّ ما نرجو تجود به	كفّ الزمان ويسعد الجُدُ

وقوله (خفيف)

خَلِيَانِي يَا صَاحِبِي وَنَجْدَا هِجْتُمَا بِالْمَلَامِ شَوْقَا وَوَجْدَا
فَلِنَجِدْ بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَدَّ مُسْتَجِدَّ مَا دَامَ رَبْعاً لِسُعْدَى
لَا تَقُولُوا مَرَامَ سَعْدَى بَعِيدَ رَبِّ سَعْدَ اتَى فَقَرَّبَ بُعْدَا (١)
أَهْلَ وَدِّي مَا حَلَّتْ عَنْ حِفْظِ عَهْدِي وَهَوَاكُمْ مَا غَيَّرَ النَّبَأُ عَهْدَا
كَيْفَ أَنْسَى عَهْداً كَرِيماً وَأَنْسَا بَذَلَا لِي مِنْ خَالِصِ الْوَدِّ شَهْدَا
أَرْشَفَانِي مَا شَفَّنِي وَشَفَّأَنِي مِنْ بَرِّودٍ أَحْبَبَ بِذَلِكَ وَرِدَا
خَيْرَ عَيْشٍ مَصْقُولُ تِلْكَ اللَّيَالِي حَبَّاهُ مِنْ طَيِّبِ عَيْشٍ مُفَقِّدَى
إِذَا يَظْطِئُنِي الْمَدَامَةُ بَدْرَ يُخْجِلُ الْبَدْرَ نُورُهُ إِنْ تَبَدَّى
إِنْ دِينِي وَمَذْهَبِي لِلتَّصَابِي لَا أَرَى غَيْرَهُ مَدَى الدَّهْرِ رُشْدَا
فَاغْتَنِمْ رَاجِحاً مَسْرَّةَ يَوْمٍ وَلِتَبَادُرَ سِيرَ الزَّمَانِ مُجْدَا

وقوله : (مديد)

شَادَنَ فِي الْقَلْبِ مَرْتَعَهُ حَظَّهُ فِي الْحَسَنِ ابْدَعَهُ
لَا مَنِيَّ فِيهِ أَخُو سَفَهَ بِمَلَامٍ لَسْتُ أَسْمَعُهُ
رَدَّ قَلْبِي لِي لَتَقْدِلَهُ فَهَوْنِي كَفَيْهِ أَجْمَعُهُ

(١) في نسخة « رب سيد لنا بقرب »

هل ترى دهرى يجوده بعد ما قد كان يمنعه
وشقيق النفس يتحبنى بحديث جلّ موقعه
لفظه در يساقطه ونطاق السمع يجمعه

وكتب اليه أبو العباس أحمد بن ابراهيم النساني المقدم الذكر
عن نفسه وعن حضر مجلسه من اخوانه : (سريع)

ياسابق الناس الى غاية في ذيلها يعثر صوب الغمام
إخوانك الكتاب يرجون ان يلقي بكم شملهم ذا انتظام
فاطلع على الشرب فيهم انجم مرتقيات منك بدر التمام
وسرهم منك يسير المنى وزرهم عند اختلاط الظلام

فبعث الليلاني اليهم دنا وشما وكتب مع ذلك من نظمه :

دام لاخواني بلوغ المنى في خفض عيش وحيد انتظام
وقرب الدهر لهم كل ما راموه من انس بغير انصرام
في لذة معسولة المجتنى وغبطة موصولة بالدوام
ما اشوق الصب الى انسكم واشغف اللب بذاك المقام
لكنه عاق الفتى عذره فالشيخ منه عوض والسلام

فراجعه النساني بقوله :

قد اقبل الشيخ بعذر القنسى فنى المعالي والرئيس الهمام
وأطرثنا من سماء الندى يدُّ له ييضاء تجلو الظلام
لا زال يهدي لأودائه اسنى الايادي واجل النظام

ومن شعراء المهديّة وفضلائها الفقيه القاضى أبو عمرو عثمان بن عتيق بن عثمان القيسى المعروف بابن عريية أحد العلماء الاعلام ، كان حافظا للحديث مقدما فى علوم الادب مجتهد من فحول الشعراء وله تصانيف مفيدة منها كتاب « جوامع الكلم النبوية » ، على طريقة الشهاب وكتاب « الزهرة » ، فى مسند العشرة ، وكتاب « آثار الصحابة فى أشعار الصحابة » ، وكتاب « سنن القوم » ، فى آداب الليلة واليوم ، و « المستوفى » ، فى رفع أحاديث المستصفى ، وديوان نظمه المسمى « بقصائد المدح ، ومصائد المنح » ، وغير ذلك من التواليف ، وكان الامير أبو زكرياء رحمه الله استدعاه مع جماعة من خواصه وشعرائه لنزهة فى رياضه المسمى (١) بأبى فهر فنظموا فى وصفه قصائد ورفعوها الى الامير أبى زكرياء فأجابهم بأبيات تتضمن تفضيل شعر أبى عمرو هذا على شعر جميع من حضرها وفيهم ابن البار وغيره

وأبيات الامير أبى زكرياء رحمه الله تعالى هي : (طويل)

الا ان مضمار القريض لمتد به شعراء سبق اربعة لُـد
فأما المجلي فهو شاعر جمّة اتى اوّلا والناس كلهم بعد
وأما المصلي فهو حبر قضاة بأدابه تزهو الإمارة والمجد
وأما المسلي فالمعاوي أمه اتى ثالثا لكن يلين (١) ويشتد
وبعدهم الكومّي اقبل تاليا وكم جاء سباقا مسومه النهـد
هم علماء الناس ما منهم غنى وهم شعراء الملك ما منهم بُـد

حبر قضاة هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر
القضاعي ابن الابار ، والمعاوي الفقيه الخطيب أبو القاسم بن معاوية
اليحصي، كنيته اسمه ، ويكنى أيضا أبا الفضل، والكومى أبو زكرياء
يحيى بن محمد بن الفليظ.

وأصل اتصال أبي عمرو بالامير أبي زكرياء أن بعض الصلحاء
من أهل القيروان ممن كان معارفا بالصدق والامانة فى ذلك
الاولان رفع الى الامير أبي زكرياء أنه رأى النبىء صلى الله عليه وسلم
فى النوم وأمره أن يبلغ اليه أن يستوصى خيرا بمخس « القصيدة
الشقراطية ، فبحث الامير أبو زكرياء عن خيسها من أدباء ذلك
الوقت فلم يجد غير أبي عمرو ، وسأل عن صاحب الرؤيا فشهد فيه
بالصلاح والخير ، فاستدعى أبا عمرو وأكرمه وأمر له بمر كرب وصلة

سنة وقال له لا تشكر أحدا ، ولا تجعل لغير رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك يدا ، وهذه القضية تشبه قضية صفوان بن ادریس فی الرؤیا التي رثيت له

مولد أبی عمرو ببلده المهديّة فی سنة ستمائة ورأيت ذلك بخطه ، توفي بتبرسق وهو متولى القضاء بها فی الثامن والعشرين لمحرم من سنة تسع وخمسين ودفن بجبل الرحمة هنالك ، وشعره مدون مشهور ، وهو القائل يذكر المهديّة ويتشوق اليها والى من خلف بها من أهله وذلك بعد انتقاله منها الى حضرة تونس : (طویل)

أقول لركب قافل عن معرس جمّة تردي بالحمول مشاحجه
لك الله أمتعنا عن البلد الذي اكبره اسلافنا وابالجه
وعن وطن لولا الملى وطلابها لمرّ على مثواي اني خارجة
وعن رسم ايوانه تداعت عراصه ودكت حناياه وحزّت معارجه
وما صنع القصر البيدي والحمى وسور المصلّى والكيب وعالجه
وشاطئه انسى تنوع حسنه وخضرمه انى تدفع مائجه
سلام على المهديتين فقهيهما اب بنت عنه قاصر الخطو هادجه

وله فى ذلك من قصيدة يمدح بها الامير ابا زكرياء ويطلب توليته قضاء بلده : (بسيط)

ذكرت جمّة والذكرى تهيج اسى واين جمّة مني والمستـير
وما مناي ليلهمـا التي سلفت ولا هواي مجانيتها المعاطير
لكن بها رَحِمٌ مخوفة يُسْت من ان تقربني منها المقادير
فإن راي من ادام الله نعمته عليه لي خطة فيها فماجور
وأشد عبد الرحمان بن ابراهيم الاصولي في كتابه المسمى
«تبكيّت (١) الناقد، قال أنشدني لنفسه: (طويل)

نسيم الصبا حدّث عن البان والحمي

وعن ساكني حزوى من الخُرد الدُمى
وعن معهد اقوى من العُفر والمها وعن ركب جيران الغضا اين يما
أيمّم ذات البان ام بطن رامة ام الجزع ام بالاجرع الفرد خيّمًا
الا فرعى الله الحمى ونسيمه وان جلّ ما القاه من ساكن الحمي
وتيمّمكم يا اهل نجد فإني اراكم تلومون المشوق التيمّا
اما ولّمى لُغس الدُمى لو لحظتم طلاب الحمى ظلت لوا حظكم (٢) دما
وذياكم الثغر الذي يستبي النهى تبسمه ما كنتم لي لومًا
هجعتم ومن لي بالهجوم فربّا المّ به منكم خيال مُسلمًا

(١) في جميع الاصول «تبكيّت»

(٢) في بعض النسخ «ظلت جوانبه» وفي بعضها «لوا حظكم»

ايطرق جفنا بات مني ساهرا ويترك اجفانا لكم يتن نوما
اغر شيب ما أعذب ثغره واحلى أليفاً واندى وارخما
هو الظبي لكن لا اسميه باغماً إذا رشا ناغاه بل متكلماً
تبدي لنا والبدر ليلة تيممه فلم ادر من بدر الدجّة منهما
هل البلج الاضوا الذي استكمل السنّي

ام الفنج الاحوى الذي راق مبسماً
ولما استطار البرق قلت لصاحبي اقلبي هما ام ثغره قد تبسّما
اعار وميض البرق حسن ابتسامه وماذا عليه لو اعار له اللّمس
او البرد العذب الذي لن تذيبه (١) حرارة انفاس امرى قبل الفما
تعلم منه خلّب البرق خلفه فمن ايما برق تراه تعلم ما
تجنّي فجئنا خضما لجماله عسى عطفة نخظى بها ولعلمنا
فهزّ الصبى والدّل معطفه كما تهزّ الصبا الغصن الرطيب المنعّما
فابنا وخلفنا طيور قلوبنا على ثغر العذب المقبل حوماً
وكان لابي عمرو ولد يسمى عتيقا ويكنى أبا يحيى برع في
الطلب وتقدم في حفظ مسائل الفقه وتوجه الى المشرق فتخطط
هنالك وله شعر حسن منه قوله : (بسيط)

(١) في بعض النسخ « تذيبه »

يا واحد الحسن أنت السمع والبصر عطفك إن فتكت عينك لي وزر
أبعد ما كان لي كده سحراً صيرته بالتجني ما له سحر
قد رقت لي في الهوى كل الانام سوى من حاز رقتي ومالي عنه مصطر
فإن شكوت له يفتّر مبتسماً عن عشرة قد حواها ثغره العطر
طلع أقاح صباح جوهراً برد در حباب لجين بارق زهر
ولما قضى فريضة الحج وأقام مجاوراً بمكة كتب الى أهله بتونس :
(طويل)

حجبت وزرت المصطفى خاتم الرسل نبي الهدى ذا المجد والجود والفضل
ومرغت خدي في مواطىء نعليه وقابلت ذاك العز منسي بالذل
ومتعت الحاظي برؤية سيد سري كريم طاهر الذات والاصل
وبوأت نفسي من معادن مكة مكاناً عن الدنيا بأجمعها يسلي
أقام بها قوم يناجون ربهم وقد نبذوا كل العلائق والشغل
فدعوتهم مقبولة وصلاتهم بألف كما قد جاء عن سيد الرسل
وما زلت فيها داعياً متضرعاً لنفسي والإخوان والصحب والاهل

ومنهم : الفقيه الاديب الصالح أبو يعقوب يوسف بن علي بن عبد
الملك بن السباط البكري المهدوي ، وأخوه هو الشيخ الصالح أبو

على يونس الكبير القدر العلى الهمة العالى الدرجة فى الصلاح والفضل ، وكان أبو يعقوب هذا قد قصر شعره على مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يوجد له فى غير ذلك شعر الا التافه النزر مما قاله فى صباه ، ويذكر أن أخاه الشيخ أبا على رحمه الله تعالى أخبره أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فسأله عن حال أخيه وكسائه حلة ، وهو على الطبقة جدا وشعره مدون مشهور

وقد أخبرنى بجميعه الشيخ الفقيه أبو القاسم بن أبى محمد (عبد الوهاب) بن قائد بن على الكلاعى (١) بقراءتى عليه قال : سمعته يقرأ على ناظمه رحمه الله تعالى وكانت وفاته رحمه الله تعالى بالمهدية فى العشر الاواسط من شهر شعبان سنة تسعين وستمائة ، ومولده بها سنة ثلاث عشرة وعنوان شعره قوله من قصائد ربما اختصرنا من كل واحدة منها أبياتا منها قوله : (طويل)

سريتكم وطرفي من كرى العزم ما هبّا هـ

وطرف انتهاضي في مدى الحزم ما خبّا

وثرتم طلاب العزم من دون ناصر قصاراه ذيل الذل يسجبه سخبّا

وأخليتُم هالاتكم من بثورها فما عوّضت إلا الغياهب والسُخبّا

وعاني هواكم لا معين له سوى صدى صوته فى الربع مارّدد الندبّا

(١) فى جميع النسخ ورد هذا الاسم هكذا : الشيخ الفقيه بن محمد بن على بن قائد الكلاعى وقد صححناه كما أورده المؤلف نفسه فى شرحه للشفاء.

وما كان ندب يستلذ وإنما يلذ سماع الندب من فارق النذباً
 ولي مهجة تفنى لتذكركم أنسى وجفن يراعي في مراكزها الشهباً
 ليالي تسري لي صباحكم عليلة فيا لعليل منه ألتبس الطيباً
 رحلتهم وغادرتهم غريباً غروبه تصب مصون الدمع مذ بتم صبا
 وخلفتم داء التواني محالفي وأنتى لبادي السقم أن يضحب الركبا
 وهيئتم هيج (١) الغرام فانتجت لكم من فحول الصدق في قصدكم نجبا
 فسارت وحاديها احتدام زفيرها فما ميّزت وعرا ولا فدفا رخباً
 وسيقت وما قباست كلالاً ولا وجى وقد سقتم مع كل راحلة قلباً
 وما أدجت تشني إلى العشب ليتها ولكن في وادي العقيق لها عشباً (٢)
 فهم جيرة أخلق براجي جوارهم ولو باد في البداء ان يحمد الغبا
 منيف على السبع الطباق علاؤهم وان اسكنوا فيما يراه الورى التربا
 دعوكم ولم يرضوا سماعي دعاءهم ولو أسمعوني كنت أول من لبى
 ومن كان حفظ العهد سيماء (٣) أقبلوا عليه وإلا أسبلوا دونه الحجباً
 ومن كلفت عين العناية رغيه حمته المقام الدحض (٤) والمرتقى الصعبا

(١) وفى بعض النسخ « هوج »

(٢) وفى بعض النسخ « شعبا »

(٣) وفى بعض النسخ « شيبته »

(٤) وفى جميع النسخ « الرخص »

ومن عاقه نيل المقادير لم تطق بأرض المنى أقدام إقدامه ضرباً
 على أنني لا أنزل اليأس ساحتي وقلبي على بُعدي يهيم بهم حُباً
 وقد جاء ان المرء مع من أحبه عن الصادق المصدوق فيما به أنبأ
 فحسبي رجائي ان يمنوا بمطفهم وأن يعقبوا للبعد من وصلهم قُرْباً
 ولم لا ونيران القرى في ذراهم تنادي إلى ناديهم العُجم والعُرباً
 ولا غرو ان يلقي الطفيلي ماجد بوجه به يلقي المعارف والصَّحْباً
 وإن هم جفوني سوف أهدي إليهم سلامي لعلني بالرضى منهم أُحْبَى
 ومن صدَّ عنه الحب فليُفش مدحه فإن امتداح الحب يستزل الحُبَّ
 وما القصد والمعني بالرمز والكنى سوى من على كل النيين قد أُرْبَى
 ومن شاهدت عيناه من مُلك ربّه وآياته ما يعجز الكتب والكتبا
 فسبحان من اعطى النبي محمّداً من الفضل ما لم يعطه قبل من نبأ
 فياغوث من غال احمام حماته (١) وياخير من آوى اليتامى ومن ربّني
 أحاشيك يا كلّ أشي ان تذودني عن الحوض يوم العرض أو أمتع الشرباً
 وربّ كريم غَض عن ورد واغل حياء إذا وافاه يتبع السرباً
 لئن قصرت خطوي إليكم خطيئي وذبتني الأوزار عن بابكم ذباً

فَمِنْ شِيمَةِ الْعَبْدِ الْفَرَارُ لِرَبِّهِ وَمِنْ شِيمِ السَّادَاتِ أَنْ يَغْفِرُوا الذُّنْبَا
وَمِنْهَا قَوْلُهُ مِنْ قَصِيدَةٍ : (كامل)

رَغْبِي الْحَقُوقَ كَمَا عَلِمْتَ حَقِيقُ وَالصَّبْرَ عَنْ وَادِي الْعَمِيقِ عَقُوقُ
وَلِأَهْلِ ذِيكَ الْحَمَى بِقُلُوبِنَا شَفَّفَ يَسُوقُ نَفْسَنَا وَيَشُوقُ
وَلَذَكَرَهُمْ بَرْدَ عَلَى طَيِّ الْحَشَى تُشَفِّى بِهِ مَرْضَاهِمَ وَتُفِيقُ
وَإِذَا نَنِي عَطْفَ التَّزْيِيفِ (١) صَبُوحَهُ فَلَنَا صَبُوحَ بِاسْمِهِ وَغُبُوقُ
قَوْمَ لَهُمْ طَابَ النَّسِيمُ بِطَيْبَةِ حَتَّى انْتَنَى كَالْمَسْكَ وَهُوَ فُتِيقُ
وَعَدَا ثَرَاهَا لِلشِّفَاءِ مَرَاشِفَا وَبَقَاعُهَا كُلُّ الْبَقَاعِ تَفُوقُ
وَمَزَارِعَ أَشْهَى إِلَى عُشَاقِهَا مِنْ شَاطِئِءٍ يَأْوِي إِلَيْهِ غَرِيقُ
شَرَفًا بِأَشْرَفِ مُرْسَلٍ وَاعَزَّ مَنْ شَرَفَتْ بِهِ قَتَّةٌ وَعَزَّ فَرِيقُ
هُوَ صَفْوَةُ اللَّهِ الشَّفِيعُ وَمَنْ لَهُ خُلُقٌ بِكُلِّ الْمَكْرَمَاتِ خَلِيقُ
سَدِّ الْمَصَاةِ إِذَا الصَّحَائِفُ أَفْصَحَتْ وَنَبَا أَبَ وَأَخَ وَفَرَّ رَفِيقُ
هُوَ أَحْمَدُ وَمُحَمَّدُ وَالْمُصْطَفَى وَالْمَجْتَبَى وَالصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ

وَمِنْ آيَاتِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

كَمْ ذَا أَوْمَلُ أَنْ أَزُورَ ضَرِيحَهُ وَالْحِظَّ يَكْبُو وَالْقَضَاءُ يَمُوقُ

وَيْدِ الْمَشِيبِ تَنَاوَلَتْ حُلُلَ الصَّبَا فَاخْلَوْلَتْ وَفْشًا بِهَا التَّمْزِيقُ
لَعَنَهُ ذَخْرِي لِمَوْقِفِ فَاقْتِي وَمُضَاجِمَاءِ الصِّهْرِ وَالْفَارُوقُ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ ثُمَّ عَلَيْهِمَا مَا زَانَ جِيدَ حَمَامَةِ تَطْوِيقُ
وَأَرَتْ تَبَاشِيرَ الصَّبَاحِ تَبَسُّمًا وَاتَّقَادَ غَضَنِ النَّسِيمِ وَرِيقُ

وقوله : (طويل)

لَعْلَ نَسِيَمَاتِ الضُّحَى وَالْأَصَائِلِ تَوْدِي إِلَى مَغْنَى الْحَيْبِ رَسَائِلِ
وَتَهْدِي إِذَا مَرَّتْ سَحِيرًا بِرَبْعِهِ سَلَامِي إِلَى بَدْرِ بَطِيئَةِ آفَلِ
عَلَيَّ لَدَى الْأَعْلَى لَذَلِكَ (١) أَصْبَحْتُ مَنَازِلَهُ تَعْلُو مَجَرَّ الْمَنَازِلِ
وَكُلَّ الْأَمَانِي فِي عُذْوِ رِوَاسِمِ إِلَى رَسْمِهِ أَوْ فِي رِوَاحِ رِوَا حِلِ
إِذَا يَسَّمُ الْهَادِي بِهَا حَضْرَةَ الْعَلَا أَرْتَكُ أَنْسِيَابَ الْقُلُوكِ تَحْتَ الْمَحَامِلِ
وَأَلْقَتْ إِلَى كَفِّ السَّرَى مَقُودَ الْكُرَى كَمَا بِالطَّوَى طَابَتْ لَطَيِّ الْمَرَا حِلِ
وَإِنْ مَالُ ذُو وَجْدٍ إِلَى شَعْبِهِ هَوَى تَجِدُهَا لِذَلِكَ الشَّعْبِ أَوَّلَ مَائِلِ
وَمَا سَوَّقَهَا بَلْ شَوْقَهَا يَسْتَحْتَهَا حَيْثُ أَخِي الْإِمْلَاقُ يُنْدَعَى لِنَائِلِ
وَمَنْ عَجَبَ هُوجٌ تَهَيَّجَ لَهَا الصَّبَا صَبَابَةً عَذْرِي لَطِيفِ الشَّمَائِلِ
وَتَهَوَّى بِرُوقَا بِالْعَمِيقِ تَأَلَّقَتْ كَمَا جُرَّدَتْ يَضُّ بِأَيْدِي الصِّيَاقِلِ

حيناً لمن في كفه سُبْحُ الحصى

وانسى خطابُ النُصب (١) سَخْبَانِ وائلٍ

وكم آية دلت على صدقه فما أَلْب لها الإنكار في لب عاقلٍ

وكم قاصد اقصى مدى معجزاته تلقاه بحر لا يُحد (٢) بساحلٍ

رسول اتى والنبي وارت غيومه نجوم الهدى والرشد عن كل غافلٍ

ووافى ودين الكفر قامت دُعائه بإبطال تحقيق وتحقيق باطلٍ

فلما بدت آياته وهباته بدا النقض فيما ابرموا في المحافلٍ

وضاق القضا ضيق اللهود عليهم فلا بال إلا وهو رهن البلايل

تلقى كتاباً شرع ذي العرش شرعه وحدّ المناس فيه حد المناجل (٣)

تولّى امين الوحي جبريل حمله فأكرم بمحمول اليه وجاملٍ

حوى وعد وهاب واتقاد قاهر وتنزيه قدوس واحكام عادلٍ

ووعظاً باهوال البعاد مخوفاً وعلماً بأبناء القرون الأوائيل

ودينا الى دار المقامة منذياً وبشرى بشكر السعي من كل عاقلٍ

وزجراً بما يلقاه من زاغ من لظى اذا قيد قوم نحوها بالسلاسل

وفي كل ما يتلو الرسول دلالة على صدقه من واضحات الدلائل

(١) وفى بعض النسخ « الصبب »

(٢) وفى بعض النسخ « يحاط »

(٣) وفى بعض النسخ « المحاصل » ولعل الصواب « المخلص »

هو المصطفى من قبل تكوين آدم على الخلق من آباءهم والحلائل
حبيب وحبات القلوب كُنَّاسَه اذا بسوىء المحبوب خير المنازل
له غابة من صحبه هو ليشها لديهم مرير الموت عذب المناهل
صدور اذا حلوا بناد وفي الوغى صدورهم تلقى صدور العوامل
اشداء والهيجاء حام وطيسها ذوو رحمة بالبائسات الارامل
فكم من عديم صار فيهم كمترف وكم من غريب صار فيهم كاهل
كذا فليكن حسن الثناء لسادة متى أمَلُوا لم يُخْلَقُوا ظَنَّ آمَل
على من به سادوا الورى وعليهم سلام كثر (١) الروض بين الحائل
فحتى متى اشتاقهم وتغرتني امانى وامهال بتسويق باطل
وما المرء الا ظاعن مترحل معارء لاوقات تمر قلائل
واسفار صبح الشيب عن ليل لمتي دليل على ظل من العمر زائل
ولما تقضت في التواني شيتي واصبحت من جرائها في جائل
ولم يبق لي الا التفاني بادمع على طول تفريطي هوام هوامل
وكل يرى ان المديح وسيلة لكل كريم من اجل الوسائل
مدحت الشفيع المصطفى غير قائم بمعشار ما يخصى له من فضائل

وما المدح فيمن يحسن المدح باسمه واوصافه الا كتحصيل حاصل
ولكنه جهد المقل لقاصر عن الفرض في تعظيمه والنوافل
الم يك (١) قول الله في رفع ذكره وهل بعد قول الله قول لفائل
وقوله : (كامل)

اعيد الحديث فليس بالملول عن خير مبعوث وخير رسول
واملاً مسامعنا بطيب حديثه فهو الشفاء لحر كل غليل
وادأب عليه مصلياً ومسلماً فكذا اتى في محكم التنزيل
واخصص بترديد السلام ضريحه في كل شارقة وكل اصل
واذا رايت العيس تحدى (٢) نحوه فاخر مواضعهن للتقبيل
واسفغ بمن حملت على اكوارها من حامل لغرامه محمول
واصحبهم بالقصدان ونت (٣) الخطى وزايت باع الطول غير طويل
فعسى ينالك من زكاة زكائهم ما قرر القرآن لابن سيل
ومن اقتدى بالصدق في انحائه قاداته عزمته بغير دليل
ومن اشرب الى لقاء حبيبه جذب المقادة من يد التعليل
واما سؤف ومنج ريقه (٤) بلها العزيمة من فم التاميل

(١) وفي بعض النسخ « نرو »

(٢) وفي بعض النسخ « تحدى »

(٣) وفي بعض النسخ « وصب »

(٤) وفي بعض النسخ « ريقه »

حتى يرى اليباء وثبة خائف والميل من قصر دوين الميل
 كلُّ الجمال متى ارى لك زائراً متبوّثاً بذراك خير مَقِيلِ
 فرحاً بنفك المقدس تزبه فرح المحبّ مبشراً بقبولِ
 مترنحاً طرباً ترنح منش هزّت معاطفه شمالُ شمولِ
 فهناك اظفرُ بالاماني والمُنى وعلى الوجود أصول حين وصولي
 وتهزّني من طيب طية نفحة فيطيب لي مَرَحِي وجِر ذيو لي
 واذا اساتُ تأدبا بحماكم عفوا فيّاني غبتُ عن معقولي
 من ذا يرى حرم الحيب فيتهدي لتمييز المعلوم والمجهولِ
 قمر له هضبات مكّة مطلع والروضة الفيحاء افق اقولِ
 جاءت نعوت كماله منصوطة في الذكر والتوراة والانجيلِ
 وبه تشفع آدم لـإِلاهيه لما احسُّ بحالة التحويلِ
 واتى بمبعثه المسيح مبشراً يوصي به للجيل بعد الجيلِ
 وبليلة الاسراء اكمل فضله ناهيك من فضل ومن تكميلِ
 واليه نلجأ في المعاد لأننا نأوي لِظِلِّ للنجاة ظليلِ
 ما زال في الاصلاب ينقل نوره حتى تبلّج في اعزّ قبيلِ
 من نعمة للوجود روض نبتها وفروع مجد فارع واصولِ

صِيدَ تَحْلٍ مِنْ الْكَابِرِ هَامَهَا وَتَحْلٍ مِنْهَا مَفْرَقُ الْإِكْلِيلِ
فَانْجَابَ غَيْمُ النَّمِيِّ عِنْدَ ظَهْوَرِهِ كَالشَّمْسِ فِي جَوْ تَلُوحِ صَقِيلِ
وَإِذْ لَ مِنْ بِالْكَفْرِ حَاوِلَ عَزَّةٍ وَاعِزُّ بِالْإِيمَانِ كَلَّ ذَلِيلِ
إِلْفَ الْجَمِيلِ فَمَا يَقَابِلُ سَائِلًا إِلَّا بَوَّجَهُ كَالسَّرَاجِ جَمِيلِ
لَا يَعْتَمِدُ السَّارُونَ أَنْ يَنْزِلُوا بِهِ رِيًّا لَصَادٍ أَوْ قِسْرٍ لَنْزِيلِ
سَمَحٌ يَشَا كُلَّ حَسَنَةٍ إِحْسَانِهِ لَا تَعْتَرِيهِ مَلَالَةُ الْمَسْئُولِ
يَلْقَى الْإِرَامِلَ وَالْيَتَامَى أَنْ نَأَتْ عَنْهُمْ عَشِيرَتُهُمْ بِكَفٍّ (١) كَفِيلِ
وَيَسِيحُهُمْ مِنْ جَبِّهِ وَحَبَائِهِ مَا يَحْمِلُ الْمَشْرِي عَلَى التَّطْفِيلِ
هَذَا الْفَخَّارُ وَمَنْ يَكُنْ ذَا وَصْفِهِ فَلَمْدَحٌ فِيهِ كَقَطْرَةٍ فِي النَّيْلِ
وَعَلَى أَوَّلِي الْإِلْبَابِ طُورًا أَنْ يَرَوْا بِذَلِ الْفُؤُسِ لَهُ أَقْلٌ قَلِيلِ
فَعَلَيْهِ مِنْ ذِي الْمَرْشِ كَلَّ تَحِيَّةٍ وَعَلَى صَحَابَتِهِ ذَوِي التَّفْضِيلِ
مَا أَمْرَعُ (٢) الرُّوْضَ الْحَيَا وَتَضَوَّعَتْ رِيًّا نَسِيمٌ فِي الْغَدُوِّ عِلِيلِ
وَقَوْلُهُ وَذَكَرَ شَهْرَ مَوْلَدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَرَفَ وَكَرَّمَ ،
وَمَجْدَ وَعَظَمَ : (كَامِلٌ)

أَعْلَمْتُ أَنَّكَ يَا رَبِّيعَ الْأَوَّلِ تَسَاجِدُ عَلَى هَامِ يَمَانٍ مَكْلَلُ

(١) وَفِي بَعْضِ النُّسخِ « يَغِيرُ »

(٢) وَفِي بَعْضِ النُّسخِ « أَبْدَعُ »

مستعذب الالمام مرتقب اللقاء كل الفضائل حين تقبل تقبل
 ما عدت إلا كنت عيداً ثالثاً (١) بل انت احلى في القلوب واجل
 شرفاً ببولد مصطفى لمّا بدا اخفى الالهة نوره المتهلل
 وحويت مذاصحت ظرف زمانه ظرفاً به في برد حنك ترفل
 وملكت انفسنا بلطف شمائل بنسبها نفس العليل تعمّل
 واذا حدا الحادي (٢) بمنزلة الحمى فالقصد سگان الحمى لا المنزل
 فطلّ الشهور علا وفاخرها فان شمت باطولها فانت الاطول
 واستن منها ليلة القدر التي بشنائها نزل الكتاب المنزل
 واصنح لقول الله فيها انها من الف شهر في الانابة افضل
 واستكمل البشرى فانك لم تزل لك في القلوب مكانة لا تجهل
 لنم لا وعشرك واثنتاه اريننا قمر به شمس الضحى لا تعدل
 ومن العجائب بدز تيم يستوي لتام عشر واثنتين ويكمل
 ويفوت اعمار السماء لانها للنقص من بعد الزيادة تنقل
 وكمال هذا البدر لا يعزى الى نقص ولا عن حاله يتحول
 بل نوره يزداد ضعفا كلما طفق المحاق سنى البدور يبدل

(١) في بعض النسخ « ثانياً »

(٢) في بعض النسخ « شدا الحادي » والتصحيح عن المدخل لابن الحاج ٢ - ص ٤٤

ويقي غمارَ الغيِّ وضـُـيُّ شـُـا ، وبين من سبل الهدى ما يشـُـكل
وتراع افئدة العداة له كما يرتاع من شاكي السلاح الاعزلُ
فتمى تحيط بوصف بدر نبوة وافى وليل الكفر داج الليلُ
فجلا عن الآفاق غيـبـهـا كما يجلو صدا العضب الحسام الميقلُ
وهدى إلى كف النجاة سراجـه فمـشـا المـُـحـقـق به وضـل المـُـبـطـلُ
وتظافرت ايدي الرفاق فصيرت شيع النفاق وضعفهن مـُـذـلُ
وشدت بالسُن حالها الاكوان من طرب له هذا النبي المُرسلُ
هذا الذي هو للمناصب علقم ولماحـض الودّ الرحيق السلسلُ
وعلى الأرامل واليتامى إن خشوا أن تبدوا الصفحات ستر مـُـرـسـلُ
وإذا اتنى الأقران عن وقع القنا فهو الملاذمين كـبـا والمـعـقـلُ
وهو الشفيـع المستجار بجاهه والـأـمُّ عـمـن ارضته تذهـلُ
قبـمـاً بـمـرـسـلـه الينا رحمة إني عليه مـُـعـولٌ ومـُـعـوـلُ
لا ادعى علما ولا عملا ولكني بجاه محمد أتوسلُ
فلربما صدّ الكريم حياؤه ان كان في ندمائه متطفـلُ
صلى عليه الله ما هبت صبا لئلا وما تفتت سـُـحـيـراً شـُـنـالُ
وعلى صحابته وصفوة آله ما لاح برق او ترنم بلبلُ

فأقمنا بالمهدية يوم الوصول إليها وهو يوم الاثنين الثاني عشر
من صفر كما تقدم ، وارتحلنا عنها من الغد فنزلنا بمدينة سوسة ومنها
يوم الاربعاء الى الفلاحين ثم منها يوم الخميس الى رادس ومنها
صبح يوم الجمعة الى الوطن تونس حرسها الله تعالى ، فكان أمد الغيبة
عنها من يوم الخروج الى يوم الدخول إليها عامين اثنين وثمانية
اشهر وأياما التي هي بحسب كمال الاشهر ونقصها تسعمائة يوم
 وخمسة وسبعون يوما

وهنا انتهى الغرض المقصود من هذا التقييد والحمد لله أولا وآخرا
وباطنا وظاهرا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
تسلينا كثيرا طيبا مباركا

ورأيت أن اخته بقصيدة كنت نظمتها بطرابلس لما طال بنا
هناك أمد المقام ، أمتدح بها النبيء محمدا صلى الله عليه وسلم خير
الانام ، وأتوسل به الى الله تعالى في تيسير المرام : (كامل)

كم أنت في اللذات ذو استغراق ونذير شيك مؤذن بفراق
ولقلما يجدي المناب إذا أتى داعي الحمام وقيل هل من راقى
يا صاح دعوة ناصح لك مشفق والنصح يقبل من ذوي الإشفاق
بادر إل التقوى بدار مسارع وانهض إلى الطاعات نهض سباق
واغنى من الأيام مهلة ساعة قبل التفاف النق منك بساق

حَدَّثَتْ نَفْسَكَ بِالْبَقَاءِ وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِيَبْقَى بَاقِي
 كُلِّهَا فَانْ وَمَنْقُوضٌ وَلَا بَقِيَا لِغَيْرِ الْوَاحِدِ الْخَالِقِ
 وَاتْرَكَ انْسَاءً آثَرُوا لَذَاتِهِمْ وَاسْتَمْتَعُوا مِنْ دَهْرِهِمْ بِخُلَاقِ
 عُلِقَتْ نَفْسُهُمْ بِنَزَرٍ عَاجِلٍ فَاسْتَبَدَّلُوهُ بِأَنْفُسِ الْإِعْلَاقِ
 عِوَضَ كَلَامٍ عِوَضَ وَيَعِ كَلَهُ غُبْنٍ وَسَمِي ظَاهِرِ الْإِخْفَاقِ
 يَا أَيَّتُهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ كَذْحَا وَانْتَ لَمَّا كَدَحْتَ مَلَاقِي
 وَالْمَرْءُ مُجْزِيٌّ بِمَا هُوَ فَاعِلٌ وَجَزَاؤُهُ جَارٌ عَلَى اسْتِحْقَاقِ
 فَنِعِمَّ ذِي الطَّاعَاتِ غَيْرِ مَكِيفٍ وَعَذَابُ ذِي الْعِصْيَانِ غَيْرِ مَطَاقِ
 اللَّهُ أَقْوَامٌ اطَّاعُوا رَبَّهُمْ وَوَفُوا بِمَا أَغْطَوْهُ مِنْ مِثَاقِ
 عَظُمَتْ لَهُمْ هِمَمٌ وَعَزَّتْ نَفْسٌ فَسَمَتْ بِهِمْ نَحْوُ الْحَلِّ الرَّاقِي
 قَوْمٌ لَوْ اطَّلَعَ الْمَلُوكُ عَلَيْهِمْ لَسَعَوْا لِيَخْدُمَتَهُمْ عَلَى الْإِحْدَاقِ
 مِنْ كُلِّ بَدْرٍ أَفْقُهُ مُحَرَّابُهُ لَا يَخْشَى أَبَدًا لِحَاقِ مُحَاقِ
 يَسْمُو إِذَا نَامَ الْإِنْسَامُ نَوْرَدُهُ فَيَعُودُ مِنْهُ اللَّيْلُ ذَا إِشْرَاقِ
 خَطَبُوا النِّعِيمَ بِبَذْلِهِمْ لِنَفْسِهِمْ وَالْخِطْبُ لَا تُعْطَى بِغَيْرِ صَدَاقِ
 لَمْ تَحْصِلِ الْآخِرَى لَهُمْ إِلَّا وَقَدْ خَرَجُوا عَنْ الدُّنْيَا خُرُوجَ طَلَاقِ
 أَنْ لَمْ أَكُنْ بِالْفِعْلِ مُلْتَحِنًا بِهِمْ فَالْحُبُّ فِيهِمْ مُقْتَضٍ لِلْحَاقِ

يَا رَبِّ بِالْهَادِي الَّذِي أَرْسَلْتَهُ نَوْرًا أَفْضَتْ سَنَاهُ فِي الْإِفْثَاقِ
هَادِ اتْنِي وَالْجَهْلُ قَدْ عَمَّ الْوَرَى وَالْكَفْرُ قَدْ غَطَّاهُمْ بِرِوَاقِ
فَجَلَّ لَهُمْ سُبُلُ الْهَدَى وَأَفَالَهُمْ مِنْ غِرَّةٍ كَانَتْ بِهِمْ وَشَقَاقِ
وَلَقَدْ حَبَاهُ اللَّهُ كُلَّ فَضِيلَةٍ وَأَنَالَهُ الْعِلْيَا عَلَى الْإِطْلَاقِ
بَنْزُولٍ طَسَتْ فِيهِ طُهُرُ فُؤَادِهِ وَعُرُوجِ جِسْمٍ وَامْتِطَاءِ بُرَاقِ
وَكَفَى لَهُ شَرَفًا بَانَ اللَّهُ قَدْ أَثْنَى عَلَى مَا حَازَ مِنْ اخْلَاقِ
يَسِّرْ لَنَا فِيمَا بِهِ كَلَّفْنَا عَوْنًا لِنَمِثِلَ امْتِثَالِ وَفَاقِ
وَأَمْنُنْ عَلَيْنَا بِأَلْوَصُولِ لِقَبْرِهِ فَهُوَ الشِّفَاءُ لِقَلْبِي الْمَشْتَاقِ
يَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ أَرَانِي سَاعِيَا فِي شَدِّ أَكْوَادٍ وَحَذَرِ نِيَاقِ
فَلَكُمُ تَوَخَّرَ عَزْمَتِي الْإِقْدَارُ مِنْ فِرْقٍ تَسِيرُ لِقَبْرِهِ وَرَفَاقِ
قَسَمًا بِعَزَّتِهِ وَرَفْعَةِ قُدْرِهِ إِنِّي لَزُورْتُهُ لِبِالْإِشْوَاقِ
لَكِنْ سَيِّئٌ مَا جِئْتُ أَفْزُرْنِي عَنْهُ وَقَيْدَ عَزْمَتِي بُوْثَاقِ
لَا هُمْ إِنَّا لَا نَذُورُ بِجَنَاهُ فَهُوَ الشَّفِيعُ لَنَا وَأَنْتَ الْوَاقِي
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا هَبَّتْ صَافَا وَتَرَنَّمْتُ وَرُقَ عَلَى أَوْدَاقِ



الفهارس

تنبيه

• الأهارس الأبجدية التالية شاملة لما في الاصل والتعليقات

فهرس

اسماء الرجال والقبائل

- أ -

آدم ٢٦٧ - ٣٨٧ - ٣٨٩

آل سالم ٢٢٠

آل غالب ٣٠٩

ابراهيم بن عبد الله ١٢٥

ابراهيم بن قسراتكين (سلاح دار) ١١٢ - ١١٤ - ١٣٨

ابراهيم بن محمد الصنهاجي ٩٦ - ٩٧ - ٣٣٠ - ٣٣١

ابراهيم بن مطرف (ابوزدارة) ١٩٧

ابراهيم بن يوسف بن زيري ٩٦

الابراهيميون ٢١٧

ابن الابرار ٨٤ - ١٠٦ - ٢٧٠ - ٢٧٢ - ٢٧٨ - ٣٦٥ - ٣٧٥ - ٣٧٦

ابن ابي حفص . ابو علي بن ابي موسى (انظر : ابو علي)

ابن ابي حفص . ابو محمد عبد الله بن عبد الواحد (انظر : ابو محمد عبد الله)

ابن ابي حفص . ابو محمد عبد الواحد (انظر : ابو محمد عبد الواحد)

ابن ابي الحواجب للهدوي ٣٧٠

ابن ابي سلام (ابو عبد الله بن ابي بكر بن ابي زاكي البلوي) ٢٢٨ -

٢٩٨ - ٢٩٩

ابن ابي زيد (انظر : ابو محمد)

ابن ابي عامر (انظر : ابو حفص عبد الله)

ابن الاثير ١١ - ١٤ - ١٥ - ٢٤ - ٩٢ - ١٢٤ - ١٣٥

ابن الاغلب ٢٣ - ٢٤ - ٨٠ - ٨٥ - ٢٢٠

ابن باديس ٢١

ابن بديل ٣٢٤

ابن اليسراء التنوخي (انظر : ابو القاسم بن علي ٠٠)

ابن البراء البهدي (انظر : محمد بن البراء)

ابن بزريق ، ابو بكر (انظر : ابو بكر)

ابن بزريق ، ابو يحيى (انظر : ابو يحيى)

ابن بسام ١٦ - ٢٢

ابن بشكوال ٥٥ - ٧٩

ابن بشير (انظر : محمد بن بشير)

ابن بلبل (انظر : حسن بن بلبل)

ابن بياضة (انظر : مفرج بن بياضة)

ابن اليساني (انظر : الفاضل اليساني)

ابن البَيطار ٣١٤

ابن تافراجين ١٠٦

ابن تغري بردي ١١

ابن الجلاب ٢٥٦

ابن الحاج (صاحب المدخل) ٣٩١

ابن حبيب (انظر : محمد بن حبيب)

ابن حجاج ٧٩

ابن حجري الاشبيلي (انظر : ابو الحسن)

ابن الحداد (ابو الحسن علي بن محمد) ٣٣٢

ابن الحذاء (انظر : ابو عمر)

ابن حُسَيْنَة (انظر : ابو ابراهيم)

ابن حَشْرُون المهدوي (انظر : عثمان بن ابي القاسم)

ابن الحَكِيم الزندي ١٦٤ - ١٦٥

ابن حمّاد (انظر : محمد بن علي بن حماد)

ابن حَمْدُون (انظر : مطرف بن علي)

آبَن حَمْدُون ، مَيْمُون (انظر : ميمون)

ابن حَمْدِيس الصقلّي ٩٥

ابن حَيَّان الأَوْسِي ، ابو عبد الله محمد بن احمد ٢٧٩

ابن حَيَّون (انظر : محمد بن حيون)

ابن خالد (انظر : احمد بن خالد)

ابن الخباز اللواني ، ابو عبد الله (انظر : محمد بن علي)

ابن خُراسان ٣٤١ - ٣٤٦

ابن الخُراط ٣٤٧

ابن خزررون (انظر : سعيد بن خزررون)

ابن الخطيب ٢٥٧

ابن خلدون (المؤرخ) ٥ - ٢٠ - ١١١ - ١١٣ - ٢٦٥ - ٣٥٠

ابن خلفون الحسّاني (انظر : ابو عثمان)

ابن رأس الحجلة ، ابو عبد الله (انظر : محمد بن عمر)

ابن رشيد (انظر : محمد بن رشيد)

ابن رشيّق ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ -

٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨١ - ٣٦٦

ابن الرومي ٤٠

ابن زنون ، ابو عبد الله ١٥٧

ابن زُهر ٨٤

ابن زناد القادعي (انظر : محرز)

ابن سعد (صاحب الطبقات) ١٢٥

ابن سعيد (صاحب خزانة الادب) ٥٢

ابن سعيد ، ابو الحسن (صاحب كنز المطالب) - (انظر علي بن موسى)

ابن السمّاط ، ابو علي ٢٦٠

ابن السمّاط البكري المهدوي ، ابو يعقوب (انظر : يوسف بن علي)

ابن السكّاء ، ابو بكر (انظر : ابو بكر)

ابن السّيرافي ٦٤ - ٦٥

ابن الشّباط ١٦٢

ابن شبرين الجُدّامي السُّبُتي ١٦٤ - ١٦٨ - ١٧٠

ابن شَدّاد ١٤ - ١٥ - ٣٤١ - ٣٤٦ - ٣٤٧

ابن شرف ٢٩ - ٣٣ - ٧٩ - ٨٣

ابن صخر ، (انظر : ابو الحسن)

ابن الصّغير الازدي ٨٩

ابن الصّفّار السوسي (انظر : علي بن احمد)

ابن الضابط (انظر : ابو عمرو عثمان)

ابن عبّاد (المعتمد) ١٩٧

ابن عباس ٨ - ٩

ابن عبد البرّ ، ابو عمّر ٢٦

ابن عبد الحكم ١١

ابن عبد السلام الكومي ، (انظر : محمد بن عبد السلام)

ابن عبد الكريم الرجراجي (انظر : محمد بن عبد الكريم)

ابن عبد الكريم النماري (انظر : عبد الله بن عبد الكريم)

ابن عبد الكريم العوفي (انظر : ابو يحيى)

ابن عبدون السوسي (محمد) ٣٨ - ٤١

ابن عبيد ، ابو فارس (انظر : ابو فارس)

ابن عدي ، (انظر : ابو احمد)

ابن عذاري ١٢ - ٢٨

ابن العربي ٢٥٦

ابن عريّة القيسي ، ابو عمرو (انظر : عثمان)

ابن عصفور ٣٥٥

ابن العطار القرطبي ١٧٨

ابن عفيف ٢٧٢

ابن علوان الصخري (مالك) ٣٣١

ابن عمّر ٣١

ابن عميرة (انظر : ابو المطرف)

ابن العنبر ٦٢

ابن عيينة ٨٧

ابن الفطاس السوسي ٣٧

ابن الفليظ الكومي (أبو زكرياء يحيى بن محمد) ٣٧٦

ابن فاضل البكري الافريقي (انظر : محمد بن فاضل)

ابن فتح الغماري النفراوي (انظر : ابو بكر بن فتح)

ابن فرج الكومي ، ابو عبد الله محمد (انظر : محمد بن الفرّج)

ابن فرج الهواري الطرابلسي ، ابو مسلم (انظر : مؤمن بن فرج)

ابن فرسان (انظر : عبد البر)

ابن فطيس (محمد) ٢٧٢

ابن قائد الكلاعي (انظر : الكلاعي)

ابن قتيبة ٨٧

ابن القطان (أبو الحسن) ٨ - ٩

ابن قطن ١٣

ابن كلدين ١٢٥

ابن لبابة (انظر : محمد بن عمر)

ابن اللمطي (انظر : علي بن اللمطي)

ابن لقمان ٩٦

ابن ماكولا ١٤٢

ابن المشى (انظر : ابو الحسن)

ابن مشى (انظر : عبد الله بن ابراهيم بن مثنى)

ابن مجبر ، ابوبكر ١٣٧ - ١٣٩

ابن مرزوق السالمي (انظر : غلبون)

ابن مطروح التميمي (ابويحيى) ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٥

ابن معاوية اليحصبي ، ابو الفضل (انظر : ابو الفضل)

ابن معاوية اليحصبي ، ابو القاسم (انظر : المعاوي)

ابن معمر ، ابو موسى ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٧٤ - ٢٨٠

ابن معمر الهواري الطرابلسي ، ابو علي (انظر : الحسن بن موسى)

ابن معين ٩ - ٣٢

ابن ملجوم (انظر : ابو القاسم)

ابن المناصف ٢٥٧

ابن المنمر ٢٥٠ - ٢٥٧ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٣١٧

ابن ميخائيل القرشي ٣٣ - ٣٤

ابن ميمون ، علي (انظر : علي بن ميمون)

ابن ميمون ، محمد ، (انظر : محمد بن عبد العزيز)

ابن نخيل ١٠٨ - ١٤٧

ابن نزار (انظر : ابو زيد)

ابن هانش الطرابلسي ، ابو محمد ٢٦٣

ابن هشام ٥٩

ابن هود ٣٦٤

ابن يعيش ، ابو عبد الله محمد ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٣٠٣ - ٣٠٤

ابن يغمور الهنتاتي ، ابو عبد الله (انظر : محمد بن يغمور)

ابن يملول ، ابو العباس احمد بن محمد ١٦٣ - ٢٣٩

ابن يوجاق (انظر : ابو زيد)

ابو ابراهيم احمد بن الاغلب ٢٦

ابو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم بن حسنة ١٥٦ - ١٧١ - ١٨٩ - ١٩٢

٢٠٤ - ٢٣١ - ٢٣٢

ابو احمد بن عدي ٨ - ٩

ابو اسحاق (السيد ابو اسحاق) ١٣٦

ابو اسحاق ابراهيم بن احمد بن علي بن سالم الجيني ٦٧ - ٦٩ - ٨٠ - ٨١ - ٨٣

ابو اسحاق ابراهيم بن سعيد ٥٤

ابو اسحاق الاجدابي (انظر : الاجدابي)

ابو اسحاق الرقيق (انظر : الرقيق)

ابو البركات بن ابي محمد بن ابي الدنيا ٢٥٣

ابو بكر الصديق (الصهر) ٢١٩ - ٣٨٥

ابو بكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب ٦٦

ابو بكر بن بزريق ٢١٩

ابو بكر بن عبد الرحمن اللبدي ٨٣

ابو بكر بن عبد العزيز بن السكّك ٣٥٥

ابو بكر بن فتح الفماري النفراوي ١٤٧ - ١٤٨ - ١٥٣ - ١٥٤

١٧٣ - ١٧٤

ابو بكر بن مُجِير (انظر: ابن مجبر)

ابو بكر بن محمد بن احمد بن شبرين الجذامي السُّبُتي (انظر: ابن شبرين)

ابو ثابت عامر بن عبد الله المريني ١٩٧ = ١٩٨

ابو جُبارة عبد السلام بن موسى ١٨٠ - ١٨١ - ١٨٧

ابو جعفر المنصور ٢٠٩

ابو الجيش محمد بن ابراهيم الاندلسي البَسْطِي ٢٥٧

ابو حامد الفزالي ١٤٣ - ٢٥٥ - ٢٥٦

ابو حازم العكلي ١٣٥

ابو الحجاج ١٥٥

ابو الحجاج يوسف بن زيري ٢٤١ - ٢٤٢

ابو الحسن بن ابي محمد عبد الوهاب ٢٦٢

ابو الحسن بن ابي مروان ٢٧٦

ابو الحسن بن جري الاشيلي ٣٥٩

ابو الحسن بن السيد ابي محمد ٣٦١

ابو الحسن بن صخر ٥٤ - ١٢٥

ابو الحسن بن المثنى ٥٤

ابو الحسن بن يحيى بن تميم بن المعز (انظر: علي بن يحيى)

ابو الحسن البارزي ٢٤٩ - ٢٥٠

ابو الحسن حازم بن محمد بن حازم (انظر: حازم بن محمد)

ابو الحسن السيقاطي ٢١٩

ابو الحسن الشاطبي ٣٤٧

ابو الحسن القريناني ٧٥

ابو الحسن القابسي ٢٦٦

ابو الحسن علي بن ابراهيم التجاني ٢٥٨ - ٢٧٠

ابو الحسن علي بن احمد بن الحبيب (انظر: علي بن احمد)

ابو الحسن علي بن ابي بكر بن بلال ٢٧١

ابو الحسن علي بن الحسن بن الحسين الهنائي، كُراع ٢٦٣

ابو الحسن علي بن محمد بن المنر الطرابلسي القرصي (انظر: ابن المنر)

ابو الحسن علي بن موسى بن سعيد (انظر: علي بن موسى)

ابو الحسن علي بن محمد بن الحداد (انظر: ابن الحداد)

ابو حفص (جد الحفصيين) ٢٠٣

ابو حفص بن مكي ٢٦٢

ابو حفص عبد الله بن محمد بن عامر بن ابي عامر ٢٧٢

ابو الحكم الحسن بن عبد الرحمان بن عذرة ٩٢

ابو حمراء ٢٧٥

ابو حنيفة ٣١٣ - ٣٦٩

ابو حيان ٢٧٢

ابو الخنبري ٣١١ - ٣١٢

ابو زُرارة (انظر: ابراهيم بن مطرف)

ابو زكرياء ٧ - ١١٩ - ٢٦٣ - ٢٦٧ - ٢٦٩ - ٢٧٣ - ٢٧٥ - ٣٦٣

٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٧

ابو زكرياء البَرْقى ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٣٦٨ - ٣٧١

ابو زكرياء بن ابي الحسن علي التجاني ١٩٠ - ١٩١

ابو زكرياء بن يعقوب ١٧٩ - ٢٠٤

ابو زكرياء يحيى بن محمد الغليظ (انظر: ابن الغليظ)

ابو زياد المغربي ١٥

ابو زيان محمد بن عثمان بن يَغْمَراسين بن زيان ١٩٨

ابو زيد بن السديابي حفص ١٠٤ - ٢٤٣ - ٢٨٢ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤

٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨

ابو زيد بن يوجاق ٣٦٣

ابو زيد عبد الرحمن بن ابي القاسم بن نزار السهمي ١٣٩ - ١٤٠ - ١٨٩

ابو ساكن عامر بن محمد بن مكّي بن كامل بن جامع ١٠٢

ابو سالم (بن ابي يعقوب الميريني) ١٩٧

ابو سعيد بن ابي حفص ١٠٥ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣

ابو سَفَّانة (انظر: حاتم الطائي)

ابو سليمان الخطابي ٨٠ - ٢٠٨

ابوشامة ١٥

ابوشنّب ١٢

ابو صبيرة مسعد بن الازرق الضريسّي ١٠٤

ابو الصلت أميّة بن عبد العزيز ٤٢ - ٧٠ - ٧١ - ٧٣ - ٧٤

٩٨ - ١٢٥ - ٣٣١

ابو طالب محمد بن عبد الله الانصاري ٢١

ابو الطاهر بن ابي اسحاق الجبّاني ٨١

ابو الطاهر السلفي ١٦١

ابو الطيب المتنبي ٦٣ - ٧٢

ابو العباس الاعجمي ٢٥٧

ابو العباس الشيعي ٢٤٠

ابو العباس اللحياني ١٩٣

ابو العباس محمد بن الاغلب بن ابراهيم بن الاغلب ٢٦

ابو عبد الله بن ابي يعقوب يوسف ٢٦٧

ابو عبد الله الخشاب ٢٥٠

ابو عبد الله الخبّاري ٢٤٨

ابو عبد الله الشيعي ٢٤٠

ابو عبد الرحمان يعقوب بن يوسف بن محمد الهرغي ٢٦٧ - ٢٦٨

- ٢٦٩ - ٢٧٠

ابو عبد السلام مفرج بن ياضة (انظر : مفرج بن ياضة)

ابو عبّيد ١٣٥

ابو عبّيدة ٣١١

ابو عثمان بن خلفون الحساني ٢٥٠ - ٢٥١

ابو العرب محمد بن احمد بن تميم ١٢ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢

ابو العلاء (الموحي) ٣٦٣ - ٣٦٤

ابو العلاء العمري ٦٠ - ٦١ - ٦٣

ابو علي بن ابي موسى ابن ابي حفص ٢٧٥

ابو علي القالي ٦١ - ١٨٣

ابو علي النفطي ١٤٣

ابو عمر بن الحذاء ٧٩

ابو عمران بن عيسى بن عمران (انظر موسى بن عيسى)

ابو عمرو عثمان بن ابي بكر بن حمود الصدفي (ابن الضابط) ٧٨ - ٨٠

ابو عيسى (سهيل) ٢١٣

ابو عيسى العموري ١٣٢

ابو غرارة (سلام) ١٨٠ - ١٨١

ابو فارس عبد العزيز بن عبد العظيم بن عبيد ١٠٦ - ٢٥٤ - ٢٥٦

٢٥٨ - ٢٦٢ - ٢٨٠ - ٣٠٦ - ٣٠٧

ابو الفتح زيان الصقلي (انظر : زيان)

ابو الفتوح بن محمد ٣٥

ابو الفتوح بن يحيى بن تميم ٧٣

ابو الفرج احمد بن علي ٦٦

ابو الفضل بن معاوية الحنصلي ٣٧٦

ابو الفضل محمد بن علي التجاني ٨٨ - ٢٢١ - ٢٨٠ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٩٥

ابو القاسم (القائم المبيدي) ٢٤ - ٢٥ - ٢٧ - ٢٨ - ٢٤٠ - ٢٤١

٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٧

ابو القاسم بن أبي عبد الله محمد الخباز ٣٦٨

ابو القاسم بن بشكُوال (انظر ابن بشكُوال)

ابو القاسم بن علي بن عبد العزيز بن البراء التنوخي ٣٦٧

ابو القاسم بن محمد بن ملجوم ٣٠٠ - ٣٠١ -

ابو القاسم السهيلي ٥٩

ابو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله الجوهرى (انظر : عبد الرحمان)

ابو القاسم عبد الرحمان بن محمد الحضرمي الليدي ٦٧٠ - ٦٩ - ٨٣

ابو القاسم نصر بن احمد الخُبَرُأُ رزى (انظر : نصر)

ابو قيس (سعد بن مالك) ٢٨٣

ابو لبابة الانصاري ٩١ - ٩٢ - ٩٤

ابو محمد بن أبي البركات بن ابي الدنيا الصدفي (انظر : عبد الحميد

ابن أبي البركات)

ابو محمد بن أبي زيد ٢٥٠ - ٢٦٥

ابو محمد بن شبرين الجذامي السبتي (انظر : ابن شبرين)

ابو محمد بن يعقوب ١٣٦

ابو محمد عبد الله بن ابي محمد عبد الواحد بن ابي حفص ٥٢

ابو محمد عبد الواحد بن ابي حفص ١١٠ - ١٢٠ - ٢٤٠ - ٣٥٧ - ٣٦٠

٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣

ابو محمد (مؤلف هذا الكتاب) - (انظر : عبد الله التجاني)

ابو المجد الصوفي المهندوي ٢٧٨ - ٢٧٩

ابو مروان بن مكّي ١٧٨

ابو مطرّف بن عُمَيْرَة ٩٠ - ٩١ - ٩٢

ابو الممالي ٢٥٥ - ٢٥٧

ابو موسى عيسى بن ابراهيم السوسي ، القطان ٣٦

ابو نزار خطّاب البرقي ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥١

ابو نعيم الحافظ ٧٨ - ٧٩

ابو نواس ٣٤

ابو الوليد الباجي (سليمان بن خلف) ٢٧٦

ابو يحيى زكرياء بن اللحياني (انظر : مخدومنا)

ابو يحيى (السمريني) ١٩٧

ابو يحيى بن ابي بكر بن بَرْنيق ٢١٨

ابو يحيى بن عبد الكريم العوفي ٣٧٠

ابو يحيى بن مطروح التميمي (انظر : ابن مطروح)

ابو يحيى عتيق بن ابي عمرو (انظر : عتيق)

ابو يزيد مغلد بن كيداد النكارى ، صاحب الحمار ٢٢ - ٢٤ - ٢٥

٢٧ - ٢٨ - ١١٩ - ٢٠٨ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٣٢١ - ٣٢٣ - ٣٢٤ - ٣٢٥

٣٢٦ - ٣٢٧

ابو يعقوب بن عبد المؤمن ٢٤٣ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٦١

ابو يعقوب الحنّاب ٢٦٠ - ٢٦١

ابو يعقوب الطرّي ١٤٣ - ١٤٤

ابو يعقوب المرينى ٤ - ٥ - ١٩٧ - ١٩٨ - ٢٢٠

ابو يوسف الدهمانى ٥٦

الاثبج (قبيلة) ١٨ - ٧٠

الاجدابی ، ابو اسحاق ابراهيم بن اسماعيل ١٤١ - ٢١٦ - ٢٦٢ -

٢٦٣ - ٢٦٤

احمد (اخو المؤلف) ١٩٨

احمد باشا باى ٨

احمد بن ابراهيم الفسانى ٣٧١ - ٣٧٤

احمد بن ابراهيم القيسي اللّلياني ٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٤

احمد بن أفلح ٢٨

احمد بن حنبل ٩

احمد بن خالد ٢٧٢

احمد بن دياب بن ربيعة بن زغب ١٣٤

احمد بن زريق البغدادي ٢٦٥

احمد بن عبد الله الرصافي ٢٩٩ - ٣٠٠

احمد بن عبد السلام الأموي التاجوري ٨٣ - ٢١٧ - ٢٥٤ - ٢٥٨

٢٧٠ - ٣٠٨

احمد بن علي بن سالم ٨٠

احمد بن عيسى الفماری ٢٥٧

احمد بن محمد بن يملول (انظر : ابن يملول)

احمد بن يحيى ٢٧١

احمد الواعظ ٦٦

الادريسي (الشریف) ١٢٢ - ١٢٤ - ١٤٣

الارموى (انظر : تاج الدين)

أسد بن القسرات ٢٦

اسد الدين شركوه ١١١

اسرائيل بن روح الساحلي ٦٦

اسكندر آصاف ٣٤

اسماعيل بن حصن ٦٦

اسماعيل الشيعي (المنصور بن القائم) ٢٨ - ٣٢٧ - ٣٢٨

اسماعيل بن ربّاح ١٢

الاثبيلي (انظر : ابو الحسن بن حجرى)

الاصابع (قبيلة) ١٣٤

الاصولى (عبد الرحمان بن ابراهيم) ٢٦٩ - ٣٧٨

الاعجمى (انظر : ابو العباس)

الاعشى الفهمي ١٣٨

الامير الازدى (انظر : ابن الصغير)

ام سالم بن مرغم ٢١٥

ام محمد بن سخنون ٦٩

ام موسى ٣٧٠

أمية بن ابي الصلت ٣١٤

أنس بن مالك ٦ - ٧ - ٣١

اولاد سهيل ٢١٢

أيوب بن خيران الزويلي النكاري ٢٤ - ٢٥

ب - ب -

الباجي ، ابو الوليد (انظر : ابو الوليد الباجي)

باديس بن يوسف بن زيري (باديس بن المنصور) ٩٦ - ١٨١ -

١٨٢ - ٢١٨

البارزي (انظر : ابو الحسن البارزي)

البخاري ١٤٢ - ٢٥٦ - ٢٥٨

برغواطية (قبيلة) ٩٦

البرقي ، ابو زكرياء (انظر : أبو زكرياء)

بُشْرِى الصقلبي ٢٤ - ٢٥

الْبَكْرِي ، ابو عبيد (صاحب السالك) ٦ - ٧ - ٨ - ١٠ - ١٣ - ٢٨

٥٧ - ٨٩ - ٩٤ - ٩٦ - ١٥٥ - ٢٤٧ - ٢٥٩ - ٢٧١ - ٣٢٢ - ٣٢٦

البركى ، ابو يعقوب يوسف بن السباط (انظر : يوسف بن علي)

الْبَلَوِي ابو عبد الله بن ابي سلام (انظر : ابن أبي سلام)

بنو ابي زاكى ٢٣٠

بنو احمد ١٣٤ - ١٤١

بنو أسد ١٦٠ - ١٦١

بنو الاغلب ١٣ - ٨١ - ٢٤٩

بنو أمية ٢٣٩

بنو تاسا ٢١٦

بنو التجاني ٢٥٦

بنو تميم (انظر : تميم)

بنو تيجان ٢٢٨ - ٣٠٦

بنو جارية بن وشاح ٢٠٦

بنو جامع ٥٥ - ١٠٠ - ١٠٢ - ١٦٣

بنو حَسَّين ٢١٧

بنو خُرَّاسان ٣٤٥

بنو خَزْدُون ٢٤١

بنو خطاب الهواريون ١١٢

بنو خِيار ٨٥ - ٣١٦

بنو دَبَّاب ٨٥

بنو دَبِير ١٦٠

بنو دَلَّاج ١٥

بنو رَحَاب ١١٨

بنو رَزَق ٢١٧

بنو الرُّنْد ١١٤

بنو زِيْرِي ١٧ - ٣٢٨

بنو سَلام ٢١٧

بنو سَمُومَن ١٢٣

بنو سِنَان بن عامر ٨٦ - ٢١٤

بنو سَهْم ١٤٠

بنو صَلْتَان ٢٢

بنو عامر الصنهاجيون ٩٦

بنو عامر بن صَعَصَعَة ١٨

بنو عبد السَّيد ٣٤٥

بنو عبد المؤمن ١١٣ - ١١٤

بنو عَبِيد ١٦ - ٢٥٣ - ٢٦٦ - ٣٢٨

بنو عَبِيد الله ١٩

بنو عزو ١٢٣

بنو عشرة ٣٤٤

بنو عَنُوف بن سَلِيم ١٥ - ٨٥

بنو عيسى ٣١٠

بنو فارة ٣١٦

بنو فَقْمَر ١٦٠ - ١٦١

بنو قَرِيظَة ٩٢

بنو لُقْمَان الكَتَامِيُون ٩٦

بنو مالك بن التَّجَار ١٢٤

بنو مجريس ٢١٦

بنو مُدَلِّج ٢٣٩

بنو مِدْنِين ٢١٧

بنو مُرْدَاس ١٦٣

بنو مزبلة ٢١٧

بنو مطروح ٢٣٧

بنو مناد ٧٠ - ٩٩

بنو نِفزاو ١٤٣

بنو نقاد ٢٦٤

بنو وشاح بن عامر ٨٦ - ١١٨

بنو ولول ٢١٠

بنو يزيد ١٣٤

البهلول بن راشد ٣٢

اليساني (انظر : الفاضل اليساني)

- ت -

تاج الدين الازموي ٣٦٨

التاجوري ، ابو العباس احمد بن عبد السلام الاموي (انظر : احمد

ابن عبد السلام)

التاجوري ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحسيني (انظر : محمد بن

عبد الله)

تاسا (زوجة وخيع) ٢١٦

التاسيون (قبيلة) ٢١٦

تاشفين بن غازى ٢٤٥

التجاني ، ابو الحسن (انظر : ابو الحسن علي)

التجاني ، ابو الفضل (انظر : ابو الفضل)

التراب السوسي ٤٣

التركي ٧٠ - ٧١

تقي الدين (الملك المظفر) ١٠٣ - ١١٢ - ١١٣ - ١٤١

تمام بن المبارك ٢٤٠

تسيم (قبيلة) ٣٠٧

تسيم بن المعز ٢٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٩٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣٠

٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٣

تسيم بن الحسن (الصنهاجي) ٣٤٢

التنوشي ، ابو القاسم بن البراء (انظر : ابو القاسم بن علي)

تورانشاه بن ايوب ١١٢

تيجان ١٦٥ - ٢٢٨

- ث -

ثقة الدولة (يوسف بن عبد الله) ٣٨ - ٣٩ - ٤٠

الثرى بنت عبد الله بن الحارث بن أمية الاصغر بن عبد شمس ٦٠

التمالي ٤٢ - ٥٤ - ٩١

- ج -

جابر بن مالك ٢١٧

جارية بن وشاح بن عامر ٢٠٦ - ٢١٢

جالوت ١٤٣ - ١٦٠

جبارة (أخو الميورقي) ٣٥٧

جبارة بن كامل بن سرحان بن الغنين القادسي ٣٠ - ٤٣ - ٤٧ - ٥٠

جيريل ٣٨٦

جيران العمود ٦٠

الجزر جرائي ١٦ - ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢

جرجي بن مخائيل الانطاكي (جرجير) ٢٤١ - ٣٣٣ - ٣٣٥ - ٣٤٠
٣٤١ - ٣٤٢

جرجير (صاحب سيطلة) ٥٨

جرير ٧٢

الجزري ، ابو عبد الله محمد (انظر : محمد الجزري)

جعفر بن حبيب ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ - ٢١٨

جعفر بن شرف ٥٣

جعفر بن يوسف بن عبد الله ٣٨ - ٣٩ - ٤٠

الجلندي (ملك قرطاجنة) ٨

جواب ٢١٢

الجَوَّاري (شاعر) ١٣٧

الجَوَّاري (قبيلة) ١٠٤ - ١١٨ - ١٧٩ - ١٨٧ - ١٨٨ - ٢٠٦ - ٢١٣

٢١٧ - ٣٠٧

الجَوَّابَة ١١٨ - ٢١٢ - ٢١٣

الجوهري ، ابو القاسم (انظر : عبد الرحمان)

- ح -

حاتم الطائي ٢٠٣ - ٣١١ - ٣١٢

الحاجب الموفق (انظر : مجاهد بن عبد الله)

حاجبي خليفة ٣٣

الحارث (صاحب بُونَة) ٣٤٤

حازم بن محمد بن حازم ١٨٤

الحافظ العبيدي ٣٤٠ - ٣٤٢ - ٣٤٤

الحاكم (العبيدي) ١٨٢

حبر قضاة (انظر : ابن الابار)

حسان بن ثابت ١٦١

حسان بن التيمان الفسّاني ٦ - ١٠ - ١١ - ٥٧ - ٥٨ - ١٦١ - ١٦٢

الحسّاني . ابو عثمان (انظر : سعيد بن خلفون)

حسن بن بُلْبُل ٣٦

الحسن بن علي بن يحيى ٧٤ - ٩٩ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ -

٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٨ - ٣٤٩

الحسن بن زيد بن الحسين بن علي بن ابي طالب ٢٠٩

الحسن بن عبد الرحمان بن عذرة (انظر : ابو الحكم)

الحسن بن العزيز ٣٤٤

الحسن بن موسى بن معمر الهواري الطرابلسي ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٧

٢٧٨ - ٢٧٩

حسن حسني عبد الوهاب ٦ - ٥٦

الحسين بن علي بن ابي طالب ٣٢٤

الحسيني ، ابو عبد الله التاجوري (انظر : محمد بن عبد الله)

حصن (قبيلة) ٦٥

حفص بن حميد الجزري ١٢

حكيم (قبيلة) ٥٥ - ٦٥

الحكيم بن عمر البهراني الاعمى ٦٢

الحكيمى ، ابو محمد (انظر : عبد الجليل)

الحكييون ٢١٩

حمّادي المالقي ٣٥٨

الْحَمَارِثَةُ (قَيْلَةُ) ١٣٤

حُمُرَانُ بْنُ جَابِرٍ ١٣٤

حَمْزَةُ بْنُ حَمْزَةَ ٣٤٥

حَمُو بْنُ مَلِيلٍ الْبَرْغَوَاطِيُّ ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٩٧ - ٣٣٠

حَمِيدُ بْنُ جَارِيَةَ ١٠٤ - ٣٠٧ - ٣٠٨

الْحَمِيدِيُّ ٥٣ - ٥٤ - ٧٩

حَنَشُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصُّعْمَانِيُّ ١٢٤ - ١٢٥

حَنَشُ بْنُ عَلِيِّ الصُّعْمَانِيِّ ١٢٤ - ١٢٥

الْحَنْفِيُّ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَثْمَانَ (انظر : الزناتى)

- خ -

الْخَارِجِيُّ (انظر : محمد الخارجي)

خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ ٣١

الْخُبَرَاءُ زُرِّي (انظر : نصر بن احمد)

الْخُرَاجَةُ (بطن من بنى يزيد) ١٣٤

خَزْرَدُونَ بْنُ خَلِيفَةَ ٢٦٧

الْحُشَابُ (انظر : ابو عبد الله)

الْحُشَابُ (انظر : ابو يعقوب)

الخَضِر (عليه السلام) ٢٤٨ - ٨

خَطَّاب البرقي (انظر : ابو نزار)

الخطابي (انظر : ابو سليمان)

الخطايون ٢١٧

الخليل (ابراهيم عليه السلام) ٣٠٨

الخليل بن احمد ٨٧

خليل بن اسحاق ٢٤١ - ٢٤٦ - ٢٥٣ - ٣٥٤

الخليلي (انظر : محمد بن عبد الله الحسيني)

الخياري (انظر : ابو عبد الله)

- ٥ -

داود (عليه السلام) ١٤٣ - ١٦٠

داود بن ابي داود ، ابو سليمان ٨٤

دباب بن ربيعة بن زغب ٨٥ - ١١٣ - ١٣٤ - ١٤١ - ١٨٠ - ٣١٠

الدبايون (قبيلة) ٨٦ - ١٠٤ - ١١٠ - ١١١ - ١١٣ - ١٤١ - ٢١٣

الدبّاغ (صاحب معالم الايمان) ٥٦ - ١٢٤

الدّعِي ، ابن ابي عِمّارة ١٠٤

دلاج (قبيلة) ١٦ - ٥٥

- ذ -

ذبيان (قبيلة) ٩١

ذو الرمة ٣١٣

- ر -

رافع بن مكي بن كامل ٩٥ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ - ٣٣٣ - ٣٣٤

ربيعة ١٤١

رَجَّار (انظر : لجار)

الرجراجي (انظر : محمد بن عبد الكريم)

رحاب بن محمود بن طُوق بن بَقِيَّة بن وشاح ١١٨

الرُّشَاطِي ٢٦ - ٦٦ - ٨٣ - ٨٦ - ١٤١

رُشَيْد بن مدافع بن جامع ٩٥

الرشيذ ٢٣٩

الرصاصي ابو العباس (انظر : احمد بن عيد الله)

الريق (ابو اسحاق ابراهيم بن القاسم) ٦ - ٧ - ١١ - ٣٢ - ٨٣ -

٢٤١ - ٣٢٠

رويف بن ثابت الانصاري ١٢٤ - ١٢٥

رياح (قبيلة) ١٨

الرياحيون ١٥ - ١١٣

الرينى ٢٧٣

- ز -

الزبير بن أبى بكر الزبيرى ٢٦٤

زعب الاصغر ١١٣ - ١٤١

زعب الاكبر ١٤١

الزعيون (زعب ، قبيلة) ١٤١ - ١٤٢

زَعْبَة (قبيلة) ١٨ - ٢٦٧

زكرياء بن قادم ٢٤٠

زناتة (قبيلة) ١٤٣ - ٢١٦ - ٢٦٧ - ٣٢٧

الزناتى ، ابو عبد الله (انظر : محمد بن ابراهيم)

الزناتيون ١٨٣ - ٢٤١

زهير بن قيس البلوي ٥٧

الزوارى (انظر : عبد الرحيم الزوارى)

زيادة الله بن الاغلب ٢٤٠

زيّان الصقلبي ٢٤٠

زيد بن ثابت ٦ - ٧

زيري بن مناد الصنهاجى ١٦ - ١٧ - ٣٢٨

- ٤٣١ -

- س -

ساكن بن عامر ١٠٢

سالم بن رافع ١٣٤ - ٢٢٠

سالم بن مرغم ١٧٩ - ١٨٣ - ٢٠٦ - ٢١٥

سالم الفتى ٣٦١

سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ٢٥٥

سجبان وائل ٣٨٦

سخنون بن سعيد ٥٦ - ٦٩ - ٢٥١

سعد بن معاذ ٩٢

سُفدى ٣٧٣

السعيد خليفة مراکش (على بن يوسف بن تاشين) ٨٢ - ٨٤

سعيد بن خزرون ٢٦٧

سعيد بن خلفون الحسانى ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١

سفيان بن عيينة ٣٠ - ٣٢

سِلّاح دار (انظر : ابراهيم بن قراتكين)

سَلّام بن فرحان ١٠١

سَلّيم ١١٥ - ٢٠٦

سليمان بن خلف (انظر : ابو الوليد الباجي)

سليمان بن رافع بن دباب ١٣٤

سليمان بن محمد المهدي الصقلي ٥٣

سَمْدُونَة ٢٥١

سنان بن عامر بن جابر ٢١٣

سهل الوراق ٢٨

سَهْل بن عبد العزيز بن مروان ٦٠

سهيل (انظر : ابو عيسى)

سهيل (انظر : اولاد سهيل)

السَّهْلِي (انظر : ابو القاسم السهيلي)

السَّيْقَاطِي (انظر : ابو الحسن)

السيوطي . جلال الدين ١١ - ١٤١

- ش -

الشاطبي (انظر : ابو الحسن)

شرف الدين (انظر : قراقوش)

الشريف الادريسي (انظر : الادريسي)

شَرِيكَ العنسي ١١

الشَّعَاب (انظر : عبد الله الشعاب)

شُكْر الصَّقْلِي ٢٥٤

الشماخ بن ضرار ١٨٣

شمس الدولة (انظر : الملك المعظم)

شهوان بن عيسى بن عامر .. بن دباب ٣١٠ - ٣١١

- ص -

صاحب الحمار (انظر : ابو يزيد مغلد)

الصدفي (انظر : عبد الحميد بن ابي البركات)

الصفراوي ٢٧٣

صفوان بن ادريس ٣٧٧

صلاح الدين يوسف بن أيوب ١٤ - ١٠٣ - ١١١ - ١١٢ -

١١٣ - ١١٤

صنهاج بن لفظ ٢١٦

صنهاجة ١٦ - ٣٠ - ٦٩ - ٩٥ - ٩٦ - ٣٢٧ - ٣٣٣ - ٣٤٤

الصنهاجيون ٢٤١

صهب بن جابر .. بن دياب ١٣٤

الصهبة ١٣٤

الصهر (انظر : ابو بكر الصديق)

- ٤٣٤ -

- ض -

ضريس بن الاصفر بن نفزاو (جالوت) ١٤٣
ضريسة (قبيلة) ٣٢٥

- ط -

طرفة ٣١٣
طبرود (قبيلة) ٥٥ - ٦٥
الطري (انظر : ابو يعقوب)
طبي (قبيلة) ٣١١ - ٣١٢

- ظ -

الظاهر العبيدي ٢١

- ع -

عاد ١٧٣
عاصم ٦٠
عامر (ابو قبيلة وشاح) ٢١٤
عامر بن محمد بن مكى بن كامل بن جامع (انظر : ابو ساكن)
عباد بن كثير ٣١

العباس بن الاحنف ٤١

عبد الله ٣٣

عبد الله (التجاني المؤلف) ١٣ - ٩٢ - ١٤٠ - ١٥٠ - ١٦٥ - ١٦٨

١٧١ - ١٨٩ - ١٩٠ - ٢٣٠ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٨١

٢٨٥ - ٢٩٤ - ٢٩٦ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠٣ - ٣٠٦ - ٣٨١

عبد الله بن ابراهيم بن أبي مسلم القابسي ٢٥٧

عبد الله بن ابراهيم بن المشي ٣٦٦

عبد الله بن ابي الطاهر الجنياني ٨١ - ٨٢

عبد الله بن أبي مسلم ٢٤٦

عبد الله بن احمد بن زياد ٦٦

عبد الله بن احمد الازدي المَسِيلِي (ابو محمد) ١٣٠ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦

عبد الله بن الاغلب ١١

عبد الله بن دباب ٢١٤

عبد الله بن دينار ٣١

عبد الله بن الزبير ٢٧ - ٥٨ - ٢١٢

عبد الله بن سعد بن ابي سرح ١٣ - ٥٨ - ٦٥

عبد الله بن عبد الرحمن بن علي القُرَيَّاني ٨٣ - ٨٤

عبد الله بن عبد الكريم الغماري ٢٥٧

عبد الله بن عبد المؤمن ١٠١ - ٣٤٥ - ٣٤٧

عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن هانئ الطرابلسي (انظر : ابن هانئ)

عبد الله بن محمد بن عبد الكريم ٣٥٣ - ٣٥٤

عبد الله بن محمد بن عامر بن أبي عامر (انظر : أبو حفص)

عبد الله بن محمد العطار ٧٣

عبد الله الشعاب ٢٤٧ - ٢٤٨

عبد الله الميودقي ٢٤٤

عبد البر بن فرسان ١٠٦ - ١٠٨ - ٢٤٤

عبد الجليل الحكيم (ابو محمد) ٢١٩

عبد الحق (صاحب الاحكام) ٨ - ٩

عبد الحق بن علي الكومي ٣٠

عبد الحق يحيى بن عبد الحميد الحماني (انظر : يحيى بن عبد الحميد)

عبد الحليم بن عبد الواحد بن عبد الحميد السوسي ٤٢

عبد الحميد بن أبي البركات بن عمران بن أبي الدنيا الصدي ٢١٨ - ٢٥٢

٢٥٣ - ٢٥٧ - ٢٧٢

عبد الرحمان بن ابراهيم الأصولي (انظر : الاصولي)

عبد الرحمان بن حبيب ٢٣٩

عبد الرحمان بن زياد بن انعم الافريقي ٣١ - ٣٢

عبد الرحمان بن عبد الله الجوهرى ٢٦٥ - ٢٦٧ - ٣٧٢

عبد الرحمان بن عتاب ٨٠

عبد الرحمان بن عمر الفريانى ٧٦

عبد الرحمان بن محمد الحضرمى اللبىدى (انظر : ابو التاسم عبد

الرحمان)

عبد الرحمان بن عيسى ٣٦٦

عبد الرحمان النصرانى (الصقلى) ٣٣٣ - ٣٣٥ - ٣٣٦

عبد الرحيم الزوارى ٢٠٧ - ٢٠٩

عبد الرفيع ٣٥٥

عبد السلام بن عثمان الفيتورى ٢١٩ - ٢٥٩

عبد السلام الكومى ٣٤٥

عبد السيد بن عبد السيد ٣٤٥

عبد السيد الزمىدينى ٥٦

عبد العزيز بن مروان ٦

عبد العزيز القمودى ٣٤٥

عبد العزيز بن عبيد (انظر : ابو فارس)

عبد العزيز بن عمار ٧٤

عبد المجيد بن محمد بن المستنصر بن الظاهر (انظر : الحافظ الميىدى)

عبد الملك بن مروان ٦ - ٧ - ١٣ - ٥٧ - ٥٨ - ١٦١ - ١٦٢

عبد المؤمن ٣٠ - ٧٦ - ١٠٠ - ١٠١ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤

٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٦١

عبد الواحد (المخلوع) ٣٦٣

عبد الواحد بن ابي حفص (انظر : ابو محمد عبد الواحد)

عبد الواحد بن أبي يَغْمُور الهنتاتي ١٧١

عبد الوهاب بن خلف بن القاسم السوسي (انظر : ابن الفطاس)

عبد الوهاب بن محمد الهنزوتي ٢٥٦

عبد الوهاب القيسي ٢٥٩ - ٢٦٢

عبيد الله الشيعي (المهدي) ٥٦ - ٢٤٠ - ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٣ -

٣٢٤ - ٣٢٦

العبيديون ٢٤١ - ٣٢٠

عتيق بن أبي عمرو (ابن عريية) ٣٧٩

عتيق بن المنصور ٣٤٥

عثمان بن ابي القاسم بن عبد الرحمان بن حشرون المهدي ٣٦٦

عثمان بن عتيق بن عثمان القيسي (ابن عريية) ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٧٩

عثمان بن عثمان ١٠ - ٥٨

عدي بن حاتم ٣١١

عدي (قبيلة) ٧٠

المرجاء ، أم صنهاج ٢١٦

العزیز بالله ٣٨

المُسَلِّي ، ابو محمد عبد الله بن احمد الازدي (انظر : عبد الله)

المطار ٧٩

عقبة بن نافع القرشي ١٦١ - ١٦٢

علي بن ابراهيم التجاني (انظر : ابو الحسن علي)

علي بن ابي طالب ٩١ - ٢٠٨

علي بن ابي بكر بن بلال (انظر : ابو الحسن علي)

علي بن احمد (ابن الصفار السوسي) ٣٤

علي بن احمد بن الحبيب ٢٥١

علي بن أحمد بن خراسان ٣٤٦

علي بن اسحاق الميورقي ١٤ - ١٥ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٦٢

علي بن حبيب التنوخي ٦٨ - ٧٦

علي بن الحسن (الصنهاجي) ٣٤٢

علي بن حسن بن الحسين الهنائي ... كراع (انظر : ابو الحسن علي)

علي بن رزق الرياحي ٢٧١

علي بن زياد ٢٧١

علي بن سالم (جدابي اسحاق الجبنياني) ٦٩ - ٨٠

علي بن عبد الكريم بن ابي غالب ٣٦٦

علي بن الغازي ٣٥٦ - ٣٥٨ - ٣٥٩

علي بن المظلي ٣٥٧

علي بن محمد بن المنمر (انظر : ابن المنمر)

علي بن المديني ١٢٥

علي بن مغيث ، ابو الحسن ٢٦٤

علي بن موسى بن سعيد ٢٥٢ - ٣٠٨

علي بن ميسون ٣٣٥

علي بن يحيى ٧٤ - ٩٨ - ٩٩ - ١٢٥ - ٣٣٣ - ٣٣٤

علي بن يوسف بن تاشفين ٣٣٤ - ٣٣٥

عماد الدين الاصفهاني ٤٣ - ١٠١ - ١٠٦ - ٣٦٧

عمار بن علي بن الحسين ٢٢

عمر بن أبي الحسن الفرياني ٧٥ - ٧٦

عمر بن أبي ربيعة ٦٠

عمر بن الخطاب (الفاروق) ٩ - ٣٨٥

عمر بن عبد السيد ٣٤٥

عمر بن عيسى بن الشيخ أبي حفص ٣٦٣ - ٣٦٤

عمر بن المعز بن باديس ٩٧

عمران بن حصين ٣١

عمران بن موسى بن معمر الهواري الطرابلسي (انظر : ابن معمر ،
ابو موسى)

عمرو ١٤٦ - ٢٠٣

عمرو بن العاص ٢٧ - ٢١٢ - ٢١٥ - ٢٣٩ - ٢٤٥

عَمُور بن وشاح ٢١٢

الْعَمُور (قبيلة) ١١٨ - ٢١٢ - ٢١٣

الْعَمُوري ، (انظر : أبو عيسى)

عوف ٣١٣

العوفي (انظر : أبو يحيى بن عبد الكريم)

عيسى (المولى ، اخو يوسف) ١٠٠

عيسى بن أحمد ١٣

عيسى بن جعفر ٨٧

- غ -

الغازي بن اسحاق الميورقي ٣٥٥

الغبريني (صاحب عنوان الدراية) ١١٦

الغَزَّ ١١٣ - ١٣٧ - ١٤٧

الغزالي (انظر : ابو حامد)

الغزولي (صاحب مطالع البدور) ٥٥

الفساني ، ابو العباس (انظر : احمد بن ابراهيم)

غَلْبُون بن مرزوق السالمي ٢٢٠

غَلِيَّام بن لُجَّار ٧٥

الغماري ، ابو محمد (انظر : عبد الله بن عبد الكريم)

الغماري ، ابو العباس (انظر : احمد بن عيسى)

- ف -

الفادعي (انظر : جبارة بن كامل)

الفادعي (انظر : مُحَرِّز بن زياد)

فارس بن الفَيْث ٣٢٩

الفاروق (انظر : عمر)

الفاضل اليسانى ١٤ - ١٥ - ١٤٧ - ٢٤٣

الفتح بن محمد ٣٥٧

الْفَرَزْدَق ٧٢ - ٧٣ - ١٦٠

فِرْعَوْن ١٤٢

الْفَرِيَّانِي (انظر : عبد الله بن عبد الرحمن)

الْفَرِيَّانِيُون ٨٣

فضل بن أبي المنبر ١٢

الفضل بن ابي يزيد صاحب الحمار ٣٢٥

الفضل بن أبي على المرداسي ٣٢٩ - ٣٣٠

الفضل بن يحيى ٣٤

الْقُضَلِ بن عِيَّاض ٢٥١

الْقُضَلِي ، ابو عبد الله (انظر محمد بن يحيى)

فُلْفُل بن سعيد الزناتي ١٨٣

- ق -

قائد بن العزيز ٣٤٣

القائم ، ابو القاسم الشيعي (انظر : أبو القاسم)

القابسي ، ابو الحسن (انظر : أبو الحسن)

القابسي ، ابو محمد (انظر : عبد الله بن ابراهيم)

قاضي بن محمد الصنهاجي ٩٦ - ٩٧

القاضي عياض ٢٥٦

قدامة ٣٣

قُرَّة بن شريك ١١

قَرَّاقُوش الارمني (المظفري ، او الناصري) ١٥ - ١٠٣ - ١٠٤

١٠٥ - ١١٠ - ١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤ - ١١٥ - ١٣٦ - ١٤٧

٢٤٤ - ٢٤٣

الْقَرَوِي ٢٥٤

الْقَرَوِيون ٢٥٣ - ٢٥٥

قَبْرِیْظَة ٢٨

قَبْزَاح ٦٣

القَضَاعِي (انظر : ابن الابار)

القَطَّان (انظر : ابو موسى عيسى)

القَلَانِسي (انظر : محمد بن حبيب)

القياد ٢١٧

قيس بن ذريح ٧٢

- ك -

الكاهنة (كاهنة لواتة) ٥٧ - ٥٨

الكتاميون ٢٢ - ٣٢٥

كُراع (انظر : ابو الحسن علي)

الكلاعي (ابو القاسم بن أبي محمد بن علي بن قائد) ٣٨١

- ل -

اللَّيْدي (انظر : ابو القاسم عبد الرحمن)

لجَار ١١ - ٧٤ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٢٢ - ١٢٤ - ١٤٣ - ٢٤١

٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٩ - ٣٤٠

لحيان (قبيلة) ١٦١

لسان الدين بن الخطيب ٣٨

الأنلياني (انظر : احمد بن ابراهيم القيسي)

لنط ٢١٦

النوّاتي ، ابو عبد الله ، ابن الحجاز (انظر محمد بن علي)

لويس شيخو ٣١٤

ليث بن أبي سليم ٣١

- م -

مالك بن أنس ٦٦ - ٢٠٩

مالك بن علوان الصخري (انظر : ابن علوان)

المتنبّي (انظر : ابو الطيب)

المتوكل على الله (انظر : محمد بن عبد الكريم)

مجاهد ٣١

مجاهد بن عبد الله (الحاجب الموفق) ٨٢

مجريس ٢١٦

المجريسيون ٢١٥ - ٢١٦

الحاميد - ١٠٤ - ١١٨ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٩٧ - ٢٠٥ -

٢٠٦ - ٢١٢ - ٢١٣

مُحَرِّز بن خَلَف ٢٥١ - ٣٢١

محرز بن زياد القادعي ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٣

محمد (الخارجي) ٣٤٥

محمد (رسول الله - المصطفى - احمد - الهادي - النبي صلى الله

عليه وسلم) ٣ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩ - ٣١ - ٣٢ - ٥٠ - ٩٤ - ١٤٦

١٥٠ - ١٥٣ - ١٩٦ - ١٩٧ - ٢٥٣ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٧٤

٣٦٤ - ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٣ - ٣٨٤ - ٣٨٧ - ٣٩٠

٣٩٢ - ٣٩٣ - ٣٩٥

محمد بن أبان بن صالح ٨

محمد بن ابراهيم بن جامع المرداسي ١٥٥

محمد بن ابراهيم بن عثمان الزناتى (الحنفى) ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧١

محمد بن أبي بكر البلوي (انظر: ابن ابي سلام)

محمد بن أبي تميم المعز بن سليمان ٦٩

محمد بن أبي الحسن التجاني : (انظر : ابو الفضل)

محمد بن أبي عمران بن عيسى بن عمران ٢٦٨

محمد بن أبي القاسم القيسي الازدى ٣٧٠

محمد بن أبي محمد عبد الوهاب القيسي ٢٦٢

محمد بن اسماعيل الجعفي البخارى (انظر : البخارى)

محمد بن الاغلب (انظر : ابو العباس محمد)

محمد بن البراء المهدوي ١٤

محمد بن بشير ٩٩ - ٣٣٤

محمد بن حبيب (القلانسي) ٣٢٩ - ٣٦٦

محمد بن الحسين بن أبي الفتح (انظر : ابن ميخائيل القرشي)

محمد بن الحسين الارموي (انظر تاج الدين)

محمد بن حيون ١٥٤

محمد بن خطاب بن عبد الله ١١٢

محمد بن رشيد ١٠٠ - ٣٤٠

محمد بن سخنون ٦٩

محمد بن عبد الجبار الرعيني ٥٢

محمد بن عبد السلام الكومي ٣٥٢

محمد بن عبد العزيز بن ميسون ٣٣٩ - ٣٤٧ - ٣٤٨

محمد بن عبد الله بن أبي عامر (انظر : المنصور)

محمد بن عبد الله الحسيني التاجوري ٣٠٨

محمد بن عبد الله الكاتب ٩٩

محمد بن عبد الله الهواري ٢٢٧ - ٢٣٠ - ٢٩٥ - ٢٩٨

محمد بن عبد الكريم الرّجراجي ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٦

محمد بن المطاز القرطبي (انظر : ابن المطار)

محمد بن علي بن ابراهيم بن الغباز اللواتي ٣٦٧ - ٣٦٨

محمد بن علي بن حماد ١١٦

محمد بن علي التجاني (انظر : ابو الفضل)

محمد بن علي المصري ١٣٥

محمد بن عمر بن رأس الحجلة ٣٠١

محمد بن عمر بن لبابة ٢٧٢

محمد بن فاضل البكري الافريقي ٢٦٣

محمد بن فرج الكومي ٣٤٩

محمد بن فطيس (انظر : ابن فطيس)

محمد بن محمد المزدوري الهنتاتي ٨٦

محمد بن يحيى العدل ٢٦٩

محمد بن يحيى الفضلي ٢٧٦ - ٢٧٧

محمد بن يعيش (انظر : ابن يعيش)

محمد بن يغمور الهنتاتي ٣٦٠ - ٣٦٣

محمد الجزري ، ابو عبد الله ٣٠٢

محمود بن طوق بن بقة ٣٠٤

محمود مقديش ٣١

مخلد بن كيداد (انظر : أبو يزيد)

مَخْدُومًا (ابن اللحياني ، السلطان الحفصي) ١٢٩ - ١٤٧ - ١٥٠

١٥٥ - ١٦٣ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٩١ - ١٩٣ -

١٩٨ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٦ - ٢١٣ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢٧ - ٢٥٥ -

٢٨٠ - ٢٨٨ - ٣٠٦ - ٣١٦ - ٣١٧ -

مُدَافِع بن رشيد ١٠٠ - ١٠١ -

مُدَام (الخادم) ٢٦ -

مُدَلِّج ٢٣٩ -

المُدَلِّجِي ٢٣٩ -

المَرَاعِمَةُ ٢٠٦ - ٢١٧ -

مَرْبَع ٧٣ -

مرغم بن صابر ٢١٧ -

مُرْنَاق ١٠ - ١١ -

مروان بن الحكم ٧ -

المَسْرِي (انظر : ابو يعقوب)

المَزْدُورِي ، ابو عبد الله محمد (انظر : محمد بن محمد المزدوري)

مُساوِر بن هند ١٦٠ - ١٦١ -

المُسْتَنْصِر (العيدي) ٢١ -

المُسْتَنْصِر (الحفصي) ٩٠ - ١١١ - ٢٧٣ - ٢٧٥ - ٣٧١ -

مستوية النكارى ٢٢ - ٢٣

مسمود بن رُمَّان ١١٣

مُسْلَم بن حجاج القُشَيْرِي النِّسَابُورِي ٢٥٥

المسيح (عيسى عليه السلام) ٣٨٩

المشاركة ٢٠٦ - ٢٢٠ - ٢٦٥ - ٣٠٦ - ٣١٦ - ٣١٧

المشْرِقِيُّونَ ٢٦٤

المصاميد ١٤٣

مضر بن تميم القَرَاري ٧٧

مطَرَف بن عبد الله ٣١

مطَرَف بن علي بن حَمْدُون ٣٤٠

مُظَفَّر بن علي ٧١ - ٧٢

المعاوى (ابو القاسم بن معاوية اليحصبي) ٣٧٦

معاوية (بن ابي سفيان) ١٢٤ - ١٦١

معاوية بن حَديج ٢٦ - ٣٢

معاوية بن عبد السيد ٣٤٥

مَعَد بن اسماعيل (انظر: المعز لدين الله)

معروف الكُزَخِي ٨٤

المَعَرِّي (انظر: ابو العلاء)

مُعَلِّمُ الْفَتِيَانِ ٣٢١

المعز لدين الله ١٦ - ١٧ - ٣٢٨

المعز بن باديس ١٤ - ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢٨ - ٢٩ - ٧٠ - ٩٦

٩٧ - ١٢٥ - ٣٢٤ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣٠

المعز بن محمد الصنهاجي ٩٦

المقاربة ٢٢٠

المَغْرِبِيُّونَ ٢٦٤

مفرج بن يَاضَة ١٣ - ٢٤٩

المفرجى (انظر : ابن العطار القرطبي)

المَقْدُمُون ١٨٧

المَقْرِي (صاحب نفح الطيب) ٩٠

مكى بن كامل الرياحى ٧١ - ٩٧

الملثم ٣٣٩

الملثمون ٣٣٤

الملك المعظم ، شمس الدولة ١١٢

الملك الناصر (انظر : صلاح الدين)

• المتصر بن خزرون ٢٦٧

المنصور العبيدي (انظر : اسماعيل الشيعي)

المنصور (يعقوب بن يوسف) الموحدى ١٠٣ - ١٠٤ - ١١٤ - ١٣٦

١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٦٢ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٦١

المنصور بن ابي عامر (الحاجب) ٢٧٢

منصور بن اسماعيل ٣٤٥

المنصور بن ماواس ٩٦

المنصور بن مليل البرغواطى ٧٠

المنصور بن الناصر ٠٠ بن حماد ١١٥

المهدوى (انظر : ابن ابي الحواجب)

المهدوى (انظر : أبو المجد الصوفى)

المهدي (ابن تومرت) ١٢١ - ٢٤٥

المهدى الميبدى (انظر : عبيد الله الشيعى)

المَوارقة ١٣٦ - ١٦٢

الموحدون ٧٦ - ٩٥ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١١٠ - ١٣٦

١٤٧ - ٢٣٧ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٣٤٤ - ٣٤٦ - ٣٥٣

٣٥٥ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٣

موسى (عليه السلام) ٨ - ٣٧٠

موسى بن عيسى بن عمران ٢٦٨

الموفق (انظر : مجاهد بن عبد الله)

مؤمن بن فرج الهواري الطرابلسي ٢٦٥ - ٢٦٦

مؤنس بن يحيى الهلالي ٩٦ - ٩٧

ميمون بن حمدون ٣٤٢ - ٣٤٣

الميسورقي ٧٦ - ٨٥ - ١٠٣ - ١٠٥ - ١١٠ - ١١٣ - ١١٤ - ١٢٠

١٣٦ - ١٤٧ - ١٨٠ - ٢١٥ - ٢٤٤ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦

٣٥٧ - ٣٦٢

- ن -

النابغة الذبياني ٩١

ناصر (مملوك الناصر) ٣٥٩

الناصر (الخليفة الاموي بقرطبة) ٢٧٢

الناصر (الموحدى) ١١٠ - ١٤٧ - ١٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩

٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢

الناصر بن عتاس بن حماد ١١٥

نائل بن عامر بن جابر (جد قبيلة النوائل) ٨٦ - ١١٨ - ٢١٤

نيل ٣٦٠

نصر بن احمد الخبزا رزي ٥٤

النخير ٢٨

النفايتون ١٨٨

نَفْزَاو ١٤٣

النَّفْطَى (انظر : ابو علي)

نَفُوسَة (قِيلَة) ٢٣٩

النَّقَاد ٢٦٤

النَّكَارِي (انظر : ابو يزيد مخلد)

النَّكَارَى (النَّائِر على المعز بن باديس) ١٢٥

النَّوَائِل ٨٦ - ١١٨ - ٢١٤

نُوح (عليه السلام) ١٦١

نُور الدين محمود بن زَنْكِي ١١١

- ٥ -

هَرَاغَة ٣١٦

هَزْنَمَة بن أَغِين ٢٣٩

الهِرَغَى (انظر : أبو عبد الرحمان يعقوب)

الهِرَوِي ١٣٥

الهَلَالِيُون ٩٥

الهُنَائِي (انظر : ابو الحسن علي)

الهُنَاتِي ، ابو عبد الله (انظر : محمد بن محمد المزدوري)

الهنزوتى ، ابو محمد (انظر عبد الوهاب)

هوارين المثنى بن المسورين يخصب ٢١٦

هواره ٨٥ - ٢١٦ - ٢٢٩ - ٣٢٧

الهوارى ، ابو عبد الله (انظر : محمد بن عبد الله)

الهوارى ، ابو علي (انظر : الحسن بن موسى)

الهواريون ٢١٦

- و -

الواثق بن المستنصر ٢٧٥

والد التجانى المؤلف (أبو عبد الله محمد التجانى) ١١٧ - ١٢٩ - ١٩٤

١٩٨ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٨١ - ٢٩٤ - ٢٩٦

وخيع ٢١٦

الورانيز ٣١٦

الوردانيون ٥٦

الورغميئون ١٨٧

وشاح بن عامر ١١٨ - ٢٠٦ - ٢١٤

الوشاحيون ٢١٢ - ٢١٤

الوليد بن عبد الملك ٢ - ٨ - ١١

- ي -

الْيَازُورِي ٢١ - ٩٦ - ٣٢٨

يَاقُوت (نائب قراقوش) ١٤٧ - ٢٤٤ - ٢٤٥

يَاقُوت الحَمَوِي ٤٩ - ٥٥ - ٨٧

يَاسِر الصَّقْلِي ١٨١ - ١٨٢ - ٢١٨

يَحْيَى بن اسحاق الميروي ١٤ - ١٥ - ٥٩ - ١٠٤ - ٢٦٢ - ٢٤٤ - ٢٤٥

٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٧ - ٣٥٨

يَحْيَى بن تميم ٧٠ - ٧١ - ٧٣ - ٧٤ - ٩٧ - ٩٨ - ٣٣٠ - ٣٣٣

يَحْيَى بن الحسن (الصنهاجي) ٣٤٢

يَحْيَى بن عبد الحميد الحماني ٨

يَحْيَى بن العزيز صاحب بَجَايَة ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤

يَحْيَى بن المعز بن باديس ٣٣٩ - ٣٤٠

يعقوب بن أبي حفص بن عبد المؤمن ١٣٦ - ١٦٢

يعقوب بن أبي يعقوب الهرغلي (انظر : ابو عبد الرحمان يعقوب)

يعقوب بن عطية امير المحاميد ١٧٩ - ٢٠٥ - ٢٠٦

اليعيشي (انظر : ابن يعيش)

يوسف المستنصر ٣٦١

يوسف مولى محمد بن رشيد ١٠٠

يوسف بن أبي موسى عمران ٢٧٦

يوسف بن زيري ١٧

يوسف بن زيري ، ابو الحجاج (مؤلف الكافي فى الوثائق) (انظر :

ابو الحجاج)

يوسف بن عبد الله (انظر : ثقة الدولة)

يوسف بن عبد المؤمن (انظر : ابو يعقوب)

يوسف بن علي بن عبد الملك بن السمّاط (انظر : ابن السمّاط ،

ابو يعقوب)

يوسف بن المنصور (انظر : الناصر الموحدي)

يونس بن السمّاط (انظر : ابن السمّاط ، ابو علي)

يونس بن الشيخ ابي حفص ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢

يونس بن محمد الورداني ٥٦

در این روزها که در این روزها

در این روزها که در این روزها

در این روزها که در این روزها

در این روزها که در این روزها

در این روزها که در این روزها

در این روزها که در این روزها

در این روزها که در این روزها

در این روزها که در این روزها

در این روزها که در این روزها

در این روزها که در این روزها

در این روزها که در این روزها

در این روزها که در این روزها

در این روزها که در این روزها

در این روزها که در این روزها

در این روزها که در این روزها

در این روزها که در این روزها

در این روزها که در این روزها

در این روزها که در این روزها

در این روزها که در این روزها

در این روزها که در این روزها

فهرس

اسماء البلدان والمعالر

أ -

آبارزلوا ٣٥٠

الأبرق ٤٣

أبو الخبر ٢٠٥

أبو سهيل ٨٥

أبو فهر (رياض) ٣٧٥

أبو نصر (انظر : منزل ابي نصر)

أجأ (جبل) ٣١٨

أجاس (قرية) ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ - ٢٠٦ - ٣١٩

الأجرع ٣٧٨

الأجم (الجم) ٥٧ - ٦٥ - ١٦١

آجيم ١٢١

الاسكندوية ١٥ - ٢٣ - ٣٠ - ٢٣٩ - ٢٤٣ - ٢٤٥ - ٣٦٧

أشيشية ٨٤ - ٣٦٣ - ٣٦٤

أصنهان ٢٨

الاصنام (بالقبروان) ١٦٨

الاصنام (بين قبلي والحامة) ١٧٧

اطرابلس (انظر : طرابلس)

افريقية ٨ - ١٠ - ١٤ - ١٥ - ١٦ - ١٧ - ٢٠ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨

٣٠ - ٣٢ - ٣٣ - ٥٣ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦٥ - ٧٦ -

٨٠ - ٩١ - ٩٤ - ٩٦ - ٩٨ - ١١٠ - ١١٢ - ١١٦ - ١١٩ - ١٢٢ -

١٢٤ - ١٢٦ - ١٣٦ - ١٤٧ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ -

١٨٢ - ٢١٢ - ٢١٦ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٩ - ٢٦٥ -

٢٦٦ - ٢٧٥ - ٣٢٨ - ٣٤٠ - ٣٤٤ - ٣٤٦ - ٣٥١ - ٣٥٤ - ٣٥٦ -

٣٦٠ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٩

اقلبية ١٣

أم الاصابع ٦٦ - ٦٧

الاندلس ٩ - ٤٢ - ٥٣ - ٥٩ - ٦٠ - ٧٩ - ٨٠ - ٨٢ - ٨٣ - ٢٦١

٣١٤ - ٣٤٣ - ٣٥٩ - ٣٦٠

انطاكية ٩ - ٣٣٣

اهريقلية ٢٤ - ٢٥

أوثان ١٨٥

أوجلة ١١٢

الائيلة ٩

إيوان كسرى ١١٢

- ب -

الباب الاخضر (بطرابلس) ٢٤٠ - ٢٤٥ - ٢٤٦

باب البحر (بطرابلس) ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٥٢

باب البحر (بصفاقس) ٧٥

باب الجزيرة (بتونس) ٣٥٥

باب الحديد (بالمهدية) ٣٢١

باب زناتة (بطرابلس) ٢٦٤

باب السُّوَيْقَة (بتونس) ٣٥٥

باب عبد الله (بطرابلس) ٢٤٠ - ٢٤٥

باب قرطاجنة (بتونس) ٣٥٥

باب المنشر (بتوزر) ١٥٨

باب النساء (بقرطاجنة) ١٠

باب هَوَّارة (بطرابلس) ٢٤٥ - ٢٦٤ - ٢٦٨

بابل ٨٠

باجة ٢٤ - ٢٥ - ٢٧٥ - ٣٤٥ - ٣٦٢ - ٣٦٣

الباطن (بطرابلس) ٣١٨

بِالزُّمُو ٣٨

بئر الزكرة ٣١٩

بئر الشهداء ١٦٢

بئر طُشانة ٣١٠

بئر العقلة ٢٠٥

بئر الكاهنة ٥٨

بئر الكُنُود (بئر أبي الكنود) ٢٥٩

بئر ينوت ٣١٧

بجاية ١١٦ - ١١٩ - ١٦٢ - ٢٧٥ - ٣٣٩ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٦

٣٥٦ - ٣٦٤

البحيرة (برادس) ٧

البحيرة (بتونس) ٣٥٢ - ٣٥٥

بحر رادس ٨ - ٩

بحر الزقاق ٢٣

البحر المحيط ١٨٥

بندر ٩١

برشانة ٦٧

برقة ٩ - ٥٨ - ١٢٤ - ١٦١ - ١٨٢ - ١٨٥ - ١٩١ - ٢٢٠ - ٣٤٤

بُرْكة الخَدَم ٢٤٥

بَسْطَة ٣٦٣ - ٣٦٤

بَشْرِي ١٤٢ - ١٥٣ - ١٧٣

البَصْرَة ٥٤ - ٥٥ - ٨٧

البطحاء (بقابس) ١٧٨

بفداد ٨٤ - ٢٥٧ - ٣٤٤ - ٣٦٨

بنو يوسف ١٥٣

بولاق ٣٥٠

بونة ١١٩ - ٣٤٤ - ٣٥٤ - ٣٦٤

البيت الحرام ٥٠ - ١٧٠

بَيْش ٣٣١

- ت -

تاجرا ١٢٠ - ٣٥٧ - ٣٥٨

تاجورة ١٥٣ - ٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣١٦

تَاذَر ٢٠٦

تاسرًا ١٧٧

تاغْمِرِت ٣١٨

تاكَنْزِت ١٥٤ - ١٥٦ - ١٧٢ - ٢٠٧

تامسنا ٣٤٩

تَبْرَسُق ٣٧٧

تبسّة ٣٥٤

تَبْلَبُو ١٧٩

تبوك ٩٢

تَجَفَّت ١٣٣

ترشيش (تونس) ١٥٢ - ٢٠٣

ترنوط ٣٢٦

تفاضلات ٢٠٧

تلمسان ١٩٨

تليل ٢١١

تودرست (انظر: عين ودرس)

تَوَزَر ١٠٣ - ١٢٧ - ١٣٤ - ١٣٧ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨

١٥٩ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٧١ - ١٧٢ - ٢٠٧ - ٢٣٨

تونس ٤ - ٥ - ٦ - ٨ - ١٠ - ١١ - ١٣ - ١٤ - ١٥ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٥

٥٢ - ٥٣ - ٥٦ - ٥٩ - ٨٦ - ١٠٤ - ١١٣ - ١٣٦ - ١٤٧ - ١٦١

١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٩ - ١٧٩ - ١٩٢ - ١٩٤ - ٢٠٤ - ٢٣٤ - ٢٤٣

٢٥٦ - ٢٥٨ - ٢٦١ - ٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧٣ - ٢٧٤

٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٨٥ - ٢٩٢ - ٢٩٤ - ٣٠٦ - ٣٠٨ - ٣٢٠ - ٣٤١

٣٤٢ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٢٤٧ - ٣٥٢ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧

٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٧ - ٣٨٠ - ٣٩٣

- ج -

الجامع الاعظم (بتونس) ٢٧٣

الجامع الاعظم (بطنابلس) ٢٥٣ - ٢٦٤ - ٢٦٦

الجامع الاعظم (بالمهدية) ٣٢٣

جامع قابس ٩٤ - ١٧٨

الجبل الاحمر ٣٥٥

جبل درز ١٨٥

جبل دمر ١٤٧ - ١٨٥ - ١٨٩ - ٢٠١ - ٣٥٧

جبل الرحمة ٣٧٧

جبل الرصاص ٢٣

جبل زيري ٣٤٤

جبل سُهَيْل ٥٩

جبل الفتح ٢٦١

جبل كيانة ٣٢٧

جبل المُعَسَّكِر ٣٨

جبل مَمْطُور ٣٢

جبل نفوسة ١١٣ - ١٨٥ - ٣٥٦

جبل وِسلات ٣٢

جنيانة ٨٠ - ٨١

جربة (جزيرة) ٤ - ٥ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٤ - ١٣٥ - ١٢٦ - ١٢٩

١٣١ - ٢١٥ - ٢٦١

جربة القديمة (مدينة) ١٢٣ - ١٢٧ - ١٢٨

الجرداء (سبخة) ٢٣

الجُرُف ١٢١

الجريد (البلاد الجريدية) ٤ - ١٠٥ - ١١٩ - ١٢٨ - ١٣٤ - ١٤٧ - ١٥٣

١٥٧ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٧٢ - ٢٤٤ - ٣٢٠ - ٣٥٤

الجزائر ٥ - ٢٠ - ٢٤ - ٣٢ - ٥٦ - ٣٢٦ - ٣٤٣ - ٣٥٠

الجِزْنَع ٣٧٨

جزيرة الأحاسي ٣٣٥ - ٣٣٦

جزيرة باشو ١٥ - ٢٤٩

جزيرة جربة (انظر : جربة)

الجزيرة الخضراء ٩

جزيرة شريك ١١ - ١٣ - ٢٣

جزيرة العرب ٥٩

جزيرة قوسرة ١٣

جبال ٥٥ - ٥٦

جبة (المهدية) ٣٦٨ - ٣٧١ - ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٧٨

جنوة ٣٣١

جيان ٣٦٤

- ح -

الحامة (انظر الحمة)

حامة الجزيرة (انظر حمام الالف)

الحجاز ٧٩ - ٢١٦

حجاي ٣٢٠

الحجر ٣٩

الحرم ٣٦٥

الحرمّان الشريفان ٣٦٧

حَزْن عَزَة ٦١

حَزْوَى ٣٧٨

حَسَّاف (قرية) ٢٤٩

حصن تلّيل ٣١٩

حصن الخليل ٣٠٨ - ٣٠٩

حصن سلّمة ٣١٨

الحضرة (تونس) ٥ - ١١١ - ١٢٦ - ١٢٨ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٥ - ٢٨٠

٢٨٥ - ٢٨٨ - ٣٠٦ - ٣١٧ - ٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٧١ - ٣٧٧

الحضرة (طرابلس) ٢٥٨

الحضرة (القيروان) ٨٢

الحضرة (مراكش) ٣٤٤ - ٣٦١ - ٣٦٢

حلق الوادي ٣٤٥ - ٣٥٢ - ٣٥٥

حمام الانف (حامة الجزيرة) ١٠

الحمامات ٢٣

حمص (ب-الشام) ٧٢

حمص (اشيلية) ٣٦٥

الحمّة (حمة مطاطة) ١٠٣ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٩ - ١٤١ - ١٦٢

١٧٧ - ٣٥٦

حمّة البهاليل (حمّة توزر) ١٣٤

حمّى زويلة ٣٢٤ - ٣٧٧

الحنايا ٥٧ - ٣٤٥

حنيدران ١٨ - ٢٠

- خ -

خربة جميل (بالمهدية) ٣٢٥

الحرية ٨٧

خنافس ٣١٩

الخوّزَنق ١١٧

خَنَبَر ١٢٤

- د -

دار الاشراف (بتونس) ٢٧٦

دار الصناعة (برادس) ٧

دار الصناعة (بالمهدية) ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٤٨

دار لحيان ١٦١

دار المحاسبات (بالمهدية) ٣٢٣

دارين ١٢٩ - ١٩٤ - ٢٩٩

دَرَن (انظر : جيل درن)

دَمَر (انظر : جيل دمر)

دَمَشَق ١٤ - ٥٨ - ٨٦ - ١٠٢ - ٣٠٩ - ٣٦٩

دَيْر الزجاج ٢٤٥

دَيْر سَمْعَان ٤٩

- ذ -

ذات البان ٣٧٨

ذو سَلَم ٤٤ - ٤٩

- ر -

رَادِبِس ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩ - ١٠ - ١٣٦ - ٣٩٣

رَأْس تاجرا (جيل) ١٢٠

رَأْس المخبز (مرسى) ٣١٩

رَامَة ٣٧٨

الرَّجِيع ١٦١

رَخْرَحَان ٣١٣

رَقَادَة ٢٤٠ - ٣٢٣

الرُّقَّة ٦٦

الرملة (بطرابلس) ٢٣٨

الروضة (بالمدينة) ٣٨٩

الرياض (بطرابلس) ٢٣٧

- ز -

الزارات ١١٩

زاوية اولاد سينان ٢١٤

زاوية اولاد سهيل ٢١٢

زَمَدِين ٥٥ - ٥٦

زُرَيْق ١٠٠ - ١٨٠

زَلَّة ١١٢

زَمَزَم ٥٠

زَنزور ١٨١ - ١٨٢ - ٢٠٦ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٨ - ٢١٩ -

٢٢٠ - ٢٢١ - ٣١٩

زَوَارَة ٥٩ - ١٢٠ - ١٨٧ - ٢١٠ - ٢١١

زَوَارَة الصغرى (وطن - وطن المرابطين) ٢٠٧ - ٢١٠ - ٣١٩

زَوَارَة الكبرى (كوطين) ٢١٠

زَوَاغَة ٢١١ - ٢١٢

زَوِيلَة (بالمهدية) ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٣١ - ٣٣٥ - ٣٤٠ - ٣٤٧ - ٣٤٩

زويلة بنى الخطاب ١١٢

- س -

السابرية ٢١٢

الساحل ٦٥ - ٦٦ - ٢١٤

ساحل البر (بجربة) ١٣١

ساحة عنبر (بقابس) ٨٨

سَبْتَة ١٧ - ٢٣ - ١٦٤ - ٢٢٠ - ٣٥٩

السَّتَّارَة (سور بطرابلس) ٢٤٠ - ٢٤٥

سجلماصة ٢٤٠

السدير (قصر) ١١٧

سطيف ٣٤٤ - ٣٤٧

سلا ٣٤٤

سَلْقَطَة ٥٧ - ٥٩

سلمى (جبل) ٣١٨

سترية ١١٢

سواني خلف الله ١٣٢

السوس ١٨٥

- ٤٧٣ -

سوسة ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣٣ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٧

٣٨ - ٤١ - ٤٣ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٥ - ٣٢٧ - ٣٩٣

سوق الاحد ٣٢٥

السُّوَيْق ٩١

سُفُجَيْن (انظر : فحص سوفجين)

سيقاطة (مسجد) ٢١٩

- ش -

الشام ١٤ - ٦٣ - ٧٩ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٦٠ - ٢٥٣ - ٣٣٣

شِينِكْس ٣١٨

- ص -

صبرة (صبراتة بطرابلس) ٢١١

صبرة (بالقيروان) ٣٢٨ - ٣٢٩

صرمان ٢١٢ - ٣١٩

صعيب ٨٥

صعيد مصر ١٦ - ١٨

الصفا ٥٠

صفاقس ١٥ - ٦٧ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ٧٦

٧٧ - ٧٨ - ٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٩٧ - ٢٤١ - ٣١٦ - ٣٢٠

٣٣٠ - ٣٥٤

صِفِين ٣٤

صَقْلَة ٢٦ - ٢٩ - ٣٠ - ٣٨ - ٧٥ - ٩٨ - ١٠٠ - ١٦٠ - ٢١٢ - ٢٤١

٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤٨ - ٣٤٩

صَنَاتَان ٢٢ - ٢٣

صنعاء الشام ١٢٥

صنعاء اليمن ١٢٥

مِيبَار ٣١٠

- ط -

طَبْرِية ٣٤٥

طُرَّة ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٧ - ١٥٣ - ١٧٣ - ١٧٧ - ٣٥٦

طَرَابِلُس ٨٣ - ٨٥ - ١٠١ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٨ - ١١٣ - ١١٤

١١٩ - ١٢٤ - ١٥٣ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٥ - ١٩١

٢٠٤ - ٢٠٦ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩

٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٣٧ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٤

٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤

٢٥٥ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦١ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ -

٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٧ -

٢٨٠ - ٣٠٦ - ٣٠٨ - ٣١٤ - ٣١٦ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٥٤ - ٣٩٣ -

طرابلس الشام ٢٧١

طليطلة ٧٩

طُنبُذَة (المحمدية) ٨

الطواحين ١٣٣

طَبَّة ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٩

طَبِينَة ٨٤

- ظ -

الظاهر: (بالجنوب التونسي) ١٧٧

الظاهر (بـطرابلس) ٣١٨

- ع -

عبد رب (ارض) ٣٠٧

العُذَيْب ٣٧٢

العراق ٧٩ - ٨٠ - ٢٥٧

المروسان (بـقابس) ٩٥ - ٩٧ - ١٠٤ - ١١٥ - ٣٢٠

المروسان (بقلة بنى حماد) ١١٥ - ١١٦

عسقلان ٣٢

المقبة ٩١ - ١١٢

المُقلة ١٨٣

العقيق (انظر : وادى العقيق)

عَمْرَة (واقعة عمرة) ١٣٦ - ١٦٢

عين الامير (بقابس) ٨٩

عين تاميدنت ٣١٢

عين تاوَزغا ١٥٣

عين سَلام (بقابس) ١١٥

عين سلام (بقلة بنى حماد) ٨٩ - ١١٥ - ١١٦ - ١١٧

عين طُمرَة ١٤٢ - ١٥٣

عين فارة ٣١٥

عين ودرس (تودرس) ٣١٦

الميون (بطرابلس) ٢٤٦

عيون رَحّال ١٤١

- غ -

غافق ٣٠٩

غانيمة ٢٦٥ - ٣١٧

الغرب ٢٢٠

غرناطة ١٦٤

غُمَراسن ١٧٩ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٧ - ١٩١ - ٢٠٤ - ٢٠٦

- ف -

فاس ١٩١

فحص سُوْفُجَيْن ٢٥٩

فَرَاف ١١٨

فَرَاف ١١٢

الفسطاط ٥٤

فَسِّي ٢٠٥

الفلّاحين ٢٣ - ٣٩٣

فلسطين ١٦٠

- ق -

قابس ٥٨ - ٦٨ - ٧١ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٣ - ٩٤

٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤

١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٨ - ١١٠ - ١١٥ - ١١٧ - ١١٩ - ١٣٢ - ١٣٤

١٣٥ - ١٣٧ - ١٦٠ - ١٦٣ - ١٧٢ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٠

١٨١ - ١٩٨ - ٢٤٤ - ٣١٦ - ٣٢٠ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٣ - ٣٣٤

٣٤٠ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٧

القاهرة ٣١٤ - ٣٦٧

قَبْلِي ١٧٧

قرطاجنة ٨ - ١٠ - ٢٣ - ٥٧ - ٥٨ - ٣٢٠ - ٣٥٢

قرطبة ٨٠

قرقنة ٦٧ - ١٢٢

قرقوزة ٢١٤

القرن ٣٣

قرية حسان (انظر : حان)

القُسْطَنْطِينِيَّة ٧٩

قُسْطَنْطِينِيَّة ١١٩ - ٣٤٤ - ٣٥٤

القشتيل ١٢٦ - ١٢٨

القصبة (بتونس) ١٣ - ٢٦٨ - ٢٧٠ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٦٣

القصبة (بطنابلس) ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٥٣ - ٢٥٥ - ٢٨٠

قصبة جربة ١٢٧

قصبة الحامة ١٣٦

قصبة قابس ٩٤ - ٩٥

القصر ٢٠٥

القصر (بالمهدية) ٣٤١ - ٣٥١ - ٣٥٢

قصر أبي القاسم (بالمهدية) ٣٢٣

قصر بنى خيار (انظر : قصور بنى خيار)

قصر الديماس ٣٣٦

قصر زياد ٦٧

قصر صالح ٢٠٦

قصر طارق ٣٨ - ٣٩

قصر عيد الله المهدى (بالمهدية) - القصر العيديدى ٣٢٣ - ٣٣٢ - ٣٧٧

قصر العروسين (انظر : العروسان)

قصر عيسى بن جعفر ٨٧

قصر فارة ٣١٦

القصر القديم (بزنزور) ٢١٥

قصر قراضة ٣٥٤ - ٣٥٩

قصر كنانة ١١٩

قصر ملّثة ٥٩

قصور بني خيار ٨٥ - ٣١٦

قصور بني عشرة ٣٤٤

قصور حسان (ببرقة) ٥٨

قصور المباركة ٨٥ - ٣٢٠

قصور الوردانيز (انظر : الوردانيز)

قصور الوردانين (انظر : الوردانين)

قطيس ٢٤٤

قفصة ١١٤ - ١٣٦ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٧ - ٣٥٣ - ٣٥٦ - ٣٥٧

القل ٣٥٤

القلعة (قلعة بني حمّاد) ١١٥ - ١١٦

قلعة حمّدون ١٨٥

قلعة نفّيق ١٨٥

قماطة (شغراء) ٣١٧

قبتونية (المنستير) ٣١

القيروان ١٨ - ٢٠ - ٢٢ - ٢٩ - ٣٣ - ٣٨ - ٧٩ - ٩٩ - ١٠٠ - ١١٨

١٤٧ - ٢٥٣ - ٢٦٦ - ٣٢٤ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٣١ - ٣٥٤ - ٣٥٦

٣٧٦

- ك -

الكانم ١١١

كانة ١١٩ - ١٣٤

كليك ١٥٣

كنبريج ٣١٣

كوطين (انظر : زوارة الكبرى)

الكوفة ٣٠٩

- ل -

لا لة (قصور) ٣٥٣

لبدة (لبيدي) ٨٣

لُك ٧٦

لليانة ٣٧١

لماية ٢١٤

اللوى ١٩٨

ليزيك ٣٣ - ٣١١

ليدن ٣٦٨

- م -

مارث ١٨١

مَالَقَة ٥٩ - ٨٣

المباركة (انظر : قصور المباركة)

متيجة ٣٤٣

المجاز (بطرابلس) ٢٥١

مجاز الجرف ١٢١

مجاز سَبْة ٢٢٠

مجْزَم ١٤١

الحرس ٨٥ - ٣١٦ - ٣٢٠

محرس على (الحرس الجديد) ٦٩

مُخْسِن (بطرابلس) ٢٤٤

المحمدية ٨ - ٩

المدرسة المتتصية (بطرابلس) ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٣

المدفون (قصر) ٢٤

المدينة ٩١ - ٢٠٩

المدينة البيضاء (طرابلس) ٢٣٧ - ٢٦٨

مَرَاكِش ٨٣ - ٨٤ - ١٠٤ - ٢٤٥ - ٢٦٨ - ٣٠٩ - ٣٤٤ - ٣٥٩

٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٣

المِرْبَد ٥٤ - ٥٥

مرسى البرج ٣٥٣

المَرَصِد ٢٣ - ٢٥

مُزْنِاق ١٠

مسجد ابن فرج (بطرابلس) ٢٦٥

مسجد البارزى (بطرابلس) ٢٤٩

مسجد الجُدود - او الجَدَّة (بطرابلس) ٢٤٩

مسجد خطاب (بطرابلس) ٢٤٨

مسجد سيقاطة (انظر : سيقاطة)

مسجد الشَّعَاب (بطرابلس) ٢٤٧ - ٢٥١

مسجد العشرة (بطرابلس) ٢٣٧

مسجد غانم ٥٦

مسجد المجاز (بطرابلس) ٢٥١

مَسْرَاتَة ٣١٧

مَسْلَاة ٨٥ - ١٣٤ - ٢٦٥ - ٣١٨

المشرق ٤ - ٥ - ٦ - ٦ - ٦٠ - ٧٠ - ٧٨ - ٩٤ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٧٩

١٨٥ - ٢٠٤ - ٢٠٦ - ٢٤٠ - ٢٤٣ - ٢٤٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٧٢

٢٧٣ - ٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣٣٣ - ٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧٩

مِصْر ٦ - ١١ - ١٦ - ١٧ - ٢١ - ٧٩ - ٩٤ - ٩٦ - ١١١ - ١٢٤

١٢٧ - ١٨١ - ١٨٢ - ٢١٦ - ٢١٨ - ٢٣٩ - ٢٤١ - ٣٠٩ - ٣١٤

٣٢٨ - ٣٣٣ - ٣٤٠ - ٣٤٢ - ٣٦٧

المصلى (بشري) ١٥٤

المصلى (بتوزر) ١٦٣

المصلى (بطرابلس) ٢٤٦

المصلى (بالمهتية) ٣٢١ - ٣٢٦ - ٣٧٧

المصيبة ٣٢

المعلقة ٣٤١

المغرب ٤ - ٨ - ١٣ - ٣٢ - ٥٩ - ١٠٤ - ١١٢ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٥

١٣٦ - ١٦٠ - ١٨٥ - ٢٠٦ - ٢١٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٣٠٨ - ٣٠٩

٣٣٤ - ٣٣٩ - ٣٤٢ - ٣٤٩ - ٣٦٠ - ٣٦٢

المغرب الاوسط ٣٢٨ - ٣٤٣

المغرب الاقصى ٣٤٣

المقام (بكّة) ١٧٠

مكة ١٤٢ - ٢٤٩ - ٢٦٢ - ٢٦٥ - ٣٨٠ - ٣٨٩

ملعب سوسة ٤١

مليانة ٣٤٣

مَنْطُور (جبل) ٣٢

المنار (بقابس) ٩٤ - ١١٥

المنار (بقلة بني حماد) ١١٥ - ١١٦

المنارة ٢٣

منزل أبي نصر ٣٦٠

منزل باشو ١٣ - ١٤

المنستير ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٦٩ - ٣٧٨

المنصورية (انظر : صبرة)

المهدية ١٥ - ١٨ - ٢٥ - ٢٩ - ٣٠ - ٤٢ - ٧٠ - ٧٢ - ٧٤ - ٧٦

٩٦ - ٩٧ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٣٦ - ١٨١ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٧٤ - ٢٧٥

٢٧٧ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨

٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٩

٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٤ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥٠

٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٠

٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٦ - ٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧١ - ٣٧٥

٣٧٧ - ٣٨١ - ٣٩٣

المهديتان ٣٣١ - ٣٤١ - ٣٧٧

الموصل ٣٦٩

موقف الغنم (بطرابلس) ٢٤٥

مَيُورِقَة ٢٤٤ - ٣٥٤

- ن -

نَبَش الذئب ٣١٩

نجد ٤٩ - ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٨

نخيل فِرْعَوْن ١٤٢

نَفْرَاوَة ١٢٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٧ - ١٥١ - ١٥٣ - ١٥٤

١٥٦ - ١٧١ - ٣٠٨ - ٣٥٦

نَفْطَة ١٢٠

نَفُوسَة (انظر جبل نفوسة)

نَقْطَة ٨٤

النيل ١٨ - ١٩

- و -

وادي إضَم ٤٩

وادی جِراوَة ١١٥

وادی الجوى ١١٦

وادی الرمل (بتونس) ٢٣

وادی الرمل (بطرابلس) ٣١٠ - ٣١٢ - ٣١٨

وادي الزَّرْكِين ٣٢٠

وادي زَرُود ١١٨

وادی عباس ٧٥

وادی العقیق ٣٨١ - ٣٨٤ - ٣٨٥

وادی الفجاء ١٢٠

وادي القُرى ٤٩

وادی القصر ٨٧

وادي مجسّر ١٢٠ - ١٣٣

وادي مَلِيان ٩

ودّان ١١٠ - ١١١

ودرس (انظر : عين ودرس)

وِذْرِف ٨٦

الوردانيّين (قصور) ٥٦

الورانيّين (قصور) ٣١٦

وِزْدِر (قصر) ٢٠٩

وطن - وطن المرابطين (انظر : زوارة الصفرى)

ولؤلؤ ٢١٠ - ٢١١ - ٣١٩

- ي -

ياسك ١٥٣

الياقوتة (بالنستير) ٣٢

يثرب ٣٦٥

يغمراسن (انظر : غمراسن)

اليمن ١١١ - ١١٢ - ١٢٥

فهرس

اسماء الكتب

- أ -

آثار السَّحابة في أَسْمار الصَّحابة : لابن عريّة ٣٧٥

الاحكام : لعبد الحق ٨ - ٩

اخبار ابي اسحاق الجبناي ٦٧ - ٦٩

الادوية : لابن البيطار ٣١٤

الارشاد : لابي المعالي ٢٥٧

اسد الغابة ٩٢ - ١٢٤

الاشارات : لعبد السلام الفيتوري ٢١٩ - ٢٥٩

اعمال الاعلام ٣٨

الاغانى : للاصبهاني ٦٠ - ٨٧ - ٣١٣

اقتباس الانوار : للرشاطي ٦٦ - ١٤٢

الإكمال : لابن ما كولا ١٤٢

الإكمال على صحيح مسلم : للقاضي عياض ٢٥٦

أُمثال أبي عُبَيْد (انظر كتاب الامثال)

أمثلة الغريب : لابي الحسن الهنائي ٢٦٣

الامالي : لابي علي القالي ٦١

الانجيل ٣٨٩

انساب قريش : للزبير بن أبي بكر ٢٦٤

الانموذج : لابن رشيق ٣٣ - ٣٤ - ٣٦ - ٣٦ - ٧٦ - ٧٨ - ٨١ - ٣٦٦

الانواء (انظر : كتاب الانواء)

- ب -

البخلاء : للجاحظ ١٦١

البرهان : لابي المعالي ٢٥٧

بغية الوعاة : للسيوطي ١٤١ - ٢٦٣

البيان المغرب : ١٢ - ٢٨

- ت -

تاريخ ابن خلدون ٥ - ٢٠ - ٢٤ - ١١١ - ٢٦٥ - ٣٥٠

تاريخ ابن شداد : ١٤٠ - ٣٤٦

تاريخ ابن شرف ٣٣ - ٥٣ - ٨٣

تاريخ ابن نخيل : ١٠٨ - ١٤٧

تاريخ أبي الصلت : ١٢٥

تاريخ ابي الطاهر السلفي : ١٦١

تاريخ الرقيق ٦ - ٧ - ٣٢ - ١٢٥ - ٢٤١ - ٣٢٠

تاريخ الرزكشي ٢٥٢

تاريخ الفاضل (انظر : مياومة ابن البيسان)

تاريخ معلّم القتيان ٣٢١

تبكيث الناقد : لعبد الرحمان بن ابراهيم الاصولي ٣٧٨

تقيف اللسان : لابي حفص بن مكي ٢٦٢

تحفة القادم : لابن الابار ٨٤ - ١٠٦

التفريع : لابن الجلاب ٢٥٦

التكملة : لابن الابار ٢٧٢

التنوير (شرح سقط الزند) ٦٠ - ٦١ - ٦٣

التهذيب ٢٥٦ - ٢٩٦

التوراة ٣٨٩

- ث -

ثمار القلوب : للتمالي ٩١

- ج -

جذوة المقتبس : للخبيدي ٥٣

جلاء الالتباس في الرد على نفاة القياس : للصديقي ٢٧٣
جوامع الكلم النبوية : لابن عريية ٣٧٥

- ح -

الحاصل : لتاج الدين الازموي ٣٦٨
الحديقة في شعراء الاندلس : لابني الصلت ٤٢
حسن المحاضرة ١١
الحصار في علم الحساب ٢٥٧
الحلة السيرة : لابن الابار ٣٦٥
الحلل السندية ٤١ - ٧٨ - ١٦٥
الحيوان : للجاحظ ١٦١

- خ -

خريدة القصر ٤٣ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٦ - ٣٦٧
خزانة الادب : لابن سعيد ٥٢

- د -

الدر النظيم (للمؤلف) ٣٦٦
ديوان ابي نواس ٣٤

ديوان أمية بن أبي الصلت ٣١٤

ديوان حاتم (الطائي) ٣١١ - ٣١٢

ديوان حسان بن ثابت ١٦١

ديوان ذي الرمة ٣١٣

ديوان عمر بن عيسى بن أبي حفص ٣٦٤

- ذ -

الذخيرة: لابن بسام ١٦

- ر -

رسالة أبي على النفطى ١٤٤

رسالة أبي يعقوب الطبري ١٤٣

رسالة الحول: للاجداني ٢٦٣

الروض الأئسف: للسهيلى ٥٩

الروضة الموشية فى شعراء المهدية ٣٦٦

- ز -

الزهرة فى مسند العشرة : لابن عريية ٣٧٥

- ٤٩٥ -

- ط -

الطبقات : لابي العرب ١٢ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٢٧١
طبقات ابن سعد ١٢٥

- ع -

العقيدة الدينية : للصدفي ٢٧٣
عنوان الدراية : للبريني ١١٦ - ٢٥٢

- غ -

غريب الحديث : للخطابي ٨٠
غريب الهروي ١٣٥

- ف -

فتوح مصر ١١ - ٦٦
الفصيح ٢٦٣

- ق -

القرآن (الذكر الحكيم) ٨ - ٩ - ٢٦ - ٨١ - ١٣٨ - ١٦٠ - ٢٧٣
٣٦٣ - ٣٨٨ - ٣٨٩

قصائد المدح ومصائد المنح (ديوان) : لابن عريية ٣٧٥

- [ك] -

الكافي في الفرائض : لابن المنذر ٢٥٧ - ٢٦٥

الكافي في الوثائق : لابی الحجاج يوسف بن زيري ٢٤٢

الكامل : للجرجاني ٨

الكامل : لابن الاثير ١١ - ١٤ - ١٥ - ٢٤

كتاب الامثال : لابی عبيد ١٣٥

كتاب الأنواء ٦٠

كتاب في الرد على ابي حفص بن مكي في تثقيف اللسان : للاجدابي

٢٦٢

كتاب الروضتين ١٥

كتاب في ما آخره ياء مشددة : للاجدابي ٢٦٢

كتاب في العروض : للاجدابي ٢٦٢

الكشاف : للزمخشري ١٣٥

كشف الظنون ٣٣ - ٣٦٨

كفاية المتحفظ : للاجدابي ١٤١ - ٢٦٢

كنوز الطالب : لابن سعيد ٣٠٨

- ل -

لسان العرب ١٨٣ - ٣١٣

- م -

المحصل : لابن العربي ٢٥٦ - ٣٦٨

المختار : لابن حشرون ٣٦٧

مختصر في الانواء : للاجدابي ٢٦٣

مختصر لكتاب أنساب قريش : للاجدابي ٢٦٣ - ٢٦٤

المدخل : لابن الحاج ٣٩١

المدونة ٨٣

مذكر القواد في الحض على الجهاد ٢٧٣

المذهبة : لابن المناصف ٢٥٧

المسالك : لابي عبيد البكري ٦ - ٧ - ١٠ - ١٣ - ٢٨ - ١٥٥ - ٢٧١

٣٢١ - ٣٢٦

المستصفي : للغزالي ٢٥٦ - ٢٥٧

المستوفى في رفع أحاديث المستصفي : لابن عريية ٣٧٥

مطالع البدور ٥٥

معالم ابي سليمان الخطابي ٢٠٨

المعالم الفقهية : لابن الخطيب ٢٥٧

المعالم الدينية : لابن الخطيب ٢٥٧

معالم الايمان : للدباغ ٥٦ - ١٢٤ - ١٢٥

مُعْجَم البلدان : لياقوت ٤٩ - ٥٥ - ٨٧

المنتخبات التونسية : لحسن عبد الوهاب ٦

منتهى السؤل فى امتداح الرسول ٩٢

المِياوَمَة : لابن اليساني ١٤ - ١٥ - ١٤٧ - ٢٤٣

ميزان الاعتدال ٣١ - ١٢٥

- ن -

الناسم : لابی الفضل التجانی ٢٢٣ - ٢٢٤

النَبَذ المحتاجة في اخبار ضنهاجة ١١٦

النجوم الزاهرة ١١

نزهة المشتاق : للادريسي ١١ - ١٢٢ - ١٢٤ - ١٤٣

نُزهة النظّار ٣١

نفح الطيب : للمقري ٩٠

نقحات السرّين في مخاطبة ابن شبرين : للمؤلف ١٦٤

نقائض جرير والفرزدق ٧٢

النهاية : لابن الاثير ١٣٥ - ٢٤٦

- و -

الوتريات : لابي الحسن بن بلال ٢٧١ - ٢٧٢

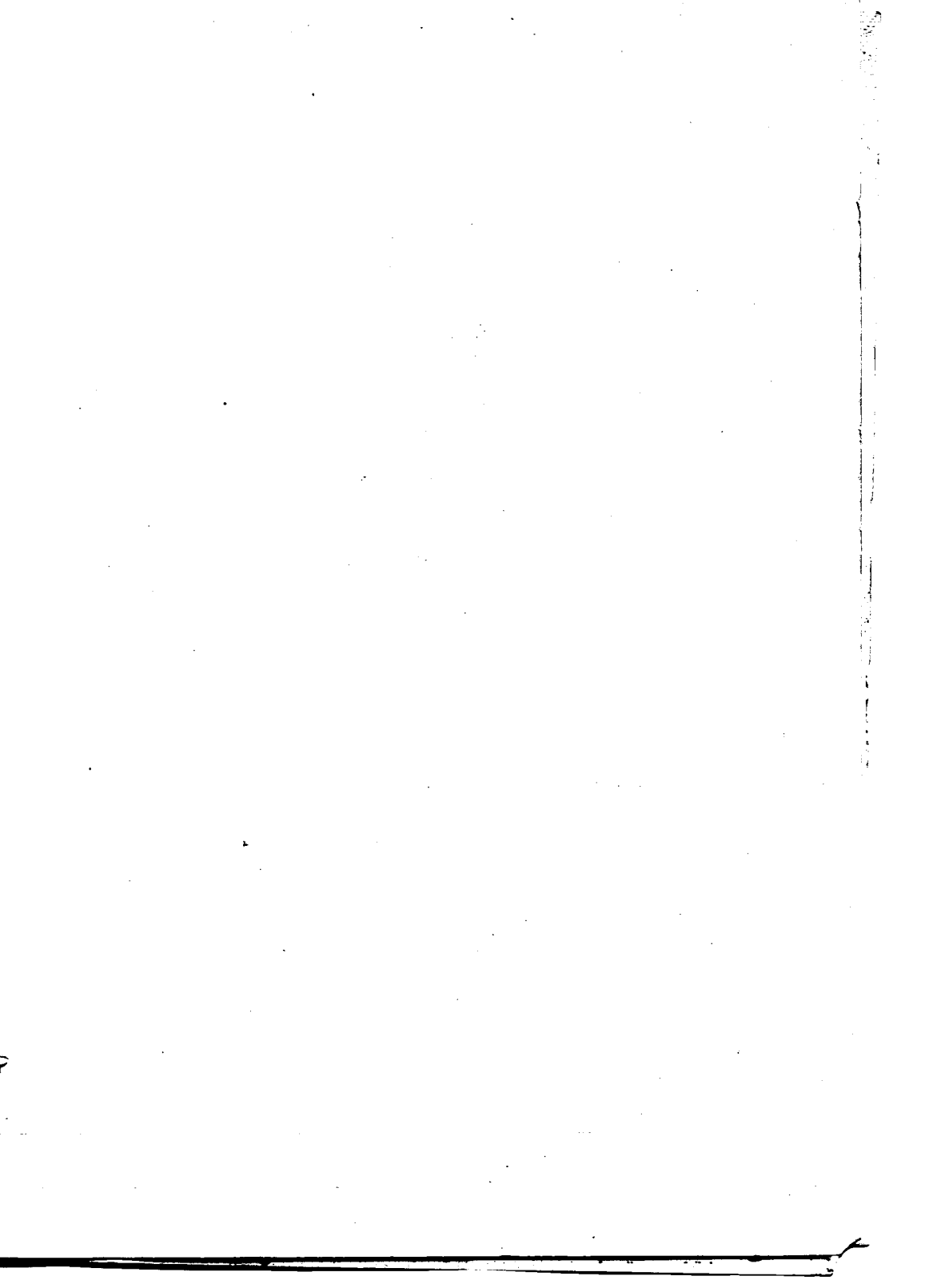
الوفاء ، بيان فوائد الشفاء (شرح الشفاء : للمؤلف) ٣٨١

الوهم والايهام ٨

- ي -

يتيمة الدهر : للثعالبي ٤٢ - ٥٤

٤٩٩



فهرس

موضوعات الكتاب

صحيفة

الموضوع

٣	مقدمة استاذ الجيل العلامة ح - عبد الوهاب
٤	الخروج من تونس
٥	الحديث عن رادس
١٠	الحديث عن حامة الجزيرة (حمام الانف)
١٠	الحديث عن مرناق
١١	الحديث عن جزيرة شريك
١٣	الحديث عن منزل باشو
١٦	الحديث عن الزحفة الهلالية
٢٢	الحديث عن قرية صلتان
٢٤	الحديث عن اهريقلية (هرقلة)
٢٥	الحديث عن سوسة
٣٠	الحديث عن المنستير
٣٣	الحديث عن شعراء سوسة
٥٦	الحديث عن البوردانيين وصالحها ابي محمد يونس الورداني
٥٧	الحديث عن قصر الجم
٦٥	الحديث عن زيتون الساحل
٦٧	الحديث عن جزيرة قرقنة
٦٨	الحديث عن صفاقس
٧٠	الحديث عن ولاية صفاقس
٧٦	الحديث عن شعراء صفاقس وعلمائها
٨٠	الحديث عن جبنانية وصالحها ابي اسحاق الجبنياني
٨٣	الحديث عن قرية لييدة وشيخها ابي القاسم الليدي
٨٥	الحديث عن المحرس

الموضوع

صحيفة

٨٦	الحديث عن قابس
٩١	الحديث عن الصحابي ابي لبابة
٩٦	الحديث عن ولاية قابس
١٢١	الحديث عن جزيرة جربة ، سكانها ومذاهبها
١٢٨	الحديث عن حصن القشتيل
١٣٤	الحديث عن حامة قابس
١٤٢	الحديث عن طرة (قاعدة نفزاوة)
١٥٣	الحديث عن بشرى
١٥٤	الحديث عن سبغة تاكرمت
١٥٧	الحديث عن توزر (قاعدة الجريد)
١٨٥	الحديث عن غمراسن
٢٠٧	الحديث عن زوازة الصغرى
٢١٠	الحديث عن زوازة الكبرى
٢١١	الحديث عن زواغة
٢١٤	الحديث عن زنزور
٢٣٧	الحديث عن طرابلس
٢٣٩	الحديث عن ولاية طرابلس
٢٥٤	الحديث عن فضلائها وعلمائها
٣٠٧	الحديث عن تاجورة
٣١٧	في طريق الرجوع
٣٢٠	الحديث عن المهديّة
٣٢٤	الحديث عن ملوك المهديّة وولاتها
٣٦٦	الحديث عن شعراء المهديّة وعلمائها
٣٩٩	فهرس أسماء الرجال والقبائل
٤٥٩	فهرس أسماء البلدان والعالم
٤٨٩	فهرس أسماء الكتب
٥٠١	فهرس الموضوعات
٥٠٣	جدول التصويبات